تفسير سفر الرؤيا

للقديس
يوحنا
اللاهوتي

لابن كاتب قيصر

راجعه ووضع حواشيه
القمص أرمانيوس حبشي
أحد رهبان دير السريان

www.christianlib.com

مكتبة
المحبة

تفسير

رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى

لابن كاتب قيصر

عنى بمراجعته ووضع حواشيه

القمص أرمانيوس حبشى شتا البرماوى

أحد رهبان دير السريان

الناشر

مكتبة المحبة

١٩٩٤

ناجى

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

القديس يوحنا اللاهوتى

الطبعة الأولى * سنة ١٨٩٨ * جمعية التوفيق
الطبعة الثانية * سنة ١٩٣٩ * مكتبة المحبة
الطبعة الثالثة * سنة ١٩٩٤ * مكتبة المحبة

مقدمة

كتاب سفر الرؤيا فيه كثير من الإشكالات العويصة التى تحار فى فهمها أذكى العقول البشرية . ويعجز عن إدراك مراميها البعيدة أعظم المناطقة وأبلغ الفصحاء . وقد قيض الله تعالى العلامة ابن كاتب قيصر ، أحد أعلام كنيستنا القبطية الأرثوذكسية الأفذاذ فى القرن الثالث عشر ، ومنحه نعمة فياضة من لدنه ، ففسر هذا السفر الجليل ، حيث حل مشكلاته التعليمية وكشف الستار عن معضلاته . ومما يجعل لهذا التفسير قيمته الكبيرة ، أن مفسره كان ذا إلمام تام بالعلوم الفلسفية والمنطقية ، واللغات القبطية والعربية واليونانية والسريانية والعبرانية ، وهذا ما ساعده كثيرا فى شرح بعض الألفاظ التى جاءت بهذا السفر . ومما يدل أيضا على علو منزلة هذا التفسير ، أن أحد علماء الكاثوليك – لما تعرض لتفسير هذا السفر – قد استشهد بأقوال علامتنا ، بل لقد ذكر أنه كثيرا ما اعتمد على آرائه .

ولما كان هذا الكتاب قد أعيد طبعه سنة ١٩٣٩ ، أى منذ أكثر من نصف قرن [٥٤ سنة] ، ولا يزال القراء يطلبونه بالرغم من أنه نفذ منذ مدة طويلة ، فقد رأت مكتبة المحبة أن تعيد طباعته للمرة الثالثة ، بعد مراجعته بدقة ، وإضافة تاريخ هذا العلامة الجليل إليه ، مع التعريف بمؤلفاته الثمينة التى تدل على مقدرته العلمية وسمو آرائه بين بين أبطال كنيستنا الذين تعتز بهم . كذلك وضعنا كثيرا من الحواشى التاريخية عن البلدان التى جاء ذكرها فى هذا الكتاب ، والعلماء الذين استشهد بأقوالهم هذا العلامة . كما لم نغفل بعض الآيات التى تحتاج إلى زيادة الشرح .

هذا ، ولما كان هذا العلامة لم يُتم تفسيره هذا ، بل انتهى عند العدد السادس من الأصحاح العشرين ، وقد طبعته جمعية التوفيق القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة سنة ١٨٩٨ بهذا النقص .

لذلك ، فعندما شرعنا فى مباشرة طبعه ، رأينا أن يكون التفسير كاملا ، فوالينا البحث والاستقصاء . وإذ لم نظفر بالتكملة القلمية لهذا العلامة ، لم نيأس ، بل والينا السعى حتى عثرنا عليها فى نسخة مخطوطة لتفسير الرؤيا لابن كاتب قيصر فى الدار البطريركية القبطية الأرثوذكسية . وأما التكملة ، فهى للعالم الجليل الأنبا بولس البوشى مطران مصر ، ففرحنا بها ونقلناها . وقد جاء فى هذه النسخة ، فى آخر أقوال ابن كاتب قيصر ، ما يأتى :

«هذا آخر ما وجد فى النسخ المنقول منها ، وهى بخط الأب الفاضل الأسقف أنبا مرقس أسقف أوسيم والجيزية [الجيزة] ، نيّح الله نفسه ، وقد شرح فيها أنه وجدها من النسخ [أى السابقة عليها] . أما تاريخ نسخ هذا

الكتاب المعظم فقد قُدّر بشهر كيهك المبارك سنة اثنين وعشرون وألف للشهداء الأطهار ، بركاتهم تحفظنا إلى النفس الأخير ، آمين . أما الفراغ من كتابة هذا الكتاب الشريف يوميذ [يومئذ] فكان فى الثامن والعشرين من شهر أمشير المبارك سنة إحدى وخمسين وألف للشهداء . »

وبعد هذا ، أورد الناسخ نص الأصحاحين الأخيرين ، ثم قال : «التفسير - ما بقى من الرؤيا من قول القديس أنبا بولس البوشى - كتبناه من نسخة كتبت بدير العربة(١) لمصنفه ، وكملها القس بولس البوشى ليكمل الرؤيا . »

وفى آخر الكتاب ما يأتى : «كمل هذا الشرح من نسخة يرجع تاريخها إلى سنة ١١١٧ للشهداء بدير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، بركاته معنا ، آمين . وكان الفراغ من تكميل هذه النسخة ، التى هى شرح للآبو غلامسيس ، أى رؤيا القديس يوحنا الإنجيلى المنسوب الشرح المذكور إلى الشيخ الرئيس الفاضل المعروف بابن كاتب قيصر ، نيّح الله نفسه آمين ، فى يوم الخميس المبارك ١٨ أمشير المبارك سنة ١٣٢٨ للشهداء الأطهار ، [نفّعنا الله بطِلباتهم] . وقد أخذنا صفحتين بالفوتوغرافية لهذه النسخة ، الأولى عن أول الكتاب ، والأخرى عن آخر أقوال ابن كاتب قيصر وتاريخ نسخها ، ومنها تتبين الأهمية التاريخية لهذه النسخة .

وقد حدث أن عثرنا على نسخة مخطوطة لتفسير الرؤيا بالمتحف القبطى ، فنقلناها . ولدى مقابلتها بتكملة البوشى ، وجدنا الأقوال ذاتها فى النسختين ، نسخة المتحف وتكملة البوشى ، فعلمنا أن نسخة المتحف هى للأنبا بولس البوشى .

(١) هو دير القديس أنطونيوس .

ولم نكتف بهذا ، بل كنا نقابل الآيات على النسخة القبطية البحيرية . وعندما كانت تشكل علينا كلمة ، نرجع إلى النسخة الصعيدية بالمتحف القبطى . وهنا لا يسعنا إلا أن نشكر حضرة البحاثة النشيط يسى افندى

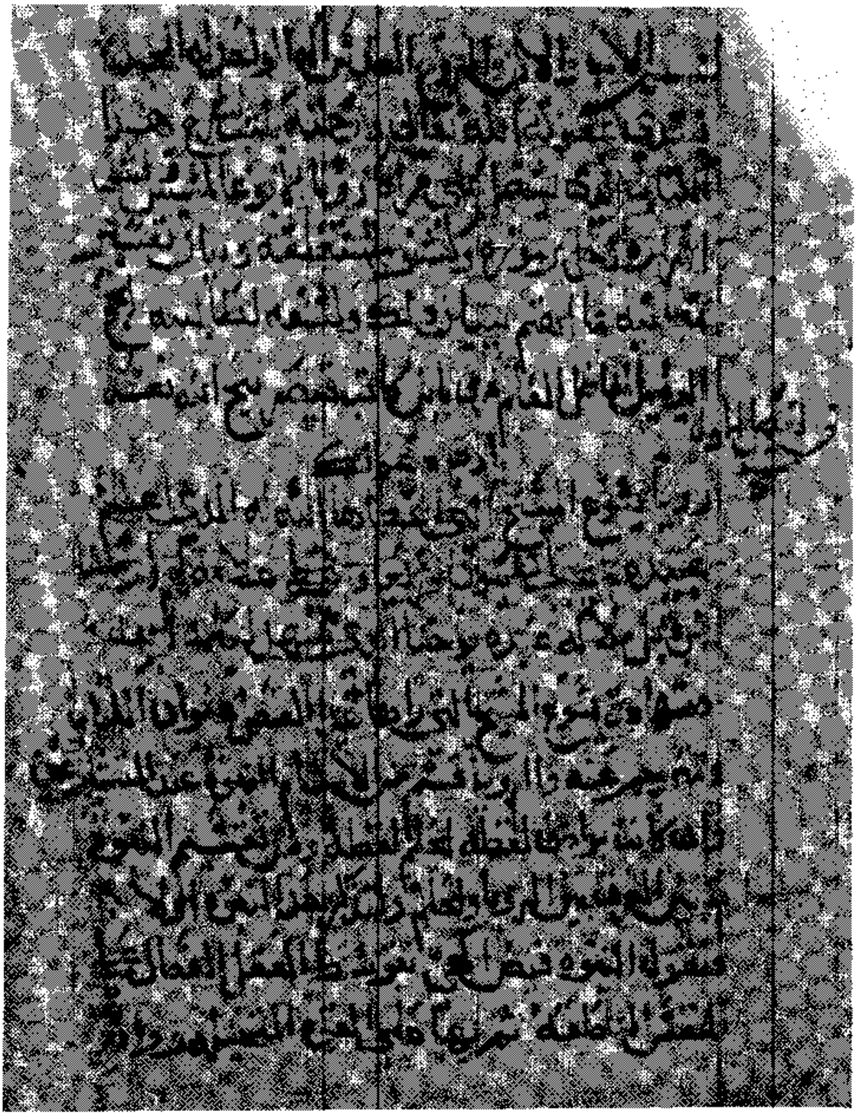

عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى على المعاونة التى كان يبديها لنا . وإتماما للفائدة ، كنا نقارن أقوال ابن كاتب قيصر بأقوال القس يوسف الحلبى فى كتابه «العنوان العجيب فى تفسير رؤيا يوحنا الحبيب» ، وأقوال أنثيموس

بطريرك أورشليم فى كتابه «كفاية اللبيب فى تفسير رؤيا يوحنا الحبيب» ، حتى إذا وجدنا ما يستدعى اقتباسه منهما لم نحجم عن ذلك . وهذا لا يضير مفسرنا القبطى ، فالذى يطالع كتاب «العنوان العجيب» ، يجد مؤلفه قد

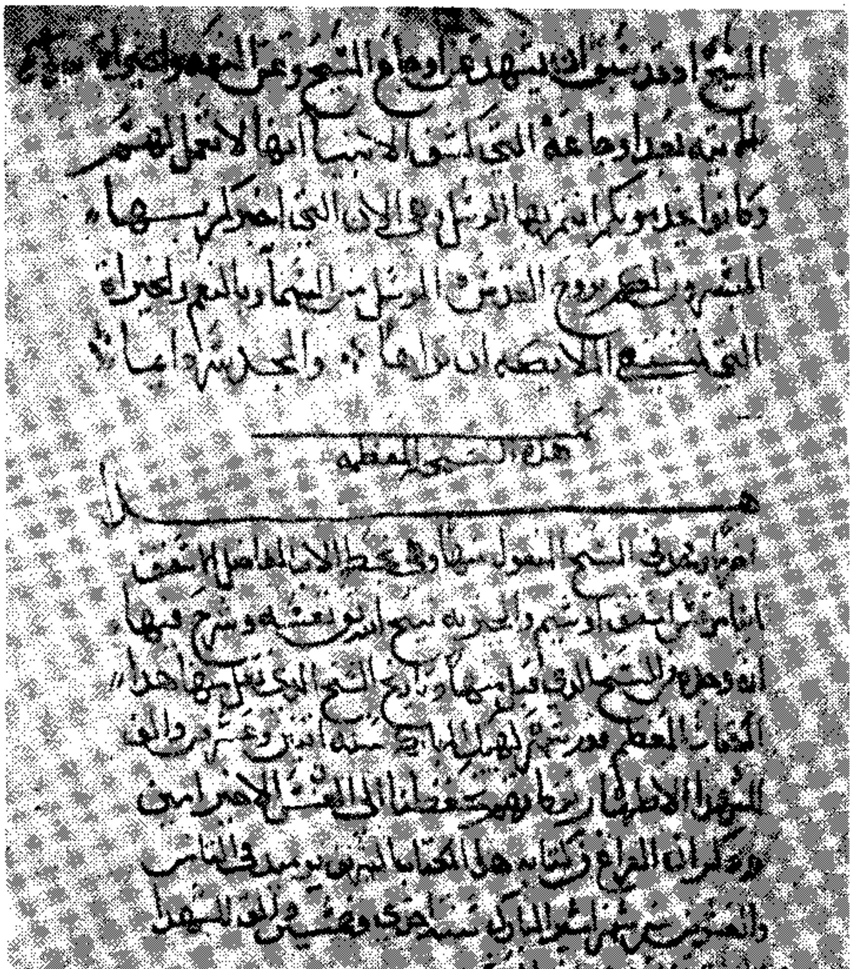

اقتبس كثيرا من أقوال ابن كاتب قيصر . ومما يجب لفت النظر إليه ، هو أننا اجتهدنا فى وضع نص الآيات حسب الترجمة القبطية كما هو مدون فى النسخة المخطوطة ، وكذا المطبوعة . كما لم نغير من أقوال ابن كاتب قيصر إلا ما حدث من النساخ من أخطاء على غير عمد طبعا .

ولما كان ابن كاتب قيصر هذا من علماء الكنيسة القبطية الأفذاذ ، وله شأنه الخطير بين رجالها ، فقد أردنا أن نعطر صفحات هذا الكتاب بتاريخه ، إشادة بفضله وعلمه . ولما كان حضرة البحاثة الجليل والمؤرخ الثقة حضرة جرجس افندى فيلوثاؤس عوض هو خير من يستطيع القيام بتدوين تاريخ هذا الرجل العظيم ، فقد عهدنا إليه بهذه المهمة ، فتفضل حضرته وأجاب ملتمسنا ، ودوّن تاريخا شاملا لهذا الرجل ومن عاصره من العلماء . فنشكر له كثيرا ، ونطلب له من الله خير الجزاء . قال :

عَلَم الرئاسة ابن كاتب قيصر

بقلم جرجس فيلوثاؤس عوض

فى القرن العاشر للشهداء [الثالث عشر المسيحى] ، ظهر بين القبط جماعة اشتهر أمرهم وذاع صيتهم بما وضعوه من المؤلفات الثمينة ذات القيمة ، قد تناقلها النساخ بدون أن يذكروا أسماء المؤلفين ، ولذلك كانوا ينسبونها إلى علماء الكنيسة . هذا فضلا عن أنهم لم يدونوا تاريخهم ، سواء أكان بأنفسهم أو بواسطة غيرهم من معاصريهم ، حتى كادت أسماؤهم تُنسى تماما ، لولا وجود بعض ما نقلوه عنهم ، أو ذكروا أسماءهم بين المؤلفين . هؤلاء الأفاضل قد ظهر ما كان لهم من طول الباع وقوة البرهان والحجة ، عدا التعمق فى درس اللغتين القبطية والعربية على أسس متينة وأسانيد قوية ، مشيرين إلى المصادر التى نقلوا عنها ، وقد كتبوا باللغة العربية الفصحى كل مؤلفاتهم الثمينة .

ولئن كانت سيرة حياتهم غير مدونة ، إلا أننا يمكننا الاستدلال على فضلهم من مؤلفاتهم ومما نُقل عنهم . وفى الوقت نفسه ، يمكن تحديد الفترة التاريخية التى عاشوا فيها ، وما كان لهم من المجد والسؤدد والجاه والمقام الأسمى فى عالم التأليف ؛ لأنهم قد ادخروا كنوزهم الأدبية فى مؤلفاتهم التى قصدوا بتأليفها إنارة أبصار أبناء أمتهم ، والوقوف على دخائل المسائل الدقيقة فى الكتاب المقدس بعد أن ترجموه إلى العربية من القبطية وقارنوا بينها وبين التراجم اليونانية والسريانية ، إذ نجد عصرهم تنمو فيه المعارف الدينية .

ولم تشغلهم المناصب الحكومية عن البحث والتنقيب ، ولم يفتهم الاطلاع على ما دوّنه سلفاؤهم . قتلوا الوقت فى الدرس ، فنالوا قسطا وافرا من العلم ، وتركوا لنا كتبا نستمد منها الدستور الذى اتخذناه لكنيستنا ، أما تفاسيرهم للكتاب المقدس ، فقد اعتمدوا فيها على الترجمات التى لم يتطرق إليها تحريف ، سواء أكانت من القبطية أو غيرها ، كما قاموا بتصحيح ما كان قد ترجم قبلا إلى العربية .

ولم يكتفوا بذلك ، بل وضعوا القواعد والروابط للغة القبطية عندما رأوا انهيارها وإهمال استعمالها فى كثير من بلاد القطر المصرى ، ولا سيما فى الوجه البحرى . فكان عصرهم الذهبى خير مرشد لنا على حفظ كيان الأمة القبطية من التشتيت ، وحماية الكنيسة سالمة من شوائب ما دخل فى غيرها من المعتقدات الفاسدة الممزوجة بالخرافات .

وكان هذا الفاضل المكنى والملقب بابن كاتب قيصر من بين أساطين العصر الذهبى للقبط . وأول من كتب عنه ، معاصره الشيخ الفاضل الرئيس البار القديس العالم المؤتمن على الدين المسيحى مؤتمن الدولة أبى اسحق ابن الفضل

المعروف بابن العسال فى كتابه «مجموع أصول الدين ، ومسموع محصول اليقين» ، وهو كتاب وإن كان معروفا بين القبط ، إلا أنه لم يكن قد طبع منه سوى جزء يسير دل على رسوخه فى المعرفة ، لأنه كان معاصرا له ، واطلع على كتبه التى كان مشتغلا بتأليفها . وقد جاء فى الباب الأول فى أسماء الأئمة والعلماء والمصنفين ، القبط خاصة :

١- ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونيين :

ويقول عنه مؤلف كتاب «مصباح الظلمة» :

أنبا ساويرس أسقف الأشمونيين ابن المقفع المصرى ، وعدة مصنفاته ٢٦ : الأول فى التوحيد - الثانى فى الاتحاد - الثالث القول الباهر فى الرد على اليهود والمعتزلة - الرابع البليغ فى مثل ذلك - الخامس فى الرد على سعيد ابن بطريق الملكى البطرك المعروف بابن الفراش صاحب التاريخ - السادس الشرح والتفصيل فى الرد على نسطور وشيعته - السابع رسالة فى الديانة كتبها إلى أبى اليمن قزمان بن مينا الكاتب - الثامن نظم الجوهر والدرر فى الرد على القول بالقضاء والقدر - التاسع المجالس - العاشر طب الغم وشفاء الحزن وتهذيب الأخلاق - الحادى عشر المجامع - الثانى عشر تفسير الأمانة الأرثوذكسية - الثالث عشر رسالة فى حال الأطفال بنى المؤمنين والكافرين وكيف تقوم النفس فى الحكم - الرابع عشر الاستبصار وهو مصباح العقل - الخامس عشر السير - السادس عشر الانتصار - السابع عشر ترتيب الكهنوت وهو الأنباء عن طقوس البيعة - الثامن عشر فى اختلاف الفرق - التاسع عشر الأحكام - العشرون إيضاح الاتحاد والقول على تجسد الرب له المجد - الحادي والعشرون تفسير الأناجيل المقدسة - الثانى والعشرون أجوبة مسائل ابن جارود - الثالث والعشرون شرح أصول الدين وترتيب الخدمة

والبخور ورسم الصليب ونسبة السيدة - الرابع والعشرون كتاب البيان المختصر فى الإيمان - الخامس والعشرون كتاب المقالات والرموز - السادس والعشرون كتاب التعاليم فى الاعتراف بالذنوب (Fol. 123 R) .

٢- القس المبجل العالم بولس البوشى :

ويقول عنه مؤلف كتاب «مصباح الظلمة» :

بولس البوشى أسقف مصر له سبعة ميامر جيدة فى الأعياد السيدية (Fol. 125 R) وفى تاريخ البطاركة لأسقف فوه يذكره قبل أن يكون أسقفا (كيرلس بن لقلق خامس سبعى البطاركة) «وعقدوا له مجلسا مع القس بولس البوشى بحضور أنبا نيقولا البطريرك للملكية بين يدى الملك الكامل بالقلعة بحضور جماعة كبيرة من فقهاء المسلمين وعلمائهم ، ورجّحه السلطان فى العلم ، وشكر تعليله المسائل التى أوردها السلطان والفهاء وغسرهم (Fol. 144 R) ، وهذه المناظرة موجودة فى الفاتيكان . فكان حين قلدوا كيرلس البطريركية لم يزل قسا ، ولكن فى قوانين كيرلس بن لقلق التى عملت فى يوم السبت ٢٩ صفر سنة ٦٣٨ الموافق الحادى عشر من توت سنة ٩٥٧ للشهداء ، يقول : «حضر الآب البطريرك أنبا كيرلس بطريرك المدينة الإسكندرية وما معها ، ومن ثبت خطه فى هذا المسطور من الأساقفة والقسوس ومشائخ الرهبان والرؤساء والمشائخ الأراخنة ، وتقرر فى أمر البيعة المقدسة الرسولية القبطية بكرسى الإسكندرية ، أن يجرى الأمر فيه على ما يأتى بيانه : وهو أن يلازم القلاية البطريركية أسقفان عالمان : أحدهما بولس البوشى الذى تقرر تقدمته أسقفا على كرسى مصر ، والثانى أحد علماء أساقفة الوجه البحرى بالتناوب . » اهـ (كتاب القوانين نسخة شهر طوبة سنة ١٠٧٢ش Fol. 162 R) ، وقد مات فى مدة مؤلف كتاب أصول الدين قبل ابن كاتب قيصر .

٣- القس المبجل العالم بطرس السدمنتى (وهو الذى ذُكر فى بعض النسخ باسم بطرس الأرمنى) :

وله مؤلفات قيّمة فى المعتقد ، وأهم مؤلفاته «كتاب تصحيح الإعتقاد فى آلام السيد المسيح ، وبيان الحق فيه على الوجه الصحيح» (كما ذكر فى مصباح الظلمة Fol. 125 V) ، وقد طبع هذا الكتاب مرتين .

(هؤلاء الثلاثة قد ماتوا قبل تأليف كتابه ، ولذلك قال عنهم : نيّح الله نفوسهم) .

٤- الشيخ المبجل الرئيس الحكيم الفاضل مصطفى الملك أبو يوسف يعقوب بن جرجس بن سورس الكاتب :

وهو صاحب كتاب العلم والعمل (كما ذكر فى مصباح الظلمة Fol. 125 V) .

٥- الأخوان الشقيقان الأسعد أبو الفرج هبة الله ، والصفى أبو الفضائل ماجد ولد الشيخ أبى الفضائل أسعد ابن الشيخ المؤتمن أبى اسحق إبراهيم ابن سهل المعروفان بأولاد العسال ، ولهما مؤلفهما المعروف «أصول الدين ومسموع محصول اليقين» ، ورقة ٣ أ (Fol. 3 R) .

٦- الشيخ المبجل الرئيس العالم الفاضل عَلَم الرياسة أبو اسحق إبراهيم ولد الشيخ المبجل النفيس الثناء ابن الشيخ المبجل صفى الدولة أبى الفضائل كاتب قيصر (وهو المقصود المراد ترجمته) .

وهذا الرجل ابن كاتب قيصر لم يعش إلى أيام أن كتب ابن الدهيرى ترجمته فى نحو اللغة القبطية . وابن الدهيرى هذا هو الذى صار مطرانا لثغر دمياط باسم خرسطوذولس فى عهد كيرلس بن لقلق خامس سبعى البطاركة . وقد ذكر فى مقدمته :

«ولما أطلعنى الشيخ الرئيس الفاضل الأوحد الأكمل العالم العامل الناسك العابد المؤتمن أبو اسحق ابن الشيخ الرئيس فخر الدولة أبى الفضل ابن العسال ، أدام الله فضله وسعده . »

«أطلعنى على مقدمة وضعها الشيخ الرئيس الفاضل عَلَم الرئاسة ابن كاتب قيصر رحمه الله . » اهـ لكتاب «المقدمة فى نحو اللغة القبطية» ، فدل بذلك علّ أنه قد مات قبل المبجل الثقة ابن الدهيرى الذى تسمى بخرسطوذولس عندما مطرنوه على دمياط .

وهذه المقدمة التى ألفها هى المسماة بـ «التبصرة» ، وقد كتبت عنها(١) بأنها : «تأليف الرئيس الأوحد العالم الفاضل عَلَم الرياسة أبو اسحق إبراهيم ولد الشيخ النفيس أبى الثناء ابن الشيخ صفى الدولة أبى الفضائل كاتب الأمير علم الدين قيصر . » اهـ

وجاء فى مقدمات اللغة القبطية المخطوطة «المقدمة التى وضعها الشيخ العالم - (sic بدلا من العلم) - ابن كاتب قيصر وتسمى التبصرة . »(٢) اهـ

(١) كتاب اللغة القبطية : ٢ .

(٢) فى نسختى الخطية من ٢٦ - ٤٠ .

وأما المطبوعة فى سنة ١٦٤٣ - ١٦٤٤ فى رومية ، فيقول طابعها كيركيروس : «المقدمة التى وضعها الشيخ العلم ابن كاتب قيصر وتسمى التبصرة . »[١]

وقد طبعت هذه المقدمة مع مقدمة العلم السمنودى فى سنة ١٦٤٣ - ١٦٤٤ فى ٣٠ صفحة مترجمة إلى اللغة اللاتينية . طبعها أثناسيوس كيركيروس النمساوى أصلا فى رومية عن نسخة كتبها الراهب غبريال ابن الرشيد ، عُرف بكاتب قطلو بك بدير طمويه ، فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر بابه سنة ست وثلاثين وألف للشهداء[٢] .

وقال ابن كبر فى «كتاب مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة» : العلم ابن كاتب قيصر له مقدمة فى نحو القبطى[٣] .

وهذه المقدمة توجد منها نسخ عديدة جدا فى كل كتب اللغة القبطية مع مقدمات السلّم ، وفى أوربا توجد منها نسخ قديمة لا مثيل لها عندنا ، كما ذكر العلماء المشتغلون باللغة القبطية واهتمامهم بها عظيم جدا . وقد صاغها فى قالب عربى فصيح عند التكلم على قواعد اللغة القبطية ، بحيث أن من يطالعها يجد بأنه متمكن من اللغتين القبطية والعربية معا .

(١) Kir.Fol. 20 V وهى خلاف التبصرة المختصرة فى ١٦ بابه فى فصلين ، تأليف المؤتمن أبى اسحق فى غير اللغة القبطية ، وقد ذكرها فى مصباح الظلمة (Fol. 125 V) ، وذكرها شيخو فى المخطوطات .

(٢) تاريخ ابن كبر : ١٠١ .

(٣) ابن كبر Fol. 125 V ، B : Fol. 161 V .

أما كتبه التفسيرية ، فإنه فسر :

العهد الجديد ، وهذا ما رأيته منه :

أولا - تفسير متى : وقد أهدانا هذا الكتاب حضرة توفيق افندى حبيب مليكه ، فوجدته على الطريقة ذاتها التى بها شرح سفر الرؤيا شرحا وافيا . وإن يكن اسمه غير موضوع على الكتاب على على الأسلوب ذاته الذى نسج على منواله فى الرسائل ، ولم نجد خلاف إنجيل متى للبشائر الأربعة .

ثانيا - رسائل بولس والقثاليقون[١] وأعمال الرسل : ولم يُطبع منها خلاف رسالة بولس إلى أهل رومية ، وقد طُبعت أولا بالمطبعة القبطية حوالى سنة ١٥٥٨ ش (١٨٧٢م) ، وقد كان الإيغومانس فيلوثاؤس هو المتولى أمرها ، ولم يشر إلى المؤلف ، بل قال : «رسالة مار بولس الرسول إلى أهل رومية ، حسبما ذهب إليه علماء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية» ، وذلك لأن النسختين اللتين وجدهما وقتئذ ، لم يُذكر فيهما اسم المؤلف ، ولم يكتب ابن كبر الذى جاء بعده خلاف التبصرة فى نحو اللغة القبطية . ولكن بعد ذلك ، تبيّن له أنه لابن كاتب قيصر فى نسخ لم نقف عليها ، ولكن حضرة القمص أرمانيوس حبشى شتا البرماوى قد أشار إليها فى الطبعة الحديثة التى طبعتها جمعية أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المركزية بالقاهرة ، ب نه وجد ببعض نسخ خطية فى الأديرة ما يؤيد قوله : «إن هذا التفسير كتبه ابن كاتب قيصر وحده ، وليس لعلماء الكنيسة القبطية[٢] ، والكتاب الذى أخذوا منه رسالة

(١) الكاثوليكون

(٢) مقدمة الطبعة الجديدة ، ص ٤ و ٥

رومية وحدها يحتوى على بقية الرسائل البولسية والقثاليقون وأعمال الرسل ، ولم يطبع منه شيء للآن سوى شذرات مقتبسة منه ، ألفه بأسلوب إيراد الآيات ثم شرح ما أغمض فيها حسب تعاليم الكنيسة القبطية . وأخيرا ، فإنه قد شرح سفر الرؤيا شرحا دقيقا ، وهو خلاف شرح بولس البوشى أسقف مصر الذى مات قبله . ونظرا لأن ابن كاتب قيصر لم يتم شرح الكتاب إلا لغاية الأصحاح العشرين ، فالتزموا لإتمامه أن ينقلوا بقية الشرح من كتاب البوشى . وإن يكن أقل منه إيضاحا ، وإنما إتماما للفائدة قد أضافوهما مع التمييز بين الكتابين .

وقد وقف على طبع النسخة الأولى الأرخن إبراهيم بك روفائيل الطوخى فى سنة ١٨٩٨ م فى مطبعة التوفيق ، وقد قامت مكتبة المحبة بإعادة طبعه مع التكملة المشار إليها من قول البوشى الأسقف فى سنة ١٩٣٩ تحت إشراف وتصحيح جناب القمص أرمانيوس حبشى شتا البرماوى .

ومما ألفت النظر إليه أن ابن كاتب قيصر كان كثير الاهتمام بترجمة الكتاب ، وقد وجدت نسخة من الأربعة الأناجيل فى دار الكتب الملكية ، مقيدة تحت رقم ٩٧ لاهوت ، مخطوطة كُتبت من نحو الأربعة قرون لوجود تاريخ أسرة الكاتب عليها ، وفيها : «إنها منقولة من نسخة الرئيس الفاضل ابن كاتب قيصر» ، وهى ترجمة فصحى دقيقة لم يتطرق الخطأ إليها ، ولم تزل موجودة فى دار الكتب المصرية» .

وفى كتاب «العنوان العجيب فى تفسير رؤيا يوحنا الحبيب» تأليف القس يوسف الحلبى المارونى ، ينسب كتاب سفر الرؤيا لأولاد العسال ، ولكنهم لم يذكروا بين مؤلفاتهم تفسير الكتاب المقدس ، ولذلك يكون هذا الكتاب لابن كاتب قيصر لا لأولاد العسال .

اسمه * كنيته * لقبه

يتلخص مما تقدم :

فى كتاب أصول الدين «دعاه عَلَم الرئاسة أبو اسحق إبراهيم ولد الثناء ابن صفى الدولة أبى الفضائل كاتب قيصر» وفيه : «عَلَم الرئاسة ابن كاتب قيصر» - وفى التبصرة «العَلَم ابن كاتب قيصر» وابن الدهيرى يقول : «عَلَم الرئاسة ابن كاتب قيصر» .

وأما سبب تلقيبه بابن كاتب قيصر ، فلأن أباه صفى الدولة كان كاتب الأمير علم الدين قيصر ، وهو كما جاء فى الأعلام للزركلى [صفحة ٨.٣] :

علم الدين ، قيصر ابن أبى القاسم عبد الغنى الأسفونى ، الملقب بتعاسيف - عالم رياضى مهندس ، ولد بأسفون [من صعيد مصر][١] ، وأقام زمنا فى حماة [سورية] ، فخدم صاحبها محمود المظفر وبنى له أبراجا فلكية وطاحونا على نهر العاصى نُقش فيها صورة أسد ناتئة فى حجر ، وحجز الماء بحواجز ليعلم أصحاب الأرحية[٢] فى حماة سير أرحيتهم إذا طغى النهر ، فمتى

(١) أسفون بالسين أو أصفون بالصاد بعد الهمزة : قرية من قرى المطاعنة بمديرية إسنا . وكان بها دير كبير رهبانه معروفون بالعلم والمهارة ، فخربت أسفون وخرب ديرها الذى يعتبر آخر أديرة الصعيد ، وكلها متلاشية آيلة إلى الاندثار بعد كثرة عمارتها ووفرة أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يُحمل إليهم . (الخطط التوفيقية ٨ : ٥٧ - ٥٩) .

(٢) المراوح ، السواقى .

غُمر الأسد بالماء لم تبق رحى دائرة ، ومتى غاض عنه الماء مشت الأرحية . ولا تزال آثار هذا البناء باقية إلى الآن تسمى «الغزالة» ، وصنع للمظفر أيضا كرة من الخشب مدهونة رُسم عليها جميع الكواكب المرصودة ، ومات في دمشق :

٥٧٤ - ٦٤٩ هـ
١١٧٨ - ١٢٥١ م } ٨٩٤ ش - ٩٦٧ ش

هذا ما كُتب عن قيصر تعاسيف ، وكان أبوه كاتبا عنه فلُقب بلقبه ، وسرى هذا اللقب عليه .

أما عهده وزمانه ، فإنه كان معاصرا لأولاد العسال وغيرهم كما أسلفت ، ويلاحظ أنه فى سفر الرؤيا يقول : «وإلى عصرنا هذا الذى فسرنا فيه هذه الرؤيا العظيمة ، وهى سنة ٩٨٣ لديقلاطيانوس [القبطى] ، وهى سنة ١٢٧١ للتجسد ، وهى سنة ٦٧٧٢ للعالم [كذا] . »

فإذا اعتمدنا على أن تاريخ العالم ٦٧٧٢ ، وسنة التجسد ١٢٧١ كما يقول أو ١٢٧٢ إذا حذفنا منها . . ٥٥ المدة على رأى القبط ، لكان أمامنا ٩٩٥ أو ٩٩٦ بحذف ٢٧٦ ما بين الشهداء والتجسد ٩٨٣ لديقلاطيانوس : غير أننا نترك كل هذا ونقول إن التاريخين للعالم وللتجسد متفقان معا ، فلابد أن يكون الخطأ فى تاريخ الشهداء ، أو قد نشأ من عدم معرفة ناقل الكتاب للأرقام المستعملة ، وهى مختصر الأرقام القبطية . وعلى أية حال ،

فإنه كان معاصرا لأولاد العسال ولحق أيام ابن الراهب ، ولكن لم يذكره سوى أولاد العسال فقط ، أما معاصره فلم يصل إلينا ما كتبوه عنه .

هذا ما أمكن استخلاصه فى تاريخ هذا الرجل العظيم ، الذى نعته معاصروه بالنعوت اللائقة به لفضله وعلمه وآدابه .

جرجس فيلوثاؤس عوض

تاريخ القديس يوحنا اللاهوتى

ولد هذا القديس فى قرية من بيت صيدا . وكان والده زبدى[١] صيادا يعمل فى سفينته الخاصة وتحت يده أجراء[٢] . وأمه سالومى بنت اكلاوبا المسمى أيضا حلفيوهى من اللواتى خدمن الرب يسوع وأنفقن عليه من أموالهن[٣] . ويوحنا هذا هو أخو يعقوب الكبير [ابن زبدى] وابن اخت يعقوب الصغير [ابن حلفى] ، دعاه السيد المسيح وأخاه يعقوب للتلمذة وكان عمره وقتذاك ٢٢ سنة ، وذلك فى السنة الحادية والثلاثين للميلاد المجيد ، ولشدة غيرته دعاه المسيح بوانرجس أى الرعد[٤] ، كما دُعى «التلميذ الذى يحبه يسوع»[٥] . وهو الذى رافق المخلّص فى إقامة ابنة يايرس[٦] ، وفى تجليه على الجبل[٧] ، وهو الذى اتكأ على صدر الرب فى الفصح الأخير[٨] ، وصحبه فى جهاده فى جثسيمانى[٩] ، وهو الذى سلم إليه يسوع خدمة أمه السيدة الكلية الطهر العذراء وهو على الصليب[١٠] فأخذها إلى بيته وصار يهتم بها إلى آخر أيامها .

---

(١) مت ٤ : ٢١ و ٢٢
(٢) مر ١ : ٢٠
(٣) مت ٢٧ : ٢ ؛ لو ٨ : ٣
(٤) مر ٣ : ١١
(٥) يو ١٣ : ٢٣
(٦) مر ٥ : ٢٧
(٧) مت ١٧ : ١ ؛ مر ٩ : ٢ ؛ لو٩ : ٢٨
(٨) يو ١٣ : ٢٣
(٩) مت ٢٦ : ٣٧ ؛ مر ١٤ : ٢٣
(١٠) يو ١٩ : ٢٧

وبعد أن نال الرسل نعمة المعزّى يوم الخمسين ، خرجت قرعة هذا القديس أن يمضى إلى بلاد آسيا الصغرى . فحدث وهو يقطع البحر إلى الجهة المعيّنة له أن ثارت زوبعة تكسرت بسببها السفينة . فتعلق هو وتلميذه بقطعة خشب ، وبتدبير الله وصلا إلى جزيرة ، فخرجا إليها وبشّر الرسول أهلها بالإيمان ، فلم يذعنوا لقوله ، إلى أن حدث أن سقط ابن وحيد لأمه فى مستوقد حمام ، فمات . لكن القديس صلى عليه ، فعادت إليه الحياة ، ففرحت به أمه وآمنت بالرب يسوع هى وأهل الجزيرة . فغاظ ذلك كهنة الأوثان وأرادوا الفتك به ، ولكن الله حفظه من شرهم . وأخيرا ، نجح الرسول فى ردهم إلى الإيمان بالرب يسوع . وقبل أن يتركهم ، رسم لهم كهنة وأساقفة . ثم ذهب إلى أفَسُس وكان أغلب مقامه بها . ويقال إنه هو الذى أسس السبع الكنائس التى بها والمذكورة فى سفر الرؤيا[1] ، وكانت له السلطة التامة على أساقفة هذه الكنائس حسب قول إيريناوس تلميذ بوليكاربوس الذى كان من آوائل تلاميذ يوحنا .

وفى سنة ٩٥ م ، حينما أثار دومتيانوس الاضطهاد على المسيحيين ، قبض على الرسول وأرسله مكبلا إلى روما ، وطرحه فى خلقين [قازان] مملوء زيتا يغلى ، فحفظه الرب وأخرجه منه سالما . فنفاه هذا القيصر إلى جزيرة بطمس ، وهناك وضع سفر الرؤيا ، وذلك فى سنة ٩٧ م ، فى السنة الرابعة عشرة من حكم دومتيانوس هذا ، بعد خراب أورشليم بخمس وعشرين سنة [كان هذا الحدث سنة ٧٢م] .

ولما مات دومتيانوس ، عاد يوحنا إلى أفَسُس ، وكتب إنجيله الذى أثبت فيه لاهوت السيد المسيح ، مفندا هرطقة أبيون وكيرنثوس . ويشهد تاريخ هذا القديس بأنه قبل أن يضع إنجيله ، طلب من المؤمنين أن يصوموا

(١) رؤ ١ : ٩ - ١١

ويصلوا . وفى هذه الأثناء ، صعد مع تلميذه بروكلس إلى جبل عال كموسى ، فألهمه الله ما كتبه ، حيث بدأ إنجيله بقوله : «فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، إلخ»[1] .

وغير سفر الرؤيا والإنجيل ، كتب هذا القديس ثلاث رسائل كلها تحض على المحبة . ولكثرة وعظه عن المحبة ، سأله المؤمنون قائلين : «ألا توجد وصية غير المحبة لتكلمنا عنها ؟» فكان يجيبهم : «هذه هى وصية الرب الأولى ، وهى وحدها إن فعلناها تكفينا . »

وقد عُرف هذا القديس بشدة غيرته على خلاص الخطاة . من هذا أنه قد حدث وهو يعظ أن وقع بصره على شاب تلوح على محياه مخائل الذكاء ، وعنده استعداد لقبول النعمة ، فدعاه إليه وأرشده إلى الإيمان المسيحى . وعند مبارحته هذه الجهة إلى مدينة أفَسُس ، سلمه لأسقفها كوديعة لا يفرط فيها ولا يهملها . لكن الشاب ، بعد ذهاب الرسول ، أغواه رجال السوء فسلك طريقهم ، بل وفاقهم حتى أصبح زعيمهم . ولما عاد الرسول ، وطالب بالشاب ، أجابه الأب الأسقف باكيا : «لقد مات . » فسأله عن كيفية موته ، فأجابه : «لقد مات عن الإيمان ، وأصبح زعيما للصوص . » فحزن الرسول عليه كثيرا ، وأخذ دليلا وجدّ السير فى البحث عن مكان هذا الشاب . وفى سيره ، عثر به اللصوص ، فاقتادوه إلى زعيمهم الشاب المذكور . وهذا ، حين رآه وعرف أنه معلمه يوحنا ، اعترته هزة عظيمة ، وفر هاربا من أمام القديس . ولكن القديس لم يتركه ، بل صار يعدو وراءه صائحا : «لا تخف يا ابنى من أبيك ، فارحم نفسك ووقر شيخوختى ، فباب الخلاص لا يزال مفتوحا ،

(١) يو ١ : ١

فهلم إليّ . » فتأثر الشاب من ذلك ، وعاد إلى الرسول باكيا ، نادما على ما فرط منه . فعرّفه القديس أن الله تعالى لا يرفض التائبين النادمين ، ووعظه ، ثم ناوله من الأسرار الإلهية .

ولما تقدم هذا الرسول فى الأيام وخارت قواه الجسدية ، كانوا يحملونه على مخفة إلى الكنيسة ليعظهم . وجاء عنه أنه مع ما كان عليه من تقدم السن ، لم يمتنع عن أن يروض نفسه بالرياضة الجسدية البريئة . من ذلك أن قناصا مر به ، فوجده يلهو مع حمام داجن ، فاستهجن عمله هذا . فسأله القديس عن الذى فى يده ، فأجابه : «إنه القوس . » فقال له : «ولماذا لا تدعه مشدودا دائما ؟» فأجابه : «حتى لا يرتخى . » فقال له القديس : «ولهذا السبب أروض نفسى فى بعض الأوقات . » وقد قال الرسول : «لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شىء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١ تى ٤ : ٨) .

وبعد أن أكمل هذا القديس جهاده بسلام ، انتقل إلى الفردوس وعمره ١٠١ سنة ، ودُفن فى أفَسُس . وهو الوحيد بين الرسل الذى لم يُسفك دمه ، وإن كان قد تعذب كثيرا . وقضى أيامه فى الجهاد العظيم عن الإيمان المستقيم . وتحتفل كنيستنا بتذكاره فى الرابع من شهر طوبة .

بركة صلاته تكون معنا ، آمين .

القمص أرمانيوس حبشى شتا البرماوى

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد
له المجد آمين

نبتدىء بمعونة الله تعالى ورحمته بكتابة شرح هذا الكتاب الذى يشتمل على رؤيا الآبو غالمسيس[1] ، وكشف أسراره ، وحل رموزه ، وكشف مستغلقه ، وبيان تفسير معانيه ، مما اهتم ببيان ذلك وكشفه لطالبيه الحاج الرئيس الفاضل والمعلم المعروف بابن كاتب قيصر نيّح الله نفسه .

الأصحاح الأول

الفصل الأول

١- (١) رؤيا يسوع المسيح التى أعطاها الله له الذى أعلم عبيده بما يجب أن يكون سريعا وأعطى علامة لهم وأرسلها من قِبَل ملاكه عبده يوحنا (٢) الذى شهد بكلمة الله وشهادة يسوع المسيح التى رآها .

---

(١) ⳨апокаλγψιс كلمة يونانية معناها رؤيا أو إعلان ، يراد بها كشف الأشياء المستترة الخفية . وهذا الكشف يكون إما فى حلم أو يقظة ، والكشف أو الإعلان لا يكون إلا لمن تطهرت نفسه من أدران المآثم وارتفعت عن الدنايا وتجملت بالأعمال الصالحة وحصلت على نعمة الاتصال المباشر ، أى الشعور بالشركة مع الله تعالى والحظوة بالتمتع به . =

هذا الفص عنوان الكتاب ، مترجم عنه . والرؤيا قسم من أقسام النبوة عند المتشرعين ، وإن كانت ترادف الحلم لفظا . ومن تقسيم النبوة ، يتبيّن الفرق بين الرؤيا والحلم . ولنذكر تعريف النبوة أولا ، فنقول : النبوة فيض إلهي بتوسط العقل الفعال على النفس الناطقة ، ثم بها على قوة الخيال[١] . ووارد النبوة إما أن يَرِد في حال النوم بالحلم ، وهو أول أقسام النبوة وأضعفها ، كحلم فرعون الذى فسره له يوسف[٢] ، وحلم بختنصر الذى فسره دانيال ببابل[٣] ، أو كحلم يعقوب ويوسف[٤] ، وكحلم لابان وأبيمالك[٥] ، وبعض نبوة دانيال . إن هذه كلها يجمعها الحلم ، وإن كانت بينها فروق باعتبارات أخرى . وأما الذى يرد فى حال اليقظة ، فإن كان معه سبات[٦]

= (تنبيه) : كان تقسيم هذا السفر ؛ حسب النسخ القبطية المخطوطة ، هو بحسب الفصول التى قد تنقص قليلا عن الأصحاحات . وهنا ، قد وضعنا الأصحاحات بحسب التقسيم الحديث . وحفظا للوضع القديم ، قد وضعنا بأعلى المتن الفصول القديمة . وبما أن مفسر هذا السفر قد وضع أرقاما مسلسلة يشتمل كل رقم على بضع آيات وأسماه «فصًا» ، فيقول الفص الأول والفص الثانى ، وهكذا ، ولعله يريد بهذا أن يشبه السفر ببرتقالة وكل رقم دعاه فصا منها . ولقد احتفظنا بهذا التقسيم وجعلناه ببنط كبير ، ثم وضعنا آيات الأصحاحات بحسب التقسيم الحديث وميزنا أرقامها ببنط أصغر بين قوسين ، وهى قاصرة على كل أصحاح بخلاف أرقام الفصوص التى تتسلسل إلى نهاية الكتاب .

(١) المخيلة التى تخيل الأشياء وتصورها ، وهى إحدى القدرات العقلية التى يتميز بها الإنسان .

(٢) تكوين ٤١ : ٢٥ - ٣٢ .

(٣) دانيال ٢ : ٣١ - ٤٥

(٤) تكوين ٢٨ : ١٠ - ٢٢ ؛ ٣٧ : ٥ - ١١

(٥) تكوين ٢٠ : ٣ - ٧

(٦) النوم الخفيف وقيل ابتداؤه فى الرأس ويبلغ القلب قيل وأصله الراحة .

قيل له رؤيا . ومرأى النبوة : منظر وسهو ووحى[١] ، وقول الله ويد الله وغير ذلك . وهذا القسم أقوى من الأول ، كرؤيا أبينا إبراهيم[٢] عند تشطير[٣] الحيوان وتنضيده[٤] ، لأنه قال : «ووقع على ابرآم عند مغيب الشمس سبات وخوف مع ظلمة غشيته» ، وكرؤيا أشعياء وهوشع وعوبديا وغيرهم ؛ وكبعض نبوة دانيال . أما إذا لم يكن مع السبات فهو التجلى[٥] والخطاب ، وهو غاية طبقات البشر ، كخطاب الله لآدم[٦] وإبراهيم[٧] عند النداء ، وموسى[٨] فى سيناء ، وبعض نبوة دانيال عندما كان على شط الفرات[٩] . وفى الرؤيا فروق أخرى ليس هذا مكانها ، فقد بان لك الفرق بين الحلم والرؤيا والتجلى وإضافتها إلى يسوع المسيح إضافة التعريف ، أى هذا الفيض الذى أعطى لسيدنا له المجد ، أعلم به عبيده ، وإنما يصح قوله أعطى بما أنه إنسان ، والذى نعت صلتها ليسوع المسيح ، ويريد بعبيده هنا رسله .

وقوله : «بما يجب أن يكون» ، أى فى مستقبل الزمان ، وبه ندفع من يرى أن هذه الرؤيا إخبار بماضيات من الحوادث جرت وعبرت . وقوله «يجب» ،

(١) إلهام ، كلام خفى عن الغير .
(٢) تكوين ٢٢ : ١٤
(٣) تجزىء أو تقطيع .
(٤) تسوية ، شوى ، نضج .
(٥) الكشف ، انفراج الأمر وظهوره .
(٦) تكوين ٢ : ٩
(٧) تكوين ١٢ : ١
(٨) خر ١٩ و ٢٠ .
(٩) هو أحد أنهار عدن (تك ٢ : ١٤) ويعرف بالنهر الكبير (تك ١٥ : ١٨) و (تث ١ : ٧) ، وهو أكبر أنهار آسيا الغربية منبعه فى آسيا الصغرى ، ثم يذهب إلى الجنوب فالجنوب الشرقى مارا بتخوم سوريا فحلب ، ثم يلتقى بدجلة ويصيران نهرا واحدا ويصب فى بحر فارس .

أى لابد منه ، ضرورة بحسب ما كشفه العلم الإلهى . وقوله «سريعا» ليس أن الحوادث تخرج إلى الوجود دفعة ، بل أراد أن ابتداءها يكون سريعا يتتالى إلى النهاية . وقوله «وأعطى علامة» ، يريد أنه أنذر بعلامات لا بزمان محدود ، فإن الأزمنة لا يطلع عليها البشر فى الأكثر لما قد يترتب على ذلك من تطرق[١] من يقف على الأزمنة إلى الحِيَل والبدع الكاذبة ، كأن يقال : إن النبى الفلانى يأتى فى اليوم الفلانى أو الشهر الفلانى . إذا عُلِم هذا ، أتى بعض الناس وادعى أنه ذلك النبى فى أى إقليم اتفق . ولو قيل : الملك الفلانى يموت فى رأس سنة كذا ، هاج الطالبون من كل جهة ، وادعى أناس أخر أن ذلك بحيلتهم . وبالجملة ، كانت تفسد أكثر المقاصد ، وتخرم[٢] أكثر السياسات ، وتفوّت كل المصالح من الأبنية والغروس والأفعال . وأنت تجد سيدنا يقول : «وأما علم اليوم والساعة فقد جعله الآب تحت سلطانه لا تعرفه ملائكة السماء»[٣] . وبولس الرسول يقول : «فأما الأزمنة والأوقات يا أخوتى فما لى حاجة أن أكتب لكم بها»[٤] .

وقوله : «وأرسلها من قِبَل ملاكه عبده يوحنا» ، الهاء فى قوله **أرسلها** عائدة على الأشياء التى يجب أن تكون سريعا ، كذا يتبيّن من نسق اللغة القبطية . وتسميته يوحنا **ملاكا** على عادة الكتاب فى تسمية كل الأنبياء والرسل والكهنة ملاكا ، لأسباب منها أن لفظة «ملاك» فى العبرانية تفسيرها «رسول» . ومنها أن العفة ، والإعراض عن الشهوات البدنية ، والتفكير فى

(١) سار إليه حتى أتاه وابتغى إليه طريقا .

(٢) تقطع ، تتلف ، تشق ، تستأصل .

(٣) مت ٢٤ : ٣٦ (٤) ١ تس ٥ : ١ و ٢

الله تعالى ، وتوفر العلم : هذه الأربعة مشتركة بين الملاك والرسول والنبى والكاهن . وديونوسيوس يزيد فضيلة خامسة ، وهى الاشتراك فى الكهنوت . ومنها أن الكل معدون لخدمة الله ومصالح عباده . وقد سمى يوحنا المعمدانى ، وهو كاهن ونبى ورسول «ملاكا» ، وقيل عنه : «هوذا أنا أرسل ملاكى أمام وجهك»[1] . أما قوله : «الذى شهد بكلمة الله» ، فيريد بـ «الكلمة» الابن يسوع المسيح . وقوله : «وشهادة يسوع المسيح التى رآها» ، أى شهد لكلمة الله وشهد لشهادته التى رآها ، والهاء فى **رآها** عائدة على شهادة يسوع المسيح ، وضمير الفاعل متعلق بيوحنا لأنه كان مع سيدنا عندما شهد قدام بيلاطس الشهادة الحسنة .

✠ ✞ ✠

٢- (٣) فطوباهم الذين يقرأون والذين يسمعون أقوال هذه النبوة ويحفظون المكتوبات فيها لأن الزمان قرب .

«طوبى» لفظة سريانية تفسيرها «السعادة» ، ويريد **بحفظ** هذه النبوة الاتعاظ بها والعمل وفقا لها ، ويريد **بالمكتوبات** معانيها . والزمان تعريفه مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر ، وقيل فيه أيضا أنه المجال الذى تكمن فيه الحركة ، وأقسامه ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وأجزاؤه منها محدودة ، إما :

لحركات السماء ، وهى أربعة : الساعة واليوم والشهر والسنة . فالساعة جزء من تقسيم اليوم إلى أربعة وعشرين جزءا . واليوم من طلوع الشمس إلى طلوعها . والشهر تمام دورة القمر . والسنة الشمسية تمام دورة الشمس .

---

(١) ملا ٣ : ٢ ؛ مر ١ : ٢

وإما بالأحوال السنوية وهى الفصول ، كأوقات الحر وأوقات البرد وأوقات اليبس وأوقات الرطوبة .

ومنها ما هو غير محدود مثل الوقائع العظام التى تجرى فيها ، كقيام دولة ، أو ظهور ديانة ، أو حدوث غلاء أو وباء أو حرب أو أثر سماوى من طوفان أو صاعقة عظيمة أو زلزلة عامة أو نار وما يشبه ذلك . ويريد به هنا زمان يبتدىء فيه حدوث هذه النبوة وإتمامها ، وأن ذلك سيتحدد أولا ، وسيتبيّن هذا فى مواضعه .

✠ ✠ ✠

٣- (٤) من يوحنا للسبع كنائس الكائنة فى آسيا النعمة لكم والسلامة من قِبَل الكائن والذى كان والذى يأتى ومن قِبَل سبعة الأرواح الكائنين أمام العرش (٥) ومن قِبَل يسوع المسيح الشهيد الأمين بكر الأموات ورئيس جميع ملوك الأرض الذى أحبنا وطهّرنا من خطايانا بدمه (٦) وصنعَنا مملكة وكهنوتا لله أبيه الذى له المجد والعزة أبد الآبدين آمين .

هذا الفص هو أول ما كتب به الرسول إلى السبع الكنائس التى من أعمال آسيا الصغرى . وهذه الأماكن كانت تابعة لكرسيه الذى بشر فيه هو وتلاميذه أساقفتها ، لأنه أمِر فى الوحى أن يكتب إليها على ما يأتى بيانه . فصدر المكتوب بهذا القول كما كتب فى رسائله وكعادة بقية الرسل .

قوله : «الكائـن والـذى كان والـذى يـأتـى»[١] قسم هـذه الثلاثة أحـوال

(١) تفسر الشيع البروتستانتية العددين ٤ و ٥ هكذا : «من الكائن والذى كان والذى يأتى [أى الآب] ومن السبعة الأرواح التى أمام عرشه [أى الروح القدس] ومن يسوع المسيح [أى الابن]» (راجع ص ٣ من تفسير الرؤيا للبروتستانت المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٥م) ، وهذا التفسير خارج عن المعتقد الأرثوذكسى العام الذى يفسر قوله : «من الكائن والذى كان والذى يأتى» بالثالوث الأقدس . ويدل على صحة هذا الرأى قوله : «والذى يأتى» ، وهذا ينصرف إلى الابن الذى قال : «إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه» (مت ١٦ : ٢٧) ، وقوله : «متى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع ملائكته القديسين معه فحينئذ يجلس ويجمع أمامه جميع الشعوب للدينونة» (مت ٢٥ : ٣١) ، وقوله : «تنظرون ابن الإنسان آتيا فى سحابة بقوة ومجد كثير» (مت ٢٤ : ٣٠) ، وقول الملائكة للرسل : «إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء» (أع ١ : ١١) ، ويؤيد هذا الرأى قول القديس يوحنا صاحب الرؤيا : «هوذا يأتى من السحاب وستنظره كل عين» (رؤ ١ : ٧) . وتعترض هذه الشيَع على هذا التفسير بأن هذا النص : «الكائن والذى كان والذى يأتى» ليس على الثالوث الأقدس بل على الآب وحده ، حيث قال بعده : «ومن يسوع المسيح» . فردًا على ذلك نقول أنه يريد بذلك يسوع المسيح من حيث تجسده وتأنسه لأجل خلاص البشر .

أما السبعة الأرواح ، فهى السبعة ملائكة الماثلون أمام العرش (رؤ ٨ : ٢) ، وقد دعاهم بولس الرسول أرواحا بقوله : «لمن من الملائكة قال قط اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ، أليس جميعهم أرواحا» (عب ١ : ١٣ و ١٤) ، وقال عنهم الملاك لزكريا : «هؤلاء هم الذين أرسلهم الرب للجوّلان فى الأرض» (زك ١ : ١٠) . قال المرحوم فلسطين أنطونيوس : «لو صح هذا التفسير بأن السبعة الأرواح هى الروح القدس بالارتكان على أن عدد السبعة يدل على الكمال ، لكان يجوز أيضا أن نسمى الله الآب السبعة الآباء ، والله الابن السبعة البنين ، إشارة =

بانقسام الزمان ، وهو الماضى والحاضر والمستقبل ، والمعنى أنه تعالى ثابت دائم

= إلى تنوّع العطايا التى تُعطَى منها كالرحمة والمغفرة والقدرة والحكمة ، إلخ . ولو سلمنا بأن العبارة الأولى تنصرف إلى الآب ، وقوله : «السبعة الأرواح» إلى الروح القدس ، لكان ترتيب قول يوحنا هو هكذا : «ومن الآب والروح القدس والابن» ، وهو خلط لم نر مثيله . وحاشا ليوحنا الرسول الذى سمع من السيد المسيح ذاته «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم **الآب والإبن والروح القدس**» (مت ٢٨ : ١٨) أن يقدم ويؤخر فى هذا الترتيب ، ويجعل أقنوم الروح القدس قبل أقنوم الابن . ولو كان يوحنا يريد بالسبعة الأرواح الروح القدس ، فما الذى كان يمنعه من أن يقول مباشرة : «ومن الروح القدس» . فإذن قد نتج من ذلك أن يوحنا الرسول يريد بالعبارة الأولى الثالوث الأقدس مع اختصاص كلمة **الآتى** بالابن لأنه هو الذى يأتى ليدين الأحياء والأموات . ثم من الملائكة الذين هم أرواح خادمة ومن المسيح رب السلام والشاهد الأمين (مجلة الحق ، سنة ٨ ، ع ١٧ ، ص ١٣١ و ع ١٩ ، ص ١٤٥ و ١٤٦ وكتاب المناظرات الجلية ، ص ٣٨٢) .

أما إيراد اسم السيد المسيح بعد الملائكة ، فقد علله العلماء بسببين ، أولهما : أن السيد المسيح له المجد ، بتجسده واحتماله الآلام والموت ، قد أنقِص قليلا عن الملائكة ، وقد قال مرنم إسرائيل فى ذلك : «وتنقِصه قليلا عن الملائكة» (مز ٨ : ٥) . وثانيهما : أنه قدّم ذكر الملائكة لأن الكلام عن السيد المسيح كثير جدا ، ولو أخّر ذكر الملائكة لاختل اتساق الكلام .

وتعترض هذه الشيَع بأن النعمة والسلام هما عطية من الله الآب والرب يسوع . والمرحوم العلامة فلسطين أنطونيوس يرد على ذلك بقوله : «إن الكتاب المقدس يشهد بأن كثيرا من البشر والملائكة قد أعطوا السلام . فقد أعطى بولس الرسول السلام لأهل كورنثوس وأهل كولوسى بقوله : «السلام لكم بيدى أنا بولس» (١ كو ١٦ : ٢١ ؛ كو ٤ : ١٨) ، وأعطانا السلام من القديسين بقوله : «يسلم عليكم جميع القديسين» (٢ كو ١٣ : ١٢ ؛ فى ٤ : ٢٢) . ولا يظن أحد أن هذه =

لا يتحوّل أو يتغير فى جميع أحوال الزمان ، لأنه عز وجل فوق متى وأين وسائر الأعراض . وأما «السبعة الأرواح الكائنة أمام العرش» ، فهى الأرواح السبّاحة الواردة بسفارتها[1] بالأوامر والنواهى من العلىّ فى أمر الدول وغيرها . فهى مترددة على الكون والفساد ، كما ذكر فى سفر دانيال النبى وعيّن بعض أسمائها فى أسفار الأنبياء فى العهد القديم ، بل وفى العهد الجديد ، وهم ميخائيل ، غبريال ، روفائيل ، سوريال ، ساداكيال ، ساراتيال ، أمانيال .

= التسليمات عادية كالذى يجرى بين الصديق وصديقه ؛ اسمع ما يقوله السيد المسيح له المجد لرسله الأطهار : «أية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا . وحين تدخلوا البيت سلموا عليه السلام . فإن كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه ، ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم» (مت ١٠ : ١١ - ١٣) . فلو لم يكن هذا السلام هو سلام النعمة والبركة الروحية والجسدية ، لما كان الأمر محتاجا إلى الفحص عمن يكون مستحقا له وعمن يكون غير مستحق ، ولما كانت هناك فائدة فى إتيانه إلى المستحق ولا خسارة إذا تجرد منه غير المستحق وعاد إلى الرسل .. فإذا كانت البركة يجوز إعطاؤها من القديسين الأرضيين ، فكيف لا يجوز أن يعطيها الملائكة الروحانيون ، وقد أعطى الملاك السلام لدانيال بقوله : «لا تخف أيها الرجل المحبوب سلام لك» (دا ١ : ١٩) ، وأعطاه للقديسة البتول مريم العذراء بقوله : «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة» (لو ١ : ٢٨) (مجلة الحق ، سنة ٨ ، ع ١٦ ، ص ١٢٣ و ١٢٤ والمناظرات الجلية ، ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ، ٢٨٤) .

(١) منصب السفير ، وهو المصلح والمتوسط بين دولته ودولة أخرى .

ووجه آخر ، وهو أن الطغمات تسعة ، منها طغمتا الشاروبيم والسارافيم ، تبقى سبع طغمات ، وهى الرؤساء والسلطات والكراسى والأرباب والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة . فمقدمو هؤلاء السبعة يجوز أن تكون الإشارة إليهم . وأما تقديمه ذكر هذه الأرواح السبعة على ذكر يسوع المسيح فلم يرد الترتيب ، لكن ذكر يسوع المسيح تبعه كلام كثير يتعلق به . فلو جاء ذكر الأواح بعده لبَعُد المعنى وتشتت شمله .

وأما قوله **الشهيد** فصيغته من صيغ اسم الفاعل ، تقول فى ذلك : شهد يشهد شهادة فهو شاهد . وشهيد يقال على معنيين : أحدهما من الشهادة بقول مطلق . والثانى أخص منه ، وهو الشهادة مع سفك دم الشاهد بسببها ، والمراد هنا المعنى الأخص . و **الأمين** فى اللغة القبطية يراد به ثلاثة معانٍ : الأول من الأمانة ، والثانى من الإيمان ، والثالث الخَصِىّ ، وكذلك فى اللغة القبطية على ما ذكر الفاضل بشير بن سرى فى شرحه لنبوة دانيال[١] .

وأما قوله : «بكر الأموات» ، فلأنه أول من قام من الأموات قيامة لا يعقبها موت . فبالأولوية صار بِكرا كأولوية الولادة للبِكر . و **رئاسته على جميع ملوك الأرض** رئاسة الرب على العبد شاء العبد أو أبى .

وقوله : «الذى أحبنا وطهّرنا من خطايانا بدمه» ، أما دليل محبته فقد بيّنه بقوله فى الإنجيل : «ما من حب أعظم من هذا ، أن يبذل الإنسان نفسه

(١) بشير بن سرى أسقف صيدا ، لم نعرف زمانه . له فى المكتبة الفاتيكانية رسالة فى التوحيد والتثليث (المخطوطات العربية ، ص ١٦) .

عن أحبائه»[١] . وأما تطهيره لنا من خطايانا فبثلاثة أوجه : أولها ما ذكره وهو تطهيره لنا بدمه وذلك أفضل من دماء الحيوانات التى كانت تطهّر الخطايا بسفكها ، والثانى بالمعمودية ، والثالث بنهجه طريقا تعصمنا مراعاتها من الزلل .

بعد ذلك ، يأتى قوله : «وجعلنا مملكة وكهنة» كقول التوراة فى الفصل الثانى من السفر الثانى لبنى إسرائيل : «وأنتم تكونون لى مملكة وكهنة وشعبا»[٢] ، فالمملكة لنفاذ أمرهم فى المنافع والمضار كما حكم بطرس على حنانيا وامرأته[٣] وأبرأ المخلع بكلمة[٤] ، وأبرأ بولس أعمى آخر بكلمة[٥] ، وأقام ميتا سقط من السطح بكلمة[٦] . وأما كهنوته فظاهر وكذلك بقية الفص .

✢ ✣ ✢

٤- (٧) هوذا هو يأتى مع السحب وتنظره كل العيون والذين طعنوه وتنظر إليه جميع قبائل الأرض بحق.

هكذا قال فى الإنجيل المقدس : «حينئذ ترون ابن الإنسان حينئذ آتيا على سحاب السماء مع قوات ومجد عظيم حينئذ تنوح جميع قبائل الأرض»[٧] ، والنبى يقول : «سينظره الذين طعنوه»[٨] .

(١) يو ١٥ : ١٣
(٢) خر ١٩ : ٦
(٣) أع ٥ : ١ - ١٠
(٤) أع ٩ : ٣٢ - ٣٥
(٥) أع ٢٣ : ١ - ٥
(٦) أع ٢٠ : ٧ - ١١
(٧) مت ٢٤ : ٣٠
(٨) زك ١٢ : ١٠

٥- (٨) أنا الألفا 𝔄 وأنا الأء ω البداية والنهاية يقول الرب الإله الكائن والذى كان والذى يأتى والضابط الكل .

فى هذا الفص تقديم وتأخير وتقديره يقول الرب الإله : «أنا الألفا وأنا الأء» إنه الأول والآخر على سبيل التشبيه ليُفهم ، وهو كما أن الألفا أول الحروف اليونانية والأء آخرها ، كذلك الله سبحانه وتعالى أول كل الموجودات وآخرها . وأما «الضابط الكل» فهو الذى يحفظ على كل حقيقة بقاءها مع أنه علة وجودها . وأما وجه اتصال هذا الفص بما قبله ، فإنه لما قال : «وتنظر إليه جميع قبائل الأرض» ، أخبر أنه هو ذاك الأول والآخر .

✠ ✣ ✠

٦- (٩) أنا يوحنا أخوكم وقريبكم فى الشدائد إن المملكة والصبر هما يسوع .

خطاب الرسول هنا موجه نحو رؤساء السبع الكنائس التى يأتى ذكرها على الخصوص ، وإن جرى ذلك على أهل هذه الطبقة من المؤمنين على العموم . واشتراك الرسول معهم جعله كلحمة[1] النسب الجامعة للأخوة ، والمقارنة كما يقال : «هذا أخو هذا» أو «هذا قرين هذا» إذا اتفقا فى شىء واحد . أما مراده **بالمملكة** فتقلّد الرياسة كما فسرها هو . **والصبر** التجلد على الشدائد من أجل الإيمان ؛ ومعلوم أن هاتين لم يتما إلا بعناية إلهية ، فلذلك قال : «هما بيسوع» .

(١) قرابة ، ما سُدِىَ به بين الثوب أو ما نُسِجَ عرضا ، وهو خلاف سداه .

٧- كنت بالجزيرة التى تدعى بتمو من أجل كلمة الله وشهادة يسوع المسيح[١] .

قد رخم لفظة بتمس[٢] فى غير موضع النداء للاختصار ، فقال : «بتمو» ، وذلك مستعمل فى اللغة اليونانية والقبطية . وأخبر بالمكان الذى رأى فيه الرؤيا ، وهو الجزيرة المذكورة . وأخبر بالسبب الذى نُفِىَ من أجله إليها بقوله : «من أجل كلمة الله» ، لأنه بعد تسع سنين من مملكة دمطيانوس قيصر ، نفاه من أجل الكرازة إلى هذه الجزيرة التى كتب بها هذه الرؤيا ، وبذلك بيّن للمخاطَبين أنه وقع فى شدائد مثلهم فشاركهم . وقوله : «وشهادة يسوع المسيح» ، أى من أجل كلمة الله التى هى البشرى ، ومن أجل شهادتى ليسوع المسيح المنتظر . وأضاف الشهادة إلى يسوع لأن المصدر مضاف تارة إلى فاعله ، كما نقول : «هذه صنعة فلان» ، وتارة إلى مفعوله ، كما نقول : «اندمل[٣] جرح فلان» ، وهو المراد هنا .

---

(١) هذه العبارة هى الفقرة الثانية من العدد ٩ .

(٢) ϯⲛⲏⲥⲟⲥ ⲑⲏⲉⲧⲟⲩⲙⲟⲩϯ ⲉ̀ⲣⲟⲥ ϫⲉ Ⲡⲁⲑⲙⲱ الجزيرة التى تدعى بتمو ويقال لها «بطمس» وتدعى «باتينور» ، وهى إحدى جزائر الأرخبيل ببحر الروم التابع للدولة العلية [الجمهورية التركية الآن وعاصمتها أنقرة] تبعد ٢٠ ميلا إلى الجنوب من ساموس و ٢٤ ميلا إلى الغرب من آسيا الصغرى . وكان الرومان فى أيام حكمهم ينفون إليها المجرمين . وأكثر أراضيها صخرية مغطاة بقليل من التراب ، وعلى مقربة من الشاطىء توجد صومعة [مغارة للتعبد] يقال إن القديس يوحنا كان يقيم بها حيث كان منفيا سنة ٩٤ فى حكم دومتيانوس الذى كتب سفر الرؤيا فى عهده .

(٣) تراجع إلى البرء أى الشفاء .

٨- (١٠) كنت بالروح فى يوم ذلك الأحد فسمعت خلفى صوتا عظيما مثل بوق (١١) قائلا لى التى تنظرها أكتبها فى كتاب وأرسلها إلى السبع الكنائس التى فى آسيا وهى أفسس واسمرنا وبرغامس وثياديرا وسرديس وفيلادلفيا ولاذقية (١٢) فالتفتّ فأدركت الصوت الذى سمعته يتكلم معى ولما التفتّ رأيت سبع منابر من ذهب (١٣) وفى وسط المنابر شبه ابن إنسان وعليه درع ومربوط على حقويه منطقة ذهب (١٤) ورأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض والثلج وعيناه كانتا كلهيب النار (١٥) ورجلاه مثل نحاس لبنان المسبوك بالنار وصوته مثل مياه كثيرة (١٦) وسبعة نجوم فى يده اليمنى وسيف يضرب بفمين يخرج من فيه ووجهه يضىء كالشمس فى قوتها .

هذا مبدأ الرؤيا الأولى ، وهى رؤيا الابن . وقوله : «بالروح» أى بحال التجرد عن البدن ، فكان أن اتصلت روحه بروح القدس مستغرقة لتلقّى الوحى وهى حال الرؤيا . وقوله : «فى يوم ذلك الأحد» ، ما فائدة تعيينه اليوم ولم يذكر أنه من أى شهر ومن أية سنة ؟ وأنا أظن أن قوله : «ذلك[1] الأحد» إشارة إلى أحد معلوم عند المخاطَبين فى ذلك الوقت لقرب العهد من الكتابة إليهم وبين الأحد الذى كانت فيه الرؤيا ، فاستغنى بعلمهم ،

(١) لا يوجد فى النسخة القبطية ولا فى غيرها ذكر لهذه اللفظة «ذلك» ، فالنسخة القبطية تقول هكذا : « ⲁⲓϣⲱⲡⲓ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲡⲛⲁ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲉϩⲟⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲕⲩⲣⲓⲁ́ⲕⲏ » وترجمتها : كنت بالروح فى يوم الأحد .

وترك تعيينه لنا نحن ، إذ ليس فى ذلك عظيم فائدة لنا . ولفظة فى اللغة القبطية مشتركة بين اليوم الذى هو مجموع الليلة والنهار وبين النهار على الخصوص . فلذلك لم يتميز فيها إن هذه الرؤيا كانت فى أيهما . والنقل اليونانى يدل على أنها نهار . و «سماعه خلفه صوتا عظيما مثل بوق» ، قد جاءت الأصوات فى الرؤيا على عدة أنحاء ، فلنذكرها بطريق القسمة لتتبيّن ، فنقول : الصوت له صور ثلاثة : إما أن يكون صوت خطاب يُفهم منه مقصود ما ، كقوله فى الفص الثالث والعشرين[١] : «ورأيت ملاكا قويا يكرر بصوت عظيم قائلا من يستحق أن يفتح السفر» ، أو صوتا ساذجا كقوله فى الفص التاسع عشر[٢] : «وكان ينبثق[٣] من العرش بروق وأصوات» : فهذه الأصوات لا يُفهم منها غير امتدادها فقط . وصورة ثانية : بحسب الصوت المصوّت به ، لأن الصوت إما أن يُعرف المصوّت به ، فلا يخلو حينئذ أن يكون ملاكا ، كقوله فى الفص الثالث والعشرين : «ورأيت ملاكا قويا يكرر بصوت عظيم» ، وفى الفص الرابع والعشرين[٤] : «وسمعت صوت ملائكة كثيرين» . فإن لم يكن صوت ملاك ، فإما أن يكون صوت إنسان ، كقوله فى الفص التاسع والعشرين[٥] عن أنفس الشهداء : «وصرخوا بصوت عظيم قائلين .. إلخ» ، أو حيوانا ، كقوله فى الفص الثالث والأربعين[٦] : «وسمعت نسرا فى وسط السماء يصرخ ويقول بصوت عظيم» ، أو جمادا ، كقوله فى الفص الحادى والخمسين[٧] : «زعقت سبعة رعود» ، وفى الفص

(١) رؤ ٥ : ٢
(٢) رؤ ٤ : ٥
(٣) يخرق الشط ويكسر السد ، الانبعاث ، صدور الروح القدس من الآب فقط .
(٤) رؤ ٥ : ١١
(٥) رؤ ٦ : ٩ و ١٠ .
(٦) رؤ ٨ : ١٣
(٧) رؤ ١٠ : ٣

المائة[١] : «ومثل صوت مياه كثيرة ومثل صوت رعود قوية» . أو لا يُعرف المصوّت بها ، كقوله فى الفص الثامن والأربعين[٢] : «فسمعت صوتا من قرون المذبح الذهب» ، وكقوله فى الفص الحادى والخمسين[٣] : «فسمعت صوتا من السماء يقول لى اختمها» . وصورة ثالثة : بحسب مصدر الصوت ، لأن مصدر الصوت إما أن يُعرف ، كقوله فى الفص الثانى والخمسين[٤] : «والصوت الذى سمعته من السماء» ، أو لا يُعرف ، كقوله فى هذا الفص : «فسمعت خلفى صوتا عظيما مثل بوق قائلا لى التى تنظرها اكتبها» . فهذه أقسام الأصوات ، والمراد بها كلها فى الرؤيا إدراك المسموعات التى نسبتها إلى العقل كنسبة الأصوات الخطابية إلى السمع . إذا علمت هذه القاعدة ، فليس السماع إذن بحاسية الأذن ، لأن حواسه حينئذ معطلة وحركاته ساكنة ، ولكنه إدراك نفسانى بالناطقة ، ولا الصوت صوت بوق ، لأنه قال : «مثل بوق» ، ومثال الشىء هو غيره ، ولكنه صوت مرهب كإرهاب بوق الحرب العظيم . وكذلك ذُكِرَ فى مشهد سيناء ، لما انحدر موسى من الجبل إلى الشعب إنه : «حدث فى اليوم الثالث كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا»[٥] .

وفى قوله : «سمعت خلفى» إشعار بأن الأمر مختف عنه ، إذ العادة جارية بأن ما يكون خلف الإنسان فهو مخفى عنه .

وأما قوله : «التى تنظرها اكتبها» فإن الضمائر التى فى هذا ، وما أشبهه فى ما يأتى ، ضمائر جمع ما لا يُعقل لا ضمائر مؤنث ، فإنها فى اللغة

(١) رؤ ١٤ : ٢
(٢) رؤ ٩ : ١٣
(٣) رؤ ١٠ : ٤
(٤) رؤ ١٠ : ٨
(٥) خر ١٩ : ١٦

العربية بصيغة واحدة مشتركة بينهما ، فأما فى القبطية فبينهما فرق ، وكأن تقدير القول فى العربية : الأشياء التى تنظرها اكتبها ؛ قوله : «اكتبها فى كتاب وأرسلها إلى السبع الكنائس التى فى آسيا» .

ومن المعلوم أن الرسول فى هذه الحالة لا يتمكن من الحس أو الحركة ، فضلا عن الكتابة . ولكنه أمر فيه تراخ ، وتقديره : إذا انتهى سماعك ورؤياك ، اكتب بذلك فيما بعد إلى الكنائس وأرسله إليها . والذى يكتبه الرسول يحتمل وجهين ، **أحدهما** : أن يكتب إلى كل كنيسة بما يخصها ، **والآخر** : أن يكتب بجميع الرؤيا إلى كل كنيسة ، فيقف رئيسها وشعبه على ما يخصهم منها ويحفظون كل ما بيّنته الرؤيا ، وهو الأوْلى ، وإلا فكان يلزم أن لا يكتب أكثر الرؤيا إلى كنيسة من الكنائس السبع أصلا ، لأن الذى يخص كل كنيسة قدر يسير من الرؤيا . وبتعيينه أسماء المدن السبع التى فيها السبع الكنائس اندحض رأى من ذهب إلى أن مراده كنيسة واحدة مع أنها مدائن مشهورة .

قوله : «فالتفتّ فأدركت الصوت» ، لفظة (   ) فى اللغة القبطية مشتركة بين رؤية العين وإدراك العقل[١] ، وكذلك اللفظ مشترك بينهما فى

(١) فى النص القبطى هكذا : ΟΥΟϨ ΑΙΦΟΝϨΤ ΑΙΝΑΥ ЄϮСΜΗ فالتفت فأدركت الصوت . ولكى نتحقق صدق قول المفسر عن لفظة (ΝΑΥ) إنها مشتركة بين رؤية العين وإدراك العقل ، نورد هنا قول العلامة أنتيموس بطريرك أورشليم ، قال : «إذن السمع والنظر فى الأمور الروحية يعتبران كشىء واحد . ولذلك لم يقل الإنجيلى : التفتّ لأسمع الصوت ، بل قال : التفتّ لأنظر [أو لأدرك] =

اللغة اليونانية والسريانية . ولهذا أخطأ بعض المترجمين فى وضع أحد المعنيين مكان الآخر ، وترجم موضع دون الآخر . نظرت الصوت فأدركت الصوت ، والصوت لا يُرَى . وأما الحاجة بعد قوله : «أدركت الصوت» إلى أن يقول : «الذى سمعته يتكلم معى» ، فذلك لئلا يتوهم متوهم إنه صوت آخر غيره ، لأن مع هذه البيانات والتأكيدات التى فى الكتب الإلهية تحدث أوجه الشبه الكثيرة ، ولا سيما لمن ليست له بصيرة ثاقبة فيها . قوله : «ولما التفتّ رأيت سبع منابر من ذهب» وما بعده إلى آخر الفص ، وبيانه : إن الأنبياء كما يطلقون ألفاظا ولا يقصدون حرفية المعانى بل أشياء أخر فيما يسمى باللغة الروحانية ، فكذلك يروون ويحكون أشكالا وصورا ليس المراد بها المرئيات ، بل أشياء أخر بينها وبينها مناسبة ما ، وتسمى هذه ألغازا ورموزا على ما ستعرفه ، فهم يستعيرون الصور والمعانى كما يستعيرون الألفاظ . إذا عرفت ذلك ، فهذه الألفاظ التى فى هذا الفص ظاهرة ، غير أن الصور والمعانى الكامنة فيه فألغاز كما قلنا .

والمنائر السبع رمز على السبع الكنائس المتقدم ذكرها كما فسرها سيدنا بعد ذلك ، وكونها من ذهب رمز على سبع معانٍ : أحدها العدل ، والثانى الشرف ، والثالث الطهارة ، والرابع البقاء ، والخامس الصبر على التجربة والامتحان . لأن الذهب أعدل الأجسام المتطرقة وأشرفها وأطهرها وأبقاها وأصبرها ، وقد رمز بالمنارة التى رآها زكريا بن براشيا فى نبوته أنها وما معها قول الله فى زربابل[١] ، وهو غير المراد هنا .

= الصوت ، مع أن الصوت لا يُرَى . ولكن ذلك الصوت لم يكن كلاما حسيا ، بل قوة إلهية تطبع أسرارها فى ظاهر عقل يوحنا الإلهى» (كفاية اللبيب فى تفسير رؤيا يوحنا الحبيب ، ص ١٠) .

(١) زك ٤ : ١ - ٧

وأما «ابن الإنسان» ، فالإشارة إلى سيدنا المسيح له المجد من جهة ناسوته ، «والدوع والمنطقة الذهب» رمز على الملك لأنهما من شعاره . وقد قال سيدنا له المجد : «أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض»[١] . وكون «ورأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض والثلج» رمز على اللاهوت المتحد بناسوت السيد المسيح ، وإن كان فى رؤيا دانيال قد رمز به على الأزلية والقِدَم ، إذ الشيب دليل على العتق . وكون «عيناه كانتا كلهيب النار» رمز على معنيين ، **أحدهما** : قوة العلم الثاقب ، لأن العلم المستفاد بحاسة البصر أقوى من العلم المستفاد ببقية الحواس ، وكذلك فُسِّرت العينان اللتين فى القرن فى رؤيا دانيال[٢] ، وكذلك العيون الكثيرة التى فى الحيوانات الأربعة[٣] ، وكذلك العيون السبع التى فى الحجر فى نبوة زكريا[٤] ، وفسّر ذلك الملاك بأنه حجر التمييز . **والثانى** : أنه مخوف ، بدليل ما حصل للرسول ولغيره من الأنبياء عند هذه المشاهدات من الخوف والرعب .

وكون **رجليه كنحاس مسبوك فى قمين**[٥] رمز على أنه مما يعسر إدراكه ، لأن شعاع النحاس المبرق يمنع تمكن النظر منه ؛ وإضافته إلى لبنان لجودة معادن ذلك المكان وصفاء جوهرها دون غيره من الأماكن . وكونه **مسبوكا** لشدة نقائه من الأكدار ، أي الشوائب ، وخلوصه من الصدأ والتوبال[١] المخالط لجرمه ، وكون المنطقة فى الوسط بين جانب أعلى وجانب أسفل رمز على إدراكين أحدهما يعلو الآخر .

(١) مت ٢٨ : ١٨
(٢) دا ٨ : ٥
(٣) رؤ ٤ : ٦ - ١١
(٤) زك ٣ : ٩
(٥) القمين هو أتون الحمّام أو وجاق .

وكون الدرع لم يغط الرجلين إذ لو غطاهما لم يتبيّن أنهما كالنحاس ، وهذا إدراك آخر ، فقد حصلنا على إدراكات أربعة إذا اعتبرناها من إدراك على إدراك أعلى منه كان أولها : هذا الإدراك ، وهو الإشارة بالرجلين اللتين كالنحاس ، وذلك رمز على الناسوت بالحالة الروحانية التى صار بها بعد القيامة لطيفا نافذا لا تعاوقه[٢] الأجسام الكثيفة كدخوله على الرسل والأبواب مغلقة ، وما اشتمل عليه من الأنوار اللاهوتية المانعة من الإدراك التام . وثانيها : الذى هو أعلى من هذا الذى أدركناه مما يلى المنطقة ، وهو رمز على العقل الناسوتى . ولذلك أومأ إلى هذين الإدراكين ، وهما الثانى والثالث ، أنهما مستتران بالدرع لعلوهما عن الأول . ورابعها : وهو أعلى الكل ، ما أدركناه من الرأس والشعر ، وهو رمز على اللاهوت العظيم المتحد بالناسوت كما قلنا . وكما أن الرأس تعلو البدن وهى متحدة به ، كذلك هذا - وهو تمام هذا الإدراك - الوجه الذى هو كالشمس فى قوتها .

أما قوله : «وصوته مثل مياه كثيرة» ، فهذا رمز أيضا على أنه مرهوب ، لأن صوت البحر مخوف . ولهذا يقول الإنجيل فى فصل الانقضاء : «وتخرج نفوس كثيرين من صوت البحر»[٣] .

وقوله : «وسبعة نجوم فى يده اليمنى» ، يريد بالنجوم ملائكة الكنائس السبع كما فسّره فى الفص . وقد علمتَ تسميته كاهن بملاك ، فيكون مقصده رؤساء الكنائس . وكون «النجوم فى يده» ، رمز على أنهم فى طاعته وتحت أمره كشىء فى قبضته .

(١) ما يتساقط من النحاس أو الحديد عند طرقه .
(٢) تمنعه ، تحجبه أو تقف دونه .
(٣) راجع لو ٢١ : ٢٥ و ٢٦ حسب النسخة القبطية .

وقوله : «وسيف يضرب بفمين يخرج من فيه» ، السيف رمز على القوة المهلكة ، والضرب رمز على المضاء[١] . وكونه «بفمين» : فم السيف هو حَدّه ، وهو رمز على مضاعفة حدته وشدتها . وخروجه من فيه [فمه] ، رمز على أنها تمضى ، بمجرد القول أو الإرادة ، مضاء سيف ذى حدين ، على التقريب المتصوَّر من يمكن تصوّره من حالها ، وإلا فلا نسبة لكل سيف إليها ، تلك الإرادة التى بها يبست شجرة التين لوقتها[٢] ، ووصفها بولس الرسول فى الفصل الثالث من العبرانيين : «لأن كلام الله حى وعمله ماضٍ أكثر من كل سيف بفمين [ذى حدين] ويدخل إلى شطر النفس والروح والأوصال ومخ العظم»[٣] . وقوله : «ووجهه يضيء كالشمس فى قوتها» ، هذا من جهة الإدراك الرابع المقدم ذكره ، لأن قوة نور الشمس مانع من إدراكها . ولمثل هذا ، قال الله لموسى النبى فى موقف سيناء : «إنك لا تقدر على النظر إلى وجهى لأنه لا يراه بشر فيحيا»[٤] . ولهذه الرؤيا أشباه ونظائر ؛ فقال دانيال : «كنت أرى كراسى وضعت وعتيق الأيام جلس لباسه كالثلج الأبيض وشعر رأسه كالعهن[٥] النقى» . ثم قال بعد ذلك : «وكنت أرى على مزن[٦] السماء مثل ابن البشر أقبل وانتهى إلى عتيق الأيام وإياه أعطى السلطان والملك والكرامة وأن جميع الشعوب والأمم واللغات يعبدونه . سلطانه سلطان الأبد لن يزول ، وملكوته لن يفسد»[٧] . وأما ستفانوس فقال : «هوذا أرى السموات مفتوحة

(١) النافذ ، القاطع .
(٢) مت ٢١ : ١٨ - ٢٢
(٣) عب ٤ : ١٢
(٤) خر ٣٣ : ٢٠
(٥) الصوف أو المصبوغ ألوانا .
(٦) سحاب أبيض ذو ماء .
(٧) دا ٧ : ٩ - ١٤

وابن البشر قائما عن يمين الله»[١] وأما التوراة فقالت فى طور سينا : «واشتد صوت البوق»[٢] .

☩ ✝ ☩

٩- (١٧) وعندما رأيته فخررت تحت رجليه وصرت مثل ميت فجعل يده اليمنى عليَّ قائلا لى لا تخف أنا هو الأول والآخر (١٨) والحىّ مُتّ وها أنا حىّ إلى أبد الأبد ومفاتيح العمق كائنة عندى والجحيم (١٩) اكتب ما رأيته وهو يكون بعد هذه .

إن هذه المناظر المرهبة ، والأشعة الملهبة ، والأمور الباهرة القاهرة المعجبة ، لتَعجَز قوى البشر عن الثبوت لها . ولهذا خر الرسول إلى الأرض كميّت ، وإن كان ذلك فى الرؤيا لا فى الخارج . وأما الخوف المفرط فمحقق . قوله : «فجعل يده اليمنى عليَّ قائلا لى لا تخف» ، هذا اللمس أعاد قواه التى اضمحلّت ، وهذا القول أنعشها بعدما انحلّت . وقوله : «أنا هو الأول والآخر» إنما يصح بما هو إله ، رقد مضى تفسيره . وقوله : «مُتّ وها أنا حىّ إلى أبد الأبد» إنما يصح بما هو إنسان . وقوله : «ومفاتيح العمق كائنة عندى والجحيم» . أما المفاتيح فيريد بها الحكم المطاع ، والعمق يريد به أسافل الأرض ؛ وهذا هو الأقصى . والجحيم : الغور الأدنى من الأرض كالحفر والخنادق والقبور والنواويس[٣] . قال المزمور السادس : «ليس لى فى الموتى

(١) أع ٧ : ٥٦ (٢) خر ١٩ : ١٦

(٣) أحجار منقورة تُجعل فيها جثة الميت ، وهى جمع ناووس .

من يذكرك ولا فى الجحيم من يعترف لك»[١] ، ومراده بالجحيم القبر . وكذلك قال داود لسليمان : «وأما ذلك الرجل الذى هزأ بشيبة أبيك فلا تدعه ينزل الجحيم إلا ملطخا بدمه»[٢] ، ويقصد بذلك القبر . وقد يراد بالجحيم النار التى يتعذب بها الأشرار فى الميعاد . وقوله : « اكتب ما رأيته وهو يكون بعد هذه» ، فى هذا الفص ثلاثة مطالب ، أولها : كيف قال هذا ولم يمض لنا شىء مما رآه الرسول وهو يكون بعد هذه الأشياء سوى قوله إنه يأتى مع السحب وتنظر العيون إليه ، وهذا القدر غير كاف فيما يكتب به ، والجواب إن الذى يظهر من هذا الفص هو أن الرسول رأى الرؤيا جميعها فى مقام واحد ، وإنما عبّر عما رآه شيئا بعد شىء لضرورة امتداد الحكاية بالعبارة ، فقوله هنا **اكتب ما رأيته** إشارة إلى الرؤيا كلها . الثانى : قوله **وهو يكون بعد هذه** ، وذلك دليل ثان على أن الرؤيا فيما يأتى بعد لا فيما يأتى بعد كما ذهب إليه قوم من المفسرين . الثالث : أنه يظهر من قوله **إنه يكون** بعد ذلك **أن هذه الكائنات** لا بد من كونها ضرورة .

✠ ✣ ✠

٢٠- (٢٠) سر السبعة نجوم التى رأيتها فى يدى اليمنى والسبعة منائر الذهب السبعة نجوم السبعة ملائكة الذين هم للسبع الكنائس والسبع المنائر التى رأيتها سبع كنائس هى .

هذا فص فسّر فيه سيد الكل لغة النجوم والمنائر ، إنه استعمل اللفظ لغير المعنى الموضوع له ، وقد أوردنا ذلك فى مكانه كما فسره هنا .

(١) مز ٦ : ٥ (٢) ١ مل ٢ : ٩

الأصحاح الثانى

الفصل الثانى

١١- (١) فاكتب إلى ملاك الكنيسة التى لأفسس هذا ما يقول الذى في يده اليمنى السبعة النجوم الماشى فى وسط سبع المنائر الذهب (٢) إنى عارف بأعمالك وتعبك وصبرك لأنه لا استطاعة لك أن تحمل الشر وصرت مجربا للذين يقال لهم رسل وليس هم شيئا ووجدتهم رسل كذب (٣) وهناك لك صبر وحملت هذه من أجل اسمى ولم تتعب (٤) لكن لى عليك أن المحبة فى الأول تركتها خلفك (٥) فاذكر كيف سقطت وتب لئلا آتى إليك وأزعزع منارتك من موضعها إذا لم تتب (٦) ولكن هذا الذى لك أنك تبغض أعمال المشاغبين الذين أنا أبغضهم أيضا (٧) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس ومن يغلب أعطه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس إلهى .

مدينة أَفَسُس[1] التى بها الكنيسة هى رأس الكرسى الذى بشّر فيه

---

(١) ⲉⲫⲉⲥⲟⲥ مدينة عظيمة واقعة غرب الأناضول ، وكانت أيام تسلط الرومانيين عاصمة آسيا الصغرى . ولما كانت واقعة على الطريق السلطانى بين رومه وآسيا ، فقد كانت مركزا عظيما لملتقى التجار والغرباء فيها . وكانت شهرتها عظيمة بذلك =

يوحنا الرسول قبل انتقال الرئاسة منها إلى القسطنطينية[١] فى أيا قسطنطين الكبير . ويقصد بالنجوم رؤساء الكنائس ، والمنائر هى الكنائس . فكأن تقدير الخطاب لرئيس كنيسة أفسس تلميذه : هذا ما يقوله الذى فى قبضته الرؤساء وتحت حكمه الكنائس . قوله : «أنا أعرف أعمالك وتعبك وصبرك» ، الأعمال يريد بها اجتهاده فى العبادة والنسك والزهد . والتعب يريد به النَصَب[٢] فى العلم والدأب[٣] فى التعليم وإيداعه[٤] أذهان شعبه ، والصبر يريد به احتمال أرباب البدع ، وهؤلاء قوم من اليهود ثاروا فى أيام الرسل بكل مكان يدّعون الرسالة ، ويدْعون إلى آراء رديئة ، وأن يُتَمسّك بفرائض[٥] العتيقة[٦] كالختان ، وحفظ السبت ، والتعييد فى رؤوس الشهور ، وتنجيس مآكل وزيجات ، إلى

= الهيكل البديع الذى خُصّص لـ «ديانا» التى تدعى «أرطاميس» . وهذا الهيكل كان أحد عجائب الدنيا السبع ، حيث كان طوله ٤٥٠ قدما وعرضه ٢٢٠ ، وبه ١٢٦ عمودا من الرخام ارتفاع الواحد ٧٠ قدما ، وقد قضوا فى بنائه ٢٢٠ سنة . وقد حرقه أحمق يريد بذلك إشهار اسمه ، وكان هذا الحادث سببا فى إيجاد هذا المثل القائل : «الأحمق الذى لا يقدر على اصطناع قفص حقير يقدر على خراب هيكل عظيم كبير» . واشتهر أهل أفَسُس قديما بالانصراف إلى اللذات والأعمال السحرية ، ولكنهم تحوّلوا من هذه الأمور الشائنة إلى الحياة المسيحية الطاهرة ، وذلك بعد تبشير بولس الرسول لهم وتأسيسه كنيسة بها فى سنة ٥٤م ، وقد رافق بولس فى الكرازة هناك أكيلا وبريسكلا (أع ١٨ و ١٩) .

أما الآن ، فقد جار عليها الزمن وأفقدها مجدها القديم وأصبحت مرعى للغنم ، والذين بها الآن فقراء جدا وليس بينهم مسيحى واحد ، فتأمل واعجب ؟!

(١) سميت باسم مؤسسها قسطنطين الملك ، وهى الآن تسمى الآستانة .

(٢) الاجتهاد ، الدأب ، التعب ، الانصباب .

(٣) الاجتهاد ، السعى ، الاستمرار .

(٤) جعله أن يستكن ويستقر أو يضعه .

(٥) شرائع .

(٦) العهد القديم .

غير ذلك . وقد تنبأ على هؤلاء بولس الرسول فى كتاب أعمال الرسل ، فى آواخر مملكة نيرون الكبير ، وتمت نبوته بعد نيف وثلاثين سنة فى آواخر مملكة دمطيانوس ؛ ذلك أنه أرسل من بالطيس إلى أفَسُس يطلب شيوخ الكنيسة ، ثم قال لهم : «على أنفسكم وعلى جميع القطيع الذى تركركم[١] روح القدس أساقفة مفتقدين له وقال أنا أعلم أنه من بعد مضيى سيدخل إليكم ذئاب صعبة ولا يشفقون على القطيع ، وسيقوم أناس منكم يقبلون كلاما مقلوبا ليجتذبوا التلاميذ خلفهم»[٢] .

وقد شكا جماعة الرسل كبطرس ويوحنا وبولس وغيرهم من مثل هؤلاء كثيرا فى رسائلهم . وإنهم يتابعون آثار الرسل فى كل جهة ، ويفسدون ضمائر المؤمنين بعدة مقاصد ، منها التصدر للتعليم واجتلاب الناس لطاعتهم ، ومنها إنهم يجعلون ذلك معاشا وبطنة وفسادا ، ومنها تعصبهم لليهودية فيدفعون إلى العمل بوصاياها ، ومنها أن يفسده ما رتّبه الرسل ، إلى غير ذلك من الآراء الدنيئة والبدع الرديئة . ولهذا نطق الوعى فى حق هذا الرئيس الذى لأفسس بأنك وإن كنت قد صبرت على هؤلاء واحتملتهم بدعَة[٣] وتواضع من أجل اسمى ، فقد استعملت ذلك فى غير مكانه ، وسقطتَ إذ أفسدتَ حال المؤمنين ومكّنتَ الذئاب من الرعية . حقيقة إن المحبة فى الله والغيرة له تقتضى الإشفاق عليها والدفاع عنها ، ولكنك آثرت[٤] الراحة ، ولم تر الموافقة بل الامتناع[٥] . فذلك قوله : «لأنه لا استطاعة لك أن تحمل الشر» ، وإن كان

(١) اترك ، ترك ، أخلى .

(٢) أع ٢٠ : ٢٨ - ٣٠ .

(٣) السكون ، الاستقرار .

(٤) أحببت أو فضّلت .

(٥) التمنع ضد الموافقة .

احتمال هذا الشر خيرا فى نفس الأمر ، وتجشّمت[١] الإغضاء[٢] لهم تواضعا كما ظننت ، وإنما خلدتَ[٣] إلى الراحة ، فذلك قوله : «وحملت هذه من أجل اسمى ولم تنعب» ، وبهذا الاعتماد فقد فرّطت ولم تقم بشروط المحبة كما كنت ، فذلك قوله : «لكن لى عليك أن المحبة الأولى تركتها خلفك فاذكر كيف سقطت وتب» ، أى فتنبّه لهذه السقطة وعُد عنها وانتقل منها ، وإلا نزعت رئاستك إذا لم تحفظ شروطها ، وذلك قوله : «لئلا آتى إليك وأزعزع منارتك من موضعها إذا لم تتب» ، والمنارة ، وإن كان قد تقدّم تفسير الفص لها بأنها الكنيسة ، فمراده بها رئاسة الكنيسة . فأطلق اسم المضاف إليه على المضاف ودليله القرائن .

وقوله : «ولكن هذا الذى لك أنك تبغض أعمال المشاغبين الذين أنا أبغضهم أيضا» ، تقدير القول أما الذى عليك من المؤاخذة - وقد ألقيت عليك بسببها - فهى وإن كنت لم تحاجهم وتنبذهم فأنت كاره لهم . والمشاغبون هم المحاورون محاورة مستقبحة سفيهة بغير أدب ، وباستعمال ما لا يدخل فى المطلوب . وهذه هى المشاغبة ، والقصد منها المغالبة والقهر ، لا طلب الصواب والحق ، وإليها أشار القديس يعقوب الرسول فى رسالته بقوله : «ولا تفتخروا وتكذبوا على الحق فهذا العلم ليس من فوق بل من أسفل أرضى نفسانى شيطانى»[٤] ، وهذه هى العلة التى تغاضى هذا الأسقف عنها لأرباب البدع ، لأنه يحتاج فى الأكثر أن يشابههم فى أسلوبهم وهو مُكرَه ، كما تقدم ، لكن

(١) احتملت ، تكلفت ، طقت ، تحملت . (٢) التغافل ، الإهمال .

(٣) ملت إلى ، استقريت ، ركنت إلى ، لصقت .

(٤) يع ٣ : ١٤ و ١٥

أشد كراهة منه تمكين الذئاب من القطيع ، وعن مثل ذلك قيل «الطاعة أفضل من القرابين» .

أما قوله : «من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس» ، فتفسيره : من كانت له حاستا سمع سليمتان وهو مقبل على السماع ، فليسمع ما يقوله الروح القدس للكنائس . وأما قوله : «ومن يغلب أعطه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس إلهى» يريد بهذه الغلبة ، الغلبة الروحانية ، وتُجمع فى ثلاثة أمور ، الأول : طاعة الله بعمل وصاياه ، والثانى : قهر الشيطان والإعراض عن غوايته ، والثالث : نصرة الحق ودفع الباطل عنه . أما قوله **شجرة الحياة** وقوله **فردوس إلهى** ، أورشليم السمائية ، فسيأتى الكلام عنها فى مكانه بمشيئة الله .

الفصل الثالث

١٢- (٨) واكتب إلى ملاك كنيسة اسمرنا هذا يقوله الأول والآخر الذى مات وعاش (٩) أنا أعرف شدتك ومسكنتك ولكنك غنى ولم أجد واحدا من الذين يقال لهم إنهم قوم يهود وليس هم قوم بل جماعة الشيطان (١٠) فلا تخف من الآلام التى تقبلها هوذا إبليس يطرح قوما منكم فى السجن كى تحزنوا وتُضطهدوا عشرة أيام كن مؤمنا حتى الموت وأنا أعطيك إكليل الحياة (١١) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس لأن من يغلب فلا يقهره الموت الثانى .

ملاك كنيسة اسمرنا[١] هو أسقفها فيلفاريوس تلميذ الرسول . **والأول والآخر الذى مات وعاش** قد مضى تفسيره . قوله : «أنا أعرف شدتك ومسكنتك ولكنك غنى» ، شدته هى مجاهدته على الإيمان لأنه استشهد أخيرا . **ومسكنته** لأنه كان فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا . **وغناه** ثروته بالفضائل ، وثباته فى الشدائد .

وقوله : «ولم أجد واحدا من الذين يقال لهم إنهم قوم يهود» ، لفظة يهودى تطلق على خمس معانٍ بالاشتراك ، **أولها** : اليهودى بالنسب ، وهو أحد بنى يهوذا ابن يعقوب إذا نُسب إلى يهوذا . **والثانى** : اليهودى باللحوق ، وهو مَن كان مِن أحد بقية الأسباط ، فإنه يُطلق عليه بالقول العام يهودى ، وإن لم يكن ابنا ليهوذا . **والثالث** : بالمجاز[٢] ، وهو الدخيل فى بنى إسرائيل ، فإنه يطلق عليه يهودى . **الرابع** : اليهودى بالوضع الشرعى ، وهو المؤمن بالله ونبوة موسى والعامل بوصايا التوراة . **والخامس** : اليهودى بالاسم ، وهو المنتسب إلى مذهب اليهودية وليس بعامل به سواء كان من بنى إسرائيل أو من غيرهم . وإذ بان هذا ، فيكون تقدير قوله **ولم أجد واحدا يهوديا** بالمعنى الرابع الوضعى ، أو من الذين يقال لهم يهود بالمعنى الخامس الإسمى ؛ وإلى هذين المعنيين أشار بولس الرسول بقوله[٣] : «لأنه ليس اليهودى الذى فى

(١) ⲥⲙⲩⲣⲛⲁ اسمونا ومعناها «مرّ» ، وهى المعروفة الآن بأزمير ، واقعة فى آسيا الصغرى غربى الأناضول ، وبناها تيسيوس سنة ١٣١٢ ق. م. وأطلق عليها اسم امرأته سميرنا . وقد استشهد فيها القديس بوليكربس سنة ١٥٥م ولا يزال قبره معروفا على تل هناك إلى اليوم .

(٢) اللفظ المنقول عن معناه إلى معنى يجعله ملتبسا .

(٣) رو ٢ : ٢٨

الظاهر هو اليهودى بل اليهودى فى الباطن هو اليهودى. أى يهودى بالوضع الشرعى» . وقوله : «وليس هم قوم» ، إن من الناس مَن ينغمس فى استعمال القوة الشهوانية فتقوى فيه حتى يكون أشبه بالحمير والخنازير ، ومن الناس مَن يتجه إلى استعمال القوة الغضبية فتقوى فيه حتى يكون أشبه بالسباع والبغاث[١] ؛ وأما من استولت نفسه الناطقة على قوتيه الشهوانية والغضبية ، واستعملهما فيما يجب كما يجب حيث يجب ، فهذا هو الإنسان الفاضل بالحقيقة . ومن كان من الصنفين الأولين فهو أميل إلى البهيمية من الإنسانية ، وإليه الإشارة بقوله : «وليس هم قوم» ، أى ليس فيهم إنسانية يُعتد بها . وفى العُرف ، إذا مُدح إنسان فاضل ، قيل : هذا إنسان بالحقيقة . وإذا ذُمّ إنسان شرير ، قيل : ليس هذا إنسان أصلا . فبهذا الاعتبار قال : «وليس هم قوم» .

وقوله : «بل جماعة الشيطان»، أى هم آلة يحركها الشيطان فى الفساد والشرور ، ولذلك أضيفوا إليه إضافة اختصاص . وقوله : «لا تخف من الآلام التى تقبلها» ، هذه نبوة على استشهاد هذا الأسقف المذكور وتشجيع له على قبولها . وقوله : «هوذا إبليس يطرح قوما منكم فى السجن كى تحزنوا وتُضطهدوا عشرة أيام» ، هذه نبوة ثانية عليه . واعلم أن تجربة الأبرار وامتحانهم قد تطلق لإبليس ليظهر بها الجوهر الخالص من المدلس[١] والصابر من الجازع[٢] كما فى قصة أيوب الصدّيق ، وكما مَثَل الإنجيل بالزرع الذى وقع على الصفاء ، فقال[٣] : «وعند المضائق يشكون لأنهم لا أصل لهم ولا ثرى» .

(١) كتم الهيب ، أتى المحدّث بالتدليس فى حديثه المخفى .

(٢) نقيض الصبور ، ما لا طاقة له على تحمّل ما نزل به .

(٣) مت ١٣ : ٥

وكما قال أيضا[١] : «هوذا الشيطان يغربلكم كالحنطة» . وقال[٢] : «ويضل كثيرا من المختارين» . وقال[٣] : «ومن يصبر إلى المنتهى يخلص» .

وهذا الأسقف فيلفاروس اعتُقِل وجماعة معه بتحريك من الشيطان ، وأخيرا خلصوا وأحرِق الأسقف ، فلهذا قال له الوحى : «كن مؤمنا حتى الموت وأنا أعطيك إكليل الحياة» ، فالإكليل إنذار بشهادته وعلامة لمنزلته ، لأن سيدنا قال[٤] : «المنازل فى بيت أبى كثيرة» ، ولذلك كان الإكليل علامة لشرف منزلة الشهداء فى مُلك السماء . وإضافته الإكليل إلى الحياة إضافة تعريف ، والحياة سعادة الأبرار وبهجتهم الدائمة فى الآخرة ، وأيضا لأن لفظتا التاج والإكليل معناهما واحد . وقد أتى ذلك علامة ورمز على سبعة أشياء : أولها الملك ، والثانى الحكم ، والثالث الشهادة ، والرابع النبوة ، والخامس الرسالة ، والسادس الكهنوت ، كما قالت التوراة فى السفر الثانى[٥] : «وشدوا إكليل القدس فوق العمامة» ، والسابع المدح ، كما قال أرميا : «قد رفع عن رؤوسكم إكليل مدحكم»[٦] وسيأتى كل منهم فى مكانه . وقد مضى تفسير : «من له أذنان أن يسمع فليسمع» وما يليه . وكذلك قوله : «من يغلب» .

فأما «الموت الثانى» فإنه عذاب الأشرار فى الآخرة لشدته ودوامه ، سمّاه موتا بدليل ما بيّنه فى الفص المائة والعشرين من هذه الرؤيا بقوله إن جميع الخطاة يكون نصيبهم فى البحيرة النار والكبريت فى الموت الثانى .

---

(١) لو ١٢ : ٣١
(٢) مت ٢٤ : ٢٤
(٣) مت ٢٤ : ١٣
(٤) يو ١٤ : ٢
(٥) خر ٣٩ : ٣٠
(٦) أر ١٣ : ١٨

١٣- (١٢) واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى برغامس هذه التى يقولها من له السيف الذى يضرب بفمين (١٣) إننى أعرف أين كنت حيث كرسى الشيطان كائن فيه واعتقدت باسمى ولم تجحد إيمانى فى الأيام التى قاومت الشهيد الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان كائن فيه (١٤) لكن ثم لى أسماء أخر قلائل عندك متمسكون بتعاليم بلعام الذى كان علّم بالاق أن يلقى شكا أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ذبائح الأوثان ويزنوا (١٥) هكذا أنت متمسك بتعليم المشاغبين (١٦) فتب لئلا آتيك سريعا وأحارب معهم بسيف فمى (١٧) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس ومن يغلب أنا أعطيه من المن المخفى وأعطيه فصا أبيض وعلى الفص اسم جديد مكتوب عليه لا يدركه أحد إلا من أخذه .

نعلم من ذلك أن ملاك كنيسة برغامس[١] هو رئيسها . وأن السيف الذى يضرب بفمين رمز على قوة الانتقام الإلهية .

---

(١) Περγαμος برغامس ، ومعناها «موضع العرس» ، وتدعى الآن برغامو ، واقعة غرب الأناضول من أعمال آسيا الصغرى ، وهى مسقط رأس جالينوس إمام الأطباء وبها تربى . ودعاها الرب بـ «كرسى الشيطان» لكثرة المعلمين الكذبة بها . وكانت ذات شهرة كبيرة بمبانيها العظيمة ، ولا تزال بعض آثار هذه المبانى تشهد بما كانت عليه من عظمة ومجد . وبها قبر أنتيباس الشهيد .

قوله : «إننى أعرف أين كنت حيث كرسى الشيطان كائن فيه» ، وكلمتا «أين» و «حيث» إشارة إلى بيت المقدس التى هى أورشليم الأرضية ، بدليل قوله بعد ذلك : «الشهيد الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان كائن فيه» . وهذا الشهيد هو الرب يسوع المسيح له المجد ، ومقتله كان بأورشليم . وأما ذكره أنها محل الشيطان فظاهر لأنه ظهر للسيد عند التجربة هناك ، وأقام بها ووضع كرسيه فيها ، الذى هو رمز على استيلائه ، لأن أهم الأمور عنده فى ذلك الوقت هو ذلك الصقع[١] الذى فيه قام اليهود بتلك الفتنة النادرة فى العالم وهى صلب سيد الكل ، وتأليب[٢] الرؤساء على الرسل والمؤمنين ، وكأنه يشير إلى أن هذا الرئيس قد آمن من جملة يهود أورشليم ، وأنه قبْل إيمانه كانت له شركة فى التشهير بالسيد المسيح ، ومقاومته مع متعمدى ذلك من اليهود الموجودين بها ، بدليل قوله : «فى الأيام التى قاومت الشهيد الأمين» ، فكشف الوحى الإلهى عن سيرته الرديئة الأولى .

قوله : «واعتقدت باسمى ولم تجحد إيمانى» إشارة إلى صبره بعد إيمانه ، وتمسكه ، واعترافه بالسيد المسيح ، وجهاده على الإيمان به . وقوله : «فى الأيام التى قاومت الشهيد الأمين[٣]» وما يليه ذكر الزمان بقوله فى الأيام الفلانية بعد ما ذكر المكان من قبل ، لأن العادة فى تحقيق الأمور ذكر مكانها

(١) الناحية ، الجهة .

(٢) اجتماع ، تضافر ، اتحاد على عداوة إنسان .

(٣) يلاحظ القارىء أن المفسر قد ذهب إلى أن قوله «الشاهد الأمين» هو عن السيد المسيح له المجد . وقد اتفق معه على هذا الرأى مفسر الرؤيا المخطوطة بالمتحف القبطى . وهذا بخلاف رأى الكاثوليك والروم الأرثوذكس والپروتستانت الذين ذكروا شخصا معينا هو أنتيباس ، والسبب فى ذلك أن النسخة القبطية لم تذكر هذا الشخص . =

وزمانها ، وذلك لتمام الإنباء والإخبار بما سلف وكان خفيا عن بقية السامعين الذى يقوم ذكره مقام الإخبار بمستقبل لاشتراكهما فى الخفاء . ولما بيّن حاله

= وهاك نص العدد ١٣ بالقبطى وترجمته إلى العربية كما هو فى النسخ القديمة المخطوطة وكما هو فى هذا التفسير :

Ϫⲉ ϯⲥⲱⲟⲩⲛ ϫⲉⲁⲕϣⲟⲡ ⲑⲱⲛ ⲡⲓⲙⲁ ⲉ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲑⲣⲟⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲥⲁⲧⲛⲁⲥ ⲭⲏ ⲙ̀ⲙⲁⲩ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲕⲁ̀ⲙⲟⲛⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲣⲁⲛ ⲟⲩⲟϩ ⲙ̀ⲡⲉⲕϫⲉⲗ ⲡⲁⲛⲁϩϯ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ϧⲣⲏⲓ ϧⲉⲛ ⲛⲓ ⲉ̀ϩⲟⲟⲩ ⲁⲕϯ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ ⲉ̀ϩⲣⲉⲛ ⲡⲓⲙⲁⲣ-ⲧⲩⲣⲟⲥ ⲡⲓⲡⲓⲥⲧⲟⲥ ⲫⲏⲉ̀ⲧⲁⲩϧⲟⲑⲃⲉϥ ϧⲁⲧⲉⲛⲑⲏⲛⲟⲩ ⲡⲓⲙⲁ ⲉ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲥⲁⲧⲁⲛⲁⲥ ϣⲟⲡ ⲙ̀ⲙⲟϥ

وترجمته : «إننى أعرف أين كنت حيث كرسى الشيطان كائن فيه واعتقدت باسمى ولم تجحد إيمانى فى الأيام التى قاومت **الشهيد الأمين** الذى قتل عندكم حيث الشيطان كائن فيه»

أما ترجمة الكاثوليك ، فهى كما فى كتاب تفسير الرؤيا للقس يوسف المارونى الحلبى : « . . . وفى تلك الأيام أنتيباس **شهيدى الأمين** الذى قتل عندكم . . إلخ» . وفى نسخة الروم الأرثوذكس ، كما فى كتاب تفسير الرؤيا لأنثيموس بطريرك أورشليم ، ترجمة الخورى يوحنا حزبون : « . . . وفى تلك الأيام التى فيها كان أنتيباس **شهيدى الأمين** الذى قتل عندكم . . إلخ» . وهكذا فى ترجمة البروتستانت . فالمفسر الكاثوليكى يقول عن أنتيباس هذا إنه كان أسقفا على برغامس وقد عذبه دومتيانوس قيصر حيث وضعه فى ثور من نحاس يتقد نارا حتى أسلم روحه الطاهرة فى ١١ نيسان (ص ١١٩ و ١٢٠) . والمفسر الأورشليمى يقول : «وفى هذه المدينة قد نال القديس أنتيباس إكليل الشهادة (ص ١٩) . أما البروتستانت فيقولون إنه شخص مجهول (ص ٦٣٨ من كتاب العهد الجديد مع الحواشى والشواهد ، طبع بيروت سنة ١٨٧٧) .

قبل إيمانه وبعد إيمانه ، استدرك بأن قال : «لكن ثم لى أسماء أخر قلائل عندك متمسكون بتعاليم بلعام[١] الذى كان علّم بالاق أن يلقى شكا أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ذبائح الأوثان ويزنوا» . فقوله : «أسماء أخر» ، أى غير أولئك المقاومين الذين كانوا بأورشليم لما كنتَ من جملتهم . وقد فسّر تعليم بلعام ما هو ، وأنه تسبب فى عبادة الأوثان والزنا ، لأن بالاق الملك لما خاف عسكر الإسرائيليين سَيّرَ إلى بلعام العراف فأحضره ليلعنهم ، فأوحِى إليه من جهة الله أن يباركهم ، واعتقد بسوء رأيه أن الله يرجع عن نصرتهم بالكلية ، فقرب قرابين وأصعد ذبائح فأُنطِق قهرا ببركتهم وأن لا يلعنهم أصلا . ولطمعه فى الفضة التى هى أصل كل الشرور ، تخيّل إذا علم بالاق الملك أن يزيّن نساء وتطلق فى عسكر الإسرائيليين ، فإذا اعترضهم بنو إسرائيل آبوا[٢] عليهم حتى يأكلوا معهم ذبائح الأوثان ويواقعوهن ، فكان هذا سببا لغضب الله على الإسرائيليين . والأسماء يريد بها المسميين وهم أرباب البدع الذين كانوا بكل مكان يتعقبون آثار الرسل ويفسدون قلوب المؤمنين وأحوالهم ويدنسون عفة النساء . قوله : «هكذا أنت متمسك بتعليم المشاغبين» ، قد سرى فساد هؤلاء المبتدعين فى الآراء والأقوال والأفعال حتى بلغ إلى الرؤساء المعلمين .

وينبغى أن تفهم أن هؤلاء القوم لهم معنيان ، وكلاهما مموّهان خادعان ، أحدهما : رأيهم المدعى الذى ينصرونه باستدلالهم ، والآخر : نفس استدلالهم وطريقهم فيه كما بيّنا جميع ذلك متقدما . فانفعل هذا الرئيس وصغا[٤] قلبه واستسلم[٥] ادعوه ، فلذلك قال : «أنا متمسك بتعليمهم لا بطريقتهم فى التعليم .»

(١) عد ٢٤ : ١٤ ، ٢٥ : ١ ، ٣١ : ١٦

(٢) رجعوا ، تابوا إلى الله .

(٣) يلامسهنّ ، يعرفهنّ .

(٤) مال إلى .

(٥) انقاد إلى .

قوله : «فتب لئلا آتيك سريعا وأحارب معهم بسيف فمى» ، توعّده[١] بالإتيان إله فقط ، لأنه يكفيه هذا القدر من التهديد فى إقلاعه وتوبته وعوده عن هذا الرأى السقيم ، وأن يتيقظ لمحل الشبهة . أما هم فلم يكن الإتيان كافيا فى ازدجارهم حتى يقهرهم بالانتقام ويبكتهم بالفعل دون الملام . فبذلك قال : «وأحارب معهم بسيف فمى» ، وقد سبق تفسير سيف فمه .

قوله : «ومن يغلب أنا أعطيه من المن المخفى» ، يريد بالمن المخفى جسد سيدنا يسوع المسيح متحدا بلاهوته الذى يتناوله المؤمنون . والدليل على أن مراده ذلك ، قول هذا الرسول يوحنا فى الفصل السادس عشر من إنجيله[٢] : «أنا هو الخبز النازل من السماء ليس كالمن الذى أكله آباؤكم فى البرية وماتوا» . فقوله «ليس كالمن» مشعر بأنه سمّاه مَنّا ولكن ليس كالمن المأكول فى البرية ، فجهة المشابهة لهما باسم المن ووجهة الفرق بينهما أن ذاك منٌّ ظاهرٌ باللفظ والمعنى ، وقد مات آكلوه ، وهذا منّ مخفى يفوز مَنْ يستحق أكله ، وآكله ، بحلول الابن فيه فى الدنيا مع خلوده فى الحياة الأبدية ، بدليل قوله : «من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد[٣]» فقد ظهر أنه سمّاه على الترادف بالمن المخفى ، وبالخبز النازل من السماء ، وبخبز الحياة ، كل ذلك باللغة الروحانية .

واعلم أنه ليس يلزمنا تفسير بعض النصوص الغامضة لأمرين ، أحدهما أن ذلك يطول ويتسلسل ، والثانى أن لكل مقام مقال ، ولكن علينا بيان المعنى الذى نستشهد به إن كان غامضا لشرح لواحقه[٤] .

(١) تهدّده .

(٢) يو ٦ : ٤٨ و ٤٩

(٣) يو ٦ : ٥١

(٤) ما يلحقه ، أى ما يأتى بعده .

فأما قوله : « وأعطيه فصا أبيض وعلى الفص اسم جديد مكتوب عليه لا يدركه أحد إلا من أخذه» ، أظنه يريد بالفص الملكوت ، فإن كان اللفظ على ظاهره فمعناه رمز عليها ، وإن كان اللفظ على غير ظاهره فهو باللغة الروحانية عبارة عنها . وأستنبط هذا التأويل[١] مما أعدّه الله لمختاريه فى الملكوت ، فلذلك رجحناه على ما سواه . أما الاسم الجديد المكتوب عليه ، فيشير به إلى جملة المواهب التى أعدت فى الملكوت ، كما قال بولس الرسول[٢] : «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر» ، الأمر الذى لا يدركه إلا من بلغ إليه ، فلذلك قال : «لا يدركه أحد إلا من أخذه» ، وسواء عاد الضمير فى كلمة «أخذه» على الفص أو على الاسم ، فإنهما متلازمان والغرض واحد ، والإدراك هنا يعنى الرؤيا كما قلنا متقدما ، وعلى أية حال ، فإن **الفص فى هذا النص من غوامض الكتاب** ، والله المهدى إلى الصواب .

✠ ✠ ✠

١٤- (١٨) واكتب إلى ملاك كنيسة ثياديرا أن هذا يقوله ابن الله الذى له عيناه مثل لهيب النار ورجلاه مثل نحاس لبنان (١٩) إننى عارف بأعمالك ومحبتك وإيمانك وخدمتك وصبرك وأعمالك الأخيرة أصلح من الأولى (٢٠) لكن لى عليك أنك وضعت المرأة إزبال القائلة أنا نبى ومعلم وهى مضلة لعبيدى ليزنوا ويأكلوا ذبائح للأوثان (٢١) وأعطيتها زمانا لتتوب فلم ترد أن تتوب من زناها

(١) التفسير .
(٢) ١ كو ٢ : ٩

(٢٢) هوذا ألقيها على سرير والذين زنوا معها إلى شدة عظيمة وإذا لم تتب من أعمالها (٢٣) أنا أقتل أبناءها بالموت وتعلم جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص القلوب والكُلى وأجازى واحدا واحدا كأعماله (٢٤) وأنتم أقول لكم أيها البقية الذين بثياديرا الذين ليس فيهم هذا التعليم ولم يعلموا عمق الشيطان كما يقولون لا ألقى ثقلا آخر عليكم (٢٥) بل الذى معكم تمسكوا به حتى آتى (٢٦) ومن يغلب ويحفظ أعمالى إلى الانقضاء أعطيه سلطانا على الأمم (٢٧) ويرعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار يسحقهم (٢٨) وكما أخذت أنا من أبى أعطيه النجم المشرق فى الغدوات (٢٩) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

ملاك ثياديرا[1] هو رئيسها كما مضى مثله ، وثياديرا هى المدينة الرابعة التى كتب الرسول إليها .

---

(١) Θυάτειρα ثياتيرا مدينة فى الأناضول ، وتدعى الآن [اك حصار ، اكهسار ، أق حصار] ، وهى واقعة فى سهل متسع على فرع من نهر ليكوس إلى الجنوب الشرقى من أزمير ، وكانت قديما تبعة لبرغاموس ، وكان اسمها أولا سلوكية ، نسبة إلى بانيها سلوكس بن نيقاتور ، ثم سماها هو ثياتيرا حين بُشّر بميلاد ابنة له لأن معنى ثياتيرا باللغة اليونانية «بنت» . وفى أيام الرسل كان بها امرأة بائعة أرجوان تسمى ليديا وهذه قد آمنت على يد القديس بولس الرسول وأخذته ومن معه إلى بيتها .

واشتهرت نساء هذه المدينة بصبغ الأحمر والأرجوانى ، وقيل أنهم يحتفظون هناك بكتابات تدل على إتقان هذه الصناعة فى تلك الأيام . واليوم لا يوجد بها إلا عدد قليل من المسيحيين .

قوله : «أن هذا يقوله ابن الله الذى له عيناه مثل لهيب النار ورجلاه مثل نحاس لبنان» قد سلف الكلام فيه ، وكذلك قوله : «إننى عارف بأعمالك ومحبتك وإيمانك وخدمتك وصبرك» قد فُسِّر فى فص ما كتب إلى كنيسة أفَسُس ، ولم يتغير فيه شىء سوى أنه جعل هنا خدمته موضع تعبه هناك ، وزاد عليها «محبتك وإيمانك» ، وهما ظاهران . ثم قال : «وأعمالك الأخيرة أصلح من الأولى» . هذا ضد ما قيل لرئيس كنيسة أفَسُس : «أن المحبة الأولى تركتها خلفك» ، وهنا قال : «أعمالك الأخيرة أصلح من الأولى» . والذى شكره عليه الآن خمسة أشياء هى : العبادة والإيمان والمحبة والخدمة فى التعليم والصبر على شقاق أرباب البدع . واستدرك من جملة صبره على مقاومة أصحاب البدع بأن قال : «لكن لى عليك أنك وضعت المرأة إزبال القائلة أنا نبى ومعلم» ، من الغرائب سمو هذه المرأة المبدعة للتصدر والتعليم ، وهذا يدل على أنها متظاهرة بالنصرانية ، وإلا لما وضعها هذا الرئيس للتعليم ، وأنها عرّافة فى الباطن ، وإلا لما ادعت النبوة ، وأن لها خبرة بالنواميس الوثنية ، وإلا لما ادعت التعليم ، بل إنها استمالت قوما إلى رأيها . واعلم أن هذه النواميس بعضها ينطوى على الزنا ورذائل أخرى مثل تقديم الذبائح والقرابين للأوثان والأكل منها . وأما تسمية الرؤيا لها إزبال فمن جهة أن أفعالها شابهت أفعال إزبال امرأة آخاب الملك قديما ، والتى كانت على خمس خصال : كافرة ، قاتلة ، زانية ، جريئة ، محتالة . أما كفرها : فلأنها ابنة الملك صيدان من الأمم ، وقد تزوجها آخاب ملك إسرائيل ، ففتحت بيوت الأوثان ودعت إلى عبادتها . وأما أنها قاتلة : فلأنها قتلت كثيرا من أنبياء الله ، وطلبت إيليا النبى لتقتله فلم تظفر به . وأما زناها : ففى عبادة الأوثان ما ينطوى على الزنا كما قلنا . وأما جرأتها : فإن زوجها آخاب لما تغاضى[١] عن قضية نابوت صاحب الكرم ، سألته : «أنت تصلح أن تكون ملك

(١) تنحّى .

إسرائيل ؟ قم كل خبزك وأنا أعطيك الكرم . » وأما احتيالها : فإنها احتالت مع أهل القرية على نابوت المذكور بأن يقيموا شهود زور عليه بأنه سب الآلهة والملك ، ورجموه حتى مات ظلما .

وإزيال هذه المشبهة بتلك ، فيهاذات الخمس خصال . أما كفرها : فإنها دعت إلى عبادة الأوثان بتعليمها الباطن . وأما أنها قاتلة : فبإهلاكها نفوس من أضلتهم . وأما زناها : فقد تقدم بيانه . وأما جرأتها : فلإقدامها على ما يعجز عنه فحول الرجال . وأما حيلها : فلأنها تظاهرت بالنصرانية وأبطنت الوثنية ، وذلك أشد الخبث وأعظم الخداع والحِيَل .

قوله : «وأعطيتها زمانا لتتوب فلم ترد أن تتوب من زناها» : من المعروف أن القوة الشهوانية تقوى فى الشبيبة وتضعف مع الكهولة وتقدم السن وتذهب فى الهرَم . فمن الرأفة الإلهية أن أفسح فى مدة عمرها لتضعف منها شهوة الزنا فتسهل لها التوبة . لكن هذه المرأة استمرت بإرادتها فى فكرتها الرديئة مع النجاسة بالرغم من تقدم سنها . فلأنها لم تتنازل بإرادتها وعزمها لإمضاء[1] الشهوة ، ولأن الطبيعة متحركة متتابعة لما اعتادت عليه ، ساكنة مُعْرضة عما لم تُعَوّد ، فلذلك **لم ترد أن تتوب من زناها** ، فكان عقابها : «هوذا ألقيها على سرير» ، يريد بهذا الإلقاء البلوى ببعض الأمراض الشديدة ، لأن المرضَى يلازمون الأسِرّة ، ولذلك قال المزمور : «ويرحمك على سرير وجعك»[2] . وذلك أيضا من الألطاف الإلهية بها أن تتيقظ بالأدب ، فإن أصرت[3] ولم تتب ، أدبِّت بأدب أشد وهو موت أولادها الطبيعيين قدامها ، وذلك أشد الآلام وأنكاها[4] لاس سيما على النساء . فذلك قوله : «وإذا لم تتب من أعمالها أنا أقتل أبناءها بالموت» .

(١) المداومة ، الاستمرار .
(٢) مز ٤١ : ٣
(٣) عزم على ، لزم ، داوم ، لم يقلع .
(٤) أوقعها نكاية ، أشدها .

قوله : « **والذين زنوا معها إلى شدة عظيمة**» ، هذا معطوف على قوله : « **وألقيها على سرير**» ، كأنه قال : ألقيها على سرير وألقى الذين زنوا معها إلى شدة عظيمة ، أى بلوى يعجز عنها صبرهم . ويجوز أن يُفهم الزنا فيها وفيهم إنه عبادة الأوثان ، وقد ورد هذا كثيرا فى كتب الأنبياء . لكن رجحنا ما تأولناه بالقرائن التى هى العمدة[١] فى مثل ذلك .

قوله : «وتعلم جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص القلوب والكُلى وأجازى واحدا واحدا كأعماله» أى أجعل المرأة ومَن تابعها بما يجرى عليها وعليهم عبرة وموعظة لسائر أهل الكنائس ، وبذلك يعلمون إنى إنما جازيتهم بأعمالهم التى كانوا يبطنونها ويسترونها . وأيضا يتبيّن إنه تعالى فاحص القلوب والكُلى . أما القلوب : فعن الاعتقادات جيدها ورديئها . وأما والكُلى : فإن مبدأها حركة الشهوة ، ويُعلم منها العفة والزنا .

قوله : «وأنتم أقول لكم أيها البقية الذين بثياديرا الذين ليس فيهم هذا التعليم ولم يعلموا عمق الشيطان كما يقولون» ، يريد **بالتعليم** : تعليم هذه المرأة التى تبطنه . **وعمق الشيطان** هو إظهار ما ليس فى الباطن ، وإبطان ما ليس فى الظاهر ، كما فعلت هذه المرأة ومن تابعها . وأما قوله : «**كما يقولون**» فمعناه : إنكم كما تُسرّون[٢] كذلك تقولون من غير خبث ولا رياء ولا نفاق ولا كذب . قوله : «لا ألقى ثقلا آخر عليكم بل الذى معكم تمسكوا به حتى آتى» ، أى لا أزيدكم وصية أخرى ، بل احفظوا ما قبلتم . وإتيانه قد جاء بمعنى الوعد وجاء بمعنى الوعيد ، لأنه عند إتيانه يجازى كل واحد كنحو عمله إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا . فلذلك نقسم الإتيان بانقسام المجازاة .

(١) محصّل القول ، أهم الشىء ، ما يُعَوّل عليه ويُركَن إليه .

(٢) تخفون ، تكتمون .

قوله : «ومن يغلب ويحفظ أعمالى إلى الانقضاء أعطيه سلطانا على الأمم ويرعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار يسحقهم» قد فسر الغُلب ما هو ، والمراد «من يغلب» يكون من المسلطين على الأمم فى دولة الألف سنة التى للصديقين ، وسيأتى تقرير الكلام عليها فى مكانه . وهذه النبوة فى المزمور الثانى لداود ، أعنى قوله «أعطيك سلطانا على الأمم وترعاهم بقضيب من حديد»[١] وعنى بها سيدنا المسيح نفسه له المجد . فمن استحق تلك الوليمة كانت له شركة فى دولتها ، فكأنه جعل هذه النبوة كالمثل العام ، وهو واضح لمن تأمله سواء قال بإشارة خاصة أو لم يقل .

والدليل على صحة هذا التأويل أن هذا الوعد ليس فى هذه الدنيا ، فقوله : « **من يغلب ويحفظ أعمالى إلى الانقضاء أعطيه سلطانا** » ، فإعطاؤه السلطان بحسب مساق القول بعد الانقضاء ، ولا يجوز أن يكون فى الاخرة ، فإنه لا تسلّط فيها على الأمم ، فإنها دار مجازاة ولكلٍ بنفسه شغل ، فتعين أن يكون لوعد فى وليمة الألف سنة ، والرعاية بقضيب من حديد هى الالتقام من دولة الدجال ؛ وصرّح النص بذلك فى الفص المائة وأربعة بقوله : «يا جميع الطيور الطائرة فى وسط السماء تعالى اجتمعى فى الوليمة العظمى التى للرب الإله لتأكلى لحوم الملوك ولحوم قواد الألوف ولحوم الجبابرة ولحوم الخيل والراكبين عليها ولحوم الأحرار والعبيد والصغار والكبار»[٢] . ومَثّل كسرهم أو سحقهم بآنية الفخار لأن كسرها لا يُجبَر وسحقها لا يلتئم[٣] منه شىء يُنتتفَع به .

قوله : «وكما أخذت أنا من أبى أعطيه النجم المشرق فى الغدوات»[٤] ، هذا النجم يريد به معنيين : أحدهما السيد المسيح له المجد ، بدليل قوله فى الفص

(١) مز ٢ : ٨ و ٩

(٢) رؤ ١٩ : ١٧ و ١٨

(٣) ينضم ، يلتصق .

(٤) ما بين الفجر وطلوع الشمس .

مائة وسبعة وثلاثين : «أنا أصل داود ونسله كوكب الصبح المنير»[١] ، والآخر الرئاسة والمشاركة فى الملك والاستيلاء والبهجة والسعادة بدلائل عدة ، منها قوله : «وكما أخذت من أبى أنا أعطيه» ، والذى أخذه من أبيه هو ما ذكره دانيال النبى[٢] : «وكنت أرى على مزن السماء مثل ابن البشر أقبل فانتهى إلى عتيق الأيام وإياه أعطى السلطان والملك والكرامة» ، ونها قول أشعياء النبى[٣] : «اجتمعوا جميعا على أسير الجب ويتخلص بعد أيام وتجزىء الشمس ويفتضح القمر» ، يريد بهما الملك الكبير والملك الصغير وغير ذلك كثير .
والمعنى الثانى هو المراد هنا ، ومنتهى القصد إليه دليل قوله : «وكما أخذت من أبى أنا أعطيه» ، وبقية الفص قد مضى تفسيره .

الأصحاح الثالث

الفصل الرابع

١٥- (١) اكتب إلى الملاك الذى لكنيسة سرديس هذا ما يقوله الذى معه سبعة أرواح الله وسبعة النجوم إننى عارف أعمالك فإن لك اسم الخلاص أنك حى وأنك ميت (٢) فكن محترسا وقَوِّ البقية لئلا

(١) رؤ ٢٢ : ١٦
(٢) دانيال ٧ : ١٣
(٣) أش ٢٤ : ٢٢ و ٢٣

تموت لأنى لم أجد إيمانك وأعمالك كاملة عند إلهى (٣) فاذكر كيف قبلت وضللت واحفظ وتب وإذا لم تتب ولم تحترس أنا آتى مثل لص ولا تعلم الساعة التى آتى إليك فيها (٤) لكن ثم لى أسماء أخر قلائل فى سرديس هؤلاء الذين لم ينجسوا لباسهم مع امرأة ويسلكون معى بثياب بيضاء لأنهم يستحقون (٥) ومن يغلب هكذا ألبسه ثيابا بيضاء ولا أمحو أسماءهم من سفر الحياة وأظهر ظهورا أسماءهم أمام أبى وأمام ملائكته (٦) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

قوله : «اكتب إلى الملاك الذى لكنيسة سرديس»[(١)] ، ملاك كنيسة سرديس هو رئيسها ، وسرديس جزيرة من أعمال آسيا ، ويقال لبطريقها أى نائب المملكة فيها «صاحب البحر» كما ذُكر ذلك فى كتاب المسالك والممالك . ويقال لها أيضا سردانية . وقوله : «هذا ما يقوله الذى معه سبعة أرواح الله وسبعة النجوم» ، تأمل هذه الغرائب من فيض هذا الروح ، إنه فسّر لنا أولا النجوم بأنها سبعة الأرواح ، فكيف جعلها هنا غيرها وعطف النجوم على الأرواح والشىء لا يُعطف على نفسه ؟ وهل ذلك إلا ليبيّن لنا أن سبعة الأرواح غير شبعة أرواح الله بيانا فى إخفاء وإخفاء فى بيان ؟ لأن سبعة الأرواح وهى سبعة النجوم هى **رؤساء الكنائس** كما فسرناها . وسبعة أرواح

(١) Capaic ساردس مدينة فى الأناضول ، وهى إحدى مدن ليديا القديمة ، ويقال إنها كانت قديما مقر قارون الغنى المشهور ، وكانت مشهورة بالثروة فى زمن الرسول ، ويميل أهلها إلى اللذات الرديئة . وقد أصبحت أطلالا ، وبشمالها القرية الحديثة التى أطلق عليها اسمها محرفا إلى [سارت] .

الله هي الملائكة التى قال متقدما إنها أمام العرش ، المنفذة للأوامر الإلهية كما بيّن هنالك . أما قوله : «إننى عارف أعمالك فإن لك اسم الخلاص أنك حى وأنك ميت» فيريد **بأعماله** اجتهاده فى العبادة ، ويريد **باسم الخلاص** إيمانه باسم المسيح ، وهذا يدل على أن هذا الرئيس ، وإن كان مجتهدا فى تكميل ذاته ، فإنه مقصر من جهتين ، إحداهما : إنه سريع الميل إلى غواية من يغويه غير ضابط لنفسه ، ولذلك قيل له : «**اذكر كيف قبلت وضللت**» . والأخرى : تقصيره فى تقوية شعبه وتثبيتهم ، ولذلك قيل له : «وقوّ البقية» . فباجتهاده فى كمال نفسه ، قيل له : «**إنك حى**» ، وبتقصيره عن ضبط ذاته ، قيل له : «**إنك ميت**» ، ومراده بقوله **حى** أى ذو حياة ، والحياة هنا علم الحق وعمل الخير ، بدليل قول هذا الرسول فى إنجيله عن سيدنا[١] : «والكلام الذى كلمتكم به هو روح وحياة» أى هو حق وبر ، وقوله[٢] : « لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليحيى العالم» ، أى ليفيدهم علم الحق وعمل الخير . ومراده بقوله **ميت** أى ناقص عن الكمال ، والنقص يناقض الكمال كما يناقض الوجود العدم ، وقد ذكر هذا المعنى بولس الرسول[٣] فى حق الأرامل المؤمنات : «وأما من تلهو فقد ماتت وهى حية» ، وليست جهة الحياة هى جهة فيلزم اجتماع الضدين .

قوله : «فكن محترسا وقوّ البقية لئلا تموت» ، الاحتراس عن التقصير عن إدراك الكمال . وتقوية البقية ، أى تثبيتهم فى إيمانهم وأعمالهم ، فإن كمالهم من جملة كماله ، وكماله بكمالهم . ويريد **بالبقية** شعبه وقطيع رعيته الذين تحت رئاسته . وأما قوله **لئلا تموت** فإنه توعد له إن قصّر عن تقوية البقية بالموت الاخترامى[٤] وإلا بالضرورة فهو يموت الموت الطبيعى ، قواهم أو لم يقوّهم .

(١) يو ٦ : ٦٣
(٢) يو ٣ : ١٧
(٣) ١ تى ٥ : ٦
(٤) المستأصل ، القاطع ، ضد الطبيعى .

قوله : «لأنى لم أجد إيمانك وأعمالك كاملة عند إلهى» ، إن الكمال بحسب هذا الغرض له رتبتان ، الأولى : كمال المرء فى نفسه بإيمانه وأعماله البارة ، وإلى هذه الرتبة أشار الإنجيل إلى ذلك الغَنى الذى حفظ الوصايا ، بقوله[١] : «إن أردت أن تكون كاملا امض وبع كل ما لك وأعطه للمساكين وتعال اتبعنى» ، فهذا هو الكمال الأول . والرتبة الأخرى : فهى رتبة الرؤساء والمعلمين الذين لا نفع منهم بكمالهم فى أنفسهم ، بل أن يفيض كمالهم على غيرهم بكلمة الإيمان والأعمال ، وإلى هذه الرتبة أشار سيدنا بقوله[٢] : «إن من يعمل ويعلّم هذا يدعى عظيما فى ملكوت السماء» . ولا شك أن هذا الرئيس لم يحرز[٣] الكمال الأول ولا الثانى كما بيّنا ، إما لأنه قد ضل وغوى ، وإما لأنه لم يقوّ شعبه . وأما قوله **عند إلهى** فلا يصح فهمه عن سيد الكل إلا من حيث هو إنسان .

قوله : «اذكر كيف قبلت وضللت» ، أما قبوله فظاهر إنه قبل من غيره ، وذلك الغير إما روح شرير أو إنسان مضل مبتدع ، وهذا دليل قلة ضبطه وثباته . وأما الضلال فعلى ظاهره ، وهو العدول عن سبيل الحق والخير . قوله : «واحفظ وتب» ، أما الحفظ فلما حصّله ومُدح عليه ، وأما التوبة فعن غوايته وقلة اهتمامه بتعليم رعيته . والأمين الحكيم هو الذى يعطى رفقته طعامهم الروحانى فى حينه ، وحَدّ التوبة إنها إنذار أن لا يعمل فى المستقبل مثل الماضى الذى تاب عنه والحفظ ظاهر وهو التمسك بلوازم التوبة والتحرز من الوقوع فى ما يخالف حكمها ، فإن الناس فى سيرتهم على خمس طبقات :

---

(١) مت ١٩ : ٢١ (٢) مت ٥ : ١٩

(٣) ينل ، يمتلك .

الأولى : طبقة الصالح ، وهو الذى يسلك ولا يعثر فيحتاج أن يقوم من عثرته ، وهذه الطبقة عزيزة جدا لم يصل إليها أحد من البشر إلا واحد كسيرة سيد الكل بالجسد ، القائل(١) : «من منكم يوبخنى على خطيئة» ، والقائل(٢) : «أنا هو الراعى الصالح» ، وكذلك قال(٣) : «ليس صالح إلا الله وحده» ، تشبّه هذه الطبقة بالشمس .

الثانية : الحفيظ ، وهو الذى يعثر نادرا ويقوم فلا يعثر ، كموسى وأشعيا ويونان وزكريا وبطرس الرسول ومن يجرى مجرى هذه الأنوار ، وتشبّه هذه الطبقة بالقمر .

الثالثة : طبقة النقى ، وهو الذى يسلك ويعثر ثم يقوم ويكون فى آخرته قائما ، وهذه طبقة الأنقياء العتيقة والحديثة ، كداود النبى ويوشع الملك وغيرهما ، وتشبّه هذه الطبقة بالنجوم .

الرابعة : طبقة الساقط ، وهو الذى يسلك ويعثر فلا يقوم ، وهى على قسمين ، أحدهما : أن يتوب فلا يقبل كقايين وعيسو وشاول الملك وعالى الكاهن ويهوذا الأسخريوطى . والآخر : أن لا يتوب أصلا بل يستمر على عثراته كيوربعام بن ناباط ومن يجرى مجراه ، وتشبّه هذه الطبقة بالسراج الذى يضىء يسيرا ثم ينطفىء .

الخامسة : طبقة الشرير كالذين هم من نشأتهم على الشر أو عبادة الأوثان أو من شابههم ، وتشبّه هذه الطبقة بالظلام الآفل(٤) وهذه تقابل(٥) الطبقة الأولى ؛ والمشار إليها هنا هى الطبقة الثانية .

---

(١) يو ٨ : ٤٦
(٢) يو ١٠ : ١١
(٣) لو ١٨ : ١٩
(٤) الغائب .
(٥) عكس .

قوله : «وإذا لم تتب ولم تحترس أنا آتى مثل لص ولا تعلم الساعة التى آتى إليك فيها» ، يريد بإتيانه هنا إتيان أمره وقضائه إطلاقا لاسم الملزوم على اللازم ، وهو توعد له بما تقدم بالموت الاخترامى ، وذلك مشروط بعدم توبته . وأما الإتيان مثل لص ، فجهة المشابهة أن اللص لا يزال يراقب غفلة أو سهو أو إعراض صاحب الدار عن التيقظ أو إهمال احتراسه ، حتى يدرك وقت الإمكان فينقض بسرعة ، هكذا ورود الموت بغتة ، أى فى ساعة لا تُعلَم ، وحين لا يُدرَك ، وفى وقت مجهول ، كالفخ المنطبق على الطائر عند غفلته .

أما قوله : «لكن ثم لى أسماء أخر قلائل فى سرديس هؤلاء الذين لم ينجسوا لباسهم مع امرأة» ، فهذا متسق[١] مع قوله وقَوّ البقية ، وكأنه قال : لكن ثم لى أسماء أخر غير هذه البقية ، وهم قوم قلائل بالنسبة إليها . وقد عرفتَ أنه يريد بالأسماء مسمياتها . وأما ثيابهم ، فيريد بها القوة الشهوانية ، بدليل قول الرسول يهوذا فى الفصل التاسع من رسالته[٢] : «وكونوا مبغضين للباس ثوب الجسد النجس» ، أى استعمال قوته الشهوانية فى الرذائل . ولما كانت الشهوة أعم من الرذيلة ، والرذيلة أعم من المباضعة[٣] من وجه ، خصص الرذيلة بقوله **الدنس** ، وخصص المباضعة بقوله **مع امرأة** ، أى لم يقربوا امرأة . وهؤلاء الأسماء قوم أطهار تمسكوا من جملة فضائلهم بالعفة عن ملامسة امرأة البتة حلالا أو حراما ، لأن تنكيره المرأة للعموم . والدليل على أن الأمر كذلك ، قوله فى الفصل الرابع عشر [فص ٦٥] من هذه الرؤيا ، لما رأى الحمل واقفا على جبل صهيون ومعه المائة ألف وأربعة وأربعون ألفا ، أن صوتا كرعد قال له : «وهؤلاء هم الذين لم ينجسوا ثيابهم مع امرأة لأنهم أبكار وهؤلاء هم الذيـن يمشون مع الحمل حيث يذهب» ، فإن كانوا ،

(١) منتظم ، مستو .

(٢) يهو ١ : ٢٣

(٣) الملامسة ، المضاجعة .

(٤) رؤيا ١٤ : ٤

أعنى الأسماء التى فى سرديس ، إسرائيليين ، فهم من جملة المائة ألف وأربعة وأربعين ألفا ، وإن لم يكونوا بإسرائيليين ، لم يكونوا من جملة تلك العدة ، بل من الأبكار المؤمنين من الشعوب . وليت شعرى ، كيف ومضجع الزوجة طاهر بالنص والإجماع ، يعمّه هذا الدنس المذكور ؟ والجواب أن البتولية أشرف من التزويج لأن بها يشترك مع الملائكة الأطهار وبه [الزواج] يشترك مع البهائم وبقية الحيوانات ، ولهذا كانت العفة أشرف من الزواج ؛ وبهذا الاعتبار أطلق عليه دنسا بالإضافة إلى العفة .

قوله : «ويسلكون معى بثياب بيضاء لأنهم يستحقون» ، هذا السلوك هو إخبار عن صحبتهم للحمل ومسيرهم معه حيث سلك ، وذلك إنما يكون فى القيامة الأولى ، وإلا فأجسادهم لم تقم إلى الآن . **والثياب البيضاء** هنا رمز على العفة وشرفها من جهة أن البياض لون صاف شبيه بالنور ويؤثر فيه أيسر دنس ، ويتميّز لأن الثياب البيضاء جاءت فى الجَلَيان[١] رمز على معنيين ، **الأول** : بكورية العفة ، بدليل قوله : «الذين لم ينجسوا لباسهم مع امرأة ويسلكون معى بثياب بيضاء» . **والثانى** : رمز على المديح والشكر والنعمة والبهجة الإلهية . وفى هذا القسم طبقات بحسب طبقات قابلية ، لأن الكتاب يقول : «المنازل فى بيت أبى كثيرة»[٢] . وقد ورد الجَلَيان على أربع طبقات :

الأولى : طبقة بكورية العفة ، بدليل قوله : «من يغلب هكذا أنا ألبسه ثيابا بيضاء» .

الثانية : طبقة النبوة ، بدليل قوله فى الفصل الخامس [فص ١٩] عن الأربعة والعشرين المشائخ إنهم : «متدرعون[٣] بثياب بيضاء[٤]» لا يقال إن ذلك لهم من قِبَل عفتهم لأن فيهم المتزوجين كموسى وداود وغيرهما .

---

(١) الكشف ، الوضوح .

(٢) يو ١٤ : ٢

(٣) لابسون ، متمنطقون .

(٤) رؤ ٤ : ٤

الثالثة : طبقة الشهداء ، بدليل قوله : «فأعطى للواحد منهم حُلة بيضاء»[١] .

الرابعة : طبقة أهل المضايق والشدائد ، بدليل قوله : «هؤلاء هم الآتون من المضايق الشديدة فابيضت حُللهم وزهت بدم الحمل»[٢] .

وسيد الكل له المجد ، وإن كان مبدأ كل فضيلة ، فله هذه المراتب الثلاث : أعنى العفة فكرا وحسا ، والمُلك ، ومقاساة الشدائد . وعندما تجلّى على جبل ثابور[٣] ، شوهد بلباس أبيض : «تقىٍ لامعٍ كالبرق والثلج[٤] لا يقدر على مثله مبيّض على الأرض» ، وهذا الرسول البتول ممن شاهد وشهد فى هذه الرؤيا .

قوله : وهم **يستحقون** ، أى يستحقون هذه المنزلة بهذه المزية لاستعدادهم لشرفها ، لأنهم جاهدوا جواذب[٥] الطبيعة ، فكانوا فى أجسادهم على الأرض كالملائكة فى السماء ، وحق لهم الظفر والغلبة ، ورفع علامته التى هى البياض ، فلذلك قوله : « **ومن يغلب هكذا ألبسه ثيابا بيضاء**» . على أن البياض أيضا شعار الصابرين على المضايق كالشهداء والمعترفين وأمثالهم كما سيأتى فى مكانه .

قوله : «ولا أمحو أسماءهم من سفر الحياة» ، يظهر أن ما يدل عليه هذا السفر أخص مما يدل عليه السفر الذى سيأتى ذكره ، ولذلك خصص بإضافته إلى الحياة ، لأن هذا رمز على من ثبت فى العالم الإلهى من الأبرار

(١) رؤ ٦ : ١١ (٢) رؤ ٧ : ١٤

(٣) ويقال له «ثيبر» وهو جبل وفيه ورد .

(٤) مت ١٧ : ١ - ٨ ؛ مر ٩ : ٢ - ٨ ؛ لو ٩ : ٢٨ - ٣٢

(٥) جمع جاذب ، سالب ، آخذه إليه .

خاصة . وقد أومأ إليه لوقا الإنجيلى فى بشارته لما عاد السبعون من بعثة سيدنا اثنين اثنين وفرحوا بطاعة الأرواح لهم ، فقال لهم : «افرحوا بأن أسماءكم مكتوبة فى السموات»[1] ، أى من جملة الفائزين . وأما كونه لا يمحو أسماءهم ، فإن العلم الإلهى كاشف لما تكون عليه آخرة كل إنسان من خير أو شر . وما ثبت فى العلم الإلهى لا يجوز أن يخالف ما الأمر عليه . فآخرة هؤلاء لا يجوز أن تكون صالحة إلا صالحة وهم فائزون . فطوبى لمن ثبت اسمه فى هذا المحل .

قوله : «وأظهِر ظهورا أسماءهم أمام أبى وأمام ملائكته» . أراد المصدر مع فعله للتأكيد ، ومعلوم أيضا أن أسماءهم ظاهرة لله وملائكته ، فما الفائدة فى إظهار ظاهر ؟ والمراد بذلك أنهم لا يُعرَض عنهم كالمطروحين ، بل تذاع أسماؤهم ويُذكَرون للدلالة على الإقبال عليهم والرضى عنهم ، فإن ذلك من جملة النعم . وقوله : «من له أذنان أن يسمع فليسمع» وبقية الفص ، قد مضى تفسيره .

واعلم أن ما كتب به هنا لرئيس سرديس ، وما كتب به لرئيس أفسس ، بينهما أشباه ونظائر ، لأنه قال هناك : «هذا ما يقول الذى فى يده اليمنى السبعة النجوم» ، وقال هنا : «هذا ما يقوله الذى معه سبعة أرواح الله وسبعة النجوم» . وقال هناك : «إنى عارف بأعمالك» ، وقال هنا : «إنى عارف أعمالك» . وقال هناك : «أن المحبة فى الأول تركتها عنك» ، وقال هنا : «لم أجد إيمانك وأعمالك كاملة عند إلهى» . وقال هناك : «فاذكر كيف سقطت وتب لئلا آتى إليك» ، وقال هنا : «فاذكر كيف قبلت وضللت واحفظ وتب وإذا لم تتب ولم تحترس أنا آتى» .

(١) لو . ١٠ : ٢٠ .

١٦- (٧) واكتب إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا هذا ما يقوله القدوس الحق الذى بيده مفاتيح بيت داود الذى يفتح فلا يغلق أحد وإذا أغلق فليس يقدر أحد أن يفتح (٨) أنا أعرف أعمالك وإيمانك هوذا جعلت أمامك بابا مفتوحا ولا استطاعة لأحد أن يغلقه لأن لك قوة يسيرة وحفظت قولى ولم تجحد اسمى (٩) هوذا أعطيك من جماعة الشيطان الذين يقولون إنهم يهود وليسوا هم قوم ولكنهم يقولون الكذب وهوذا أجعلهم يأتون ويسجدون لك وينطرحون أمام رجليك ويعلمون جميعهم أنى أنا أحببتك (١٠) وأنت حفظت قولى وصبرى ومن أجل هذا أنا أيضا أحفظك من التجربة الآتية على الخلق كلها لتجرّب كل من على الأرض (١١) وأنا آتى سريعا فتمسّك بالذى معك كى لا يأخذ أحد إكليلك (١٢) من يغلب أضعه عمودا فى بيت إلهى ولا يخرج بعد وأكتب اسم إلهى عليه واسم المدينة الجديدة التى لأبى أورشليم النازلة من السماء من قِبَل إلهى واسمى الجديد (١٣) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

قوله : «اكتب إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا[١]» ، مدينة سميت باسم من أنشأها وهو أتالوس فيلودلفوس أى محب الأخت . وهى لفظة يونانية تفسيرها : «فيلو» محب ، و «دلفيا» الأخت ، لأن فى آخرها علامة التأنيث .

(١) Φιλαδελφία فيلادلفيا أو فيلودلفيا مدينة واقعة فى تخوم ليدية وفريجية بآسيا الصغرى ، تبعد نحو ٢٥ ميلا إلى الجنوب الشرقى من ساردس ، بناها أتالوس فيلودلفوس ملك برغامس الذى مات سنة ١٣٨ ق. م. ، واسمها الآن باللغة التركية «الله شهر» ، أى [مدينة الله] .

قوله : «هذا ما يقوله القدوس الحق الذى بيده مفاتيح بيت داود» ، القدوس والحق من الأوصاف الإلهية ، وعدل عن صيغة اسم الفاعل إلى المصدر للمبالغة ، كما يقول فى عادل عدل . وليتميز بذلك عن أوصاف البشر .

والمفاتيح يريد بها الحكم النافذ ، لأن طاعة المأمور للآمر كطاعة القفل للمفتاح ، وهو على سبيل المحاكاة[1] والتمثيل المُفهم للسمع . ويريد **ببيت داود** مُلمه على يهوذا وإسرائيل . وحسنٌ فى التمثيل إنه لما ذكر مفاتيح ذكر بيتا ، وهذا المعنى إنما يصح أن يُفهم من ناسوته المعظم . وهو ، وإن كان ملك السماء والأرض ، فإن وعد الله لبنى إسرائيل بالمنتظر على ألسن أنبيائه إنما كان هكذا ، وكذلك قال جبرائيل الملاك لسيدة نساء العالمين مريم البتول : «ويجلس على كرسى داود أبيه»[2] ، وإن كان ليس أب البشر : فالنسبة الناسوتية له من الأمم تنتهى إلى داود ثم يهوذا .

قوله : «الذى يفتح فلا يغلق أحد وإذا أغلِق فليس يقدر أحد أن يفتح» ، يريد بالفتح والغلق تنفيذ أحكامه بالحياة والموت ، والإسعاد والإشقاء ، والدينونة والمغفرة ، والعطاء والمنع ، إلى أمثال ذلك من مصادر القوة العالية . كما ذُكر فى بشارة هذا الرسول : «بل أعطى الحكم كله للابن»[3] ، وقال هو [المسيح] عن نفسه : «أعطيتُ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض»[4] ، ولا مانع إذا أعطى ولا معطٍ إذا منع .

وأما قوله : «أنا أعرف أعمالك وإيمانك» ، قد مضى تفسير مثله .

(١) المشابهة ، المماثلة .
(٢) لو ١ : ٣٢
(٣) يو ٥ : ٢٢
(٤) مت ٢٨ : ١٨

قوله : «هوذا جعلت أمامك بابا مفتوحا ولا استطاعة لأحد أن يغلقه» ، يريد بهذا الباب الاستعداد والقبول منه ، بدليل قول بولس الرسول : «قد انفتح لى باب عظيم فى البشرى»[١] ، أى استعداد قوم يدخلون الإيمان . هكذا هذا الرئيس جعل له أن يدعو أرباب البدع الذين بمدينته لطاعته والخضوع له . وأما كون لا استطاعة لأحد أن يغلقه ، فهو أن أحدا لا يقدر أن يجرفهم[٢] عن طاعته ، فذلك قوله عن جماعة الشيطان «هوذا أجعلهم يأتون ويسجدون لك وينطرحون أمام رجليك» .

وقوله : «لأن لك قوة يسيرة وحفظت قولى ولم تجحد اسمى» ، القوة التى له هى المحافظة على الإيمان ، وإنه لا يجحد . وكونها **يسيرة** هو أنه لم تطل مدة عقابه ولا كثرت آلامه بحيث يعدم صبره ويعز جَلَدَه[٣] بل نال الشهادة مناجزة[٤] مساهلة ، بدليل قوله : «فتمسّك بالذى معك كى لا يأخذ أحد إكليلك» . قوله « **وحفظت قولى** » ، يريد بذلك حفظه الوصايا بالإجهاد فى العبادة ومثابرته[٥] عليها .

أما قوله : «هوذا أعطيك من جماعة الشيطان الذين يقولون إنهم يهود وليسوا هم قوم ولكنهم يقولون الكذب» ، جماعة الشيطان كل من خرج من الحق ، ومن جملتهم هؤلاء القائلون **إنهم يهود وليسوا هم قوم ولكنهم يقولون الكذب** . وقد فسّرنا هذا النص بعينه فى ما كتب به إلى كنيسة اسمرنا . وقوله : «وهوذا أجعلهم يأتون ويسجدون لك وينطرحون أمام رجليك» ،

(١) ١ كو ١٦ : ٩

(٢) يغيّر الشيء عن موضعه .

(٣) التحمل ، الشدة ، القوة .

(٤) مبارزة ، مقاتلة .

(٥) مواظبته ، استمراره .

إتيانهم إليه هو طاعتهم له وهى الموهبة الأولى . **وسجودهم له وانطراحهم أمام رجليه** هو خضوعهم له ، وهو الموهبة الثانية . وقوله : «ويعلمون جميعهم أنى أنا أحببتك وأنت حفظت قولى وصبرى» ، أما علمهم بأن سيدنا له المجد أحب هذا الرئيس فهى الموهبة الثالثة . **وحفظ قوله** قد بُيّن ، وأما إضافة **الصبر** إلى سيد الكل ، فإن الشىء قد يضاف تارة إلى فاعله كقولك : هذا السيف صنعتى ، وتارة إلى مفعوله كقولك للمجروح : هذا جرحك ، والمراد هنا بقوله **وصبرى** إضافة الشىء إلى مفعوله ، فيكون تقدير القول : يعلم جميعهم أنى أحببتك وأنك حفظت قولى وثبتّ على اسمى .

قوله : «من أجل هذا أنا أيضا أحفظك من التجربة الآتية على الخلق كلها لتجرّب كل من على الأرض» ، أى ومن أجل حفظ وصاياى **أنا أحفظك من التجربة الآتية** ، والتجربة النازلة بالخلق أجمع هيجان الملوك الكفار فى تلك الأيام بتحريك من الشيطان على جميع المؤمنين ، وعقابهم لهم بأنواع تفوق الحصر بالنار ، والسلخ ، والغليان فى الزيت والقطران ، وتقطيع الأعضاء إربا إربا[1] ، وتسريح الجسم بأمشاط الحديد ، وعصر الهنبازين ، وإراقة[2] الخل والجير على الجراحات ، والنشر بالمنشار ، والصلب بالتسمير ، والإلقاء إلى الأسد والحيات ، وإلى غير ذلك ، والقتل بالسيف أخيرا . ولذلك سُطّر من التواريخ آخر قوانين الرسل ما نُسْخته : «لما فرغ الحواريون من وضع السنن الجديدة ، وكثر المؤمنون على الأرض ، فكان الملوك - بحيَل الشيطان - كفارا ، فأسرعوا لقتل المؤمنين وتعذيبهم ليسجدوا للأصنام . وكان فى ضيق وشدة وقهر يشغل عن وضع سنن أخرى نحو ثلاثمائة وست وخمسين سنة إلى قرب مُلك قسطنطين الكبير . وإذا نال إنسان إكليل الشهادة معجلا من غير عذاب يطول فيه أمره ويعدم صبره ، فلا شك أن هذا حفظ وعناية . »

(١) قطعا صغيرة . (٢) صب .

وقوله : «وأنا آتى سريعا» ، هذا الإتيان إشارة إلى انتقال هذا الرئيس بالشهادة ، ولهذا تلاه بقوله : «فتمسّك بالذى معك كى لا يأخذ أحد إكليلك» .

قوله : «من يغلب أضعه عمودا فى بيت إلهى ولا يخرج بعد» ، قد فسّرنا الغلب ما هو ، **والعمود** يريد بها الثبات بدليل قوله **ولا يخرج بعد** ، وقول الرسول بولس أيضا : «فلنعلم كيف يجب أن يكون فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عمودا وثباتا للحق»(١) . ويريد **ببيت إلهه** أورشليم السمائية ، وبقوله **لا يخرج بعد** ، أى لا ينتهى هذا الخلود فى النعيم ولا انقضاء له ، بل يكون أبدا سرمديا . وقوله : «وأكتب اسم إلهى عليه واسم المدينة الجديدة التى لأبى أورشليم النازلة من السماء من قِبَل إلهى واسمى الجديد» ، قد عرفتَ أن الاسم تارة يراد به مجرد الاسم كما قال : «فص وعليه اسم مكتوب»(٢) ، وتارة يراد به المسمى كقوله : «لكن لى عندك أسماء قلائل»(٣) أى أشخاص قلائل . وكما قال الإبركسيس : «وفى هذه الأيام قام بطرس فى وسط الإخوة ، وكانوا كثيرا مجتمعين هنا وهنا يكونون قدر مائة وعشرين اسما»(٤) ، ومراده أشخاص . وهذه ثلاثة أسماء قد ذكر كتابتها هنا :

الأول قوله : «اسم إلهى» ، وأظن هذا الاسم هو الذى قيل فى الفصل العشرين [فص ٣ . ١] عن الأمين الصادق إن «على رأسه أكاليل كثيرة»(٥) . وهناك اسم مكتوب لا استطاعة لأحد أن يعلمه إلا هو وحده ، فمحاولة معرفة هذا الاسم بعد هذا القول جهالة ، لأنه من الأسرار المكنونة الغوامض المصونة عن

(١) ١ تى ٣ : ١٥
(٢) رؤ ٢ : ١٧
(٣) رؤ ٣ : ٤
(٤) أع ١ : ١٥
(٥) رؤ ١٩ : ١٢

البشر وغيرهم . ولعل فى معرفة هذا الاسم الأعظم أو التلفظ به تأثير ، ولذلك أخفى وكُتم ، لأن فى أسماء الله تعالى الواردة فى الكتب العتيقة والحديثة[١] أسماء لا تُذكر فى كل وقت ولا كيف اتّفق ، بل فى أعياد كبار وأوقات مخصوصة ، كالاسم العبرانى الذى على أربعة أحرف ، والاسم الذى على ستة أحرف ، وأسماء أخرى تجرى هذا المجرى : فيكون هذا الاسم المكتوب أعظمها ، وهذا ما يكمن قوله فيه . وقد ذُكر فى كتاب قصص الرسل مما يناسب هذا المعنى «إنهم كانوا يعملون العجائب بالاسم» ، وكقول بطرس الرسول للمفلوج المجتدى[٢] منه : «الذى لى أنا أعطيه لك باسم يسوع الناصرى قم»[٣] .

والثانى قوله : «اسم إلهى عليه واسم المدينة الجديدة التى لأبى أورشليم النازلة من السماء من قبَل إلهى» ، إن كانت إشارته **بهذا الاسم** إلى لفظة أورشليم **فهو ظاهر** ، وإن كانت الإشارة به إلى **أسماء أخر** لهذه المدينة **فهو مكتوم** ، ولعله الذى قال عنه أولا : إنه مكتوب على الفص ، والله أعلم باليقين فى ذلك . والكلام فى المدينة النازلة من السماء سيأتى فى مكانه بمشيئة الله تعالى .

والثالث قوله : «واسمى الجديد» ، وهذا الاسم هو المذكور فى الفصل العشرين [فص ٣ . ١] المقول فيه عن سيد الكل : «واسم مكتوب على ثوبه وفخذه ملك الملوك ورب الأرباب»[٤] ، فهذا هو اسمه الجديد . أما الكتابة فى قوله : «وأكتب اسم إلهى عليه» فإن كيفيتها مشكلة مستبعدة إن كان اللفظ على ظاهره ، لأنها تكون من باب الوسم[٥] والعلامة ، والأقرب أن يكون مراده بالكتابة التعريف ، ومثال ذلك : أنك إذا عرفت من شخص أنه ابن فلان وأخو فلان ونسيب فلان ، فإن هذه ثلاثة تعريفات دلّت على ثلاثة معانٍ ملحقة

(١) العهد القديم والعهد الجديد .
(٢) الطالب ، السائل .
(٣) أع ٣ : ٦
(٤) رؤ ١٩ : ١٦
(٥) العلامة ، أثر الكى .

وتختص به ، وتدركها أنت منه وتعرفها كما تعرف من المكتوب ما يدل عليه ، والكتابة هى المعرفة بذلك . فيكون تقرير هذا الفص بهذا الاعتبار على هذه الصورة : من يغلب آخذه إلى الملكوت ، ويعرف أنه له نسبة اختصاص إلى إلهى وإلىّ ، وأنه من أهل الملكوت . وأما الترتيب فى ذكر هذه الأسماء الثلاثة فإنه بدأ باسم الإله لشرفه ، وختم باسم سيدنا لأنه آخر ما يُسمع ويبقى فى الذهن ؛ فتعيّن أن يكون اسم المدينة وسطا .. وبقية الفص قد مضى تفسير مثله .

☩ ☩ ☩

١٧- (١٤) واكتب إلى ملاك كنيسة اللاذقية هذا ما يقوله الحق الشهيد الأمين والحقيقى رأس خليقة الله (١٥) أعرف أعمالك وأنك لست كثيفا ولا لطيفا فإن كنت أنت ماء باردا أولا حارا (١٦) فكن هكذا ماء فاترا لا أنت ماء سخن ولا أنت ماء بارد لئلا أقطعك من طرفك (١٧) لأنك تقول إنى أنا غنى ولست أحتاج إلى أخذ شىء وما تعلم أنك أنت ضعيف وشقى وأنت متصدق ومسكين أعمى عريان (١٨) وأشير عليك أن تبتاع ذهبا منى مسبوكا بالنار لتستغنى وثيابا زاهية ألبسك لئلا تظهر فضيحة عريك وذرورا أجعله فى عينيك لتبصر ظاهرا (١٩) لأنى أنا الذين أحبهم أؤدبهم وأعلمهم فغر فى الخير وتب (٢٠) لأنى هوذا واقف على الباب وأقرع فمن يسمع ويفتح الباب لى أدخل معه وآكل معه وهو معى (٢١) من يغلب أنا أمنحه أن يجلس معى على كرسى كمثلى لما غلبت جلست مع أبى على كرسيه (٢٢) من له أذنان أن يسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

قوله : «اكتب إلى ملاك كنيسة اللاذقية»(١) معلوم أن ملاكها رئيسها والمدينة مشهورة .

قوله : «هذا ما يقوله الق الشهيد الأمين والحقيقى» ، **الحق** صفة لسيدنا بما هو إله ، وقد ذكرنا علة الوصف بالمصدر دون اسم الفاعل . **والشهيد الأمين** وصف له بما هو إنسان : أما شهيد ، فلأنه قُتل صلبا بالجسد من أجل دعوة الخلق لمعرفة الحق ، وأما أمين ، فلأنه لم يَملْ ولم ينحـرف عن الصواب فى قوله ، ولا عن الفضـل فى فعله ، ولم يحد عن المجموع فى تعليمه . وفى هذا أدى الأمانة كاستحقاقها . ولهذا قال بعد ذلك : «والحقيقى» ، فنسبته إلى الحق لتأكيد هذه المعانى المشار إليها .

قوله : «رأس خليقة الله» ، يريد بالرأس الرئيس الحاكم ، وهى لغة معروفة مستفاضة فى الشريعة ، أعنى تسمية سيدنا بالرأس . وأصل ذلك التشبيه والتمثيل أن للرأس الرئاسة والاستيلاء على بقية البدن ، ولذلك جعل محلها فى أعـلاه مشرفة عليه . وفى ذلك يقول بولس الرسول : «وجعله رأسـا

(١) λαοδικια لاودكية فى الأناضول من بلاد آسيا الصغرى ، تبعد نحو ٤٠ ميلا إلى الشرق من أفَسُس و ١٢ ميلا من كولوسى [الكائنة على نهر ليكوس] . ويقال إن القديس بولس الرسول قد كتب رسالة إلى مدينة لاودكية هذه ، إذ جاء فى رسالته إلى مدينة كولوسى ما نصّه : «ومتى قُرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تُقرأ أيضا فى كنيسة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها أنتم أيضا» (كو ٤ : ١٦) .

ولاودكية هذه كانت عاصمة فريجيا الكبرى ، وكانت تسمى أولا ديوسپوليس ، فجدد أبنيتها وزيّنها أنطيخوس اسطراطونيخوس وأطلق عليها اسم امرأته لاودكية ، وهى كلمة يونانية معناها [حكم الشعوب] ، وقد خربتها الزلازل ، ولا تزال بها بعض آثار هياكلها ومراسمها ، واسمها الآن باللغة التركية «اسكى حصار» .

(٢) أفسس ١ : ٢٢

للبيعة التى هى جسده » ، وفى الفصل التاسع من رسالته إلى أهل كولوسى[١] : «كما أن المسيح رأس الكنيسة وفيه وهو رأس جميع الرؤساء والمسلطين» ، وفى الفصل السادس عشر منها[٢] : «وتفتخر باطلا ولا تتمسك بالرأس الذى منه جميع تركيب الجسد» . ويريد **بخليقة الله** المخلوقات السمائية والأرضية ، البسيطة والمركّبة ، لأنه تعالى أخضع له الكل وجعله وارثا للكل وحاملا للكل .

قوله : «أعرف أعمالك وأنت لست كثيفا ولا لطيفا» ، يريد بالأعمال العبادة كما قلنا . ويريد **بالكثيف** الخاطىء ، لأن حد الكثافة الوضيعة أنها قوة طبيعية يتحرك بها الجسم إلى الوسط بالطبع . كذلك الخاطىء ينحط مع جواذب الطبيعة ويرسخ معها إلى أسافل الحضيض[٣] ، كالحجر الذى يطلب مركزه ويهوى إلى أسفل فيكون جثمانيا ؛ فهذا وجه المناسبة من المعنيين . ويريد **باللطيف** الصالح ، وحد اللطافة الوضيعة أنها قوة طبيعية يتحرك بها الجسم عن الوسط بالطبع ، وهكذا الصالح متعال عن أوساخ الطبيعة وجواذب الشهوات ، مترفع عنها ، فيكون روحانيا . فلذلك ليس هو بمغرق فى الإصلاح ولا بمتهافت ساقط فى الشرور ، بل متوسط بين هذين الطرفين . واعلم أن لفظة كثيف وثقيل فى اللغة القبطية واحدة وهى ϩⲟⲣϣ وكذلك لفظة ⲥ̀ϧⲏⲙ تدل بالوضع على السخن وبالاستعارة على اللطيف إطلاقا لاسم الملزوم على اللازم .

قوله : « فإن كنت أنت ماء باردا أولا حارا (١٦) فكن هكذا ماء فاترا لا أنت ماء سخن ولا أنت ماء بارد» ، يريد **بالماء البارد** القليل الغيرة فى الصالحات أو العادم لها ، بدليل قوله بعد ذلك : «فغر فى الخير وتب» . يريد

(١) كو ١ : ١٨ (٢) كو ٢ : ١٩

(٣) القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

بالماء الحار المفرط الغيرة المتهوّرة زيادة عما ينبغى ، ليقابل طبيعتى الحار والبارد مقابلة التضاد . ويريد **بالماء الفاتر** المعتدل بين طرفى الإفراط والتفريط ، فلذلك قال : «لا أنت ماء سخن ولا أنت ماء بارد» لأن أفضل الأمور ذوات الطرفين أوساطها ؛ فكأنه قال : كن غيورا فى مكان الغيرة ، ساكنا فى مكان السكون ، كما أنت فى الأعمال متوسط بين الصلاح والطلاح . وليس الطلاح بطرف للصلاح فيكون التوسط فيه فضيلة ، بل هو مباين له . وقد كان ينبغى خلاف ذلك ، وهو أن تتوغل فى الصلاح وتهمل الطلاح بالكلية ، وتكون فى الغيرة وسطا .

قوله : «لئلا أقطعك من طرفك»[1] ، هذا توعد له إن أصر على أمرين ،

(١) يوجد خلاف هنا فى هذه الفقرة من العدد ١٦ بين النسخة القبطية والنسخ الأخرى ، فالنسخة القبطية تقول : ⲙ̀ⲙⲟⲛ ϯⲛⲁϣⲁⲧⲕ ⲛ̀ϩⲣⲏⲓ ϧⲉⲛ ϩⲑⲏⲓ وترجمتها هكذا : «لئلا أقطعك من طرفك» بفتح الطاء والراء ، أما بقية النسخ فقد اتفقت على هذا الوضع لهذه الفقرة : «فأنا مزمع أن أتقيأك من فمى» ، ففى النسخة المطبوعة باللاتينى والعربى فى روما سنة ١٦٧١ [بأمر المجمع المقدس المتوكل على انتشار الإيمان المسيحى] هكذا : «Nec calidus incipiam» [فأبدى أقيك (أتقيأك) من فمى] ، وفى النسخة السبعينية المطبوعة بأثينا سنة ١٨٩٤ ⲙⲉ́ⲗⲗⲱ ⲥⲉ ⲉ̀ⲙⲉⲥⲁⲓ ⲉⲕ ⲧⲟⲩ ⲥⲧⲟⲙⲁⲧⲟⲥ ⲙⲟⲩ ، وفى النسخة المطبوعة بالقبطى واللاتينى سنة ١٦١٧ فى لندن بمعرفة الكنيسة الإنجليكانية ϯⲛⲁϣⲁⲧⲕ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲣⲱⲓ Evomam te ex are meo ، وفى النسخة المطبوعة فى الموصل سنة ١٨٧٦ نقلا عن النسخة السريانية : «فأنا مزمع أن أتقيأك من فمى» ، ومثل هذا القول فى طبعة اليسوعيين والروم الأرثوذكس والپروتستانت . ومن هذا نرى أن الإجماع هو فى قوله : «فأنا مزمع أن أتقيأك من فمى» ، ولا ندرى العلة التى جعلت النسخة القبطية تنفرد بهذا القول : «لئلا أقطعك من طرفك» ، مع أن الترجمة الصعيدية توافق إجماع النسخ السالفة وتختلف مع هذه ، فإنها تقول : ϯⲛⲁⲕⲁⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲛ̄ ⲧⲁⲧⲁⲡⲣⲟ «مزمع أن أتقيأك من فمى» . =

أحدهما : الميل إلى بعض الشرور ، والثانى : قلة الغيرة فى الخير . ومراده بالطرف العنق أو الرأس لأن لفظة ϩⲑⲎⲔ مشتركة فى اللغة القبطية بين الطرف

= أوردنا هنا ما ورد فى مختلف هذه النسخ ، لأننا لم نستطع تغيير الآية كما هى عليه فى الإجماع ، لأن المفسر القبطى ، اعتمادا على النسخة القبطة والترجمة العربية التى أمامه ، ذهب يشرح معنى كلمة [طرف] كما هو واضح بعاليه ، بخلاف الترجمات الأخرى التى ذهبت تفسّر [أتقيأك من فمى] بأنه كما أن المعدة لا تحتمل ولا تهضم الشيء الفاتر حيث يحصل لها منه غثيان ، فإنها ترده من حيث أتى . هكذا أ الله تعالى يرفض الفاترين فى عبادتهم ولا يقبلهم [العنوان العجيب ، ص ١٦٧ و ١٦٨ ، وكفاية اللبيب ، ص ٣٥] .

هـذا ، ولنعد إلى النص القبطى وترجمته العربيـة التى اعتمد عليها مفسرنا ابن كاتب قيصر ، فنقول : إن هذا العلامة كان ملما باللغة القبطية إلماما تاما ، بل إنه قد وضع فيها مقدمة تعتبر حجة . ولنكتب النص ثم نُرجع كلماته إلى عناصرها الأولى ، عسانا نصل إلى حقيقة ما يقصد المترجم القديم :

أقطعك من طرفك ϯⲚⲀϢⲀⲦⲔ Ⲛ̀ϨⲢⲎⲒ ϦⲈⲚ ϨⲐⲎⲒ أولا ϢⲀⲦ بمعنى قطع ، وقد جاءت فى ٢ بط ٢ : ٢٢ ϢⲒϯ بمعنى [تقيأ] ، فإذا أخذنا كلمة ϯⲚⲀϢⲀⲦⲔ نجدها مركبة من ϯ ضمير المتكلم و ⲚⲀ للمستقبل و ϢⲒϯ من ϢⲀⲦ بمعنى تقيأ ، وإذا وضعنا حرف المخاطب Ⲕ بعد Ⲧ بدل ϯ فى ϢⲒϯ فيكون المعنى الكامل ϯⲚⲀϢⲀⲦⲔ سأتقيأك ، وهو المراد . بقيت ϨⲐⲎ الترجمة [طرف] قلت وقد جاءت فى لو ١٦ : ٢٤ بمعنى طرف الأصبع ، وفى مت ٢١ : ٢٩ و٣٢ ؛ رو ١١ : ٢٩ ؛ ٢ كو ٧ : ٨ و ١٠ ؛ عب ٧ : ٢١ بمعنى ندم وترجمتها الحرفية [أكل قلبه] ، إذن فمعنى ϨⲐⲎⲒ طرف وقلب . وعلى ذلك تكون الترجمة هكذا «لئلا أتقيأك من قلبى» . ويلاحظ القارىء أن المفسر قد تكلم عن القلب وأنه وسط كل شيء ، وعلى ذلك تكون عبارة ϯⲚⲀϢⲀⲦⲔ Ⲛ̀ϨⲢⲎⲒ ϦⲈⲚ ϨⲐⲎⲒ تترجم هكذا «لئلاأقطعك من طرفك ولئلا أتقيأك من قلبى» .

والقلب ، لأنها جاءت فى مَثَل الغنى والعازر بمعنى طرف ، إذ قال : «يبل طرف أصبعه»[١] ، وجاءت فى مَثَل ولدى صاحب الكرم : أكل قلبه بمعنى ندم[٢] . وقد ترجمها بعض المترجمين فى هذا الموضع : الوسط ، مستعارة من القلب ، لأن قلب كل شىء وسطه ، وهو جائز على بعد ، وترجمتها بالطرف أولى لما قلناه ، ولكون هذا القول فى معرض الوعيد لا يجوز أن يكون رمزا على شهادته .

قوله : «لأنك تقول إنى أنا غنى ولست أحتاج إلى أخذ شىء» ، أى أن هذا الرئيس يقول كذلك فى نفسه عن نفسه . والغِنَى هو الإكثار بقول مطلق ، إما من مال أو علم أو فضيلة علمية . ويقابله الفقر ، وهو عدم توفر هذه أو قلتها . والمراد بالغنى هنا أشياء جزئية خاصة توهم هذا الرئيس إنه غنى بها ، ودلت عليه قرائن يأتى ذكرها وتفصيلها ، وتلك ستة أوصاف فاضلة : **أولها** : غيرة ويقابلها إهمال . **وثانيها** : تواضع ويقابله تَرَفّع . **وثالثها** : صبر ويقابله خور . **ورابعها** : تيقظ عقلى ويقابله تغفل . **وخامسها** : علم ويقابله جهل . **وسادسها** : استعداد للبقاء رالبر ويقابله استعداد الفناء بالشر .

قوله : «وما تعلم أنك أنت ضعيف وشقى وأنت متصدق ومسكين أعمى عريان» ، معانٍ عامة أطلقها باللغة الروحانية على ستة معان خاصة ، دلتنا هذه على تلك الستة الأوصاف الفاضلة المتقدم ذكرها . أما **الضعيف** فوصف يعم الضعيف فى الغيرة وفى غيرها ، وأراد به الضعيف فى الغيرة خاصة ، وهو المهمل ، بدليل قوله بعد ذلك : «فغر فى الخير» . وأما **شقى** وضف يعم شقاوة الترفّع أى الكبرياء وغيره ، وأراد به الترفّع خاصة بدليل قوله : «وتب»

(١) لو ١٦ : ٢٤

(٢) مت ٢١ : ٢٩ و ٣٢

أي عن هذه الخلة الذميمة التى تهدم كل فضيلة . وأما **متصدق** فوصف يعم تصدق المال عن فقر ، والجاه عن ذل ، والصبر عن خور ، وغير ذلك . ومراده الخور خاصة لأن صاحبه يلوذ بمن يراه ، ويستعين به كأنه متصدق منه محتاج إليه ، وإن لم يستفد بذلك شيئا . والصبور ثابت صامت كأنه مستغن بما فيه من جلادة عن المعاضدة بغير الله ؛ ولذلك قال : «وأشير عليك أن تبتاع[١] ذهبا منى مسبوكا بالنار لتستغنى» ، وسنعيد تفسير هذا بعد . وأما **مسكين** فوصف يعم المسكنة فى التيقظ العقلى كأنه عديمه أو مُقِل منه . وهذا هو التغفل لقلة نقاء القلب وكثرة كدره . فأما المتيقظ بعقله فهو متصل بالإلهيات مشاهد كمالها ، وعنه يقول الإنجيل : «طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينـون اللـه»[٢] . وفيما يقول فى الرؤيا : «لأنى هوذا واقف على الباب وأقرع فمن يسمع ويفتح الباب لى أدخل . . وما يلى ذلك» ، فقد توقف الدخول على شرطين : السماع والفتح . **والسماع** هو الطاعة ، **والفتح** هو الاستعداد ، كما مضى تفسيره فيما كتب به إلى ملاك كنيسة فيلودلفيا ، وسنزيد ذلك بيانا فيما يأتى . وأما **أعمى** فوصف عمى البصر وهو معروف ، وعمى البصيرة وهو الجهل . ومراده الثانى بدليل قوله : «وذرورا[٣] أجعله فى عينيك لتبصر ظاهرا» ، وسنذكر تفسير هذا فى مكانه . وأما **عريان** ، فيريد بالعرى جسد الفناء لأن الناس فى الدنيا بحسب أعمالهم على ثلاثة أقسام : **قسم أخيار ، وقسم أشرار ، وقسم ممزوج خيره بشره** . وفى الآخرة يكونون على قسمين لا غير لأن القسم الثالث يميز ، فمن غلب خسره كان من القسم الأول ومن غلب شره كان من القسم الثانى . وإلى هذين القسمين أشار الإنجيل المقدس بقوله : «إن الحاكم يقسم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله ويرسـل أولئك إلى النعيم ويصرف هؤلاء إلى الجحيم»[٤] .

(١) تشترى .
(٢) مت ٥ : ٨
(٣) الذرور هو الكحل .
(٤) مت ٢٥ : ٣٣ - ٤٦

فأصحاب اليمين باستعدادهم تكون أجسادهم روحانية باقية منيرة لا تتألم ولا تقبل الفناء الذى هو الموت الثانى ، فهذا الجسد الشريف سماه بولس جسد البقاء بقوله : «وإذا لبسنا جسد البقاء لا نعرى بعد»[(١)] ، وسماه الجسد الروحانى بقوله : «يموت بجسد جسمانى ويقوم بجسد روحانى»[(٢)] ، وسمت هذه الرؤيا الأجساد من جهة كونها باقية تلبس ثيابا ، ومن جهة شرفها واستضاءتها زاهية ، ولذلك قال : «ثيابا زاهية» . وأصحاب الشمال باستعدادهم تكون أجادهم جسمانية مظلمة قابلة للموت الثانى والآلام الشديدة ، فهذه الأجساد سماها بولس نفسانية وسمتها الرؤيا عريا فى قولها : «كى لا تظهر فضيحة عريك» ، لأن العرى يستلزم الفضيحة ، والخطايا تستلزم الخزى .

قوله : «وأشير عليك أن تبتاع ذهبا منى مسبوكا بالنار لتستغنى» ، أما إشارته عليه فدليل على تفويض الاختيار وعدم الجبر على عدم الخير أو الشر . ولكنه من غير إلزام أشار إشارة مصلحة ، إن قبلها السامه فله ، وإن أباها فعليه . وأما الابتياع فمعاملة ومعاوضة ، إن فعل صالحا جزى خيرا ، وإن فعل طالحا جزى شرا . والذهب يريد به الصبر الجميل والتجلد عند حلول الحوادث والتجارب ، لأن خاصية هذا المعدن الصبر على نيران السبك وفنون الامتحان ، وأما الذى يعطيه قبالته كأنه ثمنا له أو عوضا عنه ، فهو التوكل عليه والتسليم إليه والتصميم على أن لا يخلص سواه . وكونه **مسبوكا بالنار** ، أى مجربا ممتحَنا خالصا لا شبهة فيه . وأما **استغناؤه به** فعن من يتوكل عليه من الرؤساء أو يستعين به من البشر ، وهو قول المزمور : «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بنى البشر»[(٣)] ، وتقدير النص هكذا : أشير عليك أن تتوجه إلىّ ، وتتوكل علِىّ ، فأعطيك صبرا خالصا تخلص به وتستغنى عن أى أحد تحتاج إليه أو تستعين به فى ذلك .

(١) ٢ كو ٥ : ٢ و ٣ (٢) ١ كو ١٥ : ٤٤

(٣) مز ١٤٦ : ٣

قوله : «وثيابا زاهية ألبسك لئلا تظهر فضيحة عريك» ، أما الصياب فقد عرفتَ أنها جسد البقاء ، وأن زهوها هو استضاءتها وشرفها . واللباس والظهور والفضيحة على ظاهرها . والعرى هو جسد الفناء . وتقدير القول : اشتر منى جسدا باقيا مستلزما لسعادة الأبد مضيئا كيلا يظهر خزيك فى موقف الدينونة بجسد الفناء المظلم المستلزم للشقاء .

قوله : «وذرورا أجعله فى عينيك لتبصر ظاهرا» ، يريد بالذرور الاستعداد للكشف ، لأنه كما أن الذرور يجلو البصر للإبصار ، هكذا الاستعداد يجلو البصيرة للكشف . ويريد **بعينيه** بصيرته لا بصره ، ولكنه لما ذكر ذرورا حسن أن يذكر بصرا على سبيل الاستعارة . والدليل على أنه أراد البصيرة لا البصر ، قوله : «لأنى أنا الذين أحبهم أؤدبهم وأعلمهم» ، والعلم يكون بمعنى الكشف لا الإبصار بالحاسة . وأما **الإبصار** فيريد به الإدراك العقلى ، بدليل قول هذا الرسول : فأما من يعمل الشر فإنه لا يرى الله»(١) والله لا يُرى بالحس . ويريد بقوله **ظاهرا** أى صحيحا لا ريب فيه ، ولا هو من تشبيهات الخيال والوهم ؛ فعن هذه احترز بقوله **ظاهرا** قوله : «لأنى أنا الذين أحبهم أؤدبهم وأعلمهم» . **المحبة** على ظاهرها ، وأما **تأديبهم** فبالتجارب ليظهر فيهم جوهر فضيلة الصبر . وأما تعليمهم فبإفاضة الكشف عليهم .

وقوله : «فغر فى الخير وتب» قد مضى تفسيره .

قوله : «لأنى هوذا واقف على الباب وأقرع فمن يسمع ويفتح الباب لى أدخل معه وآكل معه وهو معى» ، **الوقف على الباب** يريد به شدة القرب والدنو ، بدليل قول مرقس الرسول : «فإذا رأيتم هذه الأمور فاعلموا إنه قد قَرُبَ على الأبواب»(٢) . وأما **القرع** فيريد به الإنذار بواسطة رسله وكتبه . وأما **السماع** فيريد الطاعة ، وكثير ما جاء كذلك . وأما **فتح الباب** فهو الاستعداد والتأهيل والقبول .

(١) ٢ يو ١ : ٩ (٢) مر ١٣ : ٢٩

وأما قوله : «أدخل معه» ، فيريد بذلك : أفيض عليه الروح وأضيء عقله . فلذلك قال هذا الرسول فى إنجيله : «ونأتى ونتخذ عنده المنزل»[١] .

وقوله : «وآكل معه وهو معى» ، يريد بالأكل إدراك الإلهيات ونيلها والعلم بها . فإن الجوع والعطش قد جاءا بمعنى الشوق إليها فى قول الرب على لسان عاموس النبى لبنى إسرائيل : «هوذا أيام تأتى يقول السيد الرب أرسل جوعا فى الأرض لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء بل لاستماع كلمات الرب»[٢] . أراد بالشوق التلهف إلى إدراك الإلهيات . وإذا كان الجوع والعطش هما الشوق إليها ، فتبيّن أن الأكل والشرب هو النيل منها . وللشرب والأكل معانٍ أخر غير هذا لا نطيل بذكرها فنخرج عن المقصود .

قوله : «من يغلب أنا أمنحه أن يجلس معى على كرسى» ، الغلب قد تقدم إنه الظهور إلى آخر هذه الحياة فى علم الحق وعمل الخير والصبر على التجارب . **والمنحة** على ظاهرها . **والجلوس** يريد به الكرامة والوقار . وهذا الكرسى الذى يجلس عليه هذا الغالب ، يريد به الرفعة والتمييز الموهوب له من الله تعالى ، وإضافته إلى سيدنا إضافة الملك . وإلى هذا إضافة اختصاص ، بخلاف الكرسى المضاف إلى الآب ، فإنه يريد به الجلالة والعظمة والأبهة والملك وما أشبه ذلك . وإضافته أيضا إضافة ملك قوله : «كمثلى لما غلبت جلست مع أبى على كرسيه» ، هذا مثل القول المتقدم ، وللمماثلة ثلاث جهات : أحدها الغلب ، وثانيها الجلوس ، وثالثها إن الجلوس على كرسى . ويكون تقدير جملة القولين من علم وعمل وصبر إلى المنتهى ممن أنذرتهم فأطاعوا واستعدوا أفضت عليه روح الحكمة والمعرفة ورفعته وأكرمته وميّزته ، كما غلبت أنا فأعطانى أبى الجلالة والعظمة وكل سلطان فى السماء وعلى الأرض . وبقية الفص تقدم تفسير مثله ، وقد كمل بكماله تفسير الرؤيا الأولى .

---

(١) يو ١٤ : ٢٣ (٢) عا ٨ : ١١

الإصحاح الرابع

الفصل الخامس

١٨- (١) وبعد هذا رأيت هوذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى تكلم معى الذى سمعته مثل صوت بوق يتكلم معى قائلا اصعد هنا فأعلمك بما سيكون بعد هذه .

هذه هى الرؤيا الثانية ، وقد جاءت بعد الأولى بقوله : «وبعد هذا رأيت» ، وأما «الباب المفتوح فى السماء» ، فقد ورد فى مواضع كثيرة من الكتب الإلهية ، منها رؤيا يعقوب إسرائيل لما رأى السماء انفتحت قال : «وإن هذا هو باب السماء»[(١)] . ومنها قول حزقيال النبى فى أول رؤياه : «إننى رأيت السماء قد انفتحت»[(٢)] . ومنها ما ذُكر فى ثلاث بشائر من الإنجيل المقدس ، وهى بشارة متى ومرقس ولوقا عند معمودية سيدنا من يوحنا بن زكريا ، إنه لما صعد من الماء انفتحت له السموات . ومنها قول هذا الرسول فى الفصل الثالث من بشارته عن سيدنا : «إنكم ترون أبواب السماء مفتوحة»[(٣)] . وقدماء الفلاسفة ينكرون جواز الخرق والرقع والفتق والرتق على جوهر السماء ، فلا فرق بحسب هذا المعنى بين كونه بابا واحدا أو أبوابا كثيرة أو فى مكان معيّن أو غير معيّن ، ولهم على ذلك أدلة منها : لو قُدّر

(١) تك ٢٨ : ١٧ (٢) حز ١ : ١

(٣) يو ١ : ٥١

أن السماء فُصِلَ جزء منها كما يُفصل من الأرض أو من الماء ، وكان هذا التقدير محالا ، لأن هذا الجزء لا يصح عوده إلى الكل لأن عوده يكون بحركة مستقيمة : والشيء الواحد لا يكون مُبدءا لحركتين ، مستقيمة ومستديرة . ولا يصح سكونه فى موضع غريب ، لأن طبيعته لا تقتضى الكون فيه ؛ ونتج عن ذلك إن السماء يمتنع خرقها ورفعها .

والجواب عن هذا : إن هذا الدليل تضمّن العلة فى امتناع الاتصال بعد الانفصال ، وهو محال ، لأن ما بعد لا يكون علة لما قبل إلا فيما يكون فعله بالرؤية الناظرة فى عواقب الأمور فتقدم بحسبها أو تحجم .

وما جاء فى المقدمة الأولى من أن الشىء الواحد لا يكون مُبدءا لحركتين ليس بصحيح ، لوجود ذلك فى العناصر . ومنها إن السماء إذا انخرقت ، فإما أن تبقى على حالها أو تتحرك إلى الالتحام والالتئام ، وكلاهما محال لأنه بحركة مستقيمة . أما فى الجزء الذى انفصل ، فبالقسر[١] . وأما فى الجزء المنخرق ، فإن حركته إلى الالتئام تكون بطبيعته ، فالخرق محال .

والجواب : إن هذا أيضا لا يُقبَل ، لأن صورة الفلك التى تقتضى مقداره وشكله الكروى [٢] وحركته الدورية تقتضى أيضا التئامه ، وتمنعها حركته لذلك وسائر أحواله . ومنها إن السماء لا تنخرق إذ لا خارق لها لأن العناصر لا يمكن أن تصل إليها فتخرقها ، ولا وراءها شىء ينزل إليها فيخرقها .

والجواب : إن المراد ليس وجود خارق لها ، بل هل تقبل فى نفسها الخرق أم لا ؟ فإنّا يكفينا إنه لا مانع لها فى ذاتها من ذلك ، سواء وُجد خارق أو لم يوجد .

---

(١) بالرغم ، حتفا عنه ، عنوة ، غصبا .

(٢) هو ما كان على شكل كرة أو كورة ، مدوّر كالبرتقالة .

وأما قولهم إنه لا يوجد خارق لها ، فلِمَ لا يجوز خرق الكواكب لها كخرق شعلة النار فى الهواء ؟ ولكنهم ، لأجل عدم الخرق عندهم ، امتنعوا عن القول بحركة الكواكب فى أفلاكها ، وقالوا بحركة أفلاكها لها . وتكلّفوا فى ذلك تخمينا بقبولها الخرق ، لأن الجسم لا يمتنع من الخرق إلا لصلابته بالنسبة إلى خارقه . والشفّاف[1] البالغ لا صلابة فيه من حيث هو كذلك قياسا على ما رأينا . فأما المها والبلّور وما أشبههما فإنما نبعت الصلابة مما فيهما من كثافة أرضية بدليل ثقلهما . ولما كان الهواء لا كثافة فيه ، لم يكن صلبا ، وكان إشفافه أبلغ ، لكن إشفاف السماء أبلغ إلى الغاية القصوى ، لأنها لا تُحجب عن أبعد بُعد . ولعل كواكبها هى الصلبة لكونها مستنيرة السطوح عن ذاتها وعما يقابلها ، وهى غير مُشفّة . فقد بان بأن الخرق فى السماء لم يقم على امتناعه دليل ، وبذلك صدق الوحى .

وإنما أردنا بيان هذا الجواز وعدم الامتناع فى الوجود الخارجى ليصح صعود أخنوخ وإيليا بجسديهما ونزولهما . ولا يقال : لِمَ لا يجوز أن يكون جسديهما قد صارا روحانيين فينفذان فى الجسم ولا يحتاجان إلى خرق لنفاذهما ؟ لكننا نقول : لو كان جسديهما قد تروحنا ، لما كانا يقبلان الموت الطبيعى عند نزولهما مستأنفا . فأما العقول المجردة والنفوس والأجسام الروحانية ، فلا تمانعها الأجسام ولا تعوقها عن النفاذ والسلوك .

وأما الرؤيا ، فيجوز فيها ما لعله يمتنع فى الخارج لكونها رؤيا . ولأن حلها الرمز بالتشبيه والتمثيل . فإذا عرفتَ ذلك ، فالرمز هنا **بالباب المفتوح فى السماء** على المكان الذى كشف عن بصيرته فأدرك منه ما أدرك فى السماء ، لأن الباب فى الشاهد منفذ للمشاهدة والعبور .

(١) المبيّن ، المُظهر ما وراء الشىء .

(٢) أو مهو ، بلّورة ، لؤة ، برد ، حصى أبيض .

قوله : «والصوت الأول الذى تكلم معى الذى سمعته مثل صوت بوق يتكلم معى قائلا اصعد هنا فأعلمك بما سيكون بعد هذه» ، **الصوت الأول** هو الذى ذكر أولا إنه سمعه خلفه صوتا عظيما مثل بوق . وقد علمتَ كمية هذا التأكيد بالتكرار . وقوله : **اصعد هنا** ، أى إلى السماء ، والصعود غير جسمانى .

✠ ✝ ✠

١٩- (٢) فصرت بالروح ورأيت وإذا عرش هو فى السماء (٣) والجالس على العرش كان نور يَصْب وياقوت والشفق محدق بالعرش وهو نور زبرجد (٤) وهناك أربعة وعشرون كرسيا كائنون حول العرش وأربعة وعشرون شيخا جالسون على الكراسى متدرعون بثياب بيضاء وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب (٥) وكان ينبثق من العرش بروق وأصوات ورعود وسبعة مصابيح نار محدقة بالعرش وهى سبعة أرواح الله (٦) وكان أمام عرش الله مثل بحر من زجاج وهو جليد وفى وسط العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونا من أمام ومن خلف .

قوله : « فصرت بالروح» ، وهذه الرؤيا أجلى من قول بولس الرسول : «أعرف إنسانا خُطف إلى السماء الثالثة ، ولا أدرى أكان ذلك بالروح أم بالجسد»[١] لأنه - يوحنا - هنا بيّن إنه بالروح . أما إشارته أن يعلمه بما يكون بعد هذه ، أى بعد هذه الأمور ، المتلوّة فى الرؤيا الأولى ، وفى قوله **بما يكون** ، دليل ثالث على أنه يخبر بالمزمعات لا بالماضيات . وما بقى من الفص فهو بَيّنٌ بنفسه .

(١) ٢ كو ١٢ : ٢

قوله : «وإذا عرش هو فى السماء» ، لفظة العرش ترادف لفظ الكرسى لغةً ومعناهما واحد . لكن العُرف كثير ما يخص لفظ العرش بالإله تعالى ذكره ، ولفظ الكرسى لعظماء الناس ، وقد يعم الجهتين معا ، وقد يُستعمل هذا مكان هذا كعرش بلقيس وغيره ، والمنبر كذلك .

وقد ورد ذكر عرش وكرسى الله تعالى فى مواضع كثيرة من الكتب الإلهية ، ففى المزمور يقول : «كرسيك يا الله إلى أبد الأبد»(١) . وأشعياء قال : «رأيت الرب جالسا على كرسى عالٍ»(٢) . وموسى فى موقف سيناء قال : «وتحت قدميه شبه لِبْنَة(٣) من حجر السنفير وكرونق أديم فى السماء فى النقاء»(٤) ، وأراد باللبنة الكرسى ، فوافق فى اللون وخالف فى الصورة . ودانيال قال : «كرسيه كشبه لهب نار»(٥) ، وهذا هو الشفق(٦) المحيط بالكرسى . وأما يعقوب إسرائيل فرأى سلما منصوبا على الأرض وطرفه لاحق بالسماء والرب واقف فوقه(٧) ، ويراد إنه كرسى بدَرَجٍ كالمنبر . وحزقيال قال : «كشبه كرسى» فأحسن العبارة ، ثم قال : «ومثل منظر النار من داخل محيط به»(٨) ، وهو الشفق الذى ذُكر ، وقد بيّنا المراد به قبل هذا إنه قد يُستعمل لغةً على وضعه ، وقد يُستعمل باللغة الروحانية إما بالإضافة إلى الآب والابن ، ويراد به الجلالة والأبهة والعظمة والملك وما يجرى مجرى ذلك ، وإما بالإضافة إلى نبى أو رسول أو غيرهما من الأبرار ، ويراد به الرفعة والكرامة المعطاة من الله سبحانه وتعالى .

---

(١) مز ٥ : ٤٦ (٢) أش ٦ : ١

(٣) طوبة ، طينة . (٤) خر ٤ : ١٠

(٥) دا ٧ : ٩ (٦) الحُمرة فى الأفق من الغروب إلى العشاء ، بقية ضوء الشمس .

(٧) تك ٢٨ : ١٢ و ١٣ (٨) حز ١ : ٢٦ و ٢٧

وذهب بعض قدماء حكماء العبرانيين إلى أن العرض هو الفلك الأطلس ، فقالوا : «الراكب على عروبوث [لفظة عبرانية]» ، واستشهدوا بقول المزمور : «السماء كرسى الله»[١] ، وهو نص ما قاله الإنجيل : «ولا تحلف بالسماء فإنها كرسى الله»[٢] ، وهو عين ما قاله أشعياء فى الإصحاح الثلاثين : «هكذا يقول الرب السماء كرسىّ والأرض موطأ قدمىّ»[٣] .

وههنا موضع نظر فى **سؤالين** ، **أحدهما** : إن كان الكرسى هو السماء ، فكيف قال فى هذه الرؤيا : «وإذا عرش هو فى السماء» ، والشىء لا يكون فى نفسه ؟

والجواب : إن حروف الجر قد تتعاقب وينوب بعضها عن بعض ، ولفظة [فى] هنا مُقَدرّة بـ [من] ، والسماء التى رأى فيها أو منها غير السماء التى هى الكرسى المرئى وهو الأطلس ؛ فكأن تقدير القول : إننى رأيت السماء العليا من السماء الدنيا . لكون الأفلاك لا تحجب الإبصار .

والسؤال الآخر : أنتم تأوّلتم الكرسى بأنه السماء ، وبأنه الجلالة والعظمة ، والمفهوم من السماء ليس هو المفهوم من الجلالة والعظمة !

والجواب : إن كل رمز فهو مباين[٣] للمرموز عليه من جهة ، ومناسب له من جهة أخرى . فهذا المرئى من جهة ذاته سماء ، ومن جهة كونه منصبا للقدرة كرسى . ومن جهة أن الكرسى مجلس الأجِلاَّء والعظماء ، كان رمزا على الجلالة والعظمة إطلاقا لاسم الملزوم على اللازم . ويكون تقدير القول : رأيت ما دلنى على عظمته وجلالته فى السماء .

قوله : «والجالس على العرش كان نور يصب[٣] وياقوت والشفق محدق بالعرش وهو نور زبرجد[٤]» ، اعْلَمْ أن الله لم يره أحد قط ، إنما رُؤِىَ لأنبيائه

(١) مز ١٠٣ : ١٩ (٢) مت ٥ : ٣٤

(٣) أش ٦٦ : ١ ، أما قوله : الإصحاح الثلاثين ، فبحسب الترجمة القبطية .

(٤) مخالف ، مغاير . (٥) يشب ، حجر قريب من الزبرجد ، لكنه أصفى منه .

(٦) حجر يشبه الزمرد ، وهو على ألوان كثيرة وأشهرها الأخضر المصرى .

بأنواع كثيرة وأشكال شتى كما قال الرسول[١] ليتبيّن من اختلاف المرئى أن الحقيقة ليست كذلك .

وفى هذا الفص عدة مسائل :

المسألة الأولى : ثبت فى العلم الإلهى أن خالق العالم ليس بجسم ولا جسمانى بعدة أدلة من جملتها : إن كل جسم ممكن ، وكل ممكن فعله مؤثر ، فكل جسم له مؤثر ، وكلما كان مؤثرا فى جسم لم يكن جسما ، وإلا لكان مؤثرا فى نفسه ، فالإله ليس بجسم ولا جسمانى . وإذا كان كذلك ، فما السبب فى رؤيا الأنبياء له بهذه الصور الجسمانية ؟

والجواب : إن هذه الصور ليست بجسمانية ، لأن الأنبياء أدركوها بصريح العقل ، وليست منتزعة من مادة فى الخارج . ولا يُدرك بالعقل إلا ما له وجود فيه ، وكل ما له وجود فيه وليس بمنتزع من مادة ، وليس هو مقارن لمادة ، فليس بجسم ولا جسمانى .

المسألة الثانية : ما الفائدة الحاصلة من هذه الرؤيا ؟

والجواب : إن الفائدة منها عظيمة ، لأن بها إدراك شريف من الإدراكات الإلهية ، تكمل به نفس المرئى ، وتفيض من كمالها على نفس السامع بحسب استعداده وإدراكه . أما ذلك الإدراك الإلهى فعلى قسمين :

القسم الأول : أن النفس الإنسانية لها إدراك بذاتها ، مجردة عن آلاتها بإلقائها عنها إلى ذاتها ، وإدراك آلاتها وهى الحواس التى جُعلَت لإعانتها من مبدأ النظر وعند خلوها من تحقق الأشياء . وإذا رامت أن تدرك ما دونها ، أدركته بتوسط الحواس لكونها أقرب منها إلى هذه المدركات . وإن تشوّقت لإدراك ما فوقها ، فإنما تدرك ذلك بتوسط ما فوقها من المبادىء التى هى أقرب منها إليه ، وهى أعلى رتبة . ولما كانت هذه الصور المرئية ليست

---

(١) عب ١ : ١

أجساما ولا جسمانية كما بيّنا ، جعلتها النفس وسيلة فى التوصل إلى إدراك ما لا تدرك بها . وكما أن النفس تستعين بالنور على إدراك العين لأنها تبصره أولا ثم تبصر به ، كذلك هذه تجرى مجرى النور للبصر . وأما الحواس فإنها حجاب يستعان بتركها لا بها على إدراك الإلهيات ، لأن الذات الإلهية أبعد من أن تُرَى ، وأحق بأن تُرَى لظهورها لولا ضعف طبيعة البشر عن ذلك ، فهذا هو القسم الأول .

وأما القسم الثانى : فإن الإدراكات الإلهية عسرة الفهم بطبيعتها ، فلذلك جعلت القدرة العالية التخيل فى هداياتها بالأمثال والتشبيهات ، حتى أن المدرك إذا أدرك شيئا منها ثم حاول تعريفه ، يصير مثل من خانته العبارة وضاقت به ذرعا[١] ، وعجز المتفهم أيضا عن الإدراك ، وهذه الصور هى الأمثال والرموز المتوسل بها ، فهذا هو القسم الثانى .

المسألة الثالثة : فائدة هذا الإدراك ، هل هى للنبى أو للسامعين ، ما حكاه منها أو للمجموع ؟

والجواب : إنها للمجموع ، لكن طبقاتهم تختلف اختلاف العيَان والخبر ، إذ ليس العيَان كالخبر، والفرق بينهما بيِّن .

المسألة الرابعة : فالرموز التى تشتمل عليها هذه الصور ، ما هى ؟

والجواب : إنه يظهر من قوله أن : « **الجالس على العرش كان نور يَصْب وياقوت** » ثلاثة معان : أولها نور ، وثانيها لون ، وثالثها جوهر . فالنور يُستدل به على اللون ، واللون يستدل به على الجوهر . والنور رمز على الوجود لظهوره بظِهور آثاره . واللون رمز على الصفات للزومها الجوهر وكونها خارجا عن حقيقته . والجوهر رمز على الذات الإلهية المقدسة العالية عن الإدراك ، كما أن الجوهر الملوّن إنما يدرك منه البصر لونه . وهذا غاية

(١) ضعفت طاقته ، ولم يجد من المكروه خلاصا .

إدراك البشر المنسب لضعفهم . وذكر **يَصْبا وياقوتا** كما ذكر حزقيال «نارا ولازوردا»[١] ، لأنه لما قال : «وفوق الكرسى كمنظر الإنسان» ، قال : «ومن ظهره إلى فوق مثل اللازورد ومن ظهره إلى أسفل مثل النار»[٢] ، وأشار بها جميعا إلى أنه من الوسط إلى أسفل عميق خفى ، ومن الوسط إلى أعلى أعمق وأخفى وأبعد .

فتأمل كم بين رؤيا هذا الرسول وبين رؤيا حزقيال من جهتين ، أولاهما : صفاء لون ما رآه الرسول من اليَصْب والياقوت ، وعمق لون ما رآه حزقيال من النار واللازورد . فإن ذلك دليل على أن التجلى للرسول أجلى وأصفى ، ولذاك أعمق وأخفى . وثانيتهما : إن حزقيال قال: «ومن ظهره إلى فوق مثل اللازورد ومن ظهره إلى أسفل»[٣] ، فدل على أنه لم يتجلَ له إلا الظهر الذى هو رمز على الأفعال والآثار . وما لى أقول حزقيال وحده ، فقد تجلى لموسى رأس الأنبياء ورئيسهم ، فإن الرب قال له : «هذا مكان قدامى فقم على الصخر وإذا عبر مجدى جعلتك فى نقب[٤] الصفاء وأغطى عليك بيدى حتى أعبر وعند ذلك تنظر ما خلفى فأما وجهى فإنه لا يظهر لك»[٥] ، ولا ينبغى أن يُغلطك قول التوراة : إن الله تعالى خاطب موسى وجها لوجه كما يخاطب الرجل صاحبه[٦] ، فإنما أراد بهذه المواجهة عدم الوسيط بينهما ، وإلا لكان مناقضا لقوله : «فأما وجهى فإنه لا يظهر لك» . وأما هذا الرسول العظيم ، فإن رؤياه هى ما يُشعر بأنه رأى على طريق المواجهة والمقابلة ، وهو قوله بعد ذلك : « **وكان ينبثق[٧] من العرش بروق**» ، ولو كانت الرؤيا مما يلى الظهر

(١) حز ١ ؛ ٤ ؛ ١٠ : ١

(٢) حز ١ : ٢٦

(٣) حز ١

(٤) ثقب ، حجر ، صخرة ، جبل .

(٥) خر ٣٣ : ٢٠ - ٢٣

(٦) عد ١٢ : ٨ ؛ خر ٣٣ : ١١

(٧) يصدر ، يخرج ، ينبعث .

لاستترت عنه البروق فلم يرها ، **وكذلك البحر الزجاج الذى أمام العرش وسجود الأربعة والعشرين شيخا أمام العرش** وأكثر من ذلك ، فقد بان الفرق . وأما التمثيل بهذه الأحجار الجوهرية فلَيتميز هذا المثْل وينفرد عما سواه ، إذ لا يوجد حى ، وهو من هذه الأحجار الجوهرية ؛ فكأن ذلك رمز آخر على أنه لا يشبهه شيء . وأما مناظر بقية الأنبياء فى هذا المعنى الشريف الدقيق الجليل ومناسبتها ومباينتها لرؤيا هذا الرسول ، فإنّا نقول فى ذلك : إن يعقوب إسرائيل لما رأى السلم قال : «والرب واقف عليه» ، فلم يتبيّن شيئا من هذا سوى الوقوف . وذُكرت فى التوراة أربعة مواضع فى موقف سيناء ، أولها : فى الفصل الثانى عشر من السفر الثانى ، قال : «والجبل يدخن لأن الرب هبط عليه بالنار فارتفع لهيبه كالأتون»(١) ، فالذى يتبيّن من هذا هو النار . وثانيها : «ودنا موسى من الضياء الذى اعتلن الله فيه»(٢) ، والذى تبيّن من هذا ضياء وهو قريب مما ذُكر . وثالثها فى الفصل الخامس عشر ، قال : «ورأى موسى وهرون وسبعون شيخا من بنى إسرائيل إله إسرائيل»(٤) ، فذكر اسم الإله . ورابعها ، وهو والعمدة(٥) : وقد تقدمنا وقلناه من قبل .

وحزقيال قال أيضا لما وصف الحيوانات ، وقال الصوت الذى يعلوهم مثل حجر الفرفير(٦) ، أى من حيث مجىء الصوت ، رأى كلون الياقوت العميق الحمرة ، وهو قريب من قوله الذى قدمنا المقايسة به ، بل ذلك أبين . وقال أيضا : «وفوق الكرسى كمنظر الإنسان»(٧) ، وقال : «عليه من فوق كمثل الإله» ، ومراده كإنسان فى الجلوس وحاله فى الجلالة والعظمة كإله ، والهاء فى «عليه» عائدة على الكرسى لا على الإنسان ، فاعلم ذلك .

---

(١) خر ١٩ : ١٨ (٢) خر ٢٠ : ٢١ (٣) خر ٢٤ : ١٠

(٤) حز ١٠ : ٩ (٥) راجع هامش ١ ص ٦٩ (٦) حز ١٠ : ٩

(٧) حز ١٠ : ٢٦

أما دانيال فقال : «وعتيق الأيام جلس»[(١)] ، ثم قال : «ولباسه كالثلج الأبيض وشعر رأسه كالعهن»[(٢)] ، وهذا أخفى لأنه إنما رأى اللباس ، وبياض الشعر قد نبهنا على تأويله .

وقد جرت عادة الواصفين للأشياء التى يتكلمون عنها بالوصف والتشبيه كالخطباء والشعراء وغيرهم ، إن شبهوها فى معرض المدح بما هو أجل منها فى ذلك المعنى ، أو فى معرض الذم شبهوها بما هو دونها فيه . وإذا وصفوها وصفا مطلقا لا يريدون به مدحا أو قدحا ، شبهوها بما هو مشابه لها فى الشبه . والحال هنا ليست على نحو من هذه الأنحاء الثلاثة ، فإنه لا شىء يضاهى هذه الذات وأوصافها ، فضلا عن أن ينسب إليها بأنها أعلى منها أو مثلها . ووصف الشىء بما هو دونه قدح وليس من الغرض ، وإنما التشبيه والتمثيل هنا يوصف بوصف لا فى معنى أدنى شبه فى أحدهما أو فيهما ، بل إن لكل منهما ذاتين ، ووصف وجود[(٣)] ، وهذا القدر الذى تشابها فيه هو لكل منهما لا غير . وعلى ذلك إذا قلنا إن الذاتين أو الوجودين أو الوصفين تشابها ، فليس ذلك على الحقيقة لأن هذا يضيق عنه نطاق النطق وتقصر عنه العبارة ، فليمجد بالصمت .

قوله : «والشفق محدق بالعرش وهو نور زبرجد» ، هذا يدل على مزج الشفق وهو أحمر بنور الزبرجد وهو شفاف ولونه أخضر عميق الخضرة ، فتارة يُرَى الكل كالشفق ، وتارة يُرَى الكل كالزبرجد ، ولذلك قال : «وهو نور زبرجد» ،

---

(١) دا ٧ : ٩ (٢) دا ٧ : ٩

(٣) يريد الشارح أن يقول إن لكل من المشبه والمشبه به والممثل والممثل به ذاتين ووصفين ووجودين ، أى أن ذات المشبه هى غير ذات المشبه به ، ووصف المشبه غير وصف المشبه به ، ووجوه الشبه هى غير وجوه الشبه هى غير وجوه المشبه به ، وهكذا عن التمثيل .

أي الذى يُرَى شفا هو الذى يُرَى زبرجد ، وهو كما حكاه حزقيال فى رؤياه لما ذكر الكرسى والجالس عليه ، فقال : «والأزهار محيطة به كمنظر قوس السحاب يوم المطر»[١] وهى عين الألوان التى فى الرؤيا ، وقد أبدعا[٢] فى التشبيه وتطابقا فيه .

والرمز يدل على عهد الله فى إكمال سـرّه بتجسد ابنه الوحيد وإرثه للكل ، وإرث من آمن به وعمل بآوامره سعادة أبدية لا تحول ولا تزول ، كما أظهر تعالى **قوس السحاب** من بعد الطوفان علامة ودليلا وأمارة لعهده وميثاقه الذى جعله بينه وبين نوح ونسله أن لا يعود طوفان يهلكهم ويهلك الأرض كما جرى ، وكما جعل **الألواح** علامة لعهده مع بنى إسرائيل ، وكما قال أرميا : «اسمعوا هذا الكلام ميثاق الرب»[٣] .

وقد ذهب بعض علماء العبرانيين فى تفسيرهم لهذا المكان من نبوة حزقيال إلى أن الأزهار التى كقوس السحاب هى لون الجالس على العرش ، لأنه قال : إنها محيطة به . وهذا ليس صحيحا ، فدل على أن الإشارة إلى غيره . وليس هو العرش ، لأن العرش نقى البياض كحجر السنفير ، كما فى رؤيا موسى بسيناء ؛ فليس إلا ما أشرنا إليه .

قوله : «وهناك أربعة وعشرون كرسيا كائنون حول العرش وأربعة وعشرون شيخا جالسون على الكراسى متدرعون بثياب بيضاء» ، أما **الكراسى** فقد تقدم إنها رمز على الرفعة والمنزلة ، وكونها **حول العرش** رمز على القرب والاختصاص . وأما **الأربعة وعشرون شيخا** فهم النبياء الكبار والصغار ، أما **الكبار** فموسى ويشرع وصموئيل وناثان وداود وأشعياء وأرميا وحزقيال ودانيال وإيليا وأليشع وعزرا ، وأما **الصغار** فيوشع ويوئيل وعاموص وعوبديا

(١) حز ١ : ٢٨ — (٢) حزقيال ويوحنا .

(٣) أر ١١ : ٢ و ٦

ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى . **والشيخوخة** رمز على الوقار والعلم لا على تقدم السن ، فإن كثيرا منهم شباب ، **وجلوسهم** رمز على كرامتهم ، **وتدرعهم بالثياب البيضاء** قد قدمنا تفسيرها بأنها رمز على ثلاثة أشياء : بكورية العفة ، والشهادة ، والتشريف بالرسالة والنبوة . وهؤلاء الأنبياء ، حسب ما بلغنا من قصصهم وأخبارهم ، على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : مَن جمع بين بكورية العفة والشهادة ، ويقال لهم أولو العزم الصابرون كأشعيا البكر الذى نشره منسى الملك لما وبخه ثم أحرقه . وكحزقيال البكر الذى وبخ رئيس اليهود فى السبى فقتله ، كذلك ذكر عنهما فردوس البيعة لابن الطيب[(١)] ، وكذلك دانيال أيضا بكر ، وهو فى حكم شهيد من أجل إلقائه للسباع .

---

(١) هو القس عبد الله أبو الفرج ابن الطيب المعروف بالمشرقى ، وهو بغدادى الأصل ، نسطورى المذهب ، توفى سنة ١٠٤٣م ، وكان من أشهر كتاب عصره وفلاسفة زمانه . وضع كتبا عديدة أدبية ودينية .

فمن الأدبية : ١- مجموعة مقالات مهمة فى الولادة والنبات والعطور والشَّعر والعطش على طريقة جالينوس وبقراط ٢-تفسير كتاب جالينوس لحيلة البرء ٣- تدبير الصحة ، شرح كتاب جالينوس ٤- تفسير مقالات أرسطو .

ومن كتبه الدينية : ١- **فردوس البيعة** ، وفيه شروح على العهدين فى جزءين ، **وهو الذى أشار إليه ابن كاتب قيصر** ٢- مقدمة على المزامير فى ١١ بابا ٣- تفسير المزامير ، وقد طَبَع منه جزءين المرحوم يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية الأسبق ، والأستاذ المحترم حبيب أفندى جرجس ناظرها الأسبق ، إلا أن الجزء الثانى فُقد قبل أن يباع ٤- تفسير تسابيح موسى وأشعياء ٥- مقدمة على الإنجيل ٦- تفسير الأربعة الأناجيل ، وطبعه المرحوم يوسف بك منقريوس سنة ١٩٠٨ =

الطبقة الثانية : من له بكورية العفة ولم يستشهد ، كإيليا العظيم الذى صعد إلى السماء حيا ، وإن كان سيستشهد أخيرا ، ومثل أليشع تلميذه ، وصموئيل وأرميا وغيرهم ، بل أكثرهم ، متمسكون بالعفة .

الطبقة الثالثة : من ليس له بكورية عفة ولا شهادة كموسى ويشوع وداود ، ومن يجرى هذا المجرى .

فهذه طبقاتهم بحسب هذا الاعتبار الاستقرائى ، لا بحسب ما اقتضته القسمة الحاضرة ، ولا بحسب ما اقتضاه ترتيب منازلهم ، وجميعهم متوجون لتشريفهم بالنبوة والرسالة ، بدليل قوله فى بقية الفص إن الأربعة حيوانات إذا أعطوا المجد يخر الأربعة وعشرون شيخا على وجوههم ويضعون تيجانهم أمام الكرسى .

قوله : «وكان ينبثق من العرش بروق وأصوات ورعود» ، هذا الفص يدل على معنيين :

أولهما : إنه كان رمَز بالشفق ونور الزبرجد المحيط بالعرش على ميثاقه تعالى مع المؤمنين بسيدنا المسيح على السعادة الأبدية ، هكذا رمز هنا بالبروق والأصوات والرعود على ما يصدر من انتقامه تعالى من الشيطان اللعين وخدّامه التابعين له وما يحل بهم من المصائب دنيا وآخرة . ولذلك أدلة كثيرة من الأنبياء ، فإنهم كثيرا ما يذكرون بروقا ورعودا وأصواتا وتغييرات سماوية ، ويشيرون بها على آفات ترد مثل انقراض دولة ، أو ملاحم عظيمة ،

= ٧- مقالات لاهوتية فى التوحيد والتثليث والأقنوم والطبيعة فى ١٤ بابا ٨- كتاب فى التوحيد ٩- كتاب فى فقه النصرانية الجامع للقوانين البيعية والمجامع الشرقية والغربية . ١٠- مقالة ينكر فيها على مريم العذراء كونها أم الله على رأيه النسطورى ، وقد رد عليه يحيى بن عَديردا حسنا جدا ١١- مقالة فى شريعة العدل وفى شريعة الفضل ، كتبها العلامة أبو اسحق ابن العسال فى كتابه «أصول الدين» .

أو غلاء ، أو جلاء ، أو وباء ، أو حصار ، وما أشبه ذلك ، لا سيما أشعياء فإنه ذكر من ذلك كثيرا ، فقال عن انقراض الدولة البابلية عن الله تعالى : «أسخط على السماء وتهتز الأرض من مكانها»[١] ، وكما قال حزقيال فى إدبار الدولة الإسرائيلية : «فى ذلك اليوم تكون الزلزلة العظيمة فى بنى إسرائيل»[٢] ، وذكر فى هذه الرؤيا مواجع كثيرة تأتى تدل على مثل هذا ، كما فى الفصل السادس [فص ٣٨] لما طرح الملاك النار من المجمرة على الأرض ، والفصل الحادى عشر [فص ٥٨] عندما ظهر تابوت العهد ، وفى الفصل السادس عشر [فص ٧٧] عندما سكب الجام[٣] ، وسيأتى بيان هذه فى أماكنها .

والمعنى الآخر : لتخشى النفوس هول هذا المقام المرعب المخوف المعظم الإلهى ، فإنه قد جاء أيضا كثير من ذلك ، فمنه موقف سيناء ، فإن التوراة قالت : «فى الثالث باكرا إذ أصوات وبروق وسحابة مظلمة حلت على الجبل واشتد صوت القرن والجبل تدخن» ، ثم قال : «وتزلزل الجبل» . وقال أشعياء فى رؤياه : «وتزلزلت معاقم الأبواب من الصوت الذى هتف وامتلأ البيت دخانا»[٤] ، وهذه الأصوات من الضرب الثانى من الاعتبار الأول حسبما بيّنا ذلك فى شرح الفص الثامن .

قوله : «وسبعة مصابيح نار محدقة بالعرش وهى سبعة أرواح الله» ، اعلم إن الذات الإلهية ، تقدس اسمها ، ليست هى الخفية عنا فقط ، بل والملائكة والشياطين ونفوس البشر والحيوانات والنبات ، فإن جميعها يعمها الخفاء عنا . وإن تفاضلت طبقاتها وتفاوتت درجاتها فى ذلك ، فنحن لا نعرف شيئا من ذلك إلا بالمعرفة الاستدلالية العرضية ، بواسطة صفاتها وأفعالها

(١) أش ٥ : ٢٥
(٢) حز ١ : ١٧
(٣) الكأس .
(٤) أش ٦ : ٤

وآثارها ، كما سبق وبيّنا قليلا من ذلك . ولهذا لم يدرك الرسول من هذه الأرواح السبعة إلا أنها مصابيح نار . والرمز يدل على أربعة معان ، **الأول** : الإضاءة على إنهم نورانيون . **والثانى** : القوة ، فإن قوة النار شديدة جدا . **والثالث** : السرعة ، فإن حركة النار لسرعتها لا تحتاج إلى زمان . **والرابع** : ما فيها من حدة . والمعنى أن هذه لم يكن لها شكل يظهر ، لكن صفاتها كصفات مصابيح النار ، وخصص المصابيح بالذكر ، ولم يقل بأنها نار لأن نور المصابيح أصفى من النار الملتهبة بالوقود ، وبالجملة فقد وصفها بما وصفها به المزمور فى قوله : «خلق ملائكته أرواحا وخدمه لهيب نار واقدة»[١] ، وقد تقدم كلام فى هذه الأرواح فى تفسير قوله : «ومن السبعة أرواح الكائنة أمام العرش» . والإنباء فى كونها أمامه .

وقال عن كراسى الأربعة والعشرين شيخا إنها حول العرش ، ولا شك أن المحدق بالشىء أقرب إليه مما حوله ، وإضافتها إلى الله إضافة تخصيص بالخدمة والتنفيذ .

قوله : «وكان أمام عرش الله مثل بحر من زجاج وهو جليد» ، قد ذكر البحر والنهر فى عدة مواضع . والقرائن والقياس والاستقراء يدل على أنه تارة يشير به إلى أورشليم السمائية التى هى خير الرضى ، وتارة يشير به إلى جهنم التى هى الغضب والسخط . أما الإشارة الأولى فدل على معناها ما قاله بعد ذلك فى الفص الرابع والسبعين ، إذ قال : «ورأيت مثل بحر من زجاج مختلط بنار وجميع الذين غلبوا الوحش وصورته وعدد اسمه واقفين على بحر الزجاج»[٢] ، ثم ذكر بهجتهم وسرورهم وتسبيحهم بقياثيرهم ، فاستدللنا بذلك على أنه خير الرضى ، ومكان راحة الأبرار وبهجتهم ونعيمهم . وذكر أيضا نهر ماء الحياة الذى فى أورشليم السمائية ، لكن ليس بداخل فى هذه الإشارة .

---

(١) مز ١٠٤ : ٤ (٢) رؤ ١٥ : ٢

وأما الإشارة الثانية ، فإن دانيال النبى قال فى رؤياه لما ذكر الكرسى : «إن بحر نار يجرى من قدامه»[١] فاستدللنا بكونه نارا على الغضب ومحل العذاب . وقال الرسول فى هذه الرؤيا إن الشيطان وجنوده يعذبون فى بحر النار والكبريت[٢] ، فكان هذا الدليل الثانى على الإشارة الثانية . وإذ بان ذلك ، فيظهر لى أن هذا الفص يدل على الإشارة الأولى ، لأنه كالعنوان لذكر أورشليم السمائية ، فإنه لما وصفها فى الفص المائة وواحد وعشرين ، قال : «وضوءها يشبه نور حجر الجوهر الكريم كحجر الزبرجد البلّورى»[٣] ، وقال أيضا إن أساسها الأول كيَصْب[٤] ، والذى تضمنّه هذا الفص قريب من قوله **بحر زجاج** ، ويقصد بذلك الجليد وهو كلون السماء المشفة ، لأنه قيل فى أوائل التوراة : «وقال الله ليكن جلد»[٥] ، والجلد والجليد واليَصْب والثلج والزجاج يجمعها الإشفاف . وأما تشبيهه لها بالبحر ، فإن الأشياء الشاخصة التى لها سُمك ، إذا رُوِيَت من بُعد أو من علو ، رؤيت كالمسطحة ، وخفى سمكها ، فلذلك جاز أن يَرمز عليها بالبحر . وأما ما قاله فى الفص الرابع والسبعين من كون البحر الزجاج مختلطا بنار ، فسيأتى بيان ذلك فيه بمشيئة الله تعالى .

قوله : «وفى وسط العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونا من أمام ومن خلف» ، ينبغى لنا أن نشير إلى المعقولات السمائية ليتبيّن حال هذه الحيوانات من جملتها . ولصعوبة الكلام فى هذا الفن لعُسر إدراكه وقلة المتكلمين فيه ، ننقل عن ديونوسيوس ، قاضى مجلس الفلاسفة بأتناس ، ما قاله فيها ، وهو : إن المعقولات السمائية ، على سعة أقسامها وكثرة صورها

---

(١) (١) دا ٧ : ١٠ (٢) رؤ ١٩ : ٢٠ ؛ ٢٠ : ١ ؛ ٢١ : ٨

(٣) رؤ ٢١ : ١١

(٤) رؤ ٢١ : ١٩ [وفى النسخ الغير قبطية أى الكاثوليكية وغيرها ، تقول : يَشْب] .

(٥) تك ١ : ٦

المشاهَدَة من الأنبياء ، مشتركة بالجوهر متميزة بالخواص ، ولها ثلاث مراتب ، وكل مرتبة تنقسم إلى ثلاث طغمات ، فتلك تسع طغمات طباقا[١] . وكل طغمة ربوات ربوات وألوف ألوف لا يحصيها إلا بارئها الذى لا نهاية لقوّته وحكمته : **فطغمات المرتبة الأولى** الكاروبيم والسارافيم والكراسى ، **وطغمات المرتبة الثانية** الأرباب والقوات والسلاطين ، **وطغمات المرتبة الثالثة** الرؤساء ورؤساء الملائكة والملائكة : فهذه أقسام المعقولات .

وأما تفسير الفص ففيه مسائل ، منها قوله : **فى وسط العرش أربعة حيوانات** ، وهل فى وسط العرش إلا الجالس ؟ إلا أن يكون العرش كرسى ، فتكون هذه الحيوانات تحت مُقَعَّرَة[٢] من داخله كالحملة ، والمرئى جالسا من فوقه على محدبة[٣] وهو عين ما قيل «الراكب على عروبوث» . وأما تسميته لهذه الأربعة الحيوانات ، لأنه رأى من أوجهها الكثيرة ما يشبه أوجه البهائم على ما سيذكره بعد . وأما من أية طغمة ، فأقول إنها من الطغمة الثالثة من المرتبة الأولى وهى طغمة الكراسى . وهذه المرتبة ، كما تقدم القول ، ثلاث طغمات : أما **السارافيم** فقد وصفها أشعياء النبى فى رؤياه ، فقال : «والسارافيم قيام بين يديه ستة أجنحة لكل واحد منهم فباثنين منها يستر وجهه وباثنين منها يستر رجليه وباثنين منها يطير»[٤] ، ولم يذكر أن لها وجوه تشبه الحيوانات ، ولا أن لها عيونا . ولم يذكر يوحنا أن لها ستة أجنحة ، فليست هذه الحيوانات إذن من طغمة السارافيم . وأما **الكروبيم** ، فقد وصفها حزقيال فى رؤياه ، فقال[٥] : «إن لكل واحد منها أربعة وجوه

(١) ما علاها ، مطابقة بعضها لبعض .　　(٢) ما كان لها قعر ، أى عمق .

(٣) خلاف المُقَعَّر ، ما كان له حدبة أى خروجا ، بروزا من قدام ، خروج الصدر ودخول الصدر .

(٤) أش ٦ : ٢ و ٤　　(٥) حز ١ : ٥ - ١١

وأربعة أجنحة» ، وإن يديها من تحت أجنحتها كأيدى الناس ، وكذلك أرجلها منبسطة كأرجل الناس ، لا ذات عرقوب[١] كالبهائم ، وإن لها أظلافا[٢] كالعجول ، وإن بجانبها البكرات وربما تُرجمت اللوالب[٣] وترجمتها ابن ميمون الوجوه[٤] وترجمتها قوم من اليونانيين الجرايات[٤] ووصفوها بأوصاف كثيرة تخصها . ولم يُذكر عن الحيوانات التى فى رؤيا يوحنا إن لكل منها وجوه أربعة ولا أجنحة أربعة ، ولا وصف أيديها وأرجلها ولا بكرات تحتها . فليست هذه أيضا من طغمة الكروبيم ، بل ذكرت الرؤيا بعد ذلك أن تسبيحها تسبحة المرتبة الأولى وهى : قدّوس قدّوس قدّوس الرب الإله ضابط الكل وما يتلوه .

(١) عصب غليظ موتر فوق العقب ، وهو فى رجل الدابة بمنزلة الركبة فى يدها .

(٢) ظفر كل ما اجتر [اشتر] وهو للبقر وللشاه وشبهها بمنزلة القدم للأنسان ، كالظفر للإنسان .

(٣) آلة من خشب أو حديد ذات محور ذى دوائر ناتئة [بارزة] وهو الذكر ، أو داخلة وهو الأنثى .

(٤) موسى بن ميمون : هو طبيب وفيلسوف يهودى ، ولد وتعلم فى قرطبة ، وتنقّل مع أبيه فى مدن الأندلس . أتقن علم الرياضيات والمنطق والطب . ولما أنذر عبد المؤمن بن على الكومى البربرى اليهود والنصارى على أن يسلموا أو يتركوا بلاده ، فتظاهر موسى بالإسلام حتى تمكن هو وأهله من الهروب من الأندلس إلى مصر وسكن بمدينة الفسطاط بين يهودها ومكث بها ٣٧ عاما كان فيها رئيسا روحيا للإسرائيليين وطبيبا للبلاط الأيوبى . وكان عالما بشريعة اليهود وأسرارها ، وشرح التوراة ، ، ووضع مختصرا لأحد وعشرين كتابا لجالينوس فى ستة عشر كتابا . وهذّب كتاب الاستكمال فى الهيئة لابن أفلح الأندلسى ، وكتاب الاستكمال فى الرياضة لابن هود . توفى فى مصر ونُقل جثمانه إلى طبرية بفلسطين [عن كتاب «الأعلام» للزركلى ، ص ١.٨٥ و «أخبار الحكماء» للقفطى ، ص ٢.٩ و ٢١٠] .

ولم يبق فى هذه المرتبة سوى الطغمة الثالثة منها وهى طغمة الكراسى . وقد سمعتَ إن كلمة **طغمة** لا يحصى عددها لكثرتها ، فهذه الأربعة من جملتها ، ولعلهم مقدموها . أما كونها أربعة فليعتدل حمل المركبة لأن حمل الأربعة أمكن . وأما كونها مملوءة عيونا ، فالعيون رمز على ثاقب المعرفة والاطلاع ، لأن العين فينا أقوى حاسة للإدراك . وأما كونها من أمام ومن خلف ، فالتى من أمام رمز على الاطلاع على الحاضرات ، والتى من خلف رمز على المغيبات لأن ما هو خلفنا هو مغيب عنا .

✠ ✠ ✠

٢٠– (٧) فالحيوان الأول يشبه الأسد والحيوان الثانى يشبه العجل والحيوان الثالث يشبه وجه ابن إنسان والحيوان الرابع يشبه النسر طائرا (٨) ولكل من الحيوانات الأربعة ستة أجنحة ومن حولها ومن داخلها مملوءة عيونا ولم تفتر فى النهار ولا فى الليل قائلين قدّوس قدّوس قدّوس الرب الإله ضابط الكل الكائن والذى كان والذى يأتى .

قوله : «الحيوان الأول يشبه الأسد ، والحيوان الثانى يشبه العجل ، والحيوان الثالث يشبه وجه ابن إنسان ، والحيوان الرابع يشبه النسر طائر» ، كل ما تذكره الكتب الإلهية فله معنى ، وكل ما تتركه فلغرض . فمن ذلك أنه قال فى الحيوان الأول إنه يشبه الأسد ، وفى الحيوان الثانى إنه يشبه العجل ، ولم يقل إنه يشبه وجه الأسد ولا وجه العجل تنبيها على أن التشبيه يعم جميع شكل ذلك الحيوان ، بدليل قوله فى الحيوان الرابع : إنه يشبه النسر

طائرا ، ومعلوم أن وجه النسر الطائر لا يتميز عن وجه غير الطائر ، فدل بقوله طائرا على شكل بقية الطائر . ففهمنا من هذا أن الحيوان الأول صورة أسد بجملته ، والثانى عجلا بجملة هيئته ، وكذلك الرابع . فأما الحيوان الثالث ، فلم يقل فيه كما قال عن البقية ، بل قال : «والحيوان الثالث يشبه وجه ابن إنسان» ، فخصص الوجه خاصة بشبه ابن إنسان، ليدل على أن بقية شكله للرائى ليس كشكل إنسان ، بل كهيئة بهيمة أو طائر وهو الأقرب ، لأنها كلها يعمها الطيران فلهذا لها أجنحة . ولعله إنما ترك ذكرها لكونها معلومة . والطيران رمز على سرعة الحركة ، لأن الطائر يقرب ويبعد ويظهر ويختفى بسرعة ، وكذلك الملاك . وفى قوله **النسر طائرا** إشعار بطيران الثلاثة الأخرى بطيران ضرورةً . فأما لِمَ وهى عقول مجردة رؤيت بأشكال وأشباه ؟ فلترشد برؤيتها إلى وجودها وحياتها وكمالها . وإنما خُصّت بأشكال غير ناطقة للإرشاد إلى أن طبقتها فى الوجود دون طبقة وجود بارئها تعالى . كما أن وجود الإنسان أكمل من وجود بقية الحيوانات غير الناطقة . فأما لِمَ خص كل منها فى ظهوره بشكل رؤى به ؟ فإن هذه الأشكال رموز على القوى ، كما أن القوى بواسطتها تصدر الأفعال ، وإذا أمعنتَ النظر وجدتَ فى كل نوع من أنواع الحيوانات المحسوسة حكمة اقتضت شكله ومزاجه[1] وطبعه وكماله بنفسه لنفسه . فالأسد إنما استعد لقبول القوة الغضبية وشدتها فيه كشكله الذى هو تابع لصورته ، ومزاجه الذى هو تابع لمادته ، ولذلك صدرت عنه القوة والبطش والشجاعة والفتك . والثور إنما استعد لقبول القوة الشهوانية وقوتها فيه بشكله ومزاجه كما قلنا ، ولذلك صدرت عنه الأفعال الخاصة به . والنسر إنما استعد لبول الحركة المسرعة والسمو بشكله ومزاجه ، فصدرت عنه أفعاله الخاصة به . والإنسان إنما استعد لقبول نفسه المتميزة بسعة المعرفة بشكله

(١) ما أسس عليه البدن من الطبائع .

ومزاجه وحكمته . ومن هذه الأشكال ، وباختصاصها بنوع ، يُستدل على قوة كل واحدة من هذه القوى فى كل واحد من أشخاص الناس ، وما يغلب عليه بسببها من الأخلاق والأحوال والأفعال ، واستنبطوا منها علم الفراسة ومهر فيها فيليمون وأرسطو وغيرهما . وكذلك الأرواح القدسية ، وإن كانت عقولا مجردة ، فلها قوى تناسبها وتلزمها ، وفيها تصدر أفعالها عن ذواتها . ولما كانت هذه القوى يلزمها أشكال كما بيّنا ، وكانت هذه الأرواح القدسية ، وليست هى فقط ، بل والأرواح الشريرة ، بل والقوة المفكرة التى فى الإنسان ، فإنها تؤلف أشكالا غريبة فى مدركاتها ، بل والقوة المصورة فينا ، فإنها تصور أشكالا تخصها بحسب ما وُهبت ؛ قد مُنحتٍ فى خلقها من خالقها أن تتصور بأشكال متعددة وصور متفننة ، تظهر فى كل واحد من هذه الأرواح بشكل يدل على على قوة تصدر بها عنه أفعاله . فبالقوة الناطقة أظهرت للأنبياء تسبيحها لبارئها ليلا ونهارا ، وبها أفهمتهم وغيرهم ما وقفوا عليه من الأسرار الإلهية والعلوم الغيبية . وبالقوة الغضبية دلت على بطشها[١] وتنفيذها للانتقام الإلهى فى الشياطين والأشرار كما ورد أن كاروبا معه حربة من نار جُعل حارسا لشجرة الحياة فى الفردوس[٢] ، وورد أن ملاكا كان معه سيف يقلّبه فى الهواء فكان الوباء العظيم فى أيام داود النبى[٣] . كما قيل إن ميخائيل رئيس الملائكة قتل أكثر عسكر سنحاريب الملك فى ليلة واحدة[٤] . وكثير من هذا سيرد فى هذه الرؤيا . وبالقوة الشهوانية أيضا دلت على شوقها لبارئها وعلتها وشهوتها للتشبه به فى الصالحات ، وبها تاقت إلى الجمالات الفائضة منه تعالى ، وبها تراءفت على كثير من البشر ، كما ورد فى رؤيا دانيال وحزقيال وزكريا .

---

(١) قوتها ، الشدة ، الأخذ بعنف ، التناول بشدة .

(٢) تك ٤ : ٢٤ (٣) ٢ صم ٢٤ : ١٦ (٤) ٢ مل ١٩ : ٣٥

وبالقوة التى بها السرعة فى الحركة والظهور والخفاء والقرب والبعد وطلب العلو والسمو اللائق بفضائل هذه الأرواح الطاهرة ، ترفعت عن الرذائل والخسائس التى هوت إليها الأرواح الخبيثة .

وكما أن هذه القوى ، وإن كانت موجودة فى جميع الأنواع المحسوسة ، فهى فى بعض الأنواع أقوى من بعض .

كذلك الأرواح القدسية ، وإن كانت هذه القوى فى جميعها ، إلا أنها فى البعض أقوى وأظهر .

وقد ذهب العظيم ديونوسيوس عند كلامه على هذه الأشكال إلى القول بالمثل ، حيث قال فى الصدر الخامس عشر من الميمر الأول ما هذه خلاصته : كل حواس الحيوانات البهيمية وقواها وأشكالها ترتقى فى أفهامنا إلى أشياء معقولة تدل عليها . وقال : فأما ما قيل إن منها ما يشبه الأسد ، فإنه مُدْبِر لما هو دونه ، وشديد غير دليل . وأما الثور ، فلأنه صلب القوة حفوظ[١] لا يكل[٢] من الفلاحة العقلية . وأما النسر ، فإن له المُلك والحركة العلوية والارتقاء وسرة السلوك .

وذهب قوم من العلماء إلى أن صور الأنواع المحسوسة إنما أفيضت عليها بتوسط أشكال هذه الأرواح القدسية ، واستدلوا بقول أيوب : « أما علمت رسوم السماء أو تجعل رسما فى الأرض »[٣] ، وقول الإنجيل : «كما فى السماء كذلك على الأرض»[٤] . والحق أن الخلق والإبداع لا واسطة فيه . فهذا ما حصّلناه فى هذا الفص .

قوله : «ولكل من الحيوانات الأربعة ستة أجنحة ، ومن حولها ومن داخلها مملوءة عيونا » ، هذا مثل القول المتقدم ، وقد فسرت رموزه .

---

(١) مواظبا ، صبورا ، ذو جلد . (٢) يتعب ، يمل .

(٣) أى ٣٨ : ٣٣ (٤) مت ٦ : ١٠ .

وقوله : «ومن حولها ومن داخلها» ، فالمعنى أن ظاهر هذه الصور كلها عيون ما خلا المخالب[١] والأظفار والرأس . ولم يرد بداخلها عمقها ، بل ما يلى الأظفار من سطوح الصور . وهو رمز على أنها كلها بجملتها مدركة لا جزء دون جزء كما فينا ، بل هى عقول كلها مدركة عالمة منبسطة .

قوله : «ولم تفتر فى النهار ولا فى الليل قائلين قدّوس قدّوس قدّوس» وما يليه ، التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين ولذتهم ، وهى لذة لا يشبعون منها ولا يملّون ، بل يزيد طلبهم لها كلما كثر استعمالها . وكذلك كل لذة عقلية . فلهذا لا يفترون فى النهار ولا فى الليل . وليس هو تسبيح فى الحقيقة بصوت يسمع ولا بحروف تُقطَع لأن القائلين والسامع غير محتاجين إلى ذلك . لكنه أدرك من مرئى النبوة ، كما أنه رمز على العشق الذى هو المحبة المفرطة والشوق الغالب إلى تلك اللذات المقدسة المعظمة ، ولكل مرتبة شعار كما سمعتَ ، وبقية الفص معلوم وقد مضى مثله .

✣ ✣ ✣

٢١- (٩) فإذا أعطت هذه الأربعة الحيوانات هذا المجد وهذه الكرامة وهذا الشكر للجالس على العرش الحى إلى أبد الأبد (١٠) يخر الأربعة والعشرون شيخا على وجوههم أمام العرش ويسجدون أمام الحى إلى أبد الأبد ويضعون تيجانهم أمام العرش قائلين (١١) أنت المستحق أيها الرب إلهنا أن تقبل المجد والكرامة والقوة لأنك خلقت كل شيء وإرادتك كانت فخُلقوا .

---

(١) ظفر كل سبع من الماشى والطائر ، لأن صاحبه يُميل به الشيء ويخلبه إلى نفسه ، أى يأخذه بمخلبه .

في هذا الفص عدة مسائل ، منها أن هؤلاء الشيوخ لم تلبس نفوسهم أجسادهم إلى الآن . فيصح ركوعهم وسجودهم ووضعهم التيجان أمام العرش ؟

والجواب : إن الرمز **بالتيجان** قد مضى ذكره وتفسيره . و ما كونهم **يخرون بوجوههم** فرمز على خضوعهم بنفوسهم . وأما **سجودهم** فرمز على تعبدهم لبارئهم ، **ووضعهم التيجان** رمز على خشوعهم ، لأن من وضع كرامته فقد خشع لبه[١] .

ومنها إنه قال أن هذه الأرواح لا تفتر[٢] من قول هذا التقديس ، وهو اثنتا عشر لفظة ، وإذا قالته خر الشيوخ بوجوههم وسجدوا ووضعوا تيجانهم وقالوا وهو سبعة عشر لفظة ، يلحقون أن يفعلوا ويقولوا ما يفعلونه ويقولونه آخر كل تسبحة ، مع أن الحيوانات لا تفتر ؟

والجواب : بحسب ظني إنهم يفعلون ويقولون على الوجه المذكور إذا لت الحيوانات تسبحتها ثلاث دفعات ، بدليل قوله أولا : «هذا المجد وهذه الكرامة وهذا الشكر» ، وبدليل قول الشيوخ ثانيا : «أنت المستحق أن تقبل المجد والكرامة والقوة» ، فكأنما شُبّهت تسبحة الحيوانات كمرة مجدا ، ومرة كرامة ، ومرة شكرا . وتعبير الشيوخ بالقوة إشارة إلى ذكر ضبطه للكل فيها . وحينئذ يتم تصور ما رؤى إذ لا يُرَى ما لا يُتصور . ومنها تكرير التقديسات ثالثا ، وهو إشعار بالثالوث المقدس .

ومنها قوله : «أنت المستحق أن تقبل» ، والاستحقاق يدل على الشرف . فأما **القبول** فإنه انفعال ، فكيف يُعرّف به أو كيف يجوز إطلاقه عليه تعالى ؟

---

(١) عقله .

(٢) لا تلين قوتها ، لا تضعف .

الجواب : إن القبول يُفهم على معنيين : أحدهما للتأثر والانفعال كما يقبل الخشب الاحتراق ، وليس هو المراد هنا . والآخر فعل صادر ، وهو أن يسمح بالرضى بقربان التسبحة والتواضع ، لأن ذبائح الله أرواح منسحقة ، ويكون تقدير القول : فنحن فى رتبة من يقدم وأنت فى رتبة من **يقبل لأنك مستحق** ذلك بخلقك للكل .

الأصحاح الخامس

٢٢- (١) ورأيت عن يمين الجالس على العرش سفرا مكتوب فيه من داخل ومن خارج وهو مختوم بسبعة ختوم .

السفر فى عرف العبرانيين هو الدرَج ، بدليل قوله : «مكتوب فيه من داخل ومن خارج» ، والرمز بالسفر على إحاطة العلم الإلهى بما فى مضمونه وثباته ، على ما سيأتى بيانه ، بدليل قول ملاخى : «هذا تكلم به أتقياء الرب الرجل مع صاحبه وأنصت الرب وسمع وكتبه فى سفر الذكر قدامه لخائفيه الذين يمجدون اسمه»[١] . والمراد بالسفر إحاطة العلم وثباته . وأما كونه **مكتوب فيه من داخل ومن خارج** فهو رمز على عظم ما فيه من جلالة وكثرة . وأما **الختوم** التى عليه فهى رمز على صونه وإخفائه منذ الأزل إلى حين ظهوره . وأما كون الختوم سبعة ، فلأن الأسرار التى تحتها سبعة ، وما يتفرع منها سيأتى بيانه بعد ذلك .

(١) ملا ٣ : ١٦

وأما كون السفر **عن يمين صاحب العرش** ، فهو ركز على جلالة السفر وشرفه واختصاصه . وأما المكتوب فى السفر فهى الأسرار السبعة التى لا تزال ثابتة فى العلم الإلهى ، تحت كل ختم منها سر سيُذكر ويُفسر فى مكانه عند فتح كل ختم وكشف ما تحته ؛ فأربعة منها أفراس وفوارسها ، والخامس نفس الشهداء ، والسادس آثار علوية ، والسابع أصوات أبواق الملائكة وما يصاحبها من أحداث .

✠ ✝ ✠

٢٣- (٢) ورأيت ملاكا قويا يكرر بصوت عظيم قائلا من يستحق أن يفتح هذا السفر ويفتح ختومه (٣) فلم يستطع أحد فى السماء ولا على الأرض ولا أسفل الأرض أن يفتح السفر ولا يراه (٤) فبكى جميعهم لأن أحدا لم يستحق أن يفتح السفر ولا ينظر إليه (٥) فأتى إلىّ واحد من الشيوخ وقال لى لا تبكِ هوذا غلب الأسد من قبيلة يهوذا من أصل داود وفتح السفر وختومه .

أما هذا **الملاك القوى** فهو من طغمة القوات الذين لهم هذه الخاصية ، وهى الطغمة الرابعة من التسعة والأول من المرتبة الثانية . **والكرازة** إعلان الصوت وإشهاره ، وهذا **الصوت** هو الضرب الأول من الاعتبار الأول ، وقد بيّنا ذلك فى تفسير الفص الثامن . وأما **فتح السفر** فهو رمز على إظهار ذلك السر ، والاطلاع السابق . وأما **إتمامه** ففى أوانه عند خروج ما بالقوة إلى الفعل ، وما فى العلم إلى الوجود الخارجى . فتلك نبوة تمت ، وسابق معرفة حضرت وظهرت .

وأما قوله : « **من يستحق** » ، فإن لفظة مَنْ اسم مبهم يدل على عموم من يعقل ويأتى على أربعة أوجه : **الأول** الشرط ، كقولك : من قام قمت . **والثانى** الاستفهام ، كقولك : من خرج ؟ **والثالث** النداء ، كقولك : يا من يعز علينا أن نفارقه . **والرابع** الإخبار ، وهو نوعان : أحدهما العدم ، كقولك : من يقاوم الله ؟! أى معدوم عدما محضا من يقاوم الله . والآخر الاستبعاد والاستعظام ، كقولك : من صعد إلى السماء ، أى بعيد عظيم ، وهو المراد هنا . لأن الاستبعاد هنا إعظاما لهذا الآمر ، وإشعارا بأنه لا يجوز أن يكون لكثيرين بل لوحيد فرد اختير وانتخب من مبدأه وله وُلد وإليه آتى . كما قال له المجد : «إنى لهذا وُلدت ولهذا أتيت»[1] ، والاستحقاق مَلَكَة يتهيأ بها لذلك ، ويستعد بها للترقى إليه .

وأما كون واحد من الخلائق **لم يستطع فتح السفر ولا رؤياه** ، فليس لأنهم حاولوا ذلك ولم يستطيعوا ، ولكن رمز على أن تلك المَلَكَة ليست فيهم وليس لهم استعداد ولا تهيؤ ولا قوة يترقون بها إلى إلى هذا الأمر العظيم . ولهذا قال : « **فلم يستطع أحد فى السماء** [يريد الملائكة] **ولا على الأرض** [يريد البشر] **ولا أسفل الأرض** [يريد الشياطين] أن يفتح السفر» ، ومراده أن يتم فيه هذا العلم . قال : « **ولا ينظر إليه** » ، ومراده ولا يطلع على ما فيه أويدركه فضلا عن نيله . ونقرّب ذلك بمثال فنقول : إنه لو نادى مادٍ فى أهل مدينة : من يستحق المملكة فليأت لتُمتحن شجاعته أولا بمصارعة تنين عظيم ، ثم بعده امتحانات تخص هذا المنصب . فإذا غلب وظفر أقيم ملكا . فمعلوم أن هذا النداء ، وإن كان عاما ، فلا يتناول إلا المستعد لهذا الشأن المترشّح لترقّيه . ومن جملة شروطه أن لا يطلب ذلك بل يخطب له ، كما قال بولس الرسول : «ليس أحد ينال الكرامة لنفسه وحده ليكون رئيس كهنة ، بل مجده الذى قال له أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك»[2] .

(١) يو ١٨ : ٣٧ (٢) عب ٥ : ٤

وأما قوله : «فبكى جميعهم لأن أحدا لم يستحق أن يفتح السفر ولا ينظر إليه» ، فقد أعطى سبب بكائهم وهو عدم الاستحقاق . وهذا وإن كان سببا ، إلا أنه يحتاج إلى سبب آخر أقرب منه ليبيّنه . لأن كونهم ليس فيهم مستحق يحتمل البكاء لأحد ثلاثة أوجه : إما حسد للمستحق ، وإما تألم على نفوسهم لكونهم لم يستحقوا ، وإما خوف أن لا يوجد مستحق أصلا . فالوجهان الأولان بعيدان ، لأن الحسد رذيلة وقد أخبرنا أنها معدومة من أهل ذلك العالم ، والتألم على أنفسهم أقرب منه ، فهو - الحسد - بعيد منهم . وأما الثالث فممكن ، وهو الخوف أن لا يوجد مستحق أصلا ، وهو القول المعتبر في هذا المكان بدليل قول أحد الشيوخ : «لا تبكِ هوذا غلب الأسد» ، فهذا القول تطمين وتأمين بوجود المستحق ، وهو ما ذهبنا إليه . وسبب الخوف أن سعادة الأبرار وبهجتهم موقوفتان على وجوده أو إتيانه ، ولذلك أنذر به الأنبياء من قبل ، فكان المنتظر . وقد تقدم تفسير فتح السفر والنظر إليه .

وأما قوله : «فأتى إليّ واحد من الشيوخ وقال لي لا تبكِ هوذا غلب الأسد من قبيلة يهوذا من أصل داود وفتح السفر وختومه» ، قد علمتَ أن الشيوخ هم الأنبياء ، والذى أتى إليه منهم هو عزرا النبى لأنه يقول فى نبوته : ثم سمعت صوتا يقول لى انظر قدامك وتبحّر فإن الأسد ينتبه ويخرج من الغيضة[1] يزأر[2] ويقمقم[3] ، ثم قال له الملاك : علّمه . والأسد الذى رأيت هو الملك الذى يحفظه العليّ إلى تمام الأجل ، وهو الآتى من زرع داود ، فإنه يشرق ويوافى ويعظ الناس وينهاهم عن ذنوبهم ويُذكّرهم بمعاصيهم وتفريطهم وتعديتهم ، ويبعثهم ليدانوا ، وينبئهم بما عملوا ، ويخلص الشعب برحمته ، وهم الذين عرفوا عجائبى ، وهو يخلصهم فى راحة إلى الدهر كما قلت لك ، فهذا تفسير ما رأيت .

(١) الغابة ، مجتمع الأشجار .　(٢) صياح الأسد .
(٣) يفترس ، يُهلك كل ما أمامه .

ولا شك أن نسب داود ينتهى إلى يهوذا بالضرورة ، والغلبة قد عرفتها[١] .

وقول ذلك الشيخ للرسول : «لا تبكِ» ، فهو دليل على أن الرسول أيضا بكى مع الباكين حسبما اقتضته رؤياه ، مع إنه كان عالما بغلبة هذا الأسد قبل الرؤيـا : فما وجه بكائه ؟ وأظن إن ذلك توطئة وسببا لأن يشرح له الشيخ سبب بكائهم وغلبة الأسد ، أو لأن الرسول كان فى حال الرؤيا كالذاهل[٢] عن معلوماته مستغرقا فى رؤياه .

✠ ✣ ✠

٢٤- (٦) ونظرت فى وسط العرش والأربعة الحيوانات وفى وسط الشيوخ إلى حمل واقف مقتول وسبعة قرون له كائنة على رأسه وسـبع عيـون التى هى سـبع أرواح الله الذين أرسلوا أسفل على الأرض

(١) يقول المفسّر أن الشيوخ هم الأنبياء ، وأن عزرا النبى هو أحدهم ، وأورد هذه النبوة الموضحة أعلاه ؛ ولم نجدها فى سفر عزرا . والمفسر الكاثوليكى قد أورد أقوال بعض المفسرين الذين قال البعض منهم : إن هذا الشيخ الذى أتى إلى يوحنا هو لوقا الإنجيلى . والبعض الآخر قال إنه بطرس . والبعض قال إنه متى . ثم أورد قول مفسرنا إنه عزرا ، ثم قال : وهذه كلها حدس وتخمين لا حقيقة له (العنوان العجيب ، ص ٢١٤) . ويقول أنثيموس بطريرك أورشليم إن هؤلاء الشيوخ هم الطغمات الملائكية (كفاية اللبيب ، ص ٤٥) ، وهذا يوافق رأى كنيستنا القبطية التى تحتفل بتذكارهم فى اليوم الرابع والعشرين من شهر هاتور ، كما جاء فى سنكسارها تحت هذا اليوم : «فى هذا اليوم تذكار الأربعة وعشرين قسيسا الغير المتجسدين كهنة الحق العلىّ الجالسين حول العرش . . إلخ . »

(٢) غاب عن رشده .

كلها (٧) فأتى وحمل السفر من يمين الجالس على العرش (٨) فلما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخا أمام الحمل وكانت قيثارة مع الواحد منهم ومجامر ذهب مملوءة بخورا من صلوات القديسين (٩) وكانوا يسبحونه تسبحة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وأن تفتح ختومه لأنك قُتلت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة وكل لسان وكل شعب وكل أمة (١٠) وصنعتهم لإلهنا مملكة وكهنوتا يملكون على الأرض (١١) ورأيت وسمعت صوت ملائكة كثيرين من حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف (١٢) قائلين بصوت عظيم إن الحمل المقتول يستحق أن يأخذ القوة والغنى والحكمة والمجد والكرامة والتسبيح (١٣) وكل المخلوقات التي في السماء وعلى الأرض والتي في البحر والذين فيهم سمعتهم يقولون للجالس على العرش السبح لك والكرامة والمجد والعز إلى أبد الأبد (١٤) والأربعة الحيوانات يقولون آمين والشيوخ خروا على وجوههم وسجدوا .

قوله : «ونظرت في وسط العرش والأربعة الحيوانات وفي وسط الشيوخ إلى حمل واقف مقتول» ، قد مضى البحث في وسط العرش . وأما كونه وسط الأربعة الحيوانات ووسط الشيوخ ، فظاهر إنهم حوله جميعا وهو في الوسط . وأما الحمل فرمز لسيدنا المسيح له المجد ، وبه دعاه يوحنا المعمدان بقوله : «هذا حمل الله الذي يرفع خطايا العالم»[١] ، وإنما أطلق عليه هذا الاسم لخصائص

(١) يو ١ : ٢٩

خمس : **وداعة الحمل** ، **وسلامة قلبه من كل غل ودغل** ، **وصمته عند الذبح واستسلامه** ، وهذه التشبيهات قد صرّح به النبى فى نبوته عليه فى قوله : «كالحمل سيق إلى الذبح وكالخروف أمام الجزار»[١] ، **وطهارته** ، فإنه من الحيوانات الطاهـرة ، **وقوته فى المقارعة**[٢] **وتصميمه فى المحاربة** .
فدلالة اسم الحمـل على المسيح دلالة اسم الملزوم على لازمه . واعلم أن لفظة (ϧⲱⲧⲉⲃ) فى اللغة القبطية تدل بالعموم على القتل الذى هو الموت الاخترامى على اختلاف أجناسه وأنواعه ، وبالخصوص على الذبح الذى هو قطع الوريدين[٣] وإراقة دمهما بالآلة المختصة بذلك . ومراده بهذه اللفظة هنا دلالتها العامة وهى القتل . ، لأن سيدنا المسيح لم يُذبح بل قُتل صلبا ، ومن ترجمتها هنا بمعناها الخاص قد غلط وغلّط .

وتعجّب من قوله : **ونظرت إلى حمل واقف مقتول** ، وكيف يكون المقتول واقفا ؟ وكيف يُعرف أنه مقتول وهو واقف ، وإنما يُعرف المقتول بأنه ميت مطروح ؟ والوجه فى ذلك أنه هنا أطلق الوصف الماضى على الحاضر كما ذُكر فى الإبركسيس[٤] أن رؤساء الكهنة قالوا للرسل : «بأى اسم وبأى قوة أبرأتم هذا المفلوج[٥]» ، ومن البيّن أن الفالج ليس هو موجود الآن مع برئه ، ولكنه وصف مضى وُصف به الحاضر للتعريف المميز وإزالة اللبس[٦] ، ليتحقق أنه هو لا شبهه ولا غيره . وبهذا الوجه قال حملا واقفا مقتولا ، تقديره هو الذى كان مقتولا ، وبه جاز وصف المقتول بأنه واقف .

---

(١) أش ٥٣ : ٧ ؛ أع ٨ : ٣٢ و ٣٣ (٢) المضاربة .
(٣) عرق فى العنق فيه الحياة ويجرى فيه دم أسود . (٤) أع ٤ : ٧
(٥) المصاب بداء الفالج ، وهو داء يحدث فى أحد شقى البدن طولا فيقل إحساسه .
(٦) اختلاط ، إشكال .

وأما كيف يُعرف أنه المقتول وهو واقف ، فكما عرفه التلاميذ بعد قيامته بآثار المسامير والطعنة التى فى جنبه ، فيجوز على ذلك أن يكون أى حمل مثقوب اليدين والرجلين مطعونا فى جنبه مضمخا[١] بدمه وهو واقف ، كما قال فى مكان آخر إنه مبلول ثوبه بدمه[٢] .

قوله : «وسبعة قرون له كائنة على رأسه وسبع عيـون التى هى سـبع أرواح الله الذين أرسلوا أسفل على الأرض كلها» ، القرون يرمز بها إلى الأنبياء على معنيين : **أولهما** الملوك ، كما رأى دانيال الحيوان الرابع وله عشرة قرون[٣] ، وفسّرها فى هذا الفص بأنها عشرة ملوك فى دولة اليونانيين بعد موت الإسكندر ، وكما رأى كبشا بقرنين[٤] وأراد بهما ملوكا أيضا ، وكذلك قرون تيس المعز[٥] . **والثانى** الممالك والأقاليم والأقطار وما يشبه ذلك ، كما رأى زكريا النبى أربعة قرون[٦] وفُسّرت بأنها الممالك التى سُبى إليها بنو يهوذا وهى بابل[٧] والموصل[٨] وفارس[٩] والأهواز . والثانى هو المـراد فى النص ، لأن القدماء قسّموا المسكون كله من الأرض إلى سبعة أقاليم ، ويريدون بالإقليم قطعة من بسيط الأرض فيما بين دائرتين متوازيتين وموازيتين لخط الاستواء حاصرة لبعض البلاد طولها من المشرق إلى المغرب ، وعرض الأقاليم كلها يبتدىء من إحدى عشر درجة من جانب الشمال ، مارا فى الجنوب إلى ست وأربعين درجة وإحدى وخمسين دقيقة . فرمز بالقرون على الأقاليم بمعنى إن دعوته تُنشر فيها ، وتتعبد له أهلها ، ولهذا قال الشيوخ

---

(١) ملطخا بالدم حتى كأنه يقطر . (٢) رؤ ١٩ : ١٣

(٣) دا ٧ : ٧ و ٢٠ و ٢٤ (٤) دا ٨ : ٣ و ٦ و ٧ و ٢٠

(٥) دا ٨ : ٢٠ (٦) زك ١ : ١٨

(٧) قصبة بلاد الكلدان ، وهى على نهر الفرات . (٨) مدينة ببلاد الصرب .

(٩) هى بلاد العجم ، وهى سلطنة عظيمة فى آسيا ، كان يحكمها ملك يدعى «شاه» .

فى تسبحتهم : «لأنك قُتلت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة وكل لسان وكل شعب وكل أمة . . إلخ» .

وأما العيون ، فقد رمز بها على معنيين أيضا : **أحدهما** ما تقدم ذكره فى الحيوانات ، وهو العلم والاطلاع والتميز والحيلة وما يشبه ذلك ، مثل ما رأى دانيال فى أحد قرون الدابة الرابعة عيونا مثل عيون الإنسان فى ذلك القرن ، وفُسِّرت بالبصيرة والحيلة التى كانت فى أنطياخوس المرموز عليه بذلك القرن . **والآخر** على الأرواح القدسية السبعة المُبَتّلَة[1] للخدمة وتنفيذ الأوامر الإلهية ، وهو المراد فى فى هذا الفص ، لأنه فسّر ذلك فيه بقوله : «وسبع عيون التى هى سبع أرواح الله الذين أرسلوا أسفل على الأرض كلها» ، وهى بعينها النجوم السبعة التى ذكرها أولا إنها نجوم فى يده ، وهنا إنها عيون فى رأسه . وكذلك قال زكريا فى يشوع بن بوزداق : «لأن الحجر الذى جعلت قدام يشوع على الحجر الواحد سبع أعين»[2] التى هى أعين الرب التى تنظر إلى جميع الأرض ، أى تفتقدها ومن فيها وتنفذ الأوامر فيهم .

قوله : «فأتى وحمل السفر من يمين الجالس على العرش» ، الحمْل والأخذ معناهما واحد وهو قبول العطية . وكونه **حمل السفر من يمين الجالس على العرش** ، ولم يذكر أنه أعطى له ، فيه إشعار بأن المعطِى والمعطَى له واحد فى الموضوع ، كما تمنح نفس الإنسان جسده قوتها وتدبيرها ومَلَكاتها . **واليمين** تطلق على اليد اليمنى مجازا وعلى الجهة اليمنى حقيقة . والمراد هنا الحقيقة ، بدليل قوله قبل ذلك : «وعن يمينه سفر» ، ولم يقل فى يمينه ولا فى يده اليمنى .

قوله : «فلما أخذ السفر خرت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخا أمام الحمل» ، قد عرفتَ أن الأخذ كالحمْل والمقصود بهما واحد . وأما

(١) المكرسة ، المختصة . (٢) زك ٣ : ٩

ركوع الشيوخ أمام الحمل فأداة لفرض التعبد له ، وعلامة للاعتراف بعظمته ، وتقديم الكرامة والمجد له .

قوله : «وكانت قيثارة مع الواحد منهم ومجامر ذهب مملوءة بخورا من صلوات القديسين» ، إن إدراك النفوس وسائر الروحانيين المجردين المسموعات والمشمومات وغير ذلك من المدركات بالحواس غير مُنْكَر ولا مدفوع عند الشرعيين والحكماء المحققين ، فإن المدرِك فينا هذه الأشياء هى النفس بعينها . فأما الاعتراض بأن النفس لا تدرك شيئا من المحسوسات إلا بتوسط الحواس ، فذلك بشرط ارتباط النفس بالبدن . ولهذه الطائفة تبكت الأنبياء بقولهم : «هل الذى خلق العين لا يبصر أو الذى خلق الأذن لا يسمع»[(١)] . وإذ بان ذلك ، فالألحان والصلوات والتسابيح وأمثال ذلك مدركة للروحانيين . لكن يبقى أن مصدر الأصوات والأرابيح[(٢)] وغيرها ، هل يكون غير أجسام أو أجسام ، فيه نظر ، وذلك أن هذا جاء فى الكتب الإلهية على ثلاثة أنحاء : **أولها** الظاهر ، وهو أن يكون مصدر الأصوات والأرابيح وما أشبه ذلك جسم ، ولبيانه يُستغنَى عن دليل أو تمثيل . **الثانى** أن يأتى على طريق المعجز وخرق المعتاد ، كما سمع آدم صوت الله وليس مصدره جسما ، وكذلك هابيل وقايين وشيث ونوح وإبراهيم وموسى وصموئيل وغيرهم . **الثالث** أن يكون على سبيل التشبيه كما يسمع النائم فى حلمه أصواتا ويرى أشخاصا ويشم ويذوق ويلمس وليس لشىء من ذلك وجود حقيقى فى الخارج ، ولكنها رموز على معانٍ يدركها من يعرفها ويعرفها من أدركها . وهذا النحو هو المعتبر فى هذا الفص . **فالقيثارة** رمز على حركة النفس بأغانى الروح المنتظمة المتفقة ، وسيأتى لذلك مزيد بيان فى الفص الرابع والسبعين ، والمجامر رمز على عقد

(١) مز ٩٤ : ٩

(٢) نوع من الصلوات ، التسابيح .

النية الموهج[١] بالتعشق . وكونها من **ذهب** رمز على طهارتها وإخلاصها وشرفها ، وقد تقدم مثاله . **والبخور** قد فسر رمزه بأنه ما يرتفع من صلوات القديسين لشبهها بارتفاع البخور . وهذه **القياثير والمجامر** إنما كانت مع الشيوخ دون الحيوانات بدليل ما قالوه فى التسبحة : «لأنك قُتلت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة» .

وقوله : «يملكون على الأرض» ، وليس الملائكة بمترائسين ولا يملكون على الأرض .

قوله : «وكانوا يسبحونه تسبحة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وأن تفتح ختومه» ، سَمّى هذه التسبحة جديدة بالنسبة إلى تسبحة قبلها كانوا يسبحون بها الآب ، وقد تقدم ذكرها فى الفص الحادى والعشرين ، وهى : «أنت المستحق أيها الرب إلهنا أن تقبل المجد والكرامة والقوة لأنك خلقت كل شيء وإرادتك كانت فخُلقوا» ، والجديدة مختصة بالابن . والاستحقاق والأخذ والفتح والسفر والختوم قد مضى تفسيرها .

قوله : «لأنك قُتلت واشتريتنا لله بدمك» ، الشراء إذا كان بوسيط يقتضى مشترٍ ومشترَى ومشترَى منه ووسيط بينهم . والوسيط هو سيدنا المسيح والمشترِى هو الله والمشترَى هم بنو البشر ، ولهذا قال : «اشتريتنا لله بدمك» . بقى المشترَى منه وهو الشيطان لا محالة لأن البشر تعبدوا له وأطاعوه فاسترَقّهم بخطاياهم وخطية الأب الأول ، وفى ذلك قال سيدنا : «لأن كل من يعمل الخطية فهو عبد للخطية»[١] ، وشراء سيدنا لهم بأن تحمّل خطاياهم وفداهم بنفسه الشريفة وقَبِل عنهم ما يجب عليهم من أشنع الموت وهو القتل صلبا ، فكان سفك دمه ثمنا لهم . وقد قال بولس الرسول : «أنتم الذين اشتُريتم بالدم الثمين»[٢] . والضمير فى قوله واشتريتنا ، وإن كان عاما على الشيوخ ، فهو يعم سائر المؤمنين كما سنبيّن ذلك بعد .

(١) يو ٨ : ٢٤ (٢) ١ كو ٦ : ٢٠ .

قوله : «وصنعتهم لإلهنا مملكة وكهنوتا يملكون على الأرض» ، الضمير هنا فى قوله **وصنعتهم** هو بعينه الضمير فى قوله **واشتريتنا** ، وهو ضمير يعم الأنبياء والرسل وسائر المؤمنين ، وليس هو كالضمير الذى فى الفصل الأول من الرؤيا ، الفص الثالث : «وصنعَنا مملكة وكهنوتا لله أبيه الذى له المجد» ، فإن ذلك الضمير يخص الرسل ، وهذا الضمير يعم المؤمنين أجمعين ، بدليل قوله هنا : « **يملكون على الأرض**» ولم يقل ذلك هنالك . ولا المُلك ولا الكهنوت الذى فى هذا الفص هو الذى فى الفصل الأول ، بدليل قوله هنا : «من كل قبيلة وكل لسان وكل شعب وكل أمة» ، لأن ذلك فى حال البشرى وهذا فى القيامة الأولى ، فقد بان الفرق . وأراد **بالصنع** الجعل ، وبقوله **مملكة وكهنوتا** ذوى مملكة وكهنوت فحذف المضاف ، وتقدير القول : ملوكا وكهنة ، بدليل قوله **يملكون على الأرض** . وإشارته بهذه المملكة على الأرض إلى القيامة الأولى : قيامة الصديقين ، وهى وليمة الألف سنة على ما سيرد فى مكانه .

قوله : «ورأيت وسمعت صوت ملائكة كثيرين من حول العرش والحيوانات والشيوخ» ، أما **الرؤية** فالأشخاص وأما **السماع** فالأصوات ، وقد مضى فى تفسير الفص الثامن من الضرب الأول من الاعتبار الأول . وأما تسمية الطغمات كلها **ملائكة** فبقول كلى مطلق . وأما كونهم **من حول العرش** ، وإن كان لهم مراتب وكل مرتبة لها طغمات ، فإن هذا إشعار بإجماع جميعهم الآن حول العرش للتعبد والسرور والفرح والبهجة بسلطان سيد الكل ؛ ولهذا المعنى أضاف إليهم الحيوانات والشيوخ ، وإن كان قد تقدم ذكرهم ، ليدل على اتفاق الكل على ذلك .

قوله : « وكان عددهم ربوات وألوف ألوف» ، قد تقدم القول أن كل طغمة لا تحصى عددا ، وذلك الوصف يتناول كل طغمة من الطغمات لا سيما الجميع . ولكن العبارة لا تحيط بأكثر من هذا القول ، وهو إضافة

الربوات إلى الربوات والألوف إلى الألوف . وما زاد على ذلك بكثرة المضاعفة الإضافية صار أخفى عند الفهم ، وعاد مخالفا البيان الجلى . مثال ذلك قولنا ربوات ربوات ربوات دفوعا كثيرة ، لميُتصوّر منه سوى إضافة ربوات كثيرة إلى ربوات كثيرة ، وكذلك الألف . فالذى قاله أعم وأبين وأقرب مثالا للفهم .

قوله : «قائلين بصوت عظيم إن الحمل المقتول يستحق أن يأخذ القوة والغنى والحكمة والمجد والكرامة والتسبيح وكل المخلوقات التى فى السماء وعلى الأرض والتى فى البحر» ، هذه تسبحة من الملائكة والحيوانات ، وأضاف الشيوخ إليهم ما تقدم ذكره . والصوت العظيم دليل على إفراط الفرح والطرب . وقد ذكر سبعة أشياء : **القوة** وهى إشارة إلى المُلك على الكل ، **والغنى** وهو دليل على التأله ، **والحكمة** وهى إشارة إلى إتقان العلوم والأعمال ، **والمجد والكرامة** بأن يقبل التمجيد والأدعية والقرابين المرفوعة ، وكذللك قبول **التسبيح** والاستيلاء على كل المخلوقات . وأما تفضيله المخلوقات فيشير بقوله **التى فى السماء** إلى الملائكة وأرواح الأنبياء والرسل والشهداء ومن يستحق ذلك من الأبرار ، وبقوله **وعلى الأرض** إلى البشر والحيوانات والشياطين أيضا لأنهم وإن كانوا فى باطن الأرض فهم عليها ، وبقوله **والبحر** إلى حيواناته ؛ ولم يبق إلا الهواء والنار وهما منضمان إلى السماء لأنهما فوق الأرض والماء . وكل علاء يسمى سماء ، ومثل هذا فى سفر الخليقة فإنه ذكر **سماء** وأشار بها إلى العلو وما يليه ، **وأرضا** وأشار بها إلى الأسفل وما يليه . والمعنى الإجمالى إن الملائكة والأنبياء والرسل شهدوا باستحقاق ذلك ، وأن يملك العلو والأسفل مخلوقاتهما أجمعين .

قوله : «والذين فيهم سمعتهم يقولون للجالس على العرش السبح لك والكرامة والمجد والعز إلى أبد الأبد» ، والضمير من **فيهم** وما يليها عائد على ما تقدم ذكره : السماء والأرض والبحر . وهذه تسبحة صادرة من مخلوقات العلو والسفلى إلى الآب بالسبح والكرامة والمجد والعز إلى أبد الأبد ، وهى ظاهرة . **وأبد الأبد** يقصد بهما عدم النهاية .

قوله : «والأربعة الحيوانات يقولون آمين» ، لفظة **آمين** فى الكتب الإلهية تطلق على ثلاث معانٍ : أحدها **نعم** ، وتأتى آواخر الأخبار والتمجيدات والتسابيح لتقريرها وتثبيتها والموافقة عليها ، كما قال فى آخر بشارة مرقس : «وكان الرب يعمل معهم ويثبت القول بالآيات التى تتبعهم إلى أبد الآباد آمين»[(١)] ، فلفظة آمين هنا تثبيت وتقرير لهذا الخبر ، وبهذا المعنى قال فى هذا الفص «آمين» لأنه يثبت ويقرر التسبيح وموافقة عليه من الحيوانات والأربعة . والثانى **الحق** ويرد فى الأخبار كما يقول الإنجيل فى مواضع عدة : الحق أقول لكم ، والحق الحق أقول لكم ، والمراد تمكين الصدق . والثالث اسم الفعل الذى هو **استجب** ويرد فى الصلوات والطلبات والأدعية والتضرعات ، وكثيرا ما يُختم بها .. ولكثرتها يُستغنى عن التمثيل .

الأصحاح السادس

الفصل السادس

٢٥- (١) وبعد هذا رأيت عندما فتح الحمل واحدا من الختوم وسمعت واحدا من الأربعة الحيوانات يقول كمثل صوت رعد تعال وانظر (٢) فنظرت ها هوذا فرس أبيض والراكب عليه بيده قوس أعطى إكليلا وخرج متغلبا فغلب .

(١) مر ١٦ : ٢٠ .

هذا هو السر الأول من الأسرار السبعة تحت الختم الأول من الختوم السبعة . وهو متسق[١] مع ما قبله فى اللفظ ، وأما فى المعنى فإنه أول فصوص البناء الثالث من القسم الثالث عشر فى وليمة الألف سنة . وهذان النسقان من مشكلات الكتاب ، وكذلك بقيته .

قوله : «وبعد هذا رأيت عندما فتح الحمل واحدا من الختوم» ، أى بعد هذه الأشياء المتقدمة رأيت هذا ، وقد سلف لنا تفسير الختم وإنه رمزٌ على صون المختوم عليه وحفظ سره . وإن فتح الختم هو إظهار مصونه للعلم . وإن تمامه فى أوانه هو خروجه من القوة إلى الفعل . وقد كمل الظهور والتمام جميعا فى هذا السر .

وقوله : «وسمعت واحدا من الأربعة الحيوانات يقول كمثل صوت رعد تعال وانظر» ، أما **الرؤية** فلفتح الختم ، وأما **السماع** فللصوت . وأما هذا الصوت الذى كان كالرعد لأى حيوان من الأربعة ، فهو للحيوان الأول الذى يشبه الأسد ، بدليل قوله بعد ذلك : «سمعت الحيوان الثانى يقول»[٢] فدل على أن هذا هو الأول . وزئير هذا الحيوان الذى هو الأسد يشبه الرعد حقيقة لزجله[٣] وجهارته[٤] . وقول هذا الحيوان الأول للرسول **تعال** لكى يقرب ، فإن القرب يزيده كرامة وبصيرة وتنبها ليُقبل على تأمل ما يرى ويبعثه على فهمه واستبتاته[٥] .

وقوله : «فنظرت ها هوذا فرس أبيض» ، **الفرس** رمز على المُلك والسلطان والاستيلاء ، وكونه **أبيض** رمز إلى العدل والخير والظفر والهدوء ، كما أن الأحمر رمز إلى الشر والقلق وسفك الدم .

(١) مطابق ، موافق ، مشابه . (٢) رؤ ٦ : ٣

(٣) صوت يدوّى ، تطريب . (٤) تفخيمه ، تعظيمه .

(٥) هكذا وردت ، وربما يقصد بها استثباته ، أى رسوخه فى الذهن والفهم ، أو تمكّنه . وقد تكون من البت فى الشىء ، أى التثبت منه .

قوله : «والراكب عليه بيده قوس» ، **الراكب** على الفرس الأبيض رمز به إلى سيد الكل . وإنما قلنا رمز به ولم نقل هو سيد الكل نفسه ، لأن ذلك هو الفاتح للختم الكاشف للرمز ، ولا يكون الرمز هو المرموز إليه ، فافهم ذلك . ولا هذا الراكب ملاك أيضا ، لأن الملاك لا يتشبّه بسيده لكنه شبح وصورة . والقوس يدل على الغلبة والظفر .

قوله : «أعطى إكليلا» ، قد عرفت فيما مضى المعانى التى يُرمَز إليها بالإكاليل ، والمراد منها هنا المُلك والسلطان والقهر ، بدليل قوله : «وخرج متغلبا فغلب» . والغلبة جاءت على نحوين ، **أحدهما** : جسمانى محسوس كقهر الملوك ملوكا آخرين فى الملاحم[١] ومعاركات الحروب . **والآخر** : روحانى ، بيّنه بولس الرسول بقوله : «إن حربنا ليست مع لحم ولا دم ، لكنها مع سلاطين الظلمة وملوك الهواء»[٢] ، وهو غير ما قاله السيد لرسله : «ثقوا أنا غلبت العالم»[٣] ، يقصد إنه غلب شهوات العالم . وقد تقدّم لنا تعريف هذه الغلبة بمجموع أمور ثلاثة فى الفصل الثانى [فص ١١] بقوله : «ومن يغلب أعطه أن يأكل من شجرة الحياة»[٤] ، وإما اعتبار الغلبة هنا خاصة فبالمعنيين معا . **أما الروحانى** ، فإن الشيطان لما قهر آدم وذريته بالخدع للمعاصى قهرا مطردا ، قهره سيد الكل بسيرته العالية بالجسد الإنسانى نفسه ، ولم يصدر عنه مع ذلك زلل بالفعل ولا بالقول ولا بالفكر بعد اجتهاد المجرّب فى الجهاد والتجارب بأنواع الخدع واللبس[٥] كما تشهد بجميعه الأناجيل المقدسة فى فصول التجربة وغيرها من قوله لليهود : « من منكم يوبخنى على خطية»[٦] ، وقوله لرسله : «إن رئيس هذا العالم يأتى وليس له

(١) الوقائع العظيمة ، الحروب ، القتال .
(٢) أف ٦ : ١٢
(٣) يو ١٦ : ٣٣
(٤) راجع ص ٢ : ٧
(٥) اختلاط ، إشكال ، غش .
(٦) يو ٨ : ٤٦

فىّ شىء»[١] . **وأما الجسمانى** ، فإن السيد يأتى فى دولة الدجال بملوك من المشرق فيُهلكون كل من مع الوحش من الملوك والجند الساجدين له والمؤمنين به ، ويلقى الوحش فى بحيرة النار والكبريت كما سيأتى ذلك فى مكانه . فهذا حل رموز هذا الفص ، وأما مقصده فإنه كشف أمرين ، **أحدهما** : إعطاء الآب ، له المجد ، لسيد الكل ، أى للابن ، كل سلطان فى السماء وعلى الأرض كما قال للملائكة عند أخذ الحمَل للسفر إن الحمَل المقتول يستحق أن يأخذ القوة والغنى والحكمة والمجد والكرامة والتسبيح وكل المخلوقات التى فى السماء وعلى الأرض والتى فى البحر . وقد كشف لأشعياء النبى ، فقال : «من أجل مولود وُلد لنا وابن أعطيناه سلطانه على منكبيه ودُعى اسمه عجيبا ومشيرا الله جبار العالمين أب الدهر العتيد ورئيس السلامة بعظم سلطانه ولا يكون لسلامته منتهى على كرسى داود أبيه وعلى مُلكه ليصلحه ويدعمه بالبر والعدل من الآن وإلى دهر الدهرين»[٢] . ثم كشف لدانيال بعده ، فقال : «وكنت أرى على مزن السماء مثل ابن البشر أقبل فانتهى إلى عتيق الأيام وإياه أعطى السلطان والملك والكرامة وإن جميع الشعوب والأمم واللغات إياه يعبدون سلطانه سلطان الأبد وملكوته لن يفسد»[٣] . ثم خرج ذلك إلى الوجود ، كما حكاه متى الإنجيلى إن الرب قال للرسل بعد قيامته : «أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض»[٤] .

والأمر الآخر : قهر الحمَل والعسكر الذى معه بخيل بيض ، الدجال ومن معه . فلذلك قال فى هذا الفص : «وخرج متغلبا فغلب» ، وهذا **كالعنوان والإنذار** بما سيأتى فى هذا المعنى مفصلا .

---

(١) يو ١٤ : ٣٠.

(٢) أش ٩ : ٦ و ٧

(٣) دا ٧ : ١٣ و ١٤

(٤) مت ٢٨ : ١٨

٣٦- (٣) ولما فتح الختم الثانى سمعت الحيوان الثانى يقول تعال وانظر (٤) فنظرت فخرج فرس بلون النار كله والراكب عليه أعطى أن ينزع السلامة من على الأرض كلها ليقتل بعضهم بعضا وأعطى سيفا عظيما .

هذا هو السر الثانى من الأسرار السبعة التى تحت الختم الثانى من الختوم السبعة . وهو فى النسق المعنوى أول البناء الثانى من القسم الثانى عشر فى الوحش الصاعد من البحر .

قوله : «ولما فتح الختم الثانى سمعت الحيوان الثانى يقول تعال وانظر» ، قد مضى تفسير الفتح والختم . وقوله : «الحيوان الثانى» ، فهو الذى يشبه العجل .

قوله : «فنظرت فخرج فرس بلون النار كله» ، قد تقدم أن ذكر النظر والسماع وغيره من الإحساس والحواس فى الرؤيا ، إنما يراد به إدراك العقل ذلك به محسوسا كان أو معقولا . **والنظر** هنا لسببين ، **أحدهما** : فتح الختم . **والثانى** : خروج الشبح من تحته . وقد مضى تفسير الفرس ، فأما لونه **بلون النار كله** إشعار بأنه لا يشوبه[1] خير ولا يقصر عن غاية الشر .

قوله : «والراكب عليه أعطى أن ينزع السلامة» ، هذا الراكب يرمز إلى الوحش البحرى ، ويجوز أن يكون هذا الشبح ملاك الدولة الدجالية فإنه بصورة ملكها ، ويجوز أن يكون شبحا وصورة كما تقدم . وهو يجرى هنا مجرى العنوان ، وسيأتى ذكر الوحش وأحواله ودولته مفصلا فى مكانه .

(١) لا يخالطه ، لا يمتزج معه .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الراكب هو الشيطان ، معتمدا على كون لون فرسه كالنار ، وكون التنين الذى هو الشيطان بلون النار أيضا . ولو كان كذلك ، لكانت الفرس أولَى أن تكون رمزا للشيطان لأنها ذات اللون . وإذا كان كذلك ، صار ما قلناه من أن الراكب هو الوحش البحرى لا التنين . ومع هذا ، فالشيطان لم يعطَ له سيف بل الوحش ، وإلا تجدد الإعطاء للشيطان أن ينزع السلامة من على الأرض كلها ، لأنه كذلك منذ أول الخلق .

وقوله : «من على الأرض كلها» ، أى لا يفوته مكان من المعمورة حتى لا يسرى إليه فساده وفتنته .

وقوله : «وأعطى سيفا عظيما» ، السيف آية الاستيلاء والتسلط والقهر وشعار الفتَن وسفك الدماء . وكونه **عظيما** رمز على حدة أمره ونفاذه فى الأقطار .

✠ ✠ ✠

٢٧- (٥) ولما فتح الختم الثالث سمعت الحيوان الثالث يقول تعال وانظر فنظرت هوذا فرس أدهم الراكب عليه فى يده ميزان (٦) وسمعت صوتا شديدا فى وسط الأربعة الحيوانات كصوت نسر يقول مَد قمح بدينار وثلاثة أمداد شعير بدينار والزيت والخمر فلا تضر بهما .

هذا هو السر الثالث من الأسرار السبعة تحت الختم الثالث من الختوم السبعة . وهو متسق فى المعنى على الفص الرابع والخمسين من القسم التاسع فى هبوط الشاهدين العظيمين أخنوخ وإيليا .

قوله : «ولما فتح الختم الثالث سمعت الحيوان الثالث يقول تعال وانظر» ، الحيوان الثالث هو الذى يشبه وجه إنسان ، وبقية الفص قد مضى تفسير مثله .

قوله : «فنظرت هوذا فرس أدهم الراكب عليه فى يده ميزان» ، الرمز **بالفرس** قد تقدّم ذكره ، وكونه أدهم ، أى أسود ، رمز على الحزن والكآبة والبلوى والخوف . **والراكب** هو ملاك الغلاء أو شبح رمز به للغلاء والأول أولى . **والميزان** رمز على القحط وعزة القوت ، لأن الوزن والتحريز دليل التقتير[1] وعدم البَسط فى العطاء . وكون الميزان فى اليد رمز على قيام القحط ودوام مدته المقضية المُقَدّرة ، كما أن وضع الميزان انحطاط الغلاء .

قوله : «وسمعت صوتا شديدا فى وسط الأربعة الحيوانات كصوت نسر يقول» قد تقدم الشماع والصوت . وأما كونه **شديدا** فرمز على قوة هذا الأمر الذى هو عزة القوت وارتفاع سعره . وأما كونه **كصوت نسر** فيظهر منه صوت الحيوان الرابع لأنه يشبه نسرا طائرا . وهذا الطائر المشبّه به ، فى صوته حدة وعلو وصرصرة ، لأنه أقوى من أصوات بقية الطيور ، فيكون المستدعِى للرسول هو الحيوان الثالث والقائل بعده هو الحيوان الرابع . وقد يجوز إن هذا الصوت متميز من غيره .

قوله : «مَد قمح بدينار وثلاثة أمداد شعير بدينار والزيت والخمر فلا تضر بهما» ، تختلف المكاييل فى عُرف أهل الأقاليم ، فالمد عند المصريين هو الكيل الصغير ، ويسمونه أيضا قدحا . واللفظ الدال عليهما فى اللغة القبطية واحد ، والمَد كيل أكبر فى عُرف الشاميين وغيرهم ، ومقداره ستة أقداح مصرية . فإن كان المد المذكور فى الرؤيا هو قدحا مصريا ، كان سعر الإردب من القمح ستة وتسعين دينارا ، وسعر الإردب من الشعير اثنين وثلاثين دينارا .

---

(١) البخل ، الإمساك .

وإن كان المد شاميا ، كان سعر إردب القمح اثنين وثلاثين دينارا ، والشعير سعر الإردب عشرة دنانير وثلثاى .

وفى قوله : «والزيت والخمر فلا تضر بهما» دليل على ثلاثة أشياء ، **أولها** : إن هذا الراكب الفرس الأدهم ملاك الغلاء كما قلنا ، لأنه المخاطب من ذلك الصوت . **والثانى** : أن صنفى القمح والشعير يعطب ما يُزرع منهما فى الأقاليم التى تـزرع بالسيح[١] أو بالسقى كالبلاد المصرية والعراقية وغيرهما . وأما الأقاليم التى تزرع على المطر فلا زرع فيها أصلا لعدم الغوث[٢] بالغيث[٣] ، ولذلك لا يعطب[٤] الزيت ولا الخمر ، لأن الكرم البعلى والزيتون يكتفيان بالطل وما يمتصانه من تحلب[٥] رطوبات الأرضين ، والمسقاوى منهما يجزيه السقى فلا ينضر لعدم المطر .

فهذا حل رموز هذا الفص . وأما مقصده فإنه كشف سر الغلاء الواقع فى أيام نزول النبيين أخنوح وإيليا عند تبكيتهما العالم على الخطايا وإنذارهما بمجىء الدجال . وتلك المدة اثنان وأربعون شهرا كما بُيّن ذلك فى الفص الرابع والخمسين من هذه الرؤيا ، فقال : «وأعطى شاهدىَّ أن يتنبآا ألف ومائتين وستين يوما . . ولهما سلطانا أن يغلقا السماء أن لا تمطر على الأرض فى أيـام نبوتهما ولهما سلطان أيضا على المياه أن يقلباها دما»[٦] . وهذا الغلاء أول حادث يقع فى أيامهما فإنهما يعزيان المؤمنين الأبرار ويعظان وينذران ويرعبان ويرهبان . فإذا لم يُصغَ إليهما ولا يُقبَل منهما ، فعلا آية فترتاع الناس وتذهل ويتوب قوم ويعتبرون ويربحون أنفسهم ، ويقسو قوم آخرون ولا يعتبرون كما قسا فرعون ، فيعاوِدوا الوعظ والإنذار وعمل آية أخرى . فهذا تفسير السر الثالث .

---

(١) السقى ، الرى بالماء الجارى الظاهر .
(٢) المدد ، الإسعاف ، المساعدة .
(٣) المطر .
(٤) يهلك ، يفسد .
(٥) سيلان ، جريان .
(٦) رؤ ١١ : ٣ و ٦

٢٨- (٧) ولما فتح الختم الرابع سمعت صوت الحيوان الرابع يقول تعال وانظر (٨) فرأيت ها هوذا فرس أخضر الراكب عليه اسمه الموت والجحيم كله يتبعه وأعطى سلطانا على ربع الأرض أن يُقتلوا بالسيف والجوع والوباء ووحوش الأرض .

هذا هو السر الرابع من الأسرار السبعة تحت الختم الرابع من الختوم السبعة . وهو متسق فى المعنى مع الفص السادس والعشرين من البناء الثانى من صفة الوحش البحرى ودولته .

قوله : «ولما فتح الختم الرابع سمعت صوت الحيوان الرابع يقول تعال وانظر» ، الفتح والختم والسماع وتعال مضى تفسيرها . **والحيوان الرابع** هو الذى يشبه نسرا طائرا .

وقوله : «فرأيت ها هوذا فرس أخضر الراكب عليه اسمه الموت» ، **الفرس** قد فُسِّر المعنى المرموز عليه . وكونه **أخضر** لون يدل على أربعة ألوان مختلطة يُرمَز بها على أربع صفات : **السيف** والرمز عليه بحمرة الدم ، **والجوع** والرمز عليه بالسواد المحزن كما تقدم ، **والوباء** والرمز عليه بالصفرة والسواد كالأنمر[١] والأغبش[٢] لأن أكثر ألوان الوحش الكاسر كذلك ؛ وهذه الألوان إذا اختلطت كانت منها الخضرة العميقة إلى السواد . **والراكب** على هذا الفرس أظنه ملاك دولة الدجال ، وهو ملاك الموت نفسه للتصريح بأن اسمه الموت ، وبدليل قوله : « **والجحيم كله يتبعه**» ، والجحيم هنا قبور الأموات وذلك لكثرة الفتَن والحروب والموت بهذه الأنواع .

---

(١) ما فيه بقعة سوداء والأخرى بيضاء . (٢) سواد يخالطه بياض قليل .

وقوله : «وأعطى سلطانا على ربع الأرض أن يُقتلوا بالسيف والجوع والوباء ووحوش الأرض» ، مراده **بربع الأرض** ربع أهل الأرض ، فحذف المضاف لدلالة ما بقى على ما أبقى . وهذا القدر ، وهو الربع من الناس ، هم الذين ثبتوا على الإيمان ، ولا يطيعون الدجال ، ولا يؤمنون به ، والبقية يطيعونه ويؤمنون به . فيهلك هذا الربع بالأنواع الأربعة المذكورة ، ولذلك قال : «أن يُقتلوا بالسيف والجوع والوباء ووحوش الأرض» . وأما مقصده ، فإنه كشف سر المؤمنين بالمسيح له المجد فى دولة الدجال إذ لم يطيعوه ولم يؤمنوا به . أما موتهم فبهذه الأنواع الأربعة : من أقام قُتل بالسيف ، ومن اختفى بالبيوت والجُدُر هلك بالوباء والجوع ، ومن هرب إلى الكهوف والمغاير والجبال مات جوعا ، ومن هرب إلى البرارى والقفار افترسه الوحش ومات . يؤيد هذا قوله فيما بعد : «من إلى السبى فليمض ، ومن يَقتل بالسيف فسيُقتل بالسيف ، ومن له صبر وأمانة القديسين فطوباه»[1] ، ومثل هذا بعينه أنذر به حزقيال النبى ، فقال : «أربع قضايا سواء : أبعث على أورشليم الجوع والحرب ودابة سوء والموت»[2] ، وقال فيه : من كان بعيدا مات ، ومن كان قريبا فبالحرب يسقط ، ومن ينجو منه ويبقى فبالجوع يموت . ومنه أيضا : الحرب فى السكك والجوع والموت فى البيوت ، والذى فى الحقل بالجوع والدابة السوء . وسيرد عليك فصل مزيد من تفصيل هذه المجملات فى مكانه بمشيئة الله تعالى .

✠ ✠ ✠

٢٩- (٩) حينئذ ولما فتح الختم الخامس رأيت من أسفل المذبح أنفس الناس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله والشهادة التى كانت

(١) رؤ ١٣ : ١٠ .   (٢) حز ١٤ : ٢١

عنـدهم (١٠) وصرخوا بصـوت عظيم قائلين إلى متى يا مالـكنا القدوس الصدّيق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من السكان على الأرض (١١) فأعطى للواحد منهم حُلّة بيضاء وقيل لهم أن يستريحوا هم زمانا آخر يسيرا حتى يُكمل أصحابهم العبيد وإخوتهم الذين يُقتلون أيضا مثلهم .

قوله : «وحينئذ ولما فتح الختم الخامس» ، هذا هو السر الخامس من الأسرار السبعة تحت الختم الخامس من الختـوم السبعة . وهو متسق فى المعنى مع الفص السابع والستين من القسم التاسع من هبوط الشاهدين[1] وحوادثهما .

وقولـه : «رأيت من أسـفل المذبح أنفس الناس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله والشهادة التى كانت عندهم» ، قد علمتَ الرؤية ، وإن الرؤيا إدراك عقلى ، وهى هنا دليل على ما ذهبنا إليه من ذلك وتحقيق له ، فإنه قال : رأيت أنفس الناس الذين قُتلوا . وكيف تُرَى الأنفس لولا إنه أراد الإدراك العقلى ، وهذا صريح جلى . وأما هذا **المذبح** فلم يتقدم له ذكر ، فيكون الألف واللام فيه للعهد السابق ، وليس القصد به معنى الجمع فتكون الألف واللام للاستغراق والعموم ، كقولك الإحراق عن نار ، أى كل إحراق عن نار ، فبقى أن تكون هذه الألف واللام دالة على مجرد الماهية المعلومة ، وسيذكر فى الفص السابع والثلاثين بعد ذلك إن هذا المذبح من ذهب ، وإنه كائن أمام العرش الأعظم ، وإنه مذبح لرفـع البخور لا الذبيحة . ونحـن نبحث عنه هنا لأنه

(١) أخنوخ وإيليا .

أول موضع ذُكر ليُفهم عنه ما يأتى ذكره بعد ذلك . فنقول ، **أولا** : إن المذبح والهيكل يرد ذكرهما واحد وعشرون مرة فى أربعة عشر فصا ؛ أما المذبح فثمانى مرات فى سبعة منها ، أولها فى هذا الفص التاسع والعشرون ، والسابع والثلاثون [مرتين] ، والثامن والثلاثون ، والثامن والأربعون ، والثالث والخمسون ، والثانى والسبعون ، والتاسع والسبعون . وأما الهيكل فثلاثة عشرة مرة فى سبعة منها أيضا ، أولها فى الخامس والثلاثون ، والثالث والخمسون [مرتين] ، والثامن والخمسون [مرتين] ، والحادى والسبعون ، والخامس والسبعون [٤ مرات] ، والسادس والثمانون ، والمائة والخامس والعشرون [مرتين] . **وثانيا** : هل المذبح يريد به الهيكل ؟ والجواب : إن المراد بهما واحد ، وهو الهيكل الذى يُرفع عليه البخور . **وثالثا** : هل لهذا المذبح المسمى بالهيكل وجود فى السماء أم هو رمز على شىء آخر ؟ **والجواب** : إن مثل هذا لا يُطلع عليه حقيقة إلا بالوحى ، وإما بقوة الحدس وغلبة الظن وإشارات الدلالة . ويظهر لى إن للهيكل والقبة وجود فى السماء إذ لم يُدرك من قرينة لفظية أو معنوية استدلال على أن ذلك رمز ، وكذا لم تُدرك استحالة وجودهما فى السماء ، بل وجدنا أماكن تدل على الوجود ، منها كون المذبح أمام العرش ، فقد قال إنه ذَهَبٌ ، فهل هو ذهب ؟ لأننا لم نَدّع إنه مذبح أرضى خشب أو بناء ، بل شىء آخر روحانى يشبه الأرضى أو يشبهه الأرضى . وكذلك لا نقول إنه ذَهَبٌ من نوع الذهب ، بل شىء آخر مشبّه بالذهب لمعانا ، وقد ذكرناها وسنذكرها . ومنها أن الله تعالى قال لموسى النبى عندما عمل البيت ، أن يعمل على ما يراه فى السماء ، فظهر المجموع إن له وجود فى السماء . وإن موسى لم يعمل البيت على شكل رؤيا مضمحلة ، بل شكل ثابت الوجود فى السماء والله وأعلم .

وأما هذه **الأنفس** فإنها أنفس الشهداء المسفوكة دماؤهم من أجل كلمة اللهوالشهادة له بأنه مخلّص العالم المستحق التعبّد له ، بدليل قوله : « **من أجل**

كلمة الله والشهادة التى كانت عندهم» . أما **من أجل كلمة الله** فمن أجل إيمانهم بها ، وأما **من أجل الشهادة** فلأنهم شهدوا للرب يسوع إنه المسيح المنتظر كلمة الله له المجد . وأما قوله **التى كانت عندهم** فاستدللنا منه على أن الإشارة إلى السهداء منذ دعوة سيد الكل وإلى آخر دولة الدجال التى يكملون بكمالها من اليهود وسائر الأمم ، وسيأتى تفصيلهم فى الفصول الآتية اللائقة .

قوله : «وصرخوا بصوت عظيم قائلين إلى متى يا مالكنا القدوس الصديق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من السكان على الأرض» ، الصراخ والقول للتعبير عن المقصود ، كما أن السماع إدراك له . وهو رمز على حركة أنفسهم لطلب الانتصاف ممن ظلمهم وأراق دماءهم ظلما وعدوانا ، واستبطاء لأخذ حقهم منه . وتأمل أن الدماء لا يقضى لها بل لأصحابها ! فقد حذف الضمير المضاف وألحقه أخيرا بالمضاف إليه ، وتقدير القول : إلى متى يا مالكنا لا تقضى لنا من دمائنا ؟ ولما وقع الفعل على غير من هو له أوهم إطلاق الاسم على غير مسمّاه . وههنا سؤال ، وهو : كيف جاز لهم أن يسألوا الانتقام ممن ظلمهم أو يستبطئوا ذلك ؟ وعلى هذا آراء ثلاث :

الرأى الأول : أن هذا يناقض فصوصا كثيرة من شريعة الفضل ، منها قوله : «أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم»[١] ، فكيف أحَب هؤلاء أعداءهم أو باركوا على لاعنيهم أو أحسنوا إلى للمسيء إليهم ؟ ومنها قوله : «طوبى لفاعلى السلامة فإنهم بنى العلى يدعون»[٢] ، وقوله : «طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينون الله»[٣] ، وقوله : «لا تقاوموا الشر البتة»[٤] . وأين طلب السلامة من طلب الانتصاف ؟ وأين

(١) مت ٥ : ٤٤
(٢) مت ٥ : ٩
(٣) مت ٥ : ٨
(٤) مت ٥ : ٣٩

نقاء القلوب وعدم مقاومة الشر من التظلم وطلب الانتقام ؟ ومنها قوله : «صلوا على من يطردكم ويحزنكم لكى تكونوا بنى أبيكم الذى فى السموات»[١] ، وقوله : «وإن لم تغفروا للناس خطاياهم ولا أبوكم السماوى يغفر لكم»[٢] . وكيف تجتمع الصلاة عليهم والتظلم منهم ؟ أو كيف يمكن الغفران لهم ولم يغفروا لمن أساء إليهم ؟ فهذه النصوص وما شابهها تناقض طلبهم الانتقام عن دمائهم أو يلزم النقيض . فإن قيل لى إن هذه الأوامر إنما يُعمل بها فى هذا العالم ليجازَى العامل بها أحسن الجزاء . فأما من فارق هذا العالم فلا يلزمه بها بعد المفارقة ، والدليل على ذلك؛ قول الإنجيل : «لتكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات المشرق شمسه على الأخيار والأشرار والمطر على الصديقين والظالمين»[٣] ، وهذا عمل الله فى هذا العالم لا فى عالم المجازاة ؛ فإنه هناك لا يشرق شمسه على الأشرار ولا يمطرهم بل يعذبهم بأفعالهم ، فهو وصف مشترك بينه وبين خلقه ، أعنى عملهم بشريعة الفضل هو فى هذا العالم خاصة . قيل فى جوابه : هذه الوصايا لا تخلو أن تكون فضيلة للنفس أو رذيلة . فإن كانت فضيلة وجب العمل بها هنا وهناك ، وإن كانت رذيلة وجب تركها هنا وهناك ، ولا خلاف فى بطلان هذا ، فثبت الأول . وأما الآب السماوى ، له المجد ، فليس تحت شريعة لا هنا ولا هناك ، تعالى عن ذلك .

الرأى الثانى : هذه النفوس الطالبة للانتقام ، إن كانت صفحت عمن ظلمها فى هذا العالم قبل خروجها منه ، فما لها تعاود المطالبة بما غفرته ؟ وإن كانت لم تصفح ولم تغفر ، فقد أثمت وخالفت هذه النصوص كلها ولم تعمل بواحدة منها .

---

(٥) مت ٥ : ٤٥

(٦) مت ٦ : ١٥

(٣) مت ٥ : ٤٥

الرأى الثالث : إن كانت هذه النفوس تجازَى بأحسن المجازاة من الله تعالى عن قبولها ظلمها وصبرها فى حياة الدنيا ، فلم يبق لها أن تطلب الانتقام ممن ظلمها ، لأنها تصل إلى أضعاف حقها من فضل الله تعالى . وإن كانت لا تجازَى ، فما فائدتها فى الانتقام ، وأى عائد يعود عليها ، أو أية رأفة تصل إليها من ذلك ؟ وهو أمر قد سلف ومضى .

فهذه الآراء الثلاث ، والجواب عنها أن طلب هذه النفوس الانتقام ممن ظلمها : إما أن تراد بها الحقيقة أو لا . فإن أريد بها الحقيقة ، وهى طلب الانتقام ممن ظلمها على ظاهره ، فالآراء المذكورة واردة عليه . والجواب عن الأول منها أن النصوص ربما أطلقت عامة وأريد بها الخصوص . فما كل عدو يُحَب أو يُبارَك عليه أو يُحسَن إليه ، كالشيطان وأنبياء الكذب وأرباب البدع والمتشككين والدجال ومن يجرى مجراهم ؛ فإن سيمون الساحر مثلا لم يحتمله بطرس الرسول ، ولا أحبه ، ولا أحسن إليه ، ولا بارك عليه ، بل أهلكه هلاكا أبديا . وكذلك حنانيا وامرأته ، وكذلك المعاند الذى أعماه بولس . والسبب أن هؤلاء الأشخاص يعظم فسادهم وقحتهم(١) ، فيرجح جانب التخلص منهم على استعمال الرأفة بهم ، كما يرجح طلاق الزانية على مقارنتها ، وإن كان الأصل عدم الطلاق ، بدليل قوله : «وما يزوجه الله لا يفرقه إنسان»(٢) .

وكما منع المغفرة عن المجدف على روح القدس ، ومنع من مخالطة الوثنى والعشار ، فهؤلاء الظالمون من هذا القبيل .

وهذا الجواب يصلح أن يكون جوابا أيضا على الرأى الثانى ، لأن المختار فيه أن المظلومين من غفروا لظالميهم وإلا خالفوا تلك النصوص ، لأن هؤلاء الظلمة ليسوا ممن يُغفَر لهم .

---

(١) قلة أدب ، لؤم ، جفاوة ، رذالة .

(٢) مت ١٩ : ٦

أما جواب الرأى الثالث ، فإن قبول هذه النفوس المجازاة من الله بالحسنى على صبرها ، لا يمنع طلبها الانتصاف لتغاير المعنَيَيْن وكونهما فير ممنوع اجتماعهما .

أما أخذ هذه النفوس بقصاص من ظلمها ، فله فوائد كثيرة ، **أولها** : أن دماءها لم تُهدَر . **والثانى** : أن الله انتصر لها ونظر إليها ، وبذل يظهر عدله فى تساوى الظالم بالمظلوم فى الألم ، وبه يعلم الظالم سوء عاقبة ظلمه ، وأن تعدّيه لم يذهب جزافا[١] . ويجوز أن يكون طلب هذه النفوس الانتقام بإيعاز[٢] إلهى ، كما جرى فى حل السبت عندما طاف بنو إسرائيل حول أريحا مع يشوع ابن نون سبعة أيام[٣] ولم يأخذوا بحله فلم ينكر ذلك عليهم ، بل كان المتنكر لو خالفوا الأمر . أو بإطلاق إلهى كما ترك بنو إسرائيل الختان فى اليوم الثامن مدة أربعين سنة فى البرية[٤] ، مع التأكيد فى حفظه والتوعد بالهلاك على تركه ، ثم لم يؤاخَذوا عن ذلك . . وهذا فى هذا العالم .

وإن لم يقصد الظاهر بل المجاز مما لم تَرُد عليه الآراء المذكورة ، فالمجاز يعنى أن يُطلق لفظا ولا يراد به معناه الدال عليه بل معنى يؤخذ من عرضه ، مثال ذلك فى الحديث العادى ، يقول الفقير لمن يستجدى منه : إننى مضرور وإن حالى قد رقّ وإن حاجتى قد مسّت . بمعنى : أعطنى ما أستعين به . وإذ بان معنى التعريض ما هو ، فمن المعلوم أن الله تعالى يجازى الظالمين بأعمالهم سواء طلب المظلومون ذلك أو لم يطلبوا . فهذا ما يمكن قوله فى هذا السؤال والله أعلم بالحق اليقين ، ومن يفيضه عليه من المتقين .

(١) عبثا ، بدون فائدة بدون طائل ، بدون معرفة . (٢) إشارة ، أمر .

(٣) يش ٦ : ٣ و ٤ (٤) يش ٥ : ٥ - ٧

والقدوس من أسماء الله تعالى ، وهو على وزن فعول من **القدس** ، وهو الطهارة لغةً . **والصدّيق** ، بالتشديد ، هو الدائم الصدق الذى يصدق قوله بفعله . **والسكان على الأرض** لا يريدون بهم العموم بل من ظلمهم فقط .

قوله : «فأعطى للواحد منهم حُلة بيضاء» ، **الحُلة** رمز على المدح والثناء والتعويض . وكونها **بيضاء** فهذا رمز على الفرح والبهجة ، لأن النفوس لا تلبس . ولكن لما كان ذوو الأجساد يتجملون بالثياب ويبتهجون بالملابس الجميلة ، استُعير المدح من الثياب ، والفرح من بياضها . وهذه بلاغة ليست لبشر ، لكنها من تعليم الروح الذى نطق فى هذا الرسول وكشف له عن هذه الأسرار الغامضة . وباستحقاق مُنح الشهداء هذه النعم الإلهية ، لأنهم أحبوا كثيرا وصبروا عظيما . وذلك أن الذين دعوهم إلى الكفر كانوا يدعونهم بطريقتين ، **إحداهما** : الترغيب ببذل المال والملابس والملاذ والجواهر والذخائر والجاه والقرب من المملكة والتقدم فى الدولة والرئاسة الدنيوية ، فإذا أبوا ذلك وأعدّوه[1] كالزِّبْل وما لا يُلتفت إليه ، أخذوهم بالطريقة **الثانية** : وهى الترهيب بأن يخيفوهم ويهددوهم ويعاقبوا غيرهم قدامهم . فإن أصروا ، بُسطَ عليهم أليم العذاب بكل نوع يجزع ذكره ، لا سيما مباشرته واحتماله ، فإن أصروا أيضا ، فالسيف والنار والتغريق والرجم وغير ذلك . فهذا الصبر لهؤلاء القوم يتجاوز طاقة الحديد بل الماس ، فضلا عن البشْر ، فلا جرم أن مجازاتهم تفوق الوثف . ولكن عبّر لنا عن بعضها بما يطيق المدقق فى الفكر والنظر أن يفهم ظاهره .

قوله : «وقيل لهم أن يستريحوا هم زمانا آخر يسيرا حتى يُكمل أصحابهم العبيد وإخوتهم الذين يُقتلون أيضا مثلهم» ، **الراحة** من تعب المطالبة

(١) اعتبروه .

بالقصاص . **والزمان اليسير** يشير به هنا إلى ثلاث سنين ونصف ، بدليل إشارته إليه فى معانٍ أخرى : زمانا وزمانين ونصف زمان . وتعريف الزمان وأقسامه وأجزائه قد مضى بيانها فى الفص الثالث . وأما من هم **العبيد** ومن هم **الإخوة** فيحتمل أربعة وجوه ، **الأول** : أن يكون العبيد هم الذين باشروا امرأة ثم استشهدوا ، والإخوة هم الأبكار الذين لم يتدنسوا بامرأة . **الثانى** : أن يكون العبيد والإخوة وصفان لهم ، فكلهم عبيد وصلحاء ، وكلهم إخوة فى الإيمان والشهادة ، وتكون الواو للجمع لا للعطف . **والثالث** : أن يكون العبيد هم المستشهدون من الأمم ، والأخوة هم المستشهدون من بنى إسرائيل ، كقول بولس الرسول : «المدح والكرامة والسلم لكل من عمل الصالحات من اليهود أولا ثم من سائر الأمم»[١] . **والرابع** : أن يكون العبيد هم المعترفون الذين لم تكمل شهادتهم ، والإخوة هم الذين كملت شهادتهم . وأظن الأرجح هو **الأول** والله أعلم . وأما مقصده ، فإنه كشف عن أن أنفس الشهداء سوف تطالب بالعدل وتطلب الانتصاف والانتقام ممن ظلمها . وذلك إنما يكون عند قيام دولة الدجال ، بدليل قوله لهم أن **يستريحوا هم زمانا آخر يسيرا** حتى تكمل بقيتهم ، والزمان هو مدة تلك الدولة الملعونة وهى نصف أسبوع[٢] ، وعن إعطائهم الحُلل البيضاء وعن استمهال الله لهم ، فحتى تتم العُدّة بالمدة .

---

(١) رو ٢ : ١٠ .

(٢) الأسبوع هنا هو أسبوع السنين ، فقد قال الله لحزقيال النبى عن الأزمنة الخاصة بالنبوات التى أعلنها له ، إنه جعل له اليوم عوضا عن سنة (حزقيال ٤ : ٦) . أما عندما يكون المراد بالأسبوع سبعة أيام عادية ، فإن الكتاب المقدس ينص على ذلك ، فقد ذكر فى موضع آخر أن دانيال قال : «فى تلك الأيام أنا دانيال كنت نائحا ثلاثة أسابيع أيام» (دانيال ١٠ : ٢) ؛ فالمقصود هنا ثلاث سنين ونصف وليس ثلاثة أيام ونصف .

٣٠- (١٢) ونظرت لما فتح الختم السادس فكانت زلزلة عظيمة والشمس اسودت مثل مسح شعر والقمر كله صار دما (١٣) والنجوم تساقطت من السماء على الأرض مثل شجرة التين إذا ريح عظيمة أسقطت أوراقها (١٤) والسماء طُويت كالسجل وكل جبل وكل جزيرة تحركت من مواضعها (١٥) وملوك الأرض جميعهم وقواد الألوف والأغنياء والأقوياء والعبيد كلهم والأحرار جميعهم اختفوا فى المغائر وشقوق الصخور (١٦) ويقولون للصخور والجبال أسقطى علينا وأخفينا من وجه الجالس على العرش ومن قدّام غضب الحَمَل (١٧) لأنه أتى يوم الغضب العظيم ومَن الذى له استطاعة أن يقف أمامه .

هذا هو السر السادس من الأسرار السبعة ، تحت الختم السادس من الختوم السبعة . وهو فى النسق المعنوى أول منصوص عن القيامة العامة ، فقوله : «ونظرت لما فتح الختم السادس فكانت زلزلة عظيمة» وما يتلوه إلى آخر الفص جميعه على ظاهره لا تأويل له ولا تأول فيه ، خلا موضعين ، **أحدهما** : **الختم** وقد مضى تفسيره . **والآخر** : **مخاطبة الجماد بلسان الحال** ، وسيأتى تقريره .

وأما مقصده من كشف سر القيامة العامة ، كما كانت بداية هذا العالم بالمشيئة الإلهية ، وقوله ليكن فكان ، كذلك تكون نهايته بالمسيئة الإلهية . أما المبدأ فقال : «فى البدء خلق الله السماء والأرض وقال ليكن جلد ولتظهر اليابسة . وقال ليكن نَيّران عظيمان الأكبر لسلطان النهار والأصغر لسلطان الليل مع النجوم» . ثم قال فى المنتهى الذى هو فساد العالم أن السماء تطوى كالسجل ، وأن الأرض تزول بعد الزلزال العظيم ، وأن الشمس تسْوَد ، وأن

القمر يصير كالدم ،والنجوم تتساقط . فإذا سَمعتَ هنا **فكانت زلزلة عظيمة** ، فلا تتوهم أنها كالزلازل التى سلفت فى الوجود ، فإن تلك تحدث ، كما تزعم الفلاسفة ، عن ثلاثة أسباب :

السبب الأول : تولّد بخار دخانى حار جدا غزير المَدَد[١] فى باطن الأرض ، فإذا كان وجه الأرض متكاثفا عديم السمام[٢] وحاول ذلك البخار الخروج فلم يتمكن منه لكثافة وجه الأرض واستحصافه[٣] ، فحينئذ يتحرك فى ذاته ويحرك الأرض ، وربما قَوى فشق الأرض ، وربما انفصل نارا محرقة وحدثت عنه أهوال هائلة .

السبب الثانى : أن يكون فى باطن الأرض أغوار[٤] عظيمة فتسيل إليها مياه كثيرة ، فتهتز الأرض لثقلها .

السبب الثالث : أن تسقط على الأرض جبال لتَخلخُلها[٥] وكثرة الأمطار والسيول المتواصلة عليها ، وتنهدم قطعة عظيمة منها ، فيقلقل الهواء الذى تحت الأرض فتتزلزل .

أما هذه الزلزلة فليس لها سبب طبيعى ، بل مجرد الأمر الإلهى فقط الآذن بفناء العالم ، إذ يأمر ملائكة الريح فى الأقطار الأربعة فتطلق العواصف المحيطة بالمياه ، فيرتج البخار وتنقلب الأعماق وتنقَضّ[٦] الأرض فوقها بالزلزلة كالعصفور ، أو تتهيأ أسباب الزلزلة فتحدث ، ولذلك كانت عظيمة فى نفسها ولا نسبة لغيرها إليها .

---

(١) التمدد ، الامتداد .
(٢) الثقوب ، الخروق الصغيرة التى تكاد لا تُرَى رأى العين .
(٣) استحكامه ، اشتداده ، تقويته .
(٤) جمع غور ، ما انحدر من الأرض ويقابله النجد .
(٥) زيادة فى الجسم دون أن ينضم إليه جسم آخر ويقابله التكاثف .
(٦) تسقط على الشىء بسرعة ، تصدع .

وإذا سمعتَ أن **الشمس اسودت مثل مسح شعر والقمر كله صار دما** ، فلا تظن أن ذلك كسوف الشمس أو خسوف القمر ، لأن كسوف الشمس الكامل هو توسط جُرم القمر بينها وبين الأرض ، بحيث يكون وجه القمر المظلم مما يليها فيحجب ضوءها عن أبصارنا لأن فُلكه دون فُلكها ، وشرط هذا الكسوف أن يكون القمر على مسامتة[1] الشمس فى إحدى نقطتى الرأس والذَنَب ، لأن جُرم القمر يبقى فى وسط مخروط الشعاع الخارج من الشمس فيحجب الجُرم عن أبصارنا . وأما جُرم الشمس فإنه لم يفارقه شعاعه ، لأن العارض ليس فى الشمس نفسها بل بسبب المتوسط بينها وبين الإبصار ، ويختلف بحسب أوضاع المواقع ، ففى بعض هذه المواقع لا ينكسف البتة . وأما الخسوف الكامل للقمر فسببه توسط الأرض بينه وبين نور الشمس فى إحدى نقطتى الرأس والذَنَب ، لأن نوره من نورها ، فيقع [أعنى القمر] فى ظلٍ ، ويعم خسوفه جميع المواقع . فإن قيل إن قطر الشمس أعظم من قطر القمر بكثير ، فكان ينبغى أن لا ينكسف من الشمس إلا مقدار ما يستره منها القمر . **والجواب** : إن الخطوط الشعاعية التى تخرج من دائرة صفحة الشمس إلى الأرض ليست بخطوط متوازية ، بل شكل مخروطى قاعدته جُرم الشمس ، فتنحصر الأشعة وتضيق فتستغرق بسترها جُرم القمر ، وكذلك الحال فى خشوف القمر .

فأما هذا الحادث فى الشمس والقمر فليس كذلك من وجوه ، **أولها** : إن هذا عام ، والكسوف كما قلنا ليس بعام . **الثانى** : إن القمر يُرَى فى هذا أحمر كالدم ، فليس وجهه المظلم لما يليمنا بل الوجه الذى كان نيّرا . **الثالث** : إن القمر يُرَى فى هذا خارجا عن موازاة الشمس ، ولو كان كسوفا أو خسوفا لستر أحدهما جُرم الآخر . **الرابع** : أن هذا الحادث يجب أن يكون نهارا ولا يجوز أن يكون ليلا ، وإلا لما كان جُرم الشمس فوق الأرض ولما كان من الممكن رؤيته .

(١) مقابلة ، موازنة ، موازاة ، مقارنة .

لكن خسوف القمر لا يمكن أن يُرَى نهارا ، ولذلك لم يكن هذا الحادث كسوفا ولا خسوفا ، ولكنه تعالى يأمر فتُسلَب الشمس نورها الذى هو صورتها وكمالها ، وبهذا يفسد كونها . فذلك صار جرمها بلون الشعر سوادا ، أى لا يشوبه لون آخر . وكذلك ذهب نور القمر ؛ وأما مصيره كالدم ، فهو أمارة الانتقام من الأشرار بالقضاء العادل .

وإذا سمعتَ أن **النجوم تساقطت** فلا تحسب إنه كتساقط الكواكب المنقطة والشُهُب[١] والصواعق ، فإن تلك أبخرة دخانية فيها فُضَل دهنية ولزوجة[٢] ، ولا تبلغ إلى السماء ولا تصل إليها ، بل إلى كرة النار فيسعى الاشتعال فيها من فوق إلى أسفل أولا أولا ، فتُرَى كوكبا منقضا . ولكن هذه الكواكب السبعة المعروفة بالحائرة والثابتة التى فى فلك البروج ، يأمر فتصير من الوجود إلى العدم ، كما أمر أولا فخرجت من العدم إلى الوجود ؛ وحقّقَ أنها الحائرة والثابتة بقوله **من السماء** وسقوطها لفسادها وفساد ما كانت تتعلق به وهو جوهر السماء . وكل نجم يقدر بحجم الأرض عدة مرات ، وأظنه يريد أن النجوم ، عند فسادها فى الفضاء المحيط واضمحلالها ، تظهر لرأى العين كالساقطة نحو الأرض ، لا أنها تصل إليها أو تقع عليها ، فتلك الشُهُب التى ينتهى اشتعالها تُرَى كأنها ساقطة .

وإذا سمعتَ قوله أن **السماء طُويت كالسجل** لا تظن أنها تُطوَى وجُرمها باق ، بل طُويت هنا بمعنى فسدت وعدمت ، كما يقال انطوت أخبار فلان ، وانطوت تلك الأمور ، وطُويت أيامه بمعنى عدمت ومضت على طريق تشبيه الزوابع .

(١) الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها ، وهى سبعة .

(٢) تمدد ، تمططَ ولم ينقطع ، لصق ، غرى .

وقد ذهب جمهور من العلماء المتشرعين إلى أن وقت القيامة العامة يكون فى نصف الليل ، تمسكا بقوله فى مثل العذارى : «وفى نصف الليل جاء الصوت قائلا ها هوذا العريس قد أقبل اخرجن للقائه»[١] . وتقدم لنا أن هذه الحوادث العلوية لا يمكن أن تكون ليلا بل نهارا لتُرَى . فكيف الخلاص من هذه الحيرة والجمع بين شقىّ هذا التباين ؟ **والجواب** : أظن أن المبادىء كحدوث الزلازل وحركة الجبال والجزائر وهيجان البحر وغير ذلك ، يبتدىء من نصف الليل ويصل الأمر حتى تطلع الشمس وتكون هذه الحوادث العلوية ؛ وحينئذ يتم ما قاله الرسول بطرس : «اليوم الذى تتحرك فيه السماء بسرعة والنجوم تنحل بالاحتراق والأرض وجميع ما فيها من الخلائق تحترق»[٢] ، وقال أيضا فيها : «وتبطل السموات والأرض تحترق وتنحل ونترجّى سماء جديدة وأرضا جديدة»[٣] ، فقد أعطى هذا الرسول سبب فساد السماء وكواكبها ، الأرض وما فيها من المعدن والنبات والحيوان ، آفة الاحتراق . ولعل النيّرَيْن والكواكب نفسها هى سبب الإحراق والاحتراق بأن تجفف المياه التى فوق السماء ثم يشتعل الكل . وأن تلك المياه تصير ريحا ثم نارا ، كما ترى العناصر تتبدل بعضها إلى بعض ، فيصير الماء بالتبخير هواء ، والهواء نارا ، وغير ذلك من الأمور التى تسببها المشيئة الإلهية .

وأما ترتيب هذه الحوادث فهو على هذه الصورة ، **الأول** : أن تكون الزلزلة العظيمة المُرجِفة للأرض . **الثانى** : بسبب استمرار الزلزلة تزول الجبال من أماكنها . **الثالث** : اسوداد الشمس . **الرابع** : احمرار القمر . **الخامس** : تساقط الكواكب . **السادس** : طى السماء كالسجل .

(١) مت ٢٥ : ٦
(٢) ٢ بط ٣ : ١٠
(٣) ٢ بط ٣ : ١٣

وأما اختفاء الملوك جميعا وقواد الألوف والأغنياء والأقوياء والعبيد والأحرار فى المغائر وشقوق الصخور فهو من لوازم الحادث الأول وهو الزلزلة ؛ فإنها أولا تهدم القلاع والمدائن والبلاد فينقرض أمر الملوك والممالك ، وتهرب الناس فتعتصم بالجبال والمغائر وشقوق الصخور ، ظنا بأنها تعصمهم ، وخوفا مما هو أشد من ذلك . والصعب يسهل عند حمل الأصعب .

وبعد ذلك تزول الجبال ، وتغوص الجزائر فى البحار ، ويرتج البحر الأعظم ويرتفع عجيجه[١] ، وتخرج نفوس كثيرين من صوت البحر ، وانتظار ما يأتى على المسكونة كما يقول الإنجيل المقدس ، وتموت ضعاف الحيوانات أثناء هذه الوقائع الهائلة .

وأما قول الناس للجبال والصخور أسقطى علينا وأخفينا ، فهو قول بلسان الحال ، فالجماد لا يخاطَب .

وقد ذُكرت هذه الحوادث فى عدة أماكن من العتيقة والحديثة ؛ أما داود النبى عليه السلام فقال : «من البدء وضعت أساس الأرض والسماء هى صنعة يديك هما يزولان وأنت باق وكلها تبلى كالقميص وتطويها كطى الرداء وهم يبيدون وأنت كما أنت وسنوك لا تفنى»[٢] . وأما أشعياء النبى فقال : «هذا يوم الرب الآتى ليس فيه حيلة حقد وأحمَى رجزه ليجعل الأرض خرابا بسخطه ويبيد الخطاة ولا تضىء نجوم السماء ولا تعطى قوتها ولكن تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه»[٣] . وموسى بن ميمون[٤] ، من علماء اليهود ، يذهب إلى أن هذا الفص قاله أشعياء فى انتقاض دولة بابل وهلاك سنحريب ، ووهَم بوُرودِه فى نبوة أشعياء على بابل ، ولم ينسبه إلى أن النبى يستعير المكان كما يستعير اللفظ ، وليس هذا موضع الرد على منكرى الميعاد ، بل ليسلم ذلك هنا وبرهانه فى العلم المتكفل به وبأمثاله . ومنه [أشعياء] : «من

(١) صوته المرتفع ، زمجرته .
(٢) مز ١٠٢ : ٢٥ و ٢٦
(٣) أش ١٣ : ٩ و ١٠
(٤) راجع هامش ٤ صفحة ١١٤ .

أجل ذلك سخط الله من السماء وتزلزلت الأرض من رجزه وبانتهاره زالت الأرض عن مكانها يوم شدة غضبه»[(١)] ، وقال هذا النبى أيضا : «وتفسد قوات السماء وتنطوى السماء كالسجل وجميع قواتها تسقط كفج التين إذا انتثر»[(٢)] .

وزعم ابن ميمون أن هذا الفص فى هلاك الآدميين ، والعلة واحدة .

وأما يوئيل النبى فقال : «ارتجفت الأرض وتزعزعت السماء وأظلمت الشمس والقمر وغابت الكواكب»[(٣)] ، وقال أيضا : «وأصنع عجائب فى السماء والأرض دما ونارا ودخانا ومراوحا تنقلب الشمس إلى الظلمة والقمر إلى الدم قبل أن يأتى يوم الرب العظيم المرهوب وكل من يدعو باسم الرب يخلص»[(٤)] .

وادعى ابن ميمون فى هذا الفص إنه قيل فى دولة المنتظر ، وليس كذلك .

وأما بولس الرسول فقال فى العبرانيين : «ذاك الذى زلزل الأرض صوته وقال إنى مزلزلها مرة أخرى ليس الأرض فقط بل والسماء أيضا»[(٥)] .

وأما بطرس الرسول فقال فى رسالته الثانية ما تقدم ذكره[(٦)] .

وأما الإنجيل المقدس فإنه صرّح فى فصول الانقضاء بهذه الحوادث من جملة غيرها ، فقال متى : «وللوقت من بعد ضيق تلك الأيام الشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه والكواكب تتساقط من السماء وقوات السماء ترتج»[(٧)] ، وفى لوقا يقول : «ويكون على الأرض ضر الأمم بغتة من صوت البحر والزلازل وتخرج نفوس أناس منهم من الخوف وانتظار ما يأتى على المسكونة لأن قوات السماء تضطرب»[(٨)] .

فهذا ما فى هذا الفص . وفى القيامة أمور أخرى كثيرة سترد فى أماكنها من هذه الرؤيا ، ونبيّن ما فيها بعون الله تعالى .

---

(١) أش ١٣ : ١٤

(٢) أش ٣٤ : ٤

(٣) يؤ ٢ : ١٠

(٤) يؤ ٢ : ٣٠ - ٣٢

(٥) عب ١٣ : ٢٦

(٦) ٢ بط ٣ : ١٠ و ١٣

(٧) مت ٢٤ : ٢٩

(٨) لو ٢١ : ٢٥ و ٢٦

الأصحاح السابع

٣١- (١) وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة قائمين على أربع زوايا الأرض يضبطون أربعة الرياح كى لا تهب الرياح على الأرض ولا على البحر ولا على الأشجار .

هذه أربعة ملائكة الريح لها الرياسة عليه ، والتوكل به ، والتصرف فيه ، وتوزيع منافعه ومضاره فى عالم الكون والفساد . ولكل منهم جهة من الجهات الأربع التى هى المشرق ويقابلها المغرب ، والجنوب ويقابلها الشمال . وتصرّف كل واحد منهم فى ثلاثة أرياح : ريح وسطى مبدؤها نقطة مهب اعتدال تلك الجهة ، وريح عن جانبها الأيمن مما يلى الجنوب ، وريح عن جانبها الأيسر مما يلى الشمال ؛ فتلك اثنا عشر ريحا .

أما ملاك جهة المشرق فله الرياسة على ثلاثة أرياح : الأولى **الصبا** ويقال لنقطتها مشرق الاعتدال ، وعن يمينها نقطة هى رأس الجدى وهى مهب الريح المعروفة **بالأزيب**[١] ، وعن يسارها نقطة رأس السرطان وهى مهب الريح المعروفة **بالقشبع**[٢] .

وأما ملاك جهة المغرب فله الرياسة على ثلاثة أرياح : الأولى **الدبور**[٣] ومبدؤها نقطة المغرب الاعتدال ، وعن يمينها مما يلى الجنوب نقطة مهب الريح المعروفة **بالحيزبون**[٤] ، وعن يسارها نقطة مهب الريح المعروفة **بالآخرة** .

---

(١) الجنوب من الرياح .

(٢) اسم من أسماء الرياح ولم ترد فى كتب اللغة .

(٣) الريح الغربية وتقابلها الصبا وهى الريح الشرقية .

(٤) أصل معناها فى اللغة : العجوز ، وأطلِقَت هنا على اسم من أسماء الرياح .

وأما ملاك جهة الجنوب فله الرياسة على ثلاثة أرياح : الأولى المعروفة **بالجنوب** ، وعن يمينها مما يلى الجنوب وهى مهب الريح المعروفة **بالهير**[١] ، وعن يسارها نقطة مهب الريح المعروفة **بالنعامى**[٢] .

وأما ملاك جهة الشمال فله الرياسة على ثلاثة أرياح : الأولى **ريح الشمال** ومبدؤها نقطتة شمال الاعتدال ، وعن يمينها نقطة مما يلى المشرق هى مهب الريح المعروفة **بالقشع**[٣] ، وعن يسارها مما يلى المغرب نقطة مهب الريح المعروفة **بالجربياء**[٢] .

فهذا ذكر الملائكة ورياساتها والرياح التى سلطان كل منها ومهابها . وهم وقف على الأمر الإلهى ، إن أمروا بهبوب هذه الرياح على قانون مستقيم صَحَت الكائنات وصلحت ، وإن أمروا بغير ذلك أنهوا الأمر الذى لا محيص[٥] لهم عنه . وبهذه الرياح تكون الزلزلة الأخيرة التى تقدم ذكرها ، فكان النسق يقتضى أن يتقدم هذا الفص على الذى قبله ، ولكن كذلك اقتضت الرؤيا .

وأما قوله إنهم «يضبطون أربعة الرياح» ، فكأنه ذكر أمهات الريح وضم إلى كل منها ما على جنبيها .

وأما قوله : «كى لا تهب الرياح على الأرض ولا على البحر ولا على الأشجار» ، فلم يُرد متسع هبوبها بالكلية ، ولو تأخر هبوبها لحظة واحدة لهلك كل ما على وجه الأرض . ولكنه أراد وجهين ، **أحدهما** : أن لا تهب هبوبا قويا مفرطا فتهدم ما تمر به وتفسد ما تهب عليه . **والثانى** : لا تهب كل ريح من الأرياح الاثنتى عشر إلا فى زمانها ومكانها ، الهبوب المقتضى لصحة الوجود

---

(١) ريح الشمال . (٢) اسم ريح نقيض ريح الشمال .

(٣) الريح التى تقشع السحاب ، أى تكشفه .

(٤) ريح شمال باردة وتقع بين الجنوب والصبا .

(٥) لا فرار منه ، لا مناص ، أجروه بدون فحص ، بدون اختيار .

وما فيه هبوبا مستويا ، فليعمَل فى زيادة البحار ونقصها وجَزْر[١] الأنهار ومَدّها ، وليتأتى الرى وانكشاف الأرض للفلاحة ولتعطى الأرض قوة الإنبات ، ليستمد النبات من المياه ما ينشأ به وينمو ويزهر ويثمر ، ولتستمد المعادن ما يُتَصرّف فى استكماله ، والحيوان قواه الروحانية والنفسانية وتعديل مزاجه ؛ كل ذلك وأضداده بحركات الريح الذاتية والعرضية .

☩ ✝ ☩

٣٢- (٢) وتأملت فنظرت ملاكا آخر قد خرج من مشارق الشمس وكان خاتم الله معه فصرخ بصوت عظيم قبالة أربعة الملائكة الذين أعطِيَ لهم أن يعذبوا الأرض والبحر (٣) قائلا لهم لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الشجر حتى توسم عبيد الله على جباههم .

التأمل تجويد[٢] النظر وتحقيقه . وهذا الملاك أظنه من طغمة السلاطين ، وهو المرسوم له بهذا الأمر ، أن يوسم عبيد الله على جباههم ، بدليل قوله : «وكان خاتم الله معه» ، ولعله هو الملاك الذى وصفه حزقيال النبى فقال : «إن رجلا مطقسا وهو لابس فرفير ومنطقة مشدود بها ظهره قال له الرب من داخل فى مدينة أورشليم فارسم رسوما بين أعين الرجال الذين لم يتنجسوا»[٣] .

(١) الجزر : وهو ضد المد ، وهو فى البحار ، وينشأ من جاذبية القمر . رجوع الماء من الأرض والعَوْدُ إليها ثانية ؛ والجزر والمد ضدان .

(٢) إمعان ، إحداق ، تفرس .

(٣) حز ٩ : ٢

وذكر ديونوسيوس[١] إن هذا من طغمة السلاطين . فهناك وصف النبى طقسه وملبسه وهيئته ، وهنا ذكر الرسول الخاتم الذى به يَختم ، ولم يذكر إنه أعطِىَ هذا الخاتم الآن ، بل قال **وكان معه خاتم الله** فدل على أنه ذلك المرسوم لخدمة الوسم فى كل حين . ويجوز أن يكون غيره من طغمته أو من غيرها ، فإن مثل هذا لا يُدرَك إلا بالوحى ؛ وأما المتأوّل فيتعلق بأمور على أمور تناسبها أدنى مناسبة .

وخروج هذا الملاك من مشارق الشمس فرمز بذلك على أن المشرق مصدر الأوامر الإلهية . **والخاتم** رمز على الإذن الإلهى له وتوليته ذلك . والوسم والختم هو التمييز والعلامة ، بدليل قول هذا الرسول فى الفصل السابع من بشارته عن سيد الكل : «ومن يقبل شهادته هذا ختم نفسه بأن الله

(١) ولد فى أثينا من أبوين وثنيين ، فعلماه وهذباه بعلوم ديانتهما فتقدم فيها وعين قاضيا فى أثينا . وكان فيلسوفا عظيما وفلكيا بارعا . ولما أظلمت الشمس وقت صلب الرب يسوع المسيح ، ورأى ذلك بموجب رَصْدِه الأفلاك أنه ليس أولن الكسوف ، وعرف أن هذا الأمر خارق للطبيعة ، صاح قائلا : «لابد أن رب الطبيعة يتألم» . وقد اعتنق المسيحية على يد القديس بولس الرسول (أع ١٧ : ٣٣) . ألّف من الكتب : ١- قوانين ديونوسيوس قاضى أثينا ٢- عظات وأقوال ٣- ترجمة حياته ، وذكر فيها ذلك الحادث العظيم ، وهو ظلام الكون وقت الصلب ٤- دستور الإيمان [مبادىء إيمانية] ٥- كتاب عن المراتب العلوية والطقوس الملائكية والدرجات الكهنوتية ، ذكره ابن كبر فى كتابه مصباح الظلمة ٦- رسالة أرسلها إلى تيموثاوس يعزيه عن استشهاد القديس بولس الرسول ، اطلعتُ على نسخة منها بدير العذراء المعروف بدير السريان بوادى النطرون ٧- رسالة إلى خادمه عن مراعاة الكنيسة وعن الخير والشر .

حق هو»[١] ، أى مَن قبل الإيمان المحق فقد وسم ذاته وختمها بعلامة تدل على إيمانه بأن الله حق هو . وكون الختم على **الجبهة** بحيث لا يخفى ويتميز بذلك عن سواه .

وأما قوله : «فصرخ بصوت عظيم قبالة أربعة الملائكة» ، فذلك لمعانٍ : **منها** أن يُظهر هذا الآمر ويُشهره ليعلمه صاحب الرؤيا ويُعلم به ، **ومنها** ليدرك الملائكة قبل أن يفرط منهم صدور ضرب على الأرض وما فيها قبل أن يميِّز الأبـرار من الأشـرار ، **ومنها** ليكمل الموسـومون إلى انتهائـهم . وهذه الملائكة الأربعة هى ملائكة الريح المذكورون فى الفص المتقدم ، وقوله : «الذين أعطِيَ لهم أن يعذبوا الأرض والبحر» ، أى العذاب المتعلق بالريح ، إما فى الحيوان : كالأمراض الشديدة من النزلات والبحوحة[٢] والقرحات والسل والوباء وموت الفجأة إلى غير ذلك . وإما فى النبات : كعدم النمو وعطب الثمار وهيف المزروعات . وإما فى المعدن والجماد : فبفساده لهما .

واعلم أن هذه الرؤيا أتت الإنباء بها على ثلاثة ضروب ، **الأول** : يخبر فيه بالآمر فإنه كان ومضى كما قال فى الفص الثلاثين : «فكانت زلزلة عظيمة والشمس اسودت مثل مسح شعر والقمر كله صار دما والنجوم تساقطت من السماء على الأرض» إلى غير ذلك . **والثانى** : يخبر فيه بصيغة المستقبل كأنه لم يكن بعد وسيكون كما ذكر فى هذه الرياح ، لا سيما وهذا الفص [٣١] فى الاعتبار المعنوى قبل ذاك [٣٠] . **والثالث** : يخبر فيه بصيغة الحال الحالّة والأمر الحاضر كما قال : «هوذا فرس أبيض» [فص ٢٥] ، «هوذا فرس أدهم» [فص ٢٧] ، وما يشبه ذلك . والكل موجه نحو الاستقبال ولم يَجْرِ بعد ، فاعلم ذلك فإنه من أسرار التأويل .

---

(١) يو ٣ : ٣٠.

(٢) فقدان الصوت ، وخاصة فى البط .

٣٣- (٤) وسمعت عدد الذين وُسموا على جباههم مائة ألف وأربعة وأربعون ألفا الذين وُسموا من جميع قبائل بنى إسرائيل (٥) من سبط يهوذا اثنا عشر ألفا من سبط رأوبين اثنا عشر ألفا من سبط جاد اثنا عشر ألفا (٦) من سبط نفتاليم اثنا عشر ألفا من سبط دان اثنا عشر ألفا من سبط شمعون اثنا عشر ألفا (٧) من سبط لاوى اثنا عشر ألفا من سبط يساخر اثنا عشر ألفا من سبط زابلون اثنا عشر ألفا (٨) من سبط أشير اثنا عشر ألفا من سبط يوسف اثنا عشر ألفا من سبط بنيامين اثنا عشر ألفا هؤلاء الذين وُسموا .

قد تقدم أن السماع فى الرؤيا إدراك عقلى . والوسم وكونه على الجبهة قد مضى تأويلهما . وأما جملة المتميزين بالوسم مما لا يُحصَى كثرة ، ولكنهم ينقسمون قِسَمٌ متداخلة بحسب ملَكات وأحوال وأعمال . وكل من هذه ، إما نفسانية : كالإيمان والرسالة والنبوة والمعجزة والكهنوت والعلم وغير ذلك ؛ وإما جسمانية : كالبكورية والشهادة والصبر على الأذى والنسب الإسرائيلى - ولابد من اعتبار الإيمان فى الجميع لأنه الأساس - وأما العمل فقد يُدرك الفوز بغيره كاللص اليمن . فجملة الذين مُيزوا بالوسم على جباههم ينقسمون **أولا** إلى مؤمنين بالمسيح فى هذا العالم كشهداء العتيقة وأنبيائها وأبرارها ، وغير مؤمنين به فى هذا العالم . **القسمة الثانية** إلى رسل وغير ذلك . **الثالثة** إلى أنبياء وغير أنبياء . **الرابعة** إلى أبكار وغير أبكار . **الخامسة** إلى شهداء ومعترفين وغيرهم . **السادسة** إلى أصحاب شدائد وغيرهم . **السابعة** إلى كهنة وغيرهم . **الثامنة** إلى معلمين وغيرهم . **التاسعة** إلى مجتهدين ومقلدين . **العاشرة** إلى علماء وغير علماء . **الحادية عشر** إلى أصحاب معجزات وغيرهم .

الثانية عشر إلى أصحاب أشفية ومواهب . **الثالثة عشر** إلى أصحاب لغات وغيرهم . **الرابعة عشر** إلى رهبان وسواح وغيرهم . **الخامسة عشر** إلى عبرانيين وشعوبيين وغيرهم .

فأما هذه المائة ألف وأربعة وأربعون ألفا فهم الأبكار فى العفة والطهارة الذين لم يعرفوا امرأة بالجملة من جملة المؤمنين بالسيد المسيح من جملة بنى إسرائيل خاصة ، هذا مع فضائلهم وبرّهم ، ولكن اعتبر لهم هنا ثلاث خواص : **إحداها** الإيمان ، **والثانية** البكورية ، **والثالثة** النسب العبرانى .

فأما إيمانهم فظاهر ، وأما كونهم أبكار فلقول هذه الرؤيا الرؤيا فى الفص الخامس والستين لما رأى الحَمَل واقفا على جبل صهيون ومائة ألف وأربعة وأربعين ألفا معه ، قال : «هؤلاء هم الذين لم ينجسوا ثيابهم مع امرأة لأنهم أبكار» .

وأما كون نسبهم عبرانى ، فهو بيّن بما فصّل من أسباطهم ، ولا تنكرنّ أن يكون أكثر هذه العدة[1] أبكارا من جملة المؤمنين بالدعوة المسيحية من أسباط بنى إسرائيل ، فإن كتاب الإبركسيس يقول : «إن القسوس الذين بأورشليم قالوا لبولس لما عاد إليها من جهات البشرى أرأيت يا أخانا كم من ربوة من اليهود قد آمنوا»[2] ، فإن كان هذا فى أورشليم المدينة الواحدة ، فما ظنك بالعالم كله الذى كان الأسباط تفرقوا فيه ، بدليل قول يعقوب فى أول رسالته : «إلى الاثنىْ عشر سبطا المتفرقين فى العالم»[3] ؟ ولكن تعجب من اتفاق عدة هؤلاء الأبكار من كل سبط حتى لم يزد عدد سبط على آخر . فسبحان المحيط بهذه الغوامض من الأزل .

(١) العدد ، العدية ، الكمية . (٢) أع ٢١ : ٢٠ .
(٣) يع ١ : ١

وقد ذهب أيبوليطس أسقف إحدى بلاد رومية[١] فى تفسيره هذا الفص من الرؤيا إلى هذا الرأى وهو الصحيح .

فأما من ذهب من المفسرين إلى أن هذه العدة هم الأطفال الذين قتلهم هيرودس فهو بعيد ضعيف ، ووَهمٌ مِن قائله ، **أولا** : لأن هؤلاء الأطفال لم يؤمنوا بالدعوة المسيحية . **ثانيا** : لأن الدعوة المسيحية لم تكن قد ظهرت بعد . **ثالثا** : لأن القتلى من الأطفال لم يبلغوا هذه العدة ولا أهل تلك النواحى بجملتهم . **رابعا** : لأن الإنجيل يخبر أن الذين قُتلوا هم أطفال بيت لحم ويهوذا وتخومها ، وذلك من قسمة سبط يهوذا لا غير . أما هذه العدة فمن الأسباط الاثنى عشر على التساوى ، وقد ذكرت الرؤيا أن هذه العدة أبكار أعفاء[٢] أطهار أهل المضايق والشدائد ، وفى الفص الخامس والستين إنهم صادقون لم يوجد أحد كاذب فيهم ، والله أعلم .

وأما قوله : «هؤلاء الذين وُسموا» فإن لفظة هؤلاء محذوفة هنا فى النص القبطى وهى المبتدأ لدلالة خبره عليه ، والمعنى أن هؤلاء الذين وُسموا هم الأبكار ، ومن جملتهم الأبكار المؤمنين بالمسيح من بنى إسرائيل خاصة .

☩ ☨ ☩

(١) نشأ فى بلاد العرب وسيم هناك رئيس أساقفة ، ثم انتقل إلى رومية سنة ٢٢٤م ، فأبقاه كالستينوس أسقف رومية عنده وأعطاه أسقفية بورتا من أعمال رومية ، وفيها مات شهيدا سنة ٢٢٩م (العنوان العجيب ٣٩) ، وتفسيره للرؤيا الذى يتكلم عنه ابن كاتب قيصر موجود منه جملة فى الأديرة القبطية ، وفى دير السريان عدة نسخ قديمة .

(٢) جمع عفوف ، نقى ، طاهر .

٣٤- (٩) ومن بعد هؤلاء رأيت جمعا عظيما لا استطاعة لأحد أن يعده من كل شعب ومن كل لغة ومن كل قبيلة ومن كل لسان واقفين أمام العرش وأمام الحَمَل لابسين حُللا بيضاء وسعف نخل فى أيديهم (١٠) يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش والحَمَل (١١) والملائكة جميعهم واقفين أمام العرش والشيوخ وأربعة الحيوانات فخرّوا بوجوههم أمام العرش وسجدوا لله قائلين آمين (١٢) السبح والمجد والحكمة والشكر والكرامة والعز لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين .

هذا الجمع العظيم ، بحسب ما فسره بعد ذلك ، هم أصحاب المضايق والشدائد ، كالذين سُبوا أو نُهبوا أو عوقبوا أو هجّوا من البلايا التى أدركتهم أو قُتل أهلوهم أو من يعز عليهم . كل ذلك من أجل الإيمان أو البر أو ظلما أو من وقع فى أدواء معضلة[١] فيصبر عليها كالعازر المضروب بالقروح المُمَثّل به فى الإنجيل المقدس ، ومن بُلى بالفقر الشديد المدقع[٢] وهو صابر محتسب[٣] ، إلى غير ذلك من مصائب هذا العالم .

فأما : هل أهل هذا الجمع أبكار أيضا من الشعوب أم لا ؟ ففيه نظر ، لأنهم ذُكروا بعد الأبكار الذين من بنى إسرائيل ؛ ومن الضرورة أن يكون من الأمم أيضا أبكار . ولا شك إنهم يكونون أكثرْ بكثير ، لأنه لا نسبة لبنى إسرائيل إلى كثرة الأمم ، فتكون أبكارهم بهذه النسبة كذلك . ويحتمل أن يكون الأبكار الذين من الأمم من جملة هؤلاء . لكن يخرج من هؤلاء أبكار الأمم الذين لم يقعوا فى الشدائد . لأنه ليس من الضرورة أن يقع كل بكر فى

(١) شديدة ، قوية ، لا دواء لها . (٢) الملصق بالدقعاء أى التراب .
(٣) غير جازع ، مكتفى بالقليل ، راض باليسير .

الشدائد ، بل فيهم من وقع فكان من جملة أصحاب الشدائد ، ومنهم من لم يقع فى شدة . ومن جملة التقسيمات المتقدمة يتبيّن لك هذا .

قوله : «من كل شعب ومن كل لغة ومن كل قبيلة ومن كل لسان» ، **الشعب** عدة قبائل ، **والقبيلة** أصل وضعها للقطعة من عظم الرأس والجمع قبائل وبذلك سميت الجماعة إذا كانوا بنى أب واحد . **واللسان** هو فى الأصل مخرج الكلام وقد كنى به عن الكلام . **واللغة** معروفة وهى أخص من اللسان كما نقول لسان حبشى ، وإن كانت تحته عدة لغات مختلفة تجمعها الحبشية ، وكذلك الرومية والتركية وغير هذه من الألسنة .

قوله : «واقفين أمام العرش وأمام الحَمَل» ، وقوفهم خدمة منهم ولذة لهم . وكونه - الوقوف - أمام العرش وأمام الحَمَل ، تقريبا لهم ورفعة لدرجتهم .

قوله : «لابسين حُللا بيضاء» قد مضى تفسيره ، **وحملهم السعف فى أيديهم** دلالة على انتصارهم لأنه علامة الظفر ، ولأن السعف لا يذبل طوال أيام السنة ، فهو إشارة إلى نضارة فضائلهم وخلودها . وكونهم «يصرخون بصوت عظيم» رمز للشعور بالأمن والطرب والعزاء .

قوله : «قائلين الخلاص لإلهنا الجالس على العرش والحَمَل» ، على سبيل التسبيح للآب والابن .

قوله : «والملائكة جميعهم واقفين أمام العرش» ، وقوف الملائكة أمام العرش طاعة وخدمة .

قوله : «والشيوخ وأربعة الحيوانات فخرّوا بوجوههم أمام العرش وسجدوا لله» ، تقدير هذا القول : عندما سبحت الجموع والملائكة وقوف ، خرّ الشيوخ وأربعة الحيوانات وقالوا «آمين» ، بمعنى حق ، تقريرا لتسبيح الجموع . ثم سبحوا هم ومجدوا فقالوا : «السبح والمجد والحكمة والشكر والكرامة والعزة لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين» ، الأبد هو الدهر لغةً والجمع آباد ، وأبد الآبدين : دهر الدهور، واستعماله شرعا معناه عدم النهاية ، ولفظة آمين هنا بالمعنى المتقدم ، أى حقا .

٣٥- (١٣) فأجاب واحد من الشيوخ وقال لى من هم هؤلاء الذين لبسوا ثيابا بيضاء عليهم ومن أين أتوا (١٤) فقلت له يا سيدى أنت العارف بهم فقال لى هؤلاء هم الآتون من المضايق الشديدة فابيضت حللهم وزهت بدم الحَمَل (١٥) فمن أجل ذلك يكونون أمام عرش الله ويخدمونه فى هيكله النهار والليل والجالس على العرش هو يظلل عليهم (١٦) فلا يجوعون ولا يعطشون بعد ولا يتعبون ولا حر عليهم ولا السموم كلها (١٧) لأن الحَمَل الكائن أمام العرش هو يرعاهم ويهديهم إلى ينبوع ماء الحياة ويمسح كل دمعة من عيونهم .

قوله : «فأجاب واحد من الشيوخ وقال لى» ، الجواب لا يكون إلا لسؤال متقدم ، ولم يتقدم ذكر سؤال من الرسول فيكون هذا الجواب عنه . **والجواب** عن هذه المسألة أن ذلك الشيخ رأى الرسول مندهشا ، متشوقا تشوق سائل مستفهم عما رآه من حال هؤلاء الجمع اللابسين البياض وسبب هذا الملبس ، فقام هذا مقام السؤال ، وحينئذ ساغ له أن يقول **فأجاب واحد من الشيوخ وقال لى** .

وأما هذا الشيخ المجيب من هو ؟ فيجوز أن يكون أشعياء النبى ، لأن كثيرا من هذا الفص يطابق ما قاله فى نبوته ، فإنه قال فى الإصحاح الثانى عشر[١] : «ويُبتلع الموت بالغلبة إلى الأبد ويصرف الله القوى الدمعة من جميع الوجوه» ، وقال فى الإصحاح الرابع والعشرين[٢] : «ويكون مرعاهم فى جميع السبيل لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضرهم السموم والشموس لأن رأسهم يسوقهم وإلى ينابيع الماء يأتى بهم» .

(١) قوله الإصحاح الثانى عشر هو بحسب التقسيم القبطى ، وأما بحسب التقسيم الحديث فهو أش ٢٥ : ٨

(٢) أش ٤٩ : ١٠ .

وأما استفهامه من الرسول بقوله : «من هم هؤلاء الذين لبسوا ثيابا بيضاء عليهم ومن أين أتوا» فليس استفهام عن جهل منه بهم ، لكن لينبهه على أن يسأله عنهم ويستفهم منه عن حالهم إذ رآه متشوقا لذلك كما قلنا ، فاستفهم منه استفهاما بالتعريض الحافظ لنظام الأدب وضبط الاحتشام ؛ ولذلك قال : «يا سيدى أنت العارف بهم» ، فأفصح له عن ثمانية أمور لهم :

أولها : سبب تجملهم[1] بهذه الملابس البهية والإنعام بها عليهم ، فقال إن ذلك بسبب ما قاسوه من المضايق الشديدة من أجل الإيمان والبر . وقد حللنا الرموز بالثياب البيضاء حلا مستوفيا فى تفسير الفص الخامس عشر الذى أوله : «اكتب إلى الملاك الذى لكنيسة سرديس» ، والمراد من أقسامه هنا الطبقة الرابعة من القسم الثانى[2] . **وثانيها** : سبب قبول جهادهم ، وهو إهراق دم الحَمَل عنهم وعن غيرهم ، وذلك لحسن قبولهم وشرف محلهم ، فكانوا كالأضحية الطاهرة الزكية ، بدليل قوله : «حللهم وزهت بدم الحَمَل» ، وإلا فالثياب لا تبيض بالدم بل تحمر ، ولا تزهى بل يكبو[3] لونها . وإنما تقدير القول إنه بإهراق دم الحَمَل عن البشر قَبِلَ جهادهم واجتهادهم على البر والإيمان ، فكانت مجازاتهم بالمدح والنعمة الإلهية المرموز عليها بالثياب البيضاء .

وثالثها : كونهم أمام العرش المرموز به على الزلفى[4] . **ورابعها** : خدمتهم المرموز عليها بالاختصاص والتمييز . **وخامسها** : كون الجالس على العرش يظلل عليهم المرموز به على عدم تأثرهم بالأعراض المؤلمة بالجسم كالتعب والحر والبرد . **وسادسها** : كونه تعالى يرعاهم والرمز بذلك على تأثرهم بالجوع . **وسابعها** : كونه يهديهم إلى ينبوع ماء الحياة والرمز بذلك على العطش . **وثامنها** : كونه يمسح كل دمعة من عيونهم والرمز به على عدم الخوف والهم والغم والحزن والألم ، فإن هذه مقتضية للبكاء والدموع .

---

(١) تزينهم .

(٢) راجع ص ٧٧ و ٧٨ من هذا الكتاب .

(٣) يبهت ، غير ظاهر ، أغتم .

(٤) التقرب ، المنزلة ، التقدم .

الأصحاح الثامن

٣٦- (١) ولما فتح الختم السابع كان سكوت فى السماء نحو نصف ساعة (٢) فرأيت السبعة الملائكة الكائنين أمام الله واقفين وأعطوا سبعة أبواق .

هذا هو السر السابع تحت الختم السابع ، وهو تمام الختوم التى فتحها الحَمَل ، والأسرار التى أفضى[١] بها . والفص متسق فى اللفظ على الفص الثلاثين ، لأنه تضمن فتح الختم السادس . أما فى المعنى فإنه أول القسم الثامن فى الحوادث الكائنة قبل هبوط الشاهدين أخنوخ وإيليا .

قوله : «كان سكوت فى السماء نحو نصف ساعة» ، هو سكوت الرهبة التى تسبق تبويق الملائكة وحدوث الضربات . أما تحديد مدته بنصف ساعة فيدل على أنه مدة وجيزة من الزمن بعد تملّك المسيح الدجال .

قوله : «فرأيت السبعة الملائكة الكائنين أمام الله واقفين» ، قد تقدم أن هذه السبعة الملائكة هم المترددون إلى هذا العالم بالأوامر والنواهى الربانية لينبهوا إليها ويتقدموا بتنفيذها .

قوله : «وأعطوا سبعة أبواق» ، هذه الأبواق رمز على أوامر مختلفة . والتصويت بها رمز على تنفيذ الأوامر . والأبواق المذكورة تحتمل أن تكون علامة تحدث بعد التصويت بها هذه الحوادث لعلة أخرى غيرها ، كما يكون كما يكون البوق علامة لإقامة الحرب لا علة لها . وتقدير القول : أعطوا سبعة أبواق أى سبعة أوامر . والذى تدركه الناس عن الحوادث الكائنة عن هذه الأوامر علة كونها فى المستأنف . فأما الملائكة والأبواق والتصويت بها ، فإنما أدرك ذلك صاحب الرؤيا عند رؤياه .

---

(١) بلَغ وانتهى الحد .

٣٧- (٣) فأتى ملاك آخر ووقف عند المذبح الذهب وكانت مجمرة ذهب بيده وأعطى بخورا كثيرا ليحمله مع صلوات القديسين جميعهم على المذبح الذهب الكائن أمام العرش (٤) فصعد بخار البخور مع صلوات القديسين من يد ملاك الله الذى أمامه .

قوله : «فأتى ملاك آخر» ، أى غير السبعة المذكورين فى العدد السابق . وأما من أية طغمة هذا الملاك ؟ فأظنه من طغمة الكروبيم ، لأن لها رئاسة الكهنوت التى من وظائف صاحبها ثلاثة أمور : خدمة المذبح ، وحمل البخور ، والشفاعة ، وبها تختص هذه الطغمة . وبالأمرين الأولين ، يشترك مع بقية هذه المرتبة والمرتبة التى بعدها . فلما فعل هذا الملاك ما دل على الشفاعة ، استدللنا على أنه من طغمة الكروبيم . **وبخار البخور** الرمز به على الشفاعة مع الاستعداد ، بدليل قوله مع **صلوات القديسين** . ولذلك كان فى العتيقة[1] إنما يحمل البخور رئيس الكهنة فى كل عشية وكل صباح ، ويعد المصابيح ويسرجها حسب ما رتبه موسى النبى كما رأى فى السماء .

قوله : «ووقف عند المذبح الذهب الكائن أمام العرش» ، فقوله **عند المذبح** رمز على خدمته وتكهينه . وكون المذبح **ذهبا** ليتميز عن مذبح الصعائد ، فإنه كان فى العتيقة مصفحا بالنحاس ، بينما مذبح البخور مصفح بالذهب ، ويسمى أيضا بالهيكل . **وأمام العرش** قد مضى تفسيره .

قوله : «وكانت مجمرة ذهب بيده» ، **المجمرة** رمز على إرادته وعقد نيته على ما مضى بيانه فى الفص الرابع والعشرين . **والذهب** ، كما تقدم ، رمز على الطهارة والثبات والإخلاص والشرف . **ويده** رمز على قوة نفسه .

(١) العهد القديم .

قوله : «وأعطِيَ بخورا كثيرا ليحمله» ، فعنى بكونه **أعطِيَ** أى بلغ إلى علمه واطلع عليه . وقد فسر البخور فى الفص الرابع والعشرين أنه ما يرتفع من صلوات القديسين ، وفى هذا الفص أنه **صلوات القديسين أجمعين** ، ولذلك كثر . **وحمله** هو تقريبه إلى المواقف المقدسة الإلهية .

قوله : «فصعد بخار البخور مع صلوات القديسين» ، فإن هذا البخار يرمز إلى معنى دقيق هو أنه جوهر ممزوج من هوائية وأرضية ؛ فالهوائية على شفاعة الملاك ، والأرضية هى استعداد المشفوع لهم . وكما أن الهوائية صعدت بالأرضيةواستصحبتها ، كذلك الشفاعة أصعَدَت الاستعداد واستصحبته ، إذ لابد مع الشفاعة من استعداد المشفوع له ، فإذا أضفت إلى ذلك طلبته وابتهاله ، كان أبلغ وأحرى بالإجابة ، وهذا معنى قوله **مع صلوات القديسين** .

قوله : «من يد ملاك الله الذى أمامه» ، قد تقدم أن يده رمز على قوة نفسه . والهاء من **أمامه** عائدة على الله تعالى ، ومعنى **أمامه** كونه حاضرا لا غائبا لأن الله تعالى ليس له خَلْف ولا أمام ولا غير ذلك ، فكأن تقدير القول : من قوة نفس ملاك الله الحاضر .

☩ ✣ ☩

٣٨- (٥) فأخذ الملاك المجمرة الذهب وملأها من نار المذبح وطرحها على الأرض فصارت رعودا وأصواتا وبروقا وزلازل .

قد مضى تفسير **الأخذ** فى الفص الرابع والعشرين بأن الأخذ كالحمْل والمقصود بهما واحد ، كما مضى تفسير **المجمرة الذهب** فى الفص المتقدم .
وأما **ملؤها** فرمز على كثرة إرادة الملاك لذلك . وأما **نار المذبح** فإنها رمز على الأمر الإلهى المتجدد عند الاستجابة ، كما ترمز على الأمر الإلهى لسرعته

ونفاذه . **وطرحها على الأرض** دليل على أن هذا الأمر نزل من السماء إلى الأرض .

قوله : «فصار رعودا وأصواتا وبروقا وزلازل» ، **صارت هنا بمعنى حدثت** ، ومراده أن هذه النار لما وصلت إلى الأرض حدثت هذه الحوادث الأربعة ، فذكَرَ المسموعيْن أولا وهما : الرعد والأصوات ، ثم ذكَرَ المرئييْن ثانيا وهما : البرق والزلازل . والصوت يسبق الزلزلة وهما حادثان فى الأرض ؛ والبرق يسبق الرعد وهما حادثان فى العلو . وحدوث هذه الحوادث إنما يكون علامة لظهور أمر عظيم وحادث جلل ، لأن التجلى لموسى فى جبل سيناء شبقه هذا كله ، كذلك عندما رأى حزقيال النبى المركبة ، وكذلك المركبة العظمى التى رآها هذا الرسول . وكذلك قال فى الفص التاسع والثمانين عند انقضاء الدولة الدجالية وإقبال الوليمة العظمى . وكذلك عند القيامة العامة ، وكذلك قال أشعياء أو غيره عند انقراض دولة أو حدوث قضية عظيمة .

وبالجملة فإن كل حادث جلل يسبقه مثل هذا إنذارا به وبعظم شأنه . وهذا الحادث على الخصوص هو نزول الشاهدين العظيمين أخنوخ وإيليا فى آواخر الزمان ، لأن قبل ظهور الدولة الدجالية بنصف أسبوع من السنين ، أى ثلاث سنين ونصف ، يكثر فى الأرض الفساد وعبادة الأوثان والكذب والسرقة والقتل والزنا وسائر المآثم ، فيستغيث الأبرار والأطهار والعُبّاد والزُهّاد وجميع القديسين الذين فى الأرض ويطلبون ويبتهلون ويتضرعون ويصلّون ، فيشفع فيهم أهل الشفاعة من الملائكة فيستجاب لهم ، ويرسل هذا النبيان فينزلان إلى الأرض . وتحدث هذه الحوادث قبل نزولهما ليُعرَف عظَم شأنهما ، ويُصغَى إليهما ، وتُقبَل مواعظهما ، ويُصَدّق إنذارهما . لكن الأشرار ، لقساوة قلوبهم ، لا يعتبرون بأقوالهما ولا يقبلونها . فيتبهان الناس بآيات كثيرة تجرى على

يديهما كالغلاء والوباء والحوادث العلوية[١] وفساد المياه والجراد المستغرب إلى غير ذلك من الأمور التى سترد وتُفسّر فى مواضعها .

كل ذلك رأفة من الله لخليقته ليعود الناس عن طرقهم الرديئة ويتوبوا فيغفر لهم . وليعمل كل ما يمكن لتكون الحجة على خلقه .

أما مدة إنذارهما فنصف أسبوع ، أى ثلاث سنين ونصف ، وعند نهاية هذه المدة تظهر الدولة الدجالية فيستشهدان فى بدئها ويقومان من موتهما فيرتفعان إلى السماء .

فهذا شرح لمعنى هذا الفص والذى قبله وحل رموزهما والله أعلم .

✠ ✠ ✠

الفصل السابع والفصل الثامن

٣٩- (٦) والسبعة الملائكة الذين معهم السبعة الأبواق هيّؤوها ليبوّقوا (٧) وبوّق الملاك الأول فكان برَد ونار مخلوطان بدم فطُرِحَت على الأرض واحترق ثلث الأرض وثلث الأشجار واحترق كل العشب الأخضر .

قد سلف الكلام عن هؤلاء الملائكة وأبواقهم عند الإنذار بها فى الفص السادس والثلاثين . وهو الآن يقص لنا تلك الأوامر المخصوصة بكليتها وحوادثها التى تكون بعد نزول الشاهدين وإنذارهما وموقف الأشرار منهما . وهذا إنذار وكشف لما يكون فى حينه المعيّن له .

(١) الزوابع والعواصف والزلازل والرعود .

هذه الحوادث السبعة منها ثلاثة **نار** وما معها وهى الأولى والثانية والسادسة ، ومنها ثلاثة **كواكب** وهى الثالثة والرابعة والخامسة ، أما السابعة **فأصوات** ، وستأتى تفصيلاتها وتأثيراتها . فمن ذلك قوله : «وبوّق الملاك الأول فكان برد ونار مخلوطان بدم» ، ليس هذا البرَد مما جرت به عادة الوجود وسنّته ، لأن مع هذا نار ثابتة ملتهبة فيه ، ولا هذه النار أيضا كالبروق والصواعق المعتادة لعدة أسباب : منها أن البرق لا يثبت ولا يحرق ، وهذه ثابتة محرقة . ومنها أن الصواعق لا تثبت على وجه الأرض بل تخترق الماء . ومنها تخترق وتحرق الأشياء القوية الصلبة ولا تؤثر فى النبات الضعيف وما يشبهه ، بل تحرق الذهب ويسلم الكيس وتحرق الجمل ويسلم زمامه . وهذه النار الثابتة الملتهبة فى البَرد المتشبثة[1] بخلاف ذلك ، فإنها تحرق النبت الضعيف والشجر العظيم وتعيد جوهر الأرض رمادا . ولا هذا الدم من طائر الجو مثلا ، لأنه لم يذكر أن الطير هلكت ولا وقعت ساقطة إلى الأرض ، ولا دماء الطير بهذه الكثرة العامة . ولا هذه الضربة بجملتها كالضربة التى حلّت بفرعون وآله فى مصر[2] ، فإن تلك برَد ونار فى مصر خاصة ، وهذه عامة ومعها دم ، وهى أعظم وأشد كثيرا جدا .

وذكر أيضا فى الجزء السادس من سفر المكابيين ليوسف بن كريون أن عناتى الكاهن لما منع عسكر أدوم عن دخول مدينة القدس حتى يتثبّت[3] من أمرهم ، وتوقف عن فتح أبواب المدينة ، كان أن حدث فى آخر ذلك النهار رعد عظيم وبرق هائل وأصوات مفزعة ونزل من السماء مطر عظيم وبرَد كثير تقدح منه نار ، وكأن ذلك جاء سخطا على أهل المدينة المذكورة .

---

(١) متعلقة ، متمسكة .
(٢) خر ٩ : ١٨ - ٢٥
(٣) يتحقق ، يتأكد ، يستطلع .

وفى هذه الآية ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : كيف اجتمع الضدان : البرَد والنار ؟ **والجواب :** إن ذلك بالقدرة الإلهية القاهرة الامتداد ، وليس ذلك بممتنع عن الطبيعة فى تركيبها .

المسألة الثانية : الدم المختلط بالنار والبرَد ، من أين هو ؟ **والجواب :** إن الإخلاط من العناصر ، وللإخلاط طبخ خاص وهو سهل ممكن للقدرة العالية .

المسألة الثالثة : ما الحكمة المقصودة بإيراد هذه الثلاثة جميعا ؟ **والجواب** : ليكون الهول أعظم والاتعاظ بالآية آجم[1] ، لأن النار تحرق النبات يابسا كان أو رطبا ، والبرَد يحطم الشجر لتتمكن النار الواقعة إلى الأرض من إحراقه سريعا .

وأما الدم ، فإن رؤيته تشمئز الطبيعة منها ، وفيه إشعار بأن هذه الآية أشد مما جرى لفرعون ؛ فإن ذاك برَد ونار ، وهنا مع ذلك دم .

قوله : «فطُرِحَت على الأرض واحترق ثلث الأرض وثلث الأشجار واحترق كل العشب الأخضر» ، أى ألقيَت هذه الثلاثة ، البرَد والنار والدم ، على الأرض ، فحطم البرَد ما حطم من الشجر ، وأحرقت النار ثلث الأرض كما احترق العشب الأخضر جميعه .

فأما الدم ، فإنه يرمز إلى أمرين ، **أحدهما** : أن هذا التأديب كونه بعدل مقابل الدماء المسفوكة على الإيمان والبر ، أو التى سُفكت ظلما ، فكان التأديب مناسبا للذنب . **والآخر** : إنه إشعار بأنهم إن استمروا على سبلهم الرديئة ، كانت إراقة دمائهم أسهل من ذلك .

وتعجّب من قوله إن **ثلث الأرض احترق وثلث الشجر مع العشب الأخضر كله** ، فإن كانت هذه النار قد عمّت سطح الأرض جميعه حتى أحرقت

---

(١) شديد ، أحر .

العشب كله ، فكيف لم تحترق الأرض والشجر جميعا ؟ وإن كانت خاصة بثلث الأرض ، فكيف أحرقت العشب الأخضر جميعه ؟ **والجواب** : إن هذه الثلاثة كانت عامة ، لكن قوتها موزعة فى مكان دون مكان ، كما ترى المطر العام يغزر فى مكان ويقل فى آخر ويكثر فى بقعة ويقل فى أخرى . فما حصل فيه تأثير قوة النار أحرقت كل ما صادفته أرضا أو شجرا أو عشبا ، وكان مجموع ذلك قدر الثلث من الأرض والشجر كما ذكر بالروح الكاشف الفاحص كل شيء .

وأما لِمَ كان الاقتصار على إحراق ثلث الأرض وثلث الشجر فله علتان ، **العلة البعيدة** : هى المشيئة الإلهية . **والعلة القريبة** : هى أن القصد هو إصلاح البشر بالتأديب والتهويل ليعودوا إليه تعالى فيرحمهم ، لأن الشدائد تُرجع الكافر إلى الالتجاء إلى الله الخالق . ولو كان المحترق أكثر من ذلك لفاتت المصلحة المقصودة وهى الإصلاح ، لأن الأرض لو احترقت كلها أو أكثرها لهلك من عليها من الناس والحيوان وكذلك الشجر لأنه بطيء النشء[1] وأكثره إنما يصلح ثمره بعد ثلاث سنين ، وفيه ما هو أكثر كالنخل والجميز والمقل[2] وغير هذه . فلو هلك بالإحراق والقحط فى تلك الأيام كلها لأفضى إلى هلاك الحيوان كله لا البشر فقط . فلذلك اقتضت الحكمة الربانية إحراق الثلث ، وأما العشب فلما كان سريع النمو أحرِق كله .

✠ ✝ ✠

٤٠- (٨) وبوّق الملاك الثانى فألقى فى البحر مثل جبل عظيم مملوء نارا فصار ثلث البحر دما (٩) ومات ثلث الخليقة كلها التى فى البحر التى كان فيها نفس حية وثلث السفن عطب .

---

(١) السقاية ، الحركة ، قليل النمو . (٢) شجر الدوم .

هذه هى الآية الثالثة كما تبيّن أولا ، وإن كانت الثانية من الأبواق . وكلها بحسب ظنى على ظاهرها .

فأما **أى بحر ألقى فيه هذا الجبل ؟** فاعلم أن اسم البحر لا يطلق إلا على البحر الملح ، وما سواه أنهار وينابيع وبحيرات وبطائح . والمعروف بذلك ثلاثة بحار أصل وهى البحر المحيط بالأرض وفرعان منه . ومعلوم أن البحر المحيط ، لبعده من المسكون ، لا تكون هذه الآية فيه ، إذ لو حدثت فيه لما رآها أحد ، والفرع الأول هو البحر الأحمر المعروف بالهندى فى جهة الجنوب ، وأوله القَلْزَم[١] وهو الذى غرق فيه فرعون وجنوده[٢] ، ولا تكون فيه هذه الآية أيضا لبعده عن المكان الذى تنبأ النبيان العظيمان فيه وهو مدينة القدس وتخومها ، فبقى أن تكون هذه الآية فى البحر الأخضر الرومى[٣] فى الشمال لقربه .

وأما قوله : «مثل جبل عظيم مملوء نارا» ، فالمثلية تمنع أن يكون جبلا حجريا . وكونه مملوءا نارا يمنع من أن يكون كله نارا صرفا لأن المالىء غير المملوء . **والجواب** : إن المملوء هو البخار الدخانى اللزج[٤] الغليظ الدهنى الصاعد ، والمالىء هو النار المشتعلة فى هذه المادة ، فالدخانية تُعد هذا البخار بجفافها للاشتعال والتلون ، واللزوجة تفيد الثبات فلا تفنيه الحرارة بسرعة . والغلظ تفيده الكثافة والحمرة التى فى النار العنصرية ، والدهنية تفيده قوة الاشتعال ، لأن اشتعال الأشياء الدهنية كالزيت والكبريت وغيرهما أقوى اشتعالا

---

(١) السويس .　　　　(٢) خر ١٤ : ٢٧ و ٢٨

(٣) بحثنا فى كتب الجغرافيا القديمة فلم نجد بحرا بهذا الاسم ، وإنما وجدنا «البحر الأخضر» يَحد جنوب القارة الأفريقية ، ولا تكون فيه هذه الآية أيضا لبعده ، كما وجدنا «بحر الروم» وهو البحر الأبيض المتوسط ، لذلك قد يكون هو البحر المقصود فى الغالب ، وقد يكون المقصود به هو البحر الميت [بحر الملح] لكونه أقرب البحار لتخوم القدس التى تنبأ فيها النبيان العظيمان أخنوخ وإيليا .

(٤) المتمطط ، المتمدد .

مما ليس فيه دهنية كالقصب والحشيش . وصعوده ، أعنى البخار ، هو الذى قرّبه من كرة النار حتى اشتعل . وهذا البخار إذا تجمع فى الجو وتراكم صار كصورة الجبل ، وهو مادة الصواعق وما يشاكلها من الشهب التى قيل أنها إن تأخر اشتعالها المبرد المجمد فى الجو هبطت حجارة ، وإذا وصلت الصاعقة أسفل الأرض صارت حديدا . والمعتبر آية ، هو تهيؤ هذا البخار بالمشيئة الإلهية كالجبل العظيم واشتعاله وسقوطه فى الوقت المعيّن وتأثيره ، فإن هذا هو المجموع خارق لعادة الوجود الطبيعية . فقد تبيّن أن ما ذكره الرسول ، بل الروح القدس ، إبلغ ما يكون فى التشبيه بأعلى ما يمكن من العبارة عنه ، وفى ذلك حكمة غامضة ، وذلك أن هذه النار لو كانت صرفة ساذجة من غير مادة لما رؤيت عند وصولها إلى ماء البحر ، ولفات المقصود من ظهور الآية ، وصيرورة الماء دما وموت ثلث حيوان البحر . ولكن هذه المادة أكسبتها ثلاثة أشياء ، **أولها** : التصور بصورة الجبل العظيم . **الثانى** : تلونها بالحمرة النارية حتى يُرَى للناس ذلك ، وتظهر الآية ويكون بها العبرة وتحصل الموعظة لمن يتعظ . **الثالث** : ثبوت النارية في الماء حتى أثرت ما أثرت .

وأما قوله : «فصار ثلث البحر دما ومات ثلث الخليقة كلها التى فى البحر التى كان فيها نفس حية» ، فيظهر منه أن الجبل النار لما سقط ، عَمّ ثلث ذلك البحر ، وهذا هول عظيم يبهر تصوره ، فكيف تمكن مشاهدته فى الخارج وقد ظهر مشتعلا فى البحر لما فى مادته من الدهنية واللزوجة ، فانقلب الماء الجارى له دما ومات ما فيه من الحيوانات البحرية لأنها لا تعيش إلا فى الماء ، وذلك كما ماتت الحيتان فى النيل بمصر لما صار دما فى ضربة فرعون[1] . ولمَا فى ذلك الدم أيضا من اللزوجة والدهنية ، تَميّز عن بقية الماء فلم يمازجه ، وهذا معنى قوله فصار ثلث البحر دما **ومات ثلث الخليقة**

---

(١) خر ٧ : ١٩ - ٢١

كلها التى فى البحر ، وقال ثلثها ليستوعب مقدار الثلث . فأما قوله : «التى كان فيها نفس حية» ، فأراد به زيادة التبيين والتفهيم ، ولا يقصد إن هناك حيوانات غير حية فيميزها عنها .

وقوله : «وثلث السفن عطب» ، أظن أن هذه السفن التى فى المرافىء خالية من الناس ، فإنها تنكسر وتغرق لقوة اضطراب المياه عن سقوط جبل النار ، وتتحطم وتحترق بمماسته ، دون السفن المقلعة الموسقة ، بدليل إنه لم يتعرض فى هذه الآية إلى ذكر هلاك أحد من الناس ، والله أعلم .

♱ ✝ ♱

٤١- (١٠) وبوّق الملاك الثالث فسقط من السماء نجم عظيم مثل مصباح النار وهبط على ثلث الأنهار وينابيع الماء (١١) واسم النجم أبسنتيون وثلث المياه صار مرا مثل الصبر وكثير من الناس ماتوا من المياه لأنها صارت مرة .

هذه هى الآية الرابعة ، وهى الثالثة من آيات الأبواق .

قوله : «فسقط من السماء نجم عظيم مثل مصباح النار» ، يريد بالنجم هنا ملاكا لا كوكبا ، بدلائـل ، **منها** قوله : «وهبط على ثلث الأنهار وينابيع الماء» مع كثرتها وتباعدها وتباينها ، لأن فعل الكوكب فعل طبيعى لا يتنوع هذه التنوعات الدالة على تمييز الاختيار . **ومنها** إنه ذكر نجما آخر بعده وأراد به ملاكا ، فترَجّح أن يكون هذا ملاكا . **ومنها** إنه صرّح فى هذه الرؤيا بتسمية الملاك **بالمصباح** ، فلا يبعد أن يسميه نجما أيضا ، بدليل قوله فى الفص التاسع عشر : «وسبعة مصابيح نار محدقة بالعرش وهى سبعة أرواح الله» . **ومنها** إن أكثر المفسرين اتفقوا على أن النجم الذى تراءى للمجوس عند الولادة السيدية ملاك لا كوكب حقيقى ، فإذن هذا ملاك .

وذكر **سقوطه من السماء** ، ولم يقل من العلو ، ولا من الجو ، لتمييزه عن الشهب والصواعق وسائر الآثار العلوية . وأراد **بالسقوط** سرعة النزول لإنفاذ الأمر كالبرق الخاطف لا سقوطا من الرتبة . ووصفه **بالعظم** بيانا لقدره ومقدار منظره وقدرته بالنسبة إلى غيره . وشبهه **بالمصباح النار** لأن منظره كذلك ، وليميزه عن السبعة الأرواح السابق ذكرها ، فإن تلك قال إنها مصابيح ، وهذا قال إنه شبه مصباح ، فظهر الفرق . وأيضا فتلك هى التى معها الأبواق ، وهذا غيرها .

قوله : «وهبط على ثلث الأنهار وينابيع الماء» ، هذا الهبوط هو امتثال الأمر وتنجيزه فى هذه المياه .

أما قوله : «واسم النجم أبسنتيون» فإن لغة هذا الاسم يونانية[1] لأن بها نطق الرسول بهذه الرؤيا وبها كُتبت أولا .

قوله : «وثلث المياه صار مرا مثل الصبر» ، فهذا الثلث أهو ثلث الأنهار والينابيع ، أم ثلث ماء كل واحد منها كما قال فى ثلث البحر إنه صار دما ؟ فإن كان الأول ، لِمَ خُصّت أنهار دون أنها وينابيع دون أخرى ؟ وإن كان الثانى ،فكيف يتميز ثلث كل الماء بالمرارة عن بقية الماء ، ويحتاج الذين يستقون منه والذين يشربونه إلى إلهام[2] أو تكليف ذوّاق للماء من كل جانب وذلك بعيد مستحيل ؟ فبقى أن يكون المراد هو الأول ؛ وعلة تخصيص ماء دون ماء بالمرارة ، هو سيرة أهل ذلك الماء المستعملين له ومقدار قساوة قلوبهم ورقتها ، ومعصيتهم وطاعتهم ، وإصرارهم ورجوعهم . فإن الذين لا يتعظون يعظهم عذابهم ، والذين يتعظون يكفى فيهم تأثرهم من غيرهم واتعاظهم بهم . وفى هذا أيضا إشكال ، وهو إن أهل كل ماء ليسوا كلهم أشرار ولا طبقتهم فى الشر

(١) ⲀⲮⲒⲚⲐⲒⲞⲚ ، أى الأفسنتين ، وهو شديد المرارة .

(٢) وحى يلهمهم عن الحلو والمر .

واحدة فيكون تأديبهم واحد . وبالجملة ، هذا جلى لعلمه تعالى دون علمنا ، وتدبيره بحسبه ، فإنه من الجائز انتقال من يستحق العذاب لمكان آخر قبل هذه الآية ، والله أعلى وأعلم بهذه الأسرار .

وأما ذكره **مصير الماء مرا كالصبر** فهذا هو أثر فعل الملاك ومقتضى الأمر الإلهى الذى أنجزه وأنفذه فى هذه المياه ، والطعم المر عند الطبيعيين هو أثر فعل الحرارة فى الجوهر الكثيف الحامل للطعم .

قوله : «وكثير من الناس ماتوا من المياه لأنها صارت مرة» ، الذى ألجأ إلى شربها مع مرارتها هو شدة العطش ، وهنا موضع نظر ، وهو : هل كل من شرب من هذا الماء المر مات ، أو كثير ممن شرب منه مات ؟ إن كان الأول ، كان مراده **بالناس** البشر جميعا ، وتقدير القول : وكثير من البشر مطلقا ماتوا وهم الذين شربوا من ذلك الماء . وإن كان الثانى ، كان مراده **بالناس** مرادا خاصا وهم الذين شربوا ، والتقدير هو : وكثير ممن شرب مات ، وقليل ممن شرب لم يمت . وأرجح أن الأول هو المراد ، لأنه أعطى علة الموت وهى مرارة ذلك الماء لشدة قوتها وسميتها ، وكون الجرعة الواحدة منها تقتل . والعلة حاصلة فى كل ماء شُرب لكل من شَرب منه ، وهذا معنى قوله : **لأنها صارت مرة** .

وأما مدة إقامة هذه الضربة ، فيظهر إنها المدة التى يمكن أن يُصبَر خلالها عن شرب الماء ، وهذه بالتقدير ثلاثة أيام . ولعل المياه الموجودة فى الأوعية والصهاريج والجباب والمستنقعات تَمرُرْ لأنها من مياه الأنهار والعيون فى الأصل ، والله أعلم .

✠ ✠ ✠

٤٢- (١٢) وبوّق الملاك الرابع فانكشف ثلث الشمس وثلث القمر وثلث النجوم حتى أظلمت ثلثهن فلم يضىء ثلثها فى النهار ولا فى الليل .

هذه هى الآية الخامسة ، وهى الرابعة من آيات الأبواق ، وهى على ظاهرها ، ثم هى عامة ، لا هذه لا تخفى فى مسكن من المساكن بالجملة .

قوله : «فانكشف ثلث الشمس وثلث القمر» ، أى ثلث الجُرمين انكسف ولم يُرَ نوره . وقد تقدم الكلام فى كسوف الشمس وخسوف القمر وكيفيتهما ، وليس هذا كسوفا طبيعيا كالمعتاد .

قوله : «وثلث النجوم» ، قد قيل فى الخمسة الحائرة التى لكل منها فلك يخصه ، أن الأدنى منها يكسف الأعلى ، وذلك إن الكوكب الأدنى فى فلكه إذا حاذى الكوكب الأعلى وذاك فى فلكه ، فإن انطبق المركز على المركز بالمحاذاة كان الكسوف للأعلى كاملا ، لا سيما إن كان الأدنى أكبر جُرما ، فإن لم ينطبق المركز على المركز كان كسوفا غير كامل . فأما الكواكب الثابتة التى فى الفلك الثامن التى لا تحصى ، فمن أين لها كواكب تحتها توازيها بعدتها أو عدة ثلثها حتى تكسفها ؟ فقد بان إن هذا أيضا كسوف غير طبيعى ، ولكن علة ذلك ستأتى . وفى الثلث المذكور إشكال كالإشكال الذى مضى فى ثلث المياه والأنهار والينابيع ، لأنه إن كان أراد ثلث جُرم كل نجم ، عسر إدراكه بالبصر ، لا سيما الأقدار الخامسة والسادسة ، والآية ينبغى أن تكون ظاهرة . وإن كان أراد ثلث عدة النجوم ، فلِمَ خص البعض المنكسف بالكسوف دون البعض الآخر ؟ **والجواب** : إن المراد هو الوجه الثانى للعلة المذكورة فى الوجه الأول . وأما علة التخصيص فالكِبَر ، لأن الكواكبِ التى مقدارها أكبر هى التى تنكسف ليظهر كسوفها وتكون ظاهرة فى رقعة السماء أجراما مسودة كالنقط السوداء ، وما ليس بمنكسف منها يكون مضيئا ، حينئذ

يظهر لرأى العين المنكسفة منها وغير المنكسفة . . وانكسافها مع القمر إنما يكون ليلا ، لذلك قال : «فلم يضىء ثلثها فى النهار ولا فى الليل» . وأما تحديد الثلث فله اعتباران :

أحدهما : الثلث من عدة الكواكب جميعا ، وهذا لا يعرفه إلا من صنعها وأحصاها عددا كما قال أشعياء النبى[١] ، فعدتها لنا مجهولة ، وثلث المجهول مجهول ، فثلثها لنا مجهول .

والآخر : الثلث من عدة الكواكب التى أدركها البشر ، وهذا هو الحق إذ الآية لا تكون إلا فيما يظهر ويُدرَك ، وأصحاب الأرصاد عجزوا عن عد الكواكب وحصرها جميعها ، ولكنهم أدركوا منها بالأرصاد المتوالية فى ثلاثة أقسام ألفا وثلاثين كوكبا ، أولها ، بعد النيّرين ، الخمسة المعروفة بالحائرة . وثانيها الكواكب المسماة عند القدماء : الثابتة ، التى فى جُرم الفلك الثامن وهو فلك البروج ، وهى مختلفة الأقدار ، وعدتها ألف واثنان وعشرون كوكبا ، رتبوها ست مراتب سموها العظام ، لأنهم جعلوا لكل جملة متساوية العظم مرتبة ، فالعظم الأول الأكبر خمسة عشر كوكبا ، والثانى دون خمسة وأربعين كوكبا ، والثالث مائتان وثمانية ، والرابع أربعمائة أربعة وسبعون ، والخامس مائتان وسبعة عشر ، والسادس تسعة وأربعون . والخفية التى سماها بطليموس مظلمة تسعة كواكب - والسحابية التى كأنها قطعة غيم خمسة كواكب . وثالثها المسماة بالصفرة والدوابة وهى ثلاثة كواكب فى فلك البروج . أيضا الثلاثة المذكورة الأول والثانى والثالث ، فيكون الثلث المنكسف من هذه العدة المدركة بالأرصاد ثلاثمائة وثلاثة وأربعون كوكبا ، منها الثلاثة العظام وعدتها مائتان وثمانية وستون كوكبا ، ومن العظم الرابع خمسة وسبعون كوكبا .

---

(١) أش ٤٠ : ٤٦

قوله : «حتى أظلمت» ، يريد الشمس والقمر والثلث المذكور من الكواكب ، فالضمير من قوله **أظلمت** لا يعود على مقصود واحد ، بل على الشمس والقمر فثلث كل جُرم منهما ، وعلى الكواكب فثلث عددها المدرَك جُرم كل كوكب منكسف بكماله .

قوله : «فلم يضيء ثلثها فى النهار ولا فى الليل» ، الضمير هنا يعود أيضا على ما يعود عليه ضمير الثلث المتقدم كما بيّناه ؛ ومراده **فى النهار** ثلث جُرم الشمس ، **وفى الليل** ثلث جُرم القمر مع ثلث عدة الكواكب . ومن هنا تبيّن أن هذا الكسوف فى النيّريْن والكواكب ليس كسوفا طبيعيا ، لأن الشمس لا يُتصور لكسوفها مكث أصلا لأن حركة القمر متصلة . وأما القمر فأطول ما يكون زمان خسوفه أربع ساعات مستوية بالتقريب . وأما الخمسة الحائرة فلا يظهر لها كسوف لأن الأعلى والأدنى منها مضيئين . وكذلك بقية الكواكب الثابتة . وهنا قال إن الثلث من الشمس لا يضيء فى النهار والثلث من القمر والكواكب لا يضيء بالليل . فإذا ليست هذه الكسوفات طبيعية ، بل على سبيل المعجزة وهى تحتمل أمرين : إما بخار كثيف كمد يحجب ضوء المنكسف منها ، وإما أن يشأ تعالى أن لا تقبل نورا ولا يسرى فيها فتظلم ولا يصدر عنها ضوء ، أو يأمر الملائكة بكسوفها أو غير ذلك مما لا يوقَف عليه إلا بالوحى والإلهام .

فهذا ما فى هذا الفص من المباحث والخفايا والمشكلات ، والله أعلم .

✠ ✟ ✠

٤٣- (١٣) وهكذا أيضا نظرت وسمعت نسرا فى وسط السماء يصرخ ويقول بصوت عظيم الويل الويل للسكان على الأرض من أجل بقية أبواق الثلاثة الملائكة الأخَر الذين يبوّقون .

هذا الفص منذر بما يأتى فيما بعد من بقية حوادث الأبواق .

قوله : «وهكذا أيضا نظرت وسمعت نسرا فى وسط السماء» ، أى كما تقدم من نظرى الملائكة وما حدث عنها وسماعى لأصواتها ، كذلك هنا . فأما **النظر** فللشكل والهيئة ، وأما **السماع** فللصوت ، **والنسر** ملاك فى شكل نسر . وقد تقدم ما يشبه ذلك فى موضعين : أحدحما فى الفص العشرين ، قال : «والحيوان الرابع يشبه النسر طائرا» ، والآخر فى الفص السابع والعشرين ، قال : «وسمعت صوتا شديدا فى وسط الأربعة الحيوانات كصوت نسر» . وقد مضى تفسير **وسط السماء** .

قوله : «يصرخ ويقول بصوت عظيم» ، **الصراخ بصوت عظيم** لإظهار الإنذار وبيانه بحيث لا يُرتاب به ولا يشكَّل بشىء غيره ، وهو الإجهار . ولفظة **ويل** مثل لفظة ويح ، ومعناهما واحد : كلمة تدل على العذاب . وتدخل على لفظة **ويل** هاء التأنيث فنقول : ويلة ، وهاء الندبة فنقول : ويلاه . والتكرار ورد فى هذه اللفظة للتأكيد والترثى لسكان أهل الأرض . لكنه كرر الويل دفعتين وجعله ثلاثا ، إذ يقول فيما بعد فى الفص السابع والأربعين : «الويل الأول مضى وهوذا يأتى الويل الثانى» ، ثم فى الفص السادس والخمسين : «الويل الثانى مضى وهوذا الويل الثالث يأتى سريعا» .
والجواب : أن التنبيه للتأكيد والجمع للضربات المكنى عنها بالويل ، فقد بان الفرق بينهما . وبقية الفص ظاهر .

☩ ✝ ☩

الأصحاح التاسع

الفصل التاسع

٤٤- (١) وبوّق الملاك الخامس فرأيت نجما سقط من السماء إلى الأرض وأعطى مفاتيح بئر العمق (٢) فصعد دخان البئر مثل دخان أتون عظيم وأظلمت الشمس والجو من دخان البئر (٣) وأتى جراد على الأرض من الدخان وأعطى سلطانا كالعقارب التاى لها سلطان على الأرض (٤) وقيل لها لا تضرى أعشاب الأرض ولا كل الشجر ولا كل شيء أخضر إلا الناس الذين ليس رَسم الله على جباههم (٥) وأمِرَت أن لا تقتلهم بل تعذبهم خمسة أشهر ووجع عذابها يكون مثل ألم العقارب إذا لدغت الإنسان .

هذه هى الآية السادسة ، وهى الخامسة من آيات الأبواق .

قوله : «فرأيت نجما سقط من السماء إلى الأرض» ، يريد **بالنجم** ملاك هبط ، **والسقوط** نزول مسرع كالبرق . وأما **مفاتيح العمق** فقد تقدم فى الفص التاسع إن المراد **بالمفاتيح** الحكم المطاع طاعة القفل لمفتاحه ، وإن **العمق** هو الغور الأسفل من الأرض ، وتقدم أيضا فى الفص المذكور إن هذا الحكم لسيد الكل لقوله : «ومفاتيح العمق كائنة عندى والجحيم»[1] . فعندما أراد إظهار هذه الآية ولّى هذا الملاك عليها بأن يطيعه ويفعل بقوله ومراده ،

---

(١) رؤ ١ : ١٨

وهذا معنى ومراده ، وهذا معنى قوله : «وأعطى مفاتيح بئر العمق» . **والبئر** أعم من **العمق** ولذلك أضافها إليه ليُخَصّص بها .

قوله : «فصعد دخان البئر مثل دخان أتون عظيم» ، ليس المماثلة بين الدخانين فى الكثرة ، بل ثلاثة أشياء : الماهية والصعود شىء إثر شىء وكمودة اللون[١] .

قوله : «وأظلمت الشمس والجو من دخان البئر» ، هذا يدل على مَدَد عظيم وكثرة هائلة أظلمت منها الشمس والجو . وكثافة شديدة وكمودة عظيمة لا ينفذ منها الشعاع ولا يحللها ؛ ولم تظلم الشمس فى ذاتها ، بل حجب هذا الدخان عنا ضوءها لانبثاثه فى الجو وتراكمه . وإذ بلغ هذا المبلغ ، يلزم أن تظلم الدنيا على أهلها أشد من ظلام الليل لأن الليل يخلخل[٢] ظلامه أنوار القمر والكواكب ، وليس ههنا ضوء البتة .

قوله : «وأتى جراد على الأرض من الدخان» ، فى هذه الجملة بحثان ، **البحث الأول** : هل المرادُ بهذه الجملة ظاهرها على شكل ما وحلاه[٣] وصفاته وتشبيهاته التى سترد عليك من العجائب المستغربة والبدائع المقتضبة[٤] ؟ أم أنها معنوية ترمز على أن هذا الجراد جيش عظيم وعسكر غريب شُبّه بالجراد ، وأطلِق اسم الجراد على الجيش كما أطلِق فى نبوة يوئيل النبى اسم الجيش على الجراد ، لأنه نقل عن الله تعالى فى معنى الجراد الذى صار على بنى إسرائيل فى أيامه ، فقال : «وجيشى العظيم الذى أرسلت عليكم»[٥] ؟

(١) شدة السواد .

(٢) يحرك ويقلقل من أركانه ، كان فى خلاله فَرْج .

(٣) أوصافه . (٤) المنقطعة ، المنزوعة .

(٥) يؤ ٢ : ٢٥

فأما ما يستدل منها على أن هذه الآية على ظاهرها ، فهى ستة مواضع ، **الأول** : لو كانت معنوية لما ذكر كيفية تولد الجراد بفتح بئر العمق وطلوع الدخان الذى هو مادة الجراد . **الثانى** : ولا كان يقول :«وأتى جراد على الأرض من الدخان» ، وهذا تصريح بيّن . **الثالث** : قوله إنه : «يشبه الخيل المعدة للحرب»(*) ، والناس لا تشبه الخيل . **الرابع** : قوله : «ووجوهها كوجوه الناس»(*) ، ولا يُشَبّه الشيء بنفسه . **الخامس**: قوله : «وأجنحتها مثل جواشن»(١)(*) ، ولا أجنحة للناس ، فإن قيل إن أجنحتها هى الجواشن ، كان تمثيل الشىء بنفسه . **السادس** : قوله إن لأجنحتها صوت(*) . فهذه أدلة كونها على ظاهرها .

أما الاستدلال على أنها معنوية ففى سبعة مواضع ، **الأول** : قوله : «وقيل لها [يعنى الجراد] لا تضرى أعشاب الأرض» ، والجراد لا يكون محلا للخطاب والقول ، إذ لا يَعقِل . **الثانى** : قوله : «إلا الناس الذين ليس رَسم الله على جباههم» ، وليس للجراد هذا التمييز ولا للناس فضلا عن الجراد . **الثالث** : قوله : «وأمِرَت أن لا تقتلهم بل تعذبهم» ، وهذا لا يكون إلا لمن يَعقِل ويميز ويختار . **الرابع** : قوله إن على رأسه إكليلا(*) ، ولا يُكَلل إلا البشر فى الغالب . **الخامس** : قوله إن وجوهها تشبه وجوه الناس(*) ، وليس الجراد كذلك . **السادس** : قوله إن لها شعر وإنه يشبه شعور النساء(*) ، وهذا يشبه أن يكون جيش الترك . **السابع** : قوله إن عليها ملك واسمه المهلك(**) ، وأشخاص الجراد لا تسمى ، فليست إذن جرادا .

---

(١) وسط ، نصف ، صدر .

(*) راجع الفص السادس والأربعين . (**) راجع الفص السابع والأربعين .

البحث الثانى : فى كيفة توالد هذا الجراد ومدته ، وذلك أن حرارة الشمس إذا ما برحت الهواء وعملت فى رطوبة هذا البخار الدخانى ، عفنت منه هذا الحيوان ، الذى هو الجراد ، بالمشيئة الإلهية . وعند تهيؤ المادة تُفاض عليها الصورة الغريبة العجيبة التى سنصفها بعد ذلك ، فيتحرك طالبا الأرض إلى حيث بُعث بسوق[١] الرياح له حتى تلقيه على الأرض ، ولذا قال : «وأتى جراد على الأرض من الدخان» . وأما المدة التى يمكن فيها توالده ، فقد ذُكِر فى التوراة أن الجراد الذى كان فى ضربة فرعون وآله توالد فى يوم واحد وهو نهار وليلة ، وذكر مع ذلك فى كيفية توالده ما يقرب منه ما ذكرناه ، وهو : «فأهَبَّ الرب ريح السموم على الأرض جميع ذلك النهار وتلك الليلة ، وبالغداة احتملته ريح السموم بامتزاج حرارة الشمس بالهواء»[٢] . وريح السموم الفاعل والمنفعل هو المادة الدخانية ، والصورة مفاضة .

قوله : «وأعطى سلطانا كالعقارب التى لها سلطان على الأرض» ، فى هذه الجملة تقديم وتأخير تقديره هكذا : وأعطى الجراد سلطانا على الأرض كالعقارب التى لها سلطان . سلطان العقارب الذى لها ، هو أن تكسب وتلقى فيما تكسبه سمها المبرّح الألم[٣] الشديد الأعراض ، وهى تسعة : لدغ قوى ، والتهاب شديد ، وكرب مفرط ، وغشى[٤] ، وبرد الأطراف ، وسقوط القوة ، وإدرار[٥] العرق ، والخَدَر[٦] لفرط الألم ، وتواتر النفس . وجملة التشبيه هنا بينها وبين العقارب فى الكسب الذى هو سلطانها .

---

(١) بتوجيه .　　(٢) خر ١٠ : ١٣　　(٣) شديد الأذى .

(٤) هو تعطل أكثر القوى المحركة والحساسة لضعف القلب من جوع أو وجع ، واجتماع الروح الحيوانى إليه .

(٥) سقوط ، انزلاق ، اصباب .

(٦) الخَدَر ، بفتح الخاء والدال : فتور ، انخذال ، خمول ، تراخى فى الأعضاء .

قوله : «وقيل لها لا تضرى أعشاب الأرض ولا كل الشجر ولا كل شىء أخضر» ، يريد بالقول ههنا المنع وعدم التمكين . وتقديره إن الملاك المتولى عليها والمدبر لها لا شك فى طاعتها له بالإلهام ، كما يطيع الدب والقرد والأنعام[(١)] وغيرها من الحيوان أمر المتسلّط عليها من الناس . ووضوح ذلك وشهرته تغنى عن بيانه ، لا سيما مع الأمر الإلهى . والحاصل أن المتسلّط عليها يمنعها أن تقرض شيئا من النبات مع أنه قوّتها وقوتها[(٢)] وتسلطها عليه ، ويجوز أن يكون قوتها فى مدة هذه الضربة التراب كبقية الحشرات المتقوّتة[(٣)] به ليكون سمها أشد وألمه أعظم .

قوله : «إلا الناس الذين ليس رَسم الله على جباههم» ، هذا الاستثناء منقطع . والعجب من هذا الجراد إن النبات الذى اعتاد أن يتقوّت منه ومسلّط عليه مُنِع منه ، والناس المتسلّطون عليه وعلى سائر الحيوان فى أصل الخليقة متسلّط عليهم حسب الأمر الإلهى . **والناس الذين ليس رَسم الله على جباههم** هم الكفار والأشرار ، والمميِّز لهم من سواهم هو الملاك المتولّى على الجراد . **والرسم** هو الختم ، وقد تقدم الكلام فيه فى الفص الثانى والثلاثين .

قوله : «وأمِرَت أن لا تقتلهم بل تعذبهم خمسة أشهر» ، الآمر هنا لها يريد به طبعه لسمها الذى فى حمتها ، على أن تُبَرّح فى الألم ولا تقتل ، بل تحصل معه الآلام التسعة المتقدم ذكرها . وهذه اللفظة ، وهى قوله **وأمِرَت** ، مستعارة من اللغة القبطية من العطاء والتسليم ، وهى ⲁⲩⲧⲏⲓⲥⲛⲱⲟⲩ ، فاعلم ذلك . وقد صرّح بمدة العذاب للناس ، وهذه شدة وبلوى لم يُسمع بأشد منها .

(١) الدواب . (٢) مؤونتها ، أكلها .

(٣) المتقوّتة : العائشة ، القائمة حياتها به .

قوله : «ووجع عذابها يكون مثل ألم العقارب إذا لدغت الإنسان» ، ألم لسع العقارب هو تفرق اتصال وسوء مزاج لما يثبت من سمها الذى تصبه عند كسبها ، ويتبعه تسعة أعراض ، وهى : لدغ قوى ، والتهاب شديد ، وكرب مفرط ، وغثى[١] وغشى ، وبرد الأطراف ، وسقوط القوة ، وإدرار العرق ، والخَدَر لفرط الألم ، وتواتر النفس .

✠ ✠ ✠

٤٥- (٦) وفى تلك الأيام يطلب الناس الموت فلا يجدونه ويتمنون الموت والموت يهرب منهم .

إن أياما تُطلب الراحة من شدائدها بالموت لرديئة جدا . وقد قيل فى أمثال الحكماء : «أشد من الموت ما نتمنى من أجله الموت» . وبالواجب ذلك ، فإن فى الموت ، وإن كان صعبا ، راحة من بلايا تتواتر ، تقوم كل بلوى منها مقام الموت فى كل ساعة . ولهذا المعنى بعينه قالت امرأة أيوب الصدّيق له فى بلواه : «قل كلمة فى الرب لتموت وتستريح»[٢] ، وقال الملاك لدانيال النبى : «وأنت يا دانيال انطلق إلى الآجل واسترح»[٣] . ولعمرى إن هذه الضربات والشدائد التى فى أيام نبوة الشاهدين لم تكن إلا على الفجار والكفار والأشرار ، ولا عُملت إلا أدبا لهم ، وإشفاقا عليهم ، وطلبا لرجعتهم ومصلحتهم . وإذا كانت هذه شدائد الإشفاق والتأديب ، فما ظنك بشدائد الغضب

(١) اضطراب فى النفس حتى تكاد تتقيأ من خلط ينصب إلى فم المعدة .
(٢) أى ٢ : ٩ (٣) دا ١٢ : ١٣

والانتقام ؟! وتلك هى شدائد الدجال ، وهى ضربات الجامات[١] . والحقيقة إن هذه وتلك بالنسبة إلى عقاب الخطاة فى الآخرة كلا شىء . أعاذنا الله منه وأدركنا من لطفه ورحمته بتوبة قبل الموت لندرك مغفرةً وسلامةً وراحةً فى دار القرار ومنازل الأبرار ، إنه سميع مجيب .

☩ ✝ ☩

٤٦- (٧) وشكل الجراد يشبه الخيل المعدة للحرب وإكليل على رأس الواحد والواحد منها بلون الذهب ووجوهها كوجوه الناس (٨) وأسنانها تشبه أسنان الأسد وشعر مثل شعر النساء (٩) وأجنحتها مثل جواشن حديد وصوت أجنحتها كصوت مراكب خيل مستعدة للحرب (١٠) ولها أذناب وشوكات تشبه أذناب العقارب وسلطانها فى ذَنَبها لتعذب الناس خمسة أشهر .

هذا الفص مقصور على شكل الجراد وحلاه وصفاته ، وقد ذكر ثمانية أشياء ، وهى : الشكل ، والإكيل ، والوجه ، والأسنان ، والشعر ، والأجنحة ، وأصوات الأجنحة ، والأذناب مع شوكها . فمن ذلك قوله : «وشكل الجراد يشبه الخيل المعدة للحرب» ، الجراد يشبه الخيل من سبعة أوجه ، **أولها** : نصبته ، فإنها تشبه منسج الفرس . **وثانيها** : انضمام رأسه نحو صدره . **وثالثها** : صدره ، فإنه يشبه صدر الفرس . **ورابعها** : عينيه ، فإنها جاحظة[٢] تشبه عينى الفرس ، وقوة نظرها كنظره . **وخامسها** : صلفه[٣] وتيهه وتواثبه .

(١) الكاسات . (٢) شاخصة .

(٣) تكبّره ، عجبه .

وسادسها : سرعة حركته . **وسابعها** : شجاعته كشجاعة الفرس ، لأنها ترى الحرب فتطلبها ولا تصبر عنها . وهكذا قال يوئيل النبى فى الجراد الذى جاء فى أيامه : «ومنظره مثل منظر الفرس»[١] .

قوله : «وإكليل على رأس الواحد والواحد منها بلون الذهب» ، يا لهذا المنظر العجيب والزى الغريب : إن شكل إكليل على رأس كل واحد منها من جملة جسمه ، لكن الإكليل بمفرده بلون الذهب ! وقد نرى ذكور الطواويس[٢] تميل خضرة ريشها إلى الذهب لكن فى ضوء الشمس . والحيوان المسمى سراج القطرب[٣] يشبه الدودة ويطير فى الليل فيُرى كشرارة نار ، وأما فى النهار فإنه دودة خضراء تميل إلى ذهبية يسيرة . وأما هذا الإكليل فأجَلّ من ذلك لظهوره وقوة شبهه بالذهب الأبريزى .

قوله : «ووجوهها كوجوه الناس» ، أى ليست مستطيلة بل مائلة إلى استدارة غير محكمة ، وأنف قائم ، وخطان كحاجبين ؛ ودود القز[٤] فيه شىء من هذا الشبه .

قوله : «وأسنانها تشبه أسنان الأسد» ، ذلك لتكون مخوّفة مرعبة ، ووجه التشبيه أن لها أنيابا ثم أسنانا محددة . ولم يذكر مع ذلك بأن لها تصرفا بهذه الأسنان أصلا ، حيث لا سلطان لها على خظم[٥] رَطِبَة ولا قصم[٦] يابسة ، ومأكلها التراب لا النبات . وقد قال يوئيل النبى فى ذلك الجراد : «وأسنانه مثل أسنان الأسد وأنيابه مثل أنياب شبل الليث[٧]»[٨] ، لكن ذاك

---

(١) يؤ ٢ : ٤

(٢) جمع طاووس .

(٣) طائر ، دويبة لا تستريح من الحركة تضىء فى الليل كأنها سراج لماع ، الفراش ، أبو دقيق .

(٤) دود الحرير .

(٥) ثنى ، لوى .

(٦) كسر .

(٧) ابن الأسد .

(٨) يؤ ١ : ٦

كان سلطانه فى أسنانه ، يطرح الكرم ويقطع شجر التين قطعة قطعة ، ويهلك الزيتون والنخل والرمان ، ويستهلك الحنطة والشعير وغير ذلك ، لأنه قال فيه إن الأرض تكون بين يديه مثل فردوس عدن ، وإذن جاز تركها تربة . وكذلك الجراد الذى كان فى أيام فرعون ، فإن التوراة تذكر عنه أنه أكل جميع عشب الأرض وجميع الشجر والأغصان والورق .

قوله : «وشعر مثل شعر النساء» ، هذا أيضا من الغرائب ، حيث لم يُسمع أن جرادا له شعر طويل كشعر النساء . ولئلا يُظن إنه كالجراد المعتاد ، قال : «وأجنحتها مثل جواشن حديد» ، الجواشن الحديد تنقبض وتنبسط ، فإذا انضمت ركبت صفيحة منها صفيحة أخرى بمسامير تدور عليها ، وإذا انبسطت امتدت كلها فيبقى طرف صفيحة على طرف أخرى تحتها كما يَركَب قشر السمك قشرة على قشرة أخرى ليُبصَر الكل كالأجزاء المتصلة . كذلك أجنحة هذا الجراد أجزاء رفيعة لحمية ولذلك شبهها بالحديد ، فإذا انقبضت ركب جزء جزءا منها ، وإذا انبسطت عند الطيران لم تتراكب الأجزاء إلا بأطرافها لا غير ، والجامع بينها أجزاء عصبية لينة سلسلة بينها كأجنحة الخفاش ، فهذا بيان التشبيه .

قوله : «وصوت أجنحتها كصوت مراكب خيل مستعدة للحرب» ، يعنى أن هذا الجراد عند اجتماعه وطيرانه من مكان إلى مكان ، يكون لأجنحته حفيف[١] فى الهواء كحس صوت الخيل المثابر[٢] للحرب ، وهذ هو استعداده .

قوله : «ولها أذناب وشوكات تشبه أذناب العقارب» ، هذه أيضا من غرائب هذا الجراد ، يعنى الأذناب والشوكات ، وهى الزباناء[٣] والحمة والإبرة . ويقال بأن رأس هذه الشوكة ، مع دقته ، فيه ثقب يخرج منه السم . وقيل بل

---

(١) صوت . (٢) المستعد ، المداوم ، المستمر .

(٣) الزباناء والحمة معناهما واحد ، والزبان للعقرب . السم . الإبرة التى يضرب بها العقرب والزنبور والحية ويلدغ بها ، وجمعها حمات وحمى .

للسم مسام فى ظاهر الشوكة ينصب منها . وقيل بل السم غشاء على الشوكة . ثم إن هذا الحيوان لا يمكن التحذر عنه ولا الحذر منه ، لأنه طيار سريع الحركة ، كثير العدد ، مسلّط من الله تعالى . فهذه هى السبعة أشياء التى ذكرها .

قوله : «وسلطانها فى ذَنَبها لتعذب الناس خمسة أشهر» ، فقد قلنا بأن أسنانها التى وصفها بأنها كأسنان الأسد ، لا يستعملها فى شىء ، وأن هذه الحمة هى المستعملة فى عذاب الناس بها خمسة أشهر .

✠ ✣ ✠

٤٧- (١١) والرئيس عليهم ملكهم ملاك العمق الذى اسمه بالعبرانية ماكادون وتفسيره باليونانية المهلك (١٢) الويل الأول مضى وهوذا يأتى الويل الثانى .

قد صرح ههنا برئاسة ملاك العمق على الجراد ، وهو الذى دعاه نجما سقط من السماء كمصباح النار ، وإنه ملك جيوش الجراد والمسلّط عليها بالأمر الإلهى لإطاعتها له . **والهلاك** يطلق على الموت لغةً ، وفى العرف العام على الوقوع فى الأمور الصعبة الشديدة ؛ كما يقال : هلك فلان بالفقر أو بالحرب أو بالمرض الفلانى . ولا يراد إنه مات ، بل قاسى صعوبة منه . وبهذا العرف سُمى هذا الملاك **ماكادون** الذى تفسيره **المهلك** ، أى إنه الذى أوقع الناس ، بجلب هذا الجراد ، فى شدة عظيمة وصعوبة مفرطة ، وقال أن لغة هذا الاسم عبرانية والأصل يونانية . وقد استوفى فى هذا الفص ما قصد إبداءه من ولاية هذا الملاك على جيوش الجراد ، واسمه ولغته واشتقاقه ، وسمى هذه الضربة **الويل الأول** من الثلاثة ، وأنذر **بالويل الثانى** .

٤٨- (١٣) وكان من هذه بوّق الملاك السادس فسمعت صوتا من قرون المذبح الذهب الكائن أمام عرش الله (١٤) يقول للملاك السادس الذى معه البوق حل الأربعة الملائكة المقيدين عند نهر الفرات العظيم (١٥) فانفك الأربعة الملائكة المعدّين للساعة واليوم والشهر والسنة لكى يقتلوا ثلث الناس (١٦) وعدد عسكر الفرسان ربوات ربوات لأنى هكذا سمعت عددهم (١٧) ورأيت فى الرؤيا الخيل والركاب عليها وعليهم جواشن نار ودخان وكبريت .

هذه هى الآية السابعة ، وهى السادسة من آيات الأبواق .

والسؤال هنا هو : هل هى على ظاهرها أم هى متأولة بجيش عظيم من الناس يقتل الثلث ، ويعاقب الثلثين عقوبة شديدة رمز فيها بالنار والكبريت والدخان على الحرق والقتل والهلاك ، ونهش الحياة على السهام والحراب المسمومة والأعوان الأشرار كشر الحيات وما يشبه ذلك من التأويلات المناسبة ؟

وقد اعتبرتُ ألفاظ هذه الآية ومعانيها ومقاصدها وسياقها وقرائنها ، فلم أجد ما يُتمسك به حجة على أنها متأولة ، أى معنوية ، إلا غرائبها . فإن كان الصواب قد خفى علىّ لضعف فى النظر أو تقصير فى القدرة ، فالعذر مبسوط مع الاجتهاد .

وأما ما يُتمسك به فى أنها على ظاهرها ففيه وجوه : **منها** أن الآية المتقدمة فى الفص الرابع والأربعين مناسبة لها . **ومنها** إن الأصل هو الحقيقة والتأويل مجاز ، فلا يجوز المصير إلى التأويل إلا بدليل ، إما مقتضى وإما مانع ، وإذا لم يتوافرا ، فالعمل على الحقيقة . **ومنها** إن الظاهر والمتأول إذا تعارضا ولم يترجح أحدهما على الآخر ، كانت العمدة على الظاهر لأنه أقوى ،

فالعمدة هنا ظاهر الآية . وبالجملة هذا الذى رجحتهُ ورأيتهُ ، وهو أن هؤلاء الملائكة الأربعة مقدمو جيوش عظيمة من الملائكة ، يظهرون بهذه الصفات التى ستُذكر ، ويتهيأون إلى الأمر المبرم والقضاء المقدّر .

قوله : «فسمعت صوتا من قرون المذبح الذهب الكائن أمام عرش الله يقول للملاك السادس الذى معه البوق حل الأربعة الملائكة المقيدين عند نهر الفرات العظيم» . **قرون المذبح** يريد بها رؤوس أركانه الأربعة من فوق ، وكونه **ذهب** وكونه **أمام العرش** قد مضى الكلام فيه فى الفص السابع والثلاثين ، . وكون **الصوت** موجها نحو الملاك السادس الذى معه البوق لكى **يحل الملائكة الأربعة** ، يريد أن إطلاق فعلها موقوف على الإذن لها ، وحينئذ يبرز فعلها الذى أُمِرَت به فى وقته .

قوله : «وعدد عسكر الفرسان ربوات ربوات لأنى هكذا سمعت عددهم» ، هؤلاء الفرسان ركاب الخيل لا يتعدون ثلاثة أقسام : إما أن يكونوا من البشر بنى آدم ، وإما أن يكونوا أشباحا خيالية ، وإما أن يكونوا ملائكة . ولا يمكن أن يكونوا من البشر لأن البشر لا تلبس جواشن نار ودخان وكبريت ، وليس للبشر مثل هذه الخيل الموصوفة ولا يقدرون على ركوبها . ولا يمكن أيضا أن يكونوا أشباحا خيالية ، لأن الأفعال الصادرة عن هذه حقيقية ، وهى قتل الناس وعذابهم ، والأشباح الخيالية لا يصدر عنها فعل حقيقى ، ولو كانت الأفعال خيالية لبطلت الآية ، إذن ليست هذه الفرسان أشباحا . فبقى أن تكون ملائكة ، وذلك أيضا فيه عدة مسائل :

الأولى : هل جرى مثل هذا ، أن تظهر الملائكة بين العالم الأشرار والفجّار وتقيم خمسة أشهر كما ذكر ؟ **والجواب** : إن الكروبى الذى معه حربة من نار أقام بالفردوس على طريق شجرة الحياة يحرسها لئلا يذهب إليها

آدم وحواء ويأكلا منها ، وكانا يشاهدانه[١] من بعيد وهما من خارج الفردوس ، ولولا مشاهدتهما له هناك ، لذهبا إلى شجرة الحياة كما ذكرت التوراة . وجواز هذا الظهور في ملاك واحد يدل على الجواز في ملائكة أكثر .

والثانية : ما الحاجة إلى ظهور الملائكة جيوشا وربوات ، وملاك واحد يقدر على قتل الناس جميعا وعقابهم ، كما رؤى ملاك واحد في الوباء الذى صار فى أيام داود النبى ، وكما رؤى ملاك آخر وهو ميخائيل قد قتل خلقا من عسكر سنحاريب ، فإن كلا منهما إنما رؤى بمفرده يحرك سيفا فى الهواء فيكون ما قضى به على يده ، ولم يحتج إلى عسكر ولا إلى خيل بهذا العدد العظيم ؟ **والجواب** : إن المشيئة الإلهية إذا انتهى البحث إليها ، فلا جواب عليه إلا : هكذا أراد . وأما إنه قد جرى مثل ذلك ، فقد قال زكريا[٢] إنه رأى فارسا على فرس أشقر وخلفه خيل شقر[٣] وبلق[٤] وشهب[٥] وكثرة مطلقة ، والكل ملائكة ، فهذا دليل ظهور الكثرة ونظير له .

الثالثة : لم يُسمع بمزاولة[٦] الملائكة الأفعال ومباشرتها فى الأشخاص من عقاب وقتل وغيرهما . **والجواب** : إن مثل هذا كثير فى العتيقة والحديثة . أما العتيقة ، فملاك الفتية الذى عصمهم من الإحراق فى أتون النار ، والملاك الذى حمل حبقوق من أورشليم إلى جب دانيال ببابل ومعه العدس مطبوخا ، والملاك الذى ضرب القوم الذين هاجموا لوط بضربة العمى .

---

(١) تك ٣ : ٢٤ (٢) زك ١ : ٨

(٣) فى الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب ، وإن اسودّ فهو الكميت .

(٤) سواد وبياض ، سواد منقط ببياض .

(٥) هو بياض غلب السواد أو بياض يخالطه السواد .

(٦) بعمل ، بمعالجة ، زاول الشيء حتى رفعه عن مكانه ، حاوله .

وأما الحديثة ، فقوله[١] : «ودحرج الملاك الحجر عن فم القبر» ، وقول الإبركسيس فى فصل مائة وأربعة[٢] : «وملاك الرب حرك جنب بطرس وأيقظه» ، وفصل مائة سبعة وستين عن هيرودس : «وللوقت ضربه ملاك لكونه لم يمجد الإله ولما صار ذلك دود ومات» .

قوله : «ورأيت فى الرؤيا الخيل والركاب عليها وعليهم جواشن نار ودخان وكبريت» ، قال أولا إنه سمع أن عدد عسكر الفرسان ربوات ربوات ، ثم قال هنا إنه رأى فى الرؤيا الخيل والركاب عليها ولباسهم ، فى هذه الجملة مسائل :

الأولى : كيف تلبس الملائكة أو تركب وهى عقول مجردة ؟ **والجواب** : إنها ما رؤيت إلا بهيئة جسمانية ، فيجوز عليها اللباس والركوب والحركات الجسمانية .

الثانية : كيف يمكن أن تلبس جواشن النار والدخان والكبريت ، لا سيما والفص لم يُخرج ذلك مخرج التشبيه ؟ **والجواب** : إن الملائكة ، إذا ظهرت بحركة جسمانية ، ففى قوتها أن تتدرّع بهذه الثلاثة الأجسام وتشتملها ملابس ، بخلاف قوى البشر ، لطاعتها لها بالتسخير الإلهى .

الثالثة : إن الجواشن والدروع وغيرها لا تُلبس إلا جُنة[٣] ، وهذه الجواشن لا تَقى بل يُتوَقّى منها ، والملائكة لا تحتاجها ، فما القصد بلباسها وما حكمته ؟ **والجواب** : أما أنها لا تقى فصحيح ولم تلبس للوقاية ، وأما أنها يَتوقى منها البشر فلكونها من نار ودخان وكبريت ، وأما الملائكة فأعلا من ذلك . وأما القصد فى لباسها وحكمة ذلك ، فهو الإرهاب والتخويف ، لأن

(١) مت ٢٨ : ٢ (٢) أع ١٢ : ٧

(٣) بضم الجيم : السترة ، كل ما وقى من سلاح ، خرقة تلبس لتغطى من الرأس ما أقبل وأدبر غير الوسط وجنبى الصدر وفيها عينان مجوبتان كالبرقع ، والجمع جُنَن .

هذه الأشياء كلها تحسن فى التأديب لتقى فى الحقيقة من الغضب والرجز الإلهى .

الرابعة : لمَ اقتصر على أن تكون هذه الجواشن من نار ودخان وكبريت ؟

والجواب : لتكون الصورة الظاهرة دالة على أنواع ما بها من العذاب .

الخامسة : هل منها جواشن نار وجواشن دخان وجواشن كبريت ، أم كل جوشن بعضه نار وبعضه دخان وبعضه كبريت : إن كان الأول ، فما علة التخصيص ؟ وإن كان الثانى ، فكيف لا يشتعل الكبريت بمقارنة النار والدخان ؟

والجواب : إن الأرجح هو الثانى لأن سياق اللفظ يقتضيه ، ولو أراد الأول لقال إن جواشن منها نار وجواشن منها دخان وجواشن منها كبريت ، ولما لم يقل ذلك علمنا إن المراد هو الثانى . وأما علة كون الكبريت لا يشتعل بالنار ، فإن القوة التى ادّرعت[1] النار لباسا منعتها أن تفعل فعلها الطبيعى ، كما منعتها أن تحرق الفتية فى الأتون ، أو عصمتهم ومنعت الكبريت أن يشتعل .

✠ ✠ ✠

٤٩- (بقية عدد ١٧) ورأس الخيل مثل رأس أسود يخرج من أفواهها نار ودخان وكبريت (١٨) من هذه الضربات مات ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارج من أفواههن (١٩) لأن سلطان الخيل كان فى أفواهها وأذنابها لأن أذنابها كانت تشبه حيات وكان للحيات رؤوس وبهذه كانت تعذب الناس خمسة أشهر .

---

(١) لبست ، ارتدت .

لما فرغ من وصف الخيّالة ولباسها ، أخذ فى وصف الخيل ، وينبغى أن نقدم قبل الكلام فيها مباحث :

البحث الأول : هذه الخيل مثل ركابها لا تعدو ثلاثة أقسام : إما أن تكون خيلا حقيقة من الحيوان ، وإما أشباح خيل متخيلة ، وإما ملائكة . ولا يصح أن تكون خيلا حقيقية من الحيوان ، لأن الخيل الموجودة ليست لها هذه الصور ، ولا يصدر عنها مثل هذه الأعمال . ولا يصح أن تكون أشباحا متخيلة ، إذ لو كانت كذلك لكانت أفعالها غير حقيقية ، لكن أفعالها حقيقية ، فليست إذن أشباحا ، فبقى أن تكون ملائكة .

البحث الثانى : إذا كانت الخيّالة ملائكة والخيل ملائكة ، فقد ركبت الملائكة ملائكة ، وهل يجوز وقوع هذا فى الملائكة ؟ **والجواب** : أما الدليل الأول على أن الملائكة ظهرت بصور الخيل ، فقد ذكر ذلك زكريا فى نبوته بقوله : «رأيت رجلا راكبا فرسا أشقر وهو قائم بين الشجر يستظل بأفيائها[١] وخلفه خيل شقر وبلق وشهب» ، ثم قال : «وقلت لصاحب الفرس ما هؤلاء فقال هؤلاء أرسلهم الرب ليسيروا فى الأرض»[٢] ، وإنما ترسل الملائكة لا الخيل . والدليل الثانى هو قول زكريا بعد ذلك عنهم : «فأجابوا الملاك الواقف بين الشجر»[٣] ، والخيل لا تنطق ، فدل على إنهم ملائكة . فإن قال مماحك[٤] إنه إنما أراد بالخيل الخيّالة كما فى العرف ، قلنا : قد قال ديونوسيوس الكبير معلم المسكونة فى كتابه فى الملائكة : «إنها ظهرت بصورة الخيل ، واستشهد بهذا الكلام نفسه . ولعله تعلم ذلك من معلمه بولس الرسول لأنه كان تلميذه . وإذ ظهر إنها تظهر بصور الخيل ، لم يمتنع ركوبها من ملائكة أخرى أعلى من طبقتها بالأمر الإلهى .

---

(١) ظلالها ، جمع فىء .

(٢) زك ١ : ٨ - ١٠ .

(٣) زك ١ : ١١

(٤) مجادل .

البحث الثالث : هل الملائكة تباشر الأفعال فى الأشخاص ؟ وقد مضى الكلام فيه[١] .

البحث الرابع : لِمَ اختصت الخيل بصدور الأفعال دون الخيّالة ؟

والجواب : إن فعل الخيل قد بُيّن . ولأن الإرهاب بالفارس وفرسه أعظم من أن يكون براجل أو بفرس من غير فارسه ، وحينئذ فلنفسر هذه الجملة ، فنقول : علة كون رؤوس الخيل مثل رأس أسود ليرعب منظرها . وأما **خروج النار والدخان والكبريت من أفواهها وأن به مات ثلث الناس** ، وعُدّ ذلك فى الرؤيا ثلاث ضربات ، فيظهر أن هذه الثلاثة تخرج من أفواهها فى دفعة واحدة فتحصل ثلاثة أشياء : الإحراق بالنار والإشعال ، وعسر النَفَس برائحة الكبريت ، وفساد مزاج الروح الحيوانى بالدخان ، لأن التنفس إنما هو إخراج الفاضل الدخانى عن القلب وإدخال الهواء البارد الصافى لتعديل مزاج الروح . وإذا كان الذى يَعْبُر بخار كبريتى ودخان ، وهو أشد رداءة مما خرج بكثير ، فسد الروح الحيوانى وهلك ذو الروح .

قوله : «لأن سلطان الخيل كان فى أفواهها وأذنابها» ، أما ما يخرج من أفواهها فقاتل مهلك كما بيّن ذلك بقوله : «من هذه الضربات مات ثلث الناس من النار والدخان والكبريت» ، وأما نهشها الناس بأذنابها فللعقوبة خمسة أشهر ، وقد أعطى علة ذلك بقوله : «لأن أذنابها كانت تشبه حيات وكان للحيات رؤوس» ، يريد مع أن لها أذناب تشبه جثث الحيات ، ففى أطرافها رؤوس كرؤوس الحيات تنهش الناس بها فتؤلم الألم الشديد المُبَرِّح ؛ ويتبع ذلك الأعراض التسعة التى تقدم ذكرها فى الجراد ، وتزيد هذه على تلك بأن ألم هذه أشد وأعراضها أقوى ، وتزيد أيضا بظلمة البصر واختلاط الذهن ، وهذا النهش معذب لا قاتل . وقد تقدمت علة ذلك فى كسب الجراد ، ودليل كونها معذِّبة لا قاتلة قوله : « وبهذه كانت تعذب الناس خمسة أشهر» .

(١) راجع الجواب عن المسألة الثالثة ، ص . ٢٢ من هذا الكتاب .

٥٠- (٢٠) وبقية الناس الذين لم يموتوا بهذه الضربات فلم يتوبوا من أعمال أيديهم أن لا يسجدوا للجن والأوثان الذهب والفضة والنحاس والخشب والحجارة التى لا استطاعة لها أن تنظر ولا أن تسمع ولا أن تمشى (٢١) ولم يتوبوا من قتلهم ولا من أدوية سحرهم ولا من زناهم ولا سرقتهم .

هذه البقية هى الثلثان اللذان عوقبا بأذناب الخيل التى لها رؤوس حيات مدة خمسة أشهر بعد الثلث الأول الذى مات بالثلاث الضربات التى تخرج من أفواه الخيل وهى النار والدخان والكبريت . ولم تَعتبِر البقية المذكورة لا بموت من مات ولا بما أصابها من العقوبة الشديدة ، ولم تتب مع هذه المبالغة فى التأديب ، وهذه المصائب التى تفوق الوصف ، والعجائب التى تحرك الجماد . ولهؤلاء عقوبة أشد قسوة من آل فرعون ، فإن هذه الآيات أعظم وأغرب من تلك ، وهو يشير بأعمال أيديهم إلى جميع الخطايا الفكرية والفعلية : النفسية والجسمية ، فعبّر عن العام بالخاص وهو أعمال اليد ، لأن ألم الأعمال باليد يعبّر بها عن الجميع ، ثم عدّد المشهور منها وهى سبعة أشياء : السجود للجن ، وعبادة الأوثان ، والقتل ، والسحر ، والزنا ، والنجاسة ، والسرقة ؛ فقوله : «أن لا يسجدوا للجن والأوثان الذهب والفضة والنحاس والخشب والحجارة» ، أخذ يصف كل الأفعال التى كانوا يعتمدونها :

وأولها : السجود لأرواح الجن ، وذلك من مقدمات الأعمال السحرية ومبادئها .

وثانيها : عبادة الأوثان ، على أن عبادة الأوثان السجود ، وهو راجع فى الحقيقة إلى السجود للجن ، ولكن الفرق بينهما أن السجود للأوثان بواسطة

وللجن بغير واسطة ، وعدد المواد التى تعمل منها الأوثان فى الأكثر وهى ستة : ذهب وفضة ونحاس وخشب وحجارة وخزف[١] ، وقوله : «التى لا استطاعة لها أن تنظر ولا أن تسمع ولا أن تمشى» يريد إنها من الجماد لا تحس بحاسة ، وأطلق الخاص على العام ، فعبّر عن الحواس كلها بهاتين الحاستين وهما النظر والسمع لأنهما الأقوى ، وكذلك عن الحركات الطبيعية كلها بالمشى لأنه أقواها ، والآذان لا تتحرك حركة طبيعية بل تتحرك بالعرض حركة مكانية .

وثالثها : القتل على أنواعه .

ورابعها : أدوية السحر التى هى البخورات والقرابين والعقاقير المختصة بكل كوكب وكل روح من الأرواح التى يخدمونها .

وخامسها : الزنا على أنواعه .

وسادسها : النجاسة التى تعم أنواعها الكذب وشهادة الزور والحسد والرياء والنفاق إلى غير ، فعبّر عن هذه بلفظ عام هو النجاسة .

وسابعها : السرقة على أصنافها من اختلاس وغصب وظلم وغدر .

فانظر إلى قوم هذا استفحال[٢] خطاياهم ، وتلك العقوبة المدهشة حلّت بهم ، فلم ينتقلوا عن سيرتهم ، ولم يتوبوا عن خطاياهم ، ولذلك قال : «ولم يتوبوا من قتلهم ولا من أدوية سحرهم ولا من زناهم ولا سرقتهم» .

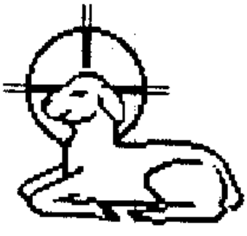

(١) ما عُمل بالطين وشُوىَ بالنار فصار فخاراً . (٢) عظم ، تَجسّم ، كبر .

الأصحاح العاشر

الفصل العاشر

٥١- (١) ورأيت ملاكا قويا قد خرج من السماء وعليه سحابة وعلى رأسه الشفق ووجهه مثل الشمس ورجلاه مثل عمودى نار (٢) وسفر مفتوح فى يده فوضع رجله اليمنى على البحر واليسرى على الأرض (٣) وصاح بصوت عظيم مثل أسد يهمهم ولما صرخ زعقت سبعة رعود (٤) فسمعت الذى قالته السبعة الرعود وأردت أن أكتبه أيضا فسمعت صوتا من السماء يقول لى اختمها ولا تكتب الذى قالته السبعة الرعود (٥) والملاك الذى رأيته واقفا على البحر وعلى الأرض مد يده إلى فوق السماء (٦) وأقسم بالحى إلى أبد الأبد الذى خلق السماء والأرض والبحر والكائن فيها جميعا أنه لا يكون زمان بعد (٧) فى أيام صوت الملاك السابع إذا بوّق لأن سر الله كمل كما أنذر من قبل عبيده الأنبياء .

اعترضت بين البوق السادس والسابع ستة فصوص خارجة عن معناها ، منها ثلاثة تشتمل على ما يختص بالرسول صاحب الرؤيا ، وهى القسم العاشر ، وهذا الفص أولها ؛ ومنها ثلاثة تختص بالشاهدين . وإنما اعترضت هذه الستة لأسباب ثلاثة :

الأول : هكذا نسق ما رأى صاحب الرؤيا .

الثانى : أن الملاك الذى رأسه الشفق[١] أنذر بما يتعلق بالبوق السابع ، والإنذار بالشىء يجب أن يكون قبله .

الثالث : وهو السبب الأكبر ، أن الألغاز كما قلنا يستعار فيها المكان كما يستعار اللفظ والمعنى ، وقد نبهَنا إلى هذا الملاك الذى رآه بقوله إنه **قوى** على أنه من طغمة القوى ، لأن لها هذه الخاصية . وقوله : «قد خرج من السماء» على ظاهره ، لأنه هبط منها **فوقف برجله اليمنى على البحر واليسرى على الأرض** .

قوله : «ووجهه مثل الشمس» ، يريد به الاستدارة والضياء .

قوله : «ورجلاه مثل عمودى نار» ، دل بملبسه ووجهه على عظم محله وشرفه ، وبرجليه على ثلاثة أمور ، **أحدها** : طوله الشاهق[٢] وارتفاعه وعظم هيئته ، لأن الرجلين اللتين كالعمودين إنما تكونا لجسم هائل . **والثانى** : قوته وجبروته ، لأن النار فيها القوة والسرعة والإحراق . **والثالث** : استضاءته جميعه ، لأن الذى تبيّن من لباسه هو وجهه وقد ذكر إنه كالشمس ، ورجلاه ذكر إنهما مثل عمودى نارفدل على نوره .

قوله : «وسفر مفتوح فى يده» ، **السفر** رمز على العلم والنبوة ، وكونه **فى يده** أى حاصل عنده وتحت حكمه كما أن الشىء الذى فى اليد حاصل تحت حكم ذى اليد ، وبكونه **مفتوحا** على أنه يكشف للرسول صاحب الرؤيا ما يكشف من الأسرار ، لأن الفتح والكشف بمعنى واحد .

قوله : «وضع رجله اليمنى على البحر واليسرى على الأرض» فيه مسائل :

---

(١) الحمرة فى الأفق من الغروب إلى العشاء ، أو هى بقية الشمس .

(٢) الشامخ ، المرتفع .

الأولى : لِمَ خص هذين العنصرين بالوقوف عليهما دون العنصرين الآخرين وهما النار والهواء ؟ **والجواب** : أن المـاء والأرض هما العنصران الكثيفان اللذان تحتمل كثافتهما ثبوت الأجسام عليهما ، وهذا الملاك إنما رؤى فى صورة إنسانية جسمانية ، فلذلك خص هذين العنصرين بالوقوف عليهما دون العنصرين الآخرَيْن .

الثانية : لِمَ خص اليمنى بالبحر واليسرى بالأرض ؟ **والجواب** : أن عنصر الماء أشرف من عنصر الأرض للطافته وخفته وعلوه عليه ، فخص الأشرف بالأشرف .

الثالثة : لِمَ لم يقف بهما معا إما على البحر وإما على الأرض ؟ **والجواب** : لأن أكثر الحوادث إنما تظهر فيهما .

قوله : «وصاح بصوت عظيم مثل أسد يهمهم» ، كيف يجتمع الصراخ والهمهمة ، وطبقة الصوت الصارخ عالية ، وطبقة همهمة الأسد منخفضة ؟ **والجواب** : إنه لم يرد بالهمهمة إلا صوتا مدغما[١] لا تُتبيّن منه مخارج الحروف ولا يُتفصّل منه كلام كما لا يُتبيّن من همهمة الأسد ، وإن كان هذا الإدغام صراخا وصوتا عاليا .

قوله : «ولما صرخ زعقت سبعة رعود (٤) فسمعت الذى قالته السبعة الرعود وأردت أن أكتبه أيضا فسمعت صوتا من السماء يقول لى اختمها ولا تكتب الذى قالته السبعة الرعود» ، والعجب إن الملاك الناطق غمغم[٢] والرعد الجمادى أفصح ! ويحتمل أن تكون تلك الهمهمة علة لزعاق السبعة الرعود ، ويحتمـل أن تـكون إذنا لها بأن تقول ما قالته وتكشف لصاحب الرؤيا ما كشفته . فهذه فائدة تلك الهمهمة ، على أن زمجرة[٣] الرعد غير بعيدة منها ،

(١) داخلا فى بعضه ، مندمجا . (٢) لم يُبيّن كلامه .

(٣) ردد الأسد الزئير ، وهنا أطلقتُه على صوت الرعد على سبيل الاستعارة .

لكن هذه فسرت أقوالا فُهمت وأعلنت أمورا عُلمت وكُتمت . والضمير الذى فى قوله **اختمها** يعود على محذوف هو الأقوال التى قالتها الرعود السبعة ، ومعنى ختمها هو حفظ سرها وأن لا يوردها فى الرؤيا التى يسطرها ، وهذا معنى قوله : «ولا تكتب الذى قالته السبعة الرعود» . وكونها سبعة ، يريد إنه سمع تصويتا رعديا سبع دفعات ، وذو الصوت الذى سمعه مجهول ويجوز أن يكون ملاكا .

قوله : «والملاك الذى رأيته واقفا على البحر وعلى الأرض مد يده إلى فوق السماء» ، قد ظهر من هذا القول وما قبله إن طول هذا الملاك عظيم جدا لأنه يرفع يده فتصل إلى فوق السماء ، ولم يقل نحو السماء أو إلى السماء ، فيُفهم من ذلك ارتفاع يده إلى تلك الجهة فقط ، بل قال إلى فوق السماء .

قوله : «وأقسم بالحى إلى أبد الأبد الذى خلق السماء والأرض والبحر والكائن فيها جميعا» ، هذا القَسَم ليصدقه السامع الرائى ويتيقن القول منه ، وإنه مما لا يتبدل ولا رجعة فيه . قال كتاب المزامير : «حلف الرب ولم يندم»[١] ، فهذه فائدة القَسَم ، وأما ما أقسم به فالخالق والخلق ، لأنه أقسم بأربعة ، **أولها** : الله الحى إلى أبد الأبد . **والثانى** : العلو وما فيه وهو الأفلاك والكواكب والملائكة وأنفس الأبرار والعرش . **والثالث** : الأرض وما فيها من حيوان ونبات ومعدن . **والرابع** : البحر وما فيه . وهذا قَسَم عظيم شامل ، ولهذا قال **والكائن فيها جميعا** .

قوله : «أنه لا يكون زمان بعد فى أيام صوت الملاك السابع إذا بوّق» ، هذا هو الذى أقسم الملاك عليه ومن أجله ، وهو فناء الزمان وانتهاؤه وبلوغه غايته إذا بوّق الملاك السابع . وذلك إن ما به يكون الزمان وهو الفلك الدائر والنيّرات تذهب وتضمحل ويرتفع الزمان بارتفاعها .

---

(١) مز ١١٠ : ٤

قوله : «لأن سر الله كمل كما أنذر من قبل عبيده الأنبياء» قد أعطى العلة فى خراب هذا العالم وفناء الزمان وما به ، وذلك تمام مشيئة الله تعالى ومراده وغرضه وقصده فى خلق العالم وامتداد مدته إلى أجله المسمى ، ليعبد من يعبد ويطيع من يطيع ويكفر من يكفر ويعصَى من يعصَى ، وتقوم الدينونة بحكم العادل بعدله ، فيميز المؤمن من الكافر والبار من الفاجر ، ويدين كل واحد كنحو عمله ، كما بيّن ذلك الأنبياء من قبل واحد بعد واحد . وإنما هذه الجملة إنذار بالقيامة فقط .

واعلم أن هذا الفص له نظير وشبيه يقوم بمعناه فى نبوة دانيال النبى ، فإنه قال فى أول الإصحاح العاشر : «فأبصرت فإذا رجل واحد لابس ثياب كرامة وحقويه مشدودان بكرامة المجد ومنظره منتقل ليس له شبيه ووجهه كمنظر البرق وعينيه كمصباحى النار وكتفيه مثل عين النحاس المصقول وصوت أقاويله كصوت أجناد كثيرة»[(١)] ، وهو يقصد بذلك جبرائيل من طغمة الرؤساء . ثم وصف إدراكه له خاصة ، ثم هروب من كان مع دانيال على الفرات خوفا ، وسقوطه من رعبه . ثم أخذ يصف ملوكا وممالك من المكابيين والفُرس واليونانيين وغيرهم ، وخراب القدس وبطلان القربان ، حتى قال : «فى ذلك الزمان ينجو من بنى شعبك من يكون مكتوبا فى السفر وكثيرون هاجعون[(٢)] فى التراب يستيقظون هؤلاء لحياة العالمين وهؤلاء للهلاك وعاملو الصالحات والفهماء يضيئون كضوء الجلد[(٣)] والذين ردوا كثيرين يكونون مزهرين ويقومون مثل النجوم إلى أبد الآباد»[(٤)] ، ثم قال : «فسمعت الرجل اللابس أثواب الوقار القائم فوق ماء النهر وقد رفع يمينه وشماله إلى السماء وأقسم بحى العالمين أنه إلى وقت ووقتين ونصف وقت وفى وقت تفريق الشعب

(١) دا ١٠ : ٥ و ٦

(٢) نائمون .

(٣) السماء ، كرة الهواء .

(٤) دا ١٢ : ١ -٣

المقدس تتم هذه الأمور كلها »[١] . وإنما أوردنا ما أوردناه من هذه النبوة لتُعرف الأمور التى ذكر أنها تتم كلها وهى خمسة أمور ، **أولها** : نجاة من كُتب فى السفر . **الثانى** : قيامة الأبرار القيامة الأولى ، وهم عاملو الصالحات والفهماء . **الثالث** : كونهم يضيئون كضوء الجلد . **الرابع** : كونهم ردوا كثيرين ويكونون مزهرين . **الخامس** : كونهم يقومون مثل النجوم إلى أبد الآباد . وأما قوله : «وهؤلاء للهلاك» ، فإشارة إلى الذين لم يستحقوا القيامة الأولى . وليتضح أن هذه النبوة خاصة إنما قصد بها النبى هذه الأمور التى كشفتها لنا هذه الرؤيا وحلها ، لا ما ذهب إليه بشير بن سرى[٢] فى تفسيره لنبوة دانيال ، فإنه نسبها إلى أنها من جملة ما تنبأ به دانيال على دولة المكابيين أمام أنطاخيوس اليونانى ، وليس كذلك بعدة دلائل ، منها قوله : «هاجعون فى التراب يستيقظون» ، فإن تلك الدولة المكابية لم يقم فيها أحد من الموتى ، ولذلك لجأ هذا المفسر إلى تأويل هذا الموضع بأنهم المكابيون الذين كانوا خاملين مطروحين كأموات فى التراب . ومنها قوله : «هؤلاء لحياة العالمين» ، ولم يدم أحد من تلك الدولة إلى حياة العالمين . ومنها قوله : «وعاملو الصالحات والفهماء يضيئون كضوء الجلد» ، وقال أيضا : «يكونون مزهرين» ، وليست هذه من صفات أهل هذا العالم ، ولكنه تأول ذلك بالظفر والملك والاستيلاء . ومنها قوله : «ويقومون مثل النجوم إلى أبد الآباد» ، وهذا أيضا مما وقف عليه تأويله . والذى يثبت ما أشرنا إليه ثلاثة أصول :

الأصل الأول : ما تقدم ، وهو أن الظاهر والمتأول إذا تساويا فتعارضا ، فالحكم للظاهر . وأن الظاهر من النبوة مطابق لما ذهبنا إليه من غير تأول أصلا ونافر عما سواه .

---

(١) دا ١٢ : ٧

(٢) راجع حاشية ١ ، ص ٣٨ من هذا الكتاب .

الأصل الثانى : هو أن النبوة إذا اشترك بعضها بين قضيتين وتميز بعضها الآخر واختص بإحدى القضيتين دون الأخرى ، فالواجب حمل كلها على القضية التى يختص بها ذلك البعض ، وإلا لزم تعطيل بعض النبوة أو التجزيف(١) به بحمله على ما ليس بمطابق له .

الأصل الثالث : وهو أن النبوة إذا اشترك بعضها بين قضيتين وامتنع تأويل البعض الآخر فى إحداها دون الأخرى ، لم يجز حملها على القضية التى امتنع تأويلها فيها .

فهذه هى الأصول التى اعتبرنا بها . وأيضا فإن أيبوليطس(٢) موافق على أن النبوة المذكورة فى القائمين من الأموات وليست من المكابيين .

فأما هل الملاك الذى رآه دانيال واقفا على النهر هو الملاك الذى رآه يوحنا أم لا ؟ فالظاهر لضعفى إنه غيره بعدة دلائل :

الدليل الأول : مأخوذ من حُلّته ، فإن يوحنا قال إن وجهه كالشمس وإن رجليه مثل عمودى نار ، وقال دانيال إن وجهه كالبرق وعينيه كمصباحى نار وذراعيه وكتفيه مثل عين النحاس الذى يلمع .

الدليل الثانى : مأخوذ من لباسه ، فإن يوحنا قال إن عليه سحابة وعلى رأسه الشفق ، وقال دانيال إنه لابس ثياب كرامة وحقويه مشدودان بكرامة المجد .

الدليل الثالث : مأخوذ من وقوفه ، فإن يوحنا قال إن رجله اليمنى على البحر واليسرى على الأرض ، وقال دانيال إنه واقف على النهر .

الدليل الرابع : مأخوذ من خاصيته ، فإن يوحنا قال إنه قوى ، ولم يقل ذلك دانيال ، فدل على أنه غيره .

---

(١) الحدس ، التخمين ، الظن . المجازفة هى إرسال الكلام بغير قانون .

(٢) راجع حاشية ١ ص ١٦٦ من هذا الكتاب .

وأقوى هذه الدلائل : الجلية والخاصية ، فإن الملبس والوقوف يجوز تغيرهما أكثر . وقد ذهب أيبوليطس إلى أن هذين الملاكين ، اللذين رآهما دانيال ويوحنا ، هما كلمة الله له المجد ، وهو مشكل ، فإن دانيال يذكر فى الإصحاح الثامن إن ذلك الملاك الذى بصورة رجل هو جبرائيل ، وأما الرؤيا فليس فيها ما يُتعلق به حجة فى ذلك .

✠ ✠ ✠

٥٢- (٨) والصوت الذى سمعته من السماء كان يخاطبنى قائلا إمض وخذ السفر المفتوح الذى فى يد الملاك الواقف على البحر وعلى الأرض (٩) فمضيت إلى الملاك وقلت له هات السفر لى فقال خذه لك وهو يجعل بطنك مرة ولكنه فى فمك يكون حلوا مثل العسل (١٠) فأخذت السفر من يد الملاك وأكلته فكان حلوا فى فمى مثل العسل ولما أكلته صارت بطنى مرة (١١) وقيل لى لابد لك أت أيضا أن تتنبأ على لغات وشعوب وألسن وممالك كثيرة .

قد تقدم أن المصوّت بهذا الصوت مجهول وإنه يجوز أن يكون ملاكا . وأما مصدر الصوت فقد ذكر أنه من السماء . وهذا الصوت هو القائل للرسول : «اختمها ولا تكتب الذى قالته السبعة الرعود» ، وها هو قد أعاد الخطاب له هنا فقال : «إمض وخذ السفر المفتوح الذى فى يد الملاك الواقف على البحر وعلى الأرض» ، روح النبوة يجوز أن يفيضه واحد على الآخر بالإذن الإلهى ، فإن الله تعالى قال لإيليا النبى : «خذ من الروح الذى فيك وأفض على تلميذك

أليشع»[١] ، وكان الرسل يفيضن الروح على المستأهلين له . ودون هذه الرتبة ، ما كان يفيضه أنبياء بنى إسرائيل على ملوكهم عند مسحهم بدهن القرن . فهكذا الصوت كأنه قال للرسول هنا : إمض إلى الملاك واستفض منه العلم والكشف والنبوة التى قُدِّمت لك على يده . وهذا معنى قوله : **إمض وخذ السفر المفتوح الذى فى يد الملاك** .

قوله : « فمضيت إلى الملاك وقلت له هات السفر لى فقال خذه لك» ، مُضيِّه من أجل الطاعة امتثالا لما رُسم له بذلك ، وقول الملاك **خذه** هو عنوان الإفاضة .

قوله : «وهو يجعل بطنك مرة» ، أى يؤلم باطنك بما تطلع عليه من الحوادث الشديدة التى تكون فى عالم الكون والفساد .

قوله : «فأخذت السفر من يد الملاك وأكلته فكان حلوا فى فمى مثل العسل ولما أكلته صارت بطنى مرة» ، أخْذ السفر وأكْله له رمز على قبول هذه النبوة وحصولها ، وأما كونه **صار حلوا فى فمه** مثل العسل فلمكان ابتهاج النفس بالكشف والالتذاذ بالعلم الحاذق ، فنسبته إلى العقل تشبه نسبة الحلو إلى حاسة الذوق فإنها تستطيبه وتستلذه وتتشوقه وتطلبه ، بل إن ذلك عند العقل أجلّ وأعظم وألذ كثيرا . وإنما هذا التشبيه للتمثيل الجميل المفيد للفهم وليس تشبيها حقيقيا يجمع قدر مشترك بينهما ، ومثل هذا قال المزمور : «ذكرك فى فمى أحلى من الشهد»[٢] ، وقال : «ذوقوا وانظروا أن الرب طيب هو»[٣] ، وأمثال ذلك كثيرة . وأما مصيره **مرا فى بطنه** فذلك عندما كشف له ما يحل بالناس فى أيام إنذار الشاهدين وأيام الوحش وما يتلو ذلك ويتصل به ، ثم القيامة وعقاب الأشرار . ومعلوم أن المطالعات الروحانية ليست

---

(١) ١ مل ١٩ : ١٦

(٢) مز ١١٩ : ١٠٣

(٣) مز ٣٤ : ٨

كسماع الأخبار والقصص ، بل هى كالمعاينات الحسية ، بل هى أحلى من هذه وأوضح . ولا شك أن هذه الأمور المهولة ومعاينتها مؤلمة للبشرية مؤثرة فيها ، فيتميز منها طباع الحياة وتنبهر لها نفوس البشر ، بل الملائكة ، ولهذا قال : **ولما أكلته صارت بطنى مرة** . وقد استعمل فى هذا أيضا التمثيل المفهوم ، لأن المر مؤلم لحاسة الذوق مُنكٍ[١] لها ، مناف منافر لطباعها .

قوله : «وقيل لى لابد لك أنت أيضا أن تتنبأ على لغات وشعوب وألسن وممالك كثيرة» ، هذا دلل على ما قلناه من أن السفر المفتوح رمز على النبوة والكشف . وقد تقدم الفرق بين اللغة واللسان فى تفسير الفص الرابع والثلاثين . ومن بعد هذا الفص سيرد ما ينبىء به الرسول كما شاهده فى الرؤيا على الأشياء الأربعة التى ذكرها ، وهى : لغات وشعوب وألسن وممالك كثيرة .

ولهذا الفص نظير فى نبوة حزقيال ، فإنه قيل له فى آوائل نبوته : «وأما أنت يا ابن الإنسان اسمع الشىء الذى أقوله لك ولا تكن متمردا مثل البيت المتمرد ولكن افتح فاك وكل الشىء الذى أعطيك والذى نظرت وإذا يد قد انبسطت وإذا فيها درج سفر ونشره قدامى مكتوب بطنه وظهره ومكتوبة فيه ألحان ونحيب وويل وقال لى يا ابن الإنسان الشىء الذى تجد فقل فى هذا الدرج وانطلق وكلم به بنى إسرائيل وفتحت فمى فأطعمنى ذلك الدرج وقال لى يا ابن الإنسان املأ بطنك وأمعاءك من هذا الدرج الذى أعطيك فأكلته وكان فى فمى مثل العسل الحلو وقال لى يا ابن الإنسان انطلق وادخل فى المسير إلى بنى إسرائيل وقل لهم كلامى»[٢] .

✠ ✝ ✠

(١) قاتل لها ، أصابها ، ألحق بها بالشر . (٢) حز ٢ : ٨ ، ٣ : ١ - ٥

الأصحاح الحادى عشر

الفصل الحادى عشر

٥٣- (١) وأعطيت قصبة من ذهب تشبه قضيبا وقيل لى قم قس هيكل الله والمذبح والساجدين فيه (٢) والدار التى من خارج الهيكل اسقطها من خارج لا تمسحها لأنها أعطيت للأمم مع مدينة القدس يدوسونها اثنين وأربعين شهرا .

ينبغى أن نذكر أولا مقصد هذا الفص ، ليكون ما نحله من رموزه ومشكلاته على وفق مقصده مطابقا له ، فيحسن تصوره وينتظم فهمه ، فنقول :

لقد كُشف للرسول بهذا الفص ثلاثة أمور ، **الأول** : إنشاء بيت له تعالى بمدينة القدس ، وهو بيعة القيامة المعظمة والإقرانيون . **الثانى** : مقدار الساجدين فيه بالروح والحق . **الثالث** : الدار التى من خارج الهيكل ، وهى مكان البيت الأول الذى خرب على يد تيطس ، لا تعمر هيكلا ، بل تبقى فى الدولة الدجالية مع مدينة القدس تدوسها الأمم مدة تلك الدولة المظلمة .

فهذا مقصود الفص ، وأما حل رموزه ومشكلاته ، فقوله : «وأعطيت قصبة من ذهب تشبه قضيبا» ، **الإعطاء** رمز على الإعلام ، **والقصبة** رمز على القضاء الإلهى الذى تُقَدّر به الحوادث الكائنة وتُوَزّع فى صورة من الصور الواقعة فى الوجود ، وكونها **ذهبا** ، قد تقدم لنا أن الذهب رمز على العدل لاعتداله ، وتشبيه هذه القصبة **بقضيب** يدل على أنها قصبة قياس واعتبار

معلوم غير مجهول ، ليعلم ما يُقَدّر ويقاس بها ؛ فكأن تقدير ما رمز عليه القول : إننى أُعلِمتُ بالقضاء الإلهى العادل المقدّر من لدنه إنشاء هيكل ومذبح يرضيه ومقدار الساجدين فيه .

قوله : «قم قس هيكل الله والمذبح والساجدين فيه» ، **القياس** رمز على العمارة ، وقد رُمز بها لحزقيال لما تنبأ على عمارة البيت الثانى ، فقال : «وإذا ثم منظر الله فأتى بى إلى أرض إسرائيل وأحَلّنى على جبل عال جدا وكان هناك فيه مثل المدينة مبنية ورأيت ثم رجلا منظره مثل منظر النحاس ومعه خيط من كتان فى يده قصبة المساحة وكان قائما فى الباب فقال لى انظر يا ابن الإنسان بعينيك واسمع بأذنيك واجعل فى قلبك كل شىء أريك لأنى لرؤيتك أتيت إلى ها هنا وكل شىء ترى فأره لبنى إسرائيل وقال إن طول القصبة ست باعات[١] ونصف»[٢] ، ثم وصف مثال البيت ومساحته . وكذلك رُمز به لزكريا النبى لما تنبأ على عمارة أورشليم ، فقال : «ونظرت رجلا بيده حبل مساحة ليمسح أورشليم طولها وعرضها . وقال الملاك الآخر ستكثر قرى أورشليم وتعمر من كثرة الناس والبهائم المجتمعة»[٣] . وأما أية عمارة هذه على التخصيص ؟ فهى عمارة بيعة القيامة المعظمة والإقرانيون ، التى أنشأها قسطنطين الملك الكبير ، وما احتوت عليه من هيكل ومذبح فى سنة اثنين وعشرين من ملكه ، وهى سنة خمسة آلاف وثمانيمائة إحدى وخمسين سنة وستة أشهر وثمانية عشر يوما للعالم ، على ما ساقه سعيد بن بطريق[٤] فى تاريخه المجموع ، وكانت الرؤيا قبله بنحو مائتين خمسة وخمسين سنة .

---

(١) الباع = الذراع : وحدة قياس طولية تساوى ٥٠ سم .

(٢) حز ٤٠ : ٢ - ٥ (٣) زك ٢ : ١ - ٥

(٤) هو المدعو أفتيخوس الثامن والستون ، كان بطريركا على الملكيين من سنة ٩٣٣ - ٩٤٠م ، وكان مقره الإسكندرية .

وأما الفرق بين المذبح والهيكل ، ففى العتيقة كان المذبح كصندوق مربع من خشب مصفح بالنحاس طوله خمسة أذرع وكذلك عرضه خمسة أذرع وسمكه ثلاثة أذرع[١] ، وكانت نصبته فى القسم الثانى من القبة وهو القدس ، والذى يعمل ، عليه أن ينضح على زواياه من دماء الذبائح ، وتراق بقية دمائها عن حافته ، وتُحرق عليه الصعائد وبقية الثرب[٢] مع إضافة الكبد والكليتين والشحوم[٣] وأما الهيكل فهو كصندوق مربع من خشب مصفح طوله ذراع وعرضه ذراع وسمكه ذراعان ، ومكان نصبته فى الجزء الثانى من القبة قدام التابوت ، ويُرفع عليه بخور الطيب كل غداة[٤] .

وأما الفرق بين المذبح والهيكل فى الحديثة ، فإن المذبح بناء مربع غير معتَبر بقياس ، ونصبته داخل الهيكل ، وتوضع عليه القرابين . وأما الهيكل فمعروف ، وهو بناء مربع أكثر من المذبح ، يُرفع فيه خبز التقدمة وخمرها ، كما يُرفع فيه البخور أيضا ، ونصبته فى الجهة الشرقية من الكنيسة .

وأولئك الساجدون فيه هم الساجدون بالروح والحق كما ذُكر فى بشارة هذا الرسول : «إن الله إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين له بالروح والحق»[٥] .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الهيكل وهذا المذبح فى المدينة الجديدة أورشليم السمائية ، وهذا باطل بما جاء فى فص [١٢٥] عن هذه المدينة : «ولم أرَ فيها هيكلا لأن الرب الإله القدير والحَمَل هما هيكلها»[٦] . ويستحيل إنه أراد بالهيكل والمذبح الله والحَمَل لوجهين ، **أحدهما** : إنه قال **هيكل الله والمذبح** ، ولو كان أراد به الله تعالى لما أضافه لله تعالى ، إذ لا

---

(١) خر ٣٨ : ١ - ٧

(٢) شحم رقيق على الكرش والأمعاء وجمعها ثروب أو أثوب .

(٣) لا ١ : ١ - ١٧

(٤) خر ٣٧ : ٢٥ - ٢٩

(٥) يو ٤ : ٢٤

(٦) رؤ ٢١ : ٢٢

يضاف الشيء إلى نفسه . **والآخر** : إن القرائن تمنع من ذلك ، لأن الله تعالى لا يُقاس ، والحَمَل لا يَسجد فيه ، فقد بان بطلان هذا .

وذهب مفسر آخر إلى رأى آخر ، فقال : إن هذه الرؤيا قد ذكرت فى فص سبعة وثلاثين مذبحا من ذهب يقف عنده ملاك يحمل البخور أمام العرش ، وذكرته أيضا فى الفص الثامن والأربعين ، وقبلهما فى الفص التاسع والعشرين لما فتح الختم الخامس ، قال إنه رأى من أسفل المذبح أنفس الشهداء تستغيث . فالإشارة إذن إلى هذا المذبح ، وإلى أن هؤلاء النفوس هم الساجدون . ويظهر إن هذا باطل بدليلين ، **أحدهما** : إنه ذكر هيكلا ومذبحا ، ولم يذكر فى هذا المكان سوى مذبح البخور . **الثانى** : إنه ذكر بعد ذلك ، فى هذا الفص ، دارا خارج الهيكل وأنها تعطى للأمم ليدوسوها اثنين وأربعين شهرا . وكيف تصل الى مذبح أمام العرش ؟! فقد بان بطلان هذا أيضا .

وأما قوله : «والساجدين فيه» فهو مشكل لأنه معطوف على قياس الهيكل والمذبح . فإن القياس على ظاهره لم يصح فيهم ، وإنما يصح إحصاؤهم لا قياسهم . وإن لم يكن القياس على ظاهره كما قلنا ، لزم استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته ومجازه معا فى مكان واحد ، وهو محال . **والجواب** : أن لفظ القياس ، وإن كان على ظاهره ، غير أنه رمز بمعناه فى الهيكل والمذبح على عمارتهما ، وفى الساجدين على إحصائهم .

قوله : «والدار التى من خارج الهيكل اسقطها من خارج لا تمسحها» ، يريد بهذه الدار من مكان البيت الذى أخربه اسبسيانوس وطيطوس ابنه لأنها باعتبار ونسبة خارج عن بيعة القيامة المعظمة ، وإسقاطها من المساحة رمز على أنها لا تعود تعمر كما توعّد الله اليهود . ولا ينبغى أن تعبر بما هى عليه الآن

في عصرنا(*) من عبادة الأمم الخارجة بها فإنها ليست بهيكل . والتوعّد هو أن لا تعود تبنى هيكلا لله تعالى تُرفع عليه الذبائح والمحرقات ، وقد صح قوله : «لأنها أعطيت للأمم مع مدينة القدس يدوسونها اثنين وأربعين شهرا» .
أما إعطاء الدار للأمم إطلاقا فظاهر ، لأنها من حيث أخربها طيطس بيد الأمم ، وهذه المدة إلى عصرنا هذا(*) قريبة من ألف ومائتين سنة . أما إعطاؤه للأمم مدينة القدس يدوسونها بهذا التخصيص في هذه المدة المعيّنة ، فإشارة إلى الدولة الدجالية فإنها نصف أسبوع ، ومستقرها بمدينة القدس . ومذهب الدجال الذي يتظاهر به أولا مذهب اليهودية ، ثم يدّعي الألوهية ومقامه بالبيت ، لأن الرسول بولس يقول إنه يجلس في هيكل الله[1] ، فسمى المكان بما كان عليه أولا وبما لعله يكون عليه .

✠ ✣ ✠

٥٤- (٣) وأعطي شاهديَّ أن يتنبآ ألفا ومائتين وستين يوما ومسوح عليهما (٤) وهاتان شجرتا الزيتون والمنارتان القائمتان أمام الرب (٥) والذي يريدانه هما يفعلانه وتخرج نار من فيهما تأكل أعداءهما والذي يريد أن يضربهما هكذا يقتلانه (٦) لأن لهما سلطانا أن يغلقا السماء أن لا تمطر على الأرض في أيام نبوتهما جميعا ولهما سلطان أيضا على المياه أن يقلباها دما ويضربا الأرض بكل ضربة يريدانها هما .

(*) هو العصر الذي عاش فيه ابن كاتب قيصر .

(١) ٢ تس ٢ : ٤

هذا الفص هو اعتبار أول القسم التاسع فى هبوط الشاهدين وحوادثهما إلى حين صعودهما .

قوله : «وأعطى شاهدىَّ أن يتنبآ ألفا ومائتين وستين يوما» ، العطية التى أُعطياها هى النبوة لأهل ذلك العصر بمجىء الدجال عن قرب سريع ، والكشف عن آياته التى يظهر أنها آيات كاذبة ، وأن آياته غير صادقة . ومدة تعزيتهما للأبرار ووعظهما للأشرار وإنذارهما بهذه الأسرار ثلاثة سنين وخمسة أشهر ونصف شهر شمسية ، وهذا معنى قوله : «ألفا ومائتين وستين يوما» . ثم يُظهران تلك الآيات الباهرة والمعجزات الحقة دليل على صدقهما ، وقد تقدم ذكر بعضها فى الأبواق الستة ، وسيُذكر هنا البعض الآخر .

قوله : «ومسوح عليهما» ، لما أورد وصفهما ، ذكر ملبسهما الخشن الشظف الذى ينال من الجسم ولا ينال الجسم منه ، ولا يألفه البدن شعارا ولا دثارا ، ولا يلصق بالجسم لبيبه[١] ، ولا يصون من حر ولا برد لتخلخل نسجه وعدم التئامه[٢] ، وليس فيه سوى منفعةٍ واحدةٍ وهى السترة لا غير .

قوله : «وهاتان شجرتا الزيتون» على طريق التشبيه وهو التشبيه الذى تُحذف أداته للمبالغة ، كما يقال للكريم : هذا بحر ، ويريد : كالبحر فى إعطائه . وإنما شبههما بالزيتون لأسباب ستة ، **أولها** : أن الشجر ذا الساق أشرف من البقول والحشائش . **وثانيها** : أن الشجر المورق أشرف مما ليس بذى ورق . **وثالثها** : أن الشجر الذى ينتشر ورقه أفضل من الشجر الذى لا ينتشر ورقه . **ورابعها** : أن الشجر المثمر أفضل مما ليس بمثمر . **وخامسها** : أن الشجر الذى فيه دهنية أفضل مما ليس له دهنية . **وسادسها** : أن الشجر الذى يعيش مدة أطول أفضل من قصر المدة . فالزيتون لما جمع هذه الفضائل المتميز بها على أنواع النبات ، شُبّه به الشاهدان لما جمعاه من الفضائل العلمية والعملية .

---

(١) ثوب يلبس فوق الثياب عند التحزّم . (٢) اجتماعه ، اتحاده ، انضمامه .

قوله : «والمنارتان القائمتان أمام الرب» ، هذا التشبيه كالأول مبالغةً ، وإنما نسبهما بذلك لمعنيين ، **أحدهما** : تبتلهما فأشبها بدوام قيامهما بالمنارتين ، ولذلك قال : «القائمتان أمام الرب» . **والآخر** : كونهما محلا للأنوار . ولهذا التشبيه والذى قبله نظير ومثيل من قول زكريا النبى فى زربابل الملك ويشوع بن يوزاداق الكاهن مُتَوَلِّيَيْ البيت الثانى ، فإنه قال : «ثم قال لى الملاك ما رأيت قلت رأيت منارة من ذهب وكفة على رأسها وعلى الكفة سبعة سرج ولكل سراج سبعة أفمام وفوق الكفة شجرتا زيتون عن يمين الكفة واحدة وأخرى عن شمالها ثم قال والشجرتان أبناء الخصب القائمتان أمام الرب»[١] .

قوله : «والذى يريدانه هما يفعلانه» ، وقد أكمل هنا ما تقدم تفصيله فى الأبواق .

قوله : «وتخرج نار من فيهما تأكل أعداءهما» ، هذه آية لم تُذكر فيما تقدم من الآيات الست فهى سابعة لتلك .

قوله : «والذى يريد أن يضربهما هكذا يقتلانه» ، هذه الآية ثامنة لما تقدم ، وهى تحتمل وجهين من حيث قوله **هكذا** ، **الوجه الأول** : إشارته إلى خروج النار من فيهما ، أى والذى يريد أن يضربهما يقتلانه بنار من فيهما . **الوجه الثانى** : إشارته إلى النوع الذى يضربهما به ، إن كان قتَلهما بسيف ، قُتل هو به ، أو بنار أو غير ذلك ، فكذلك يصيبه بإرادتهما أو قولهما ، وكان هذا الوجه أنسب للحال .

قوله : «لأن لهما سلطانا أن يغلقا السماء أن لا تمطر على الأرض فى أيام نبوتهما جميعا» ، كيف قال فى هذه الآية **لأن** وهى العلة ، فكأن هذه الآية علة لما تقدم ؟ وليس كذلك ، بل لأنها تدل على فعل الأصعب ، إذ إمساك السماء عن أن تمطر مثل هذه المدة ، مع أنه أصعب مما تقدم وأعظم مما

(١) زك ٤ : ١ - ٣

دونه من الآيات ، فهو هيّن سهل بالنسبة إليهما . فكأن تقدير القول : لأن من يمسك السماء أن تمطر يسهل عليه أن يقتل عدوه . وهذه الآية تاسعة لما تقدم تفصيله ، وإن كانت قبل الكل عملت ، لأنها عمت من أول مدتهما إلى آخرها . ولهذا قال : «أيام نبوتهما جميعا» .

قوله : «ولهما سلطان أيضا على المياه أن يقلباها دما» ، يحتمل أن تكون هذه الآية هى آية البوق الثانى ، وقد تقدمت فى مكانها [فص ٤٠] .

قوله : «ويضربا الأرض بكل ضربة يريدانها هما» ، جمع فى هذه الجملة ما فصّله من آيات البوق الأول [فص ٣٩] والثالث [فص ٤١] والرابع [فص ٤٢] والالخامس [فص ٤٤] والسادس [فص ٤٨] .

فهذه تسع آيات إلى هنا وقعت حسبما كشفت الرؤيا عنها .

وأما قول ملاخى النبى فى آخر نبوته : «وهاأنذا مرسل إليكم إيليا النبى قبل إتيان يوم الرب العزيز المخوف ليرد قلوب الآباء على البنين والأبناء على آبائهم قبل أن يأتى ويضرب الأرض بالهلاك»[1] ، فإن الإشارة فى هذا باسم إيليا إلى يوحنا المعمدان لا إيليا النبى لأن إتيان إيليا الأخير يكون مع أخنوخ ، ولو أراد بذلك الإتيان الأخير لذكر أخنوخ معه . ولما لم يذكره معه ، علمنا إنه لم يرد ذلك الإتيان الأخير . وأما قوله : «قبل إتيان يوم الرب العزيز المخوف» ، فإنه مشترك بين مجىء يوحنا فى الأول ومجىء إيليا فى الآخر ، لأن كليهما قبل إتيان يوم الرب العزيز المخوف فى مجده ، وذلك ليرد قلوب الأبناء على الآباء والآباء على الأبناء . وإذا خُصّص المشترك بقرينة عيّنته ، تميّز بها وانحاز .

✠ ✟ ✠

(١) ملا ٤ : ٥

٥٥- (٧) فإذا كملت شهادة نبوتهما حينئذ يصعد الوحش من العمق ويحاربهما ويغلبهما ويقتلهما (٨) وتكون جثتاهما فى شارع المدينة العظيمة المدعوة روحيا سدوم ومصر حيث صُلب سيدهما فيه (٩) ويعاينون جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا ولا يُترك أحد يضع جسديهما فى القبور (١٠) ويفرح[١] جميع السكان على الأرض بهما ويتنعمون[٢] ويرسلون هدايا لبعضهم قائلين هذان النبيان اللذان أتيا يعذبان الذين يسكنون على الأرض (١١) ويكون بعد ثلاثة أيام ونصف يدخل فيهما روح الله فيقفان على أرجلهما ورجفة عظيمة تحل على كل الذين ينظرون إليهما (١٢) وسمعت صوتا من السماء يقول لهما اصعدا إلى ههنا فصعدا إلى السماء فى سحابة وأعداؤهما ينظرونهما .

هذا الفص متسق مع الفص الخمسين .

قوله : «فإذا كملت شهادة نبوتهما حينئذ يصعد الوحش من العمق» ، علّق صعود الوحش على كمال شهادة نبوتهما ، كما أن كمال شهادة نبوتهما تكمل بكمال شهادتهما ، وكمالها بستة أمور : **أولها** : تعزية الأبرار لأن صلواتهم وطلباتهم واستشفاعهم من أكبر أسباب هبوطهما . **وثانيها** : تبكيت الكفار والأشرار على أفعالهم وآرائهم وتأديب من أصرّ منهم بالضربات السالف ذكرها . **وثالثها** : البشرى بمجىء المخلّص فى مجده . **ورابعها** : الإنذار بقرب الدولة الدجالية ، والنهى عن الميل إليها أو تصديق صاحبها أو الإذعان لمن يدعو إليها . **وخامسها** : تبكيت الدجال نفسه وتكذيبه ومواجهته

(١) الفرح هنا بمعنى الشماتة . (٢) يسرون ، يتهللون .

وقتاله . **وسادسها** : نيلهما إكليل الشهادة بعد ذوقهما الموت كسائر البشر . وعند هذا ، تبلغ الحكمة الأمد ، وينتهى اجتهادهما وجهادهما ، وتبدأ تلك الدولة كالليل المظلم والسبيل المهلك . **والوحش** رمز على الدجال **والعمق** غور البحر وهو رمز سيرد الكلام عنه فى مكانه .

قوله : «ويحاربهما ويغلبهما ويقتلهما» ، عندما يظهر الدجال ، يبكته الشاهدان ويكذبانه جهرا ، فيتجرد لحربهما ، وهذه الحرب تحتمل ثلاثة أوجه ، **أحدها** : أن تكون جسمانية ، وذلك بأن ينضم إليهما من آمن بإنذارهما وبُشراهما فيحارب معهما وعنهما . **والثانى** : أن تكون روحانية ، وذلك بأن تظهر أقوى كما تقدم ، ويُظهر الدجال ما يعاند به قواهما أو يماثلها ، شبيها لموسى مع سحرة المصريين ، ولبطرس مع سيمون ، وليوحنا الرسول مع دميس ، وغيرهم . **والثالث** : أن يكون منهما روحانيا ومن المحاربين لهما جسمانيا ، كما جرى لأحدهما ، وهو إيليا ، مع إيزابل الملكة ، فإنه قتل جماعة من الجند بمجرد القول ، وأخيرا طلبته إيزابل الملكة ، فلم يجد من نفسه القوة التى يعهدها ، فعلم أن الأمر سماوى بتخلى العناية العالية ، فهرب إلى الجبال . وعلى كل تقدير ، فإنما يغلبهما الدجال بسماح من هذه العناية بحكمة يقصر عن إدراكها البشر ، وتدهش لمصادرها العقول حيرة وتعجبا من تمكينه منهما وقتلهما وفساد العالم بعدهما ، وليس إلا التسليم والرضَى لأحكامه وإحكامه وحكمه ، فهو أعلى وأجل من أن تُدرك طرقه أو تُقتفَى آثاره ؛ وإنما يقتلهما بالسيف لتتم شهادتهما كما قُتل يوحنا المعمدان .

قوله : «وتكون جثتاهما فى شارع المدينة العظيمة المدعوة روحيا سدوم ومصر» ، عندما يُغلبان ويُقتلان ، تترق جموعهما والمؤمنون بإنذارهما ، فتبقى جثتاهما لُقَى[1] فى الأرض ، عبرة لكل ناظر وسامع وحاضر وغائب . وهذه

(١) مطروحة .

المدينة التى ذكر استشهادهما بها سماها باسمين مجازين ليس فيهما اسم لها حقيقى ، واسمها على الحقيقة لم يُذكر ، بل ذكر وصف يدل على المسمى ويغنى عن الاسم . وأما وصفها بأنها عظمى ، فلأنها تكون فى ذلك الوقت مقر المملكة المنبسطة على المسكونة ، وأنها تكون أكبر المدائن وأعمرها وأعظمها ، فعظّمها بالشرف وبالمقدار . وقوله إنها **مدعوة روحيا** ، سمى الوصف الذى عدل به عن الوضع لغة روحانية لتداول المخاطبة به بين المُمَثلِيْن والروح ، ولهذا سماها باسم يُشتق لها من أفعال أهلها فى ذلك العصر ، فسماها سدوم لاستغراق أهلها فى خطايا أهل سدوم ، وهى اللواط والتظاهر به من غير حشمة كالدواب البادية بطباعها البهيمية بلا حياء ، وسماها مصر لاستغراقهم كأهل مصر قديما فى عبادة الأوثان . وهؤلاء القوم هم الذين قالت عنهم الرؤيا إنهم ، مع ما أظهر فيهم الشاهدان من الضربات العظيمة ، لم يتوبوا عن عبادتهم للأوثان وسحرهم ونجاساتهم ، إلى غير ذلك من الرذائل . وقوله : «حيث صُلب سيدهما فيه» ، وصف ذلك على مدينة القدس . وقد ظهر من هنا إنها موضع إنذارهما ومقر مملكة الدجال .

قوله : «ويعاينون جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا ولا يُترك أحد يضع جسديهما فى القبور» ، يريد أن جثتيهما تظلان مطروحتين ثلاثة أيام بلياليها ، وفى النهار الرابع الذى هو نصف اليوم يصعدان. واعلم أن لفظة ⲉϩⲟⲟⲩ فى اللغة القبطية مشتركة بين اليوم الذى هو مجموع نهار وليلة . ولرُبّ قائل يقول إن هذه الثلاثة أيام ونصف أراد بها ثلاث سنين ونصف لقوله بعد ذلك : «ويفرح جميع السكان على الأرض بهما» ، ولقوله إنهم يرسلون بعضهم لبعض هدايا فرحا بهما . وهذه مدة لا يذاع فى مثلها الخبر فى إقليم القدس فضلا عن الأرض كلها ، فكيف يتسامع أهلها ويفرحون أو يهيئون هدايا ويرسلها بعضهم إلى بعض لو لم تكن سنينا ؟ ومع هذا ، فقد قال الله تعالى لحزقيال النبى : «وتحمل إثم آل يهوذا أربعين يوما وقد جعلت لكل يوم

سنة »[١] ، وعلى ذلك يكون المراد بالثلاثة أيام ونصف ثلاث سنين ونصف .
والجواب : إن الذى يدعو إلى تأويلها بأعوام هو التوهم بأن إذاعة خبرهما فى المسكونة كلها يكون فى ثلاثة أيام ونصف هو غير ممكن . والفص لم يقل ذلك . والذى يجب أن يُوَوّل هو قوله : «جميع السكان على الأرض» ، فإنه أطلق اللفظ عاما وأراد به الخصوص ، إذ أشار **بالأرض** إلى أرض القدس وهى المدينة وأعمالها ، بدليل قوله : « ويعاينون جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا » ، ومحال أن يكون المعاينون هم أهل المسكونة جميعا ، سواء كانت المدة أياما أو أعواما ، وإنما الممكن حضور جميع أهل إقليم القدس ويعاينون جثتيهما ، وذلك اعظم شأنهما وفخامة أمرهما بما تقدم لهما من الآيات ، وخروج صيتهما وشهرتهما ، وما وقع فى قلوب الناس من رعبهما والخوف منهما . وإنما تُترك جثتاهما ثلاثة أيام ونصف ، ولا يُقبران ليعايَنا من القريب ويُشهر أمر موتهما ويتسامع خبرهما البعيد ، ولتكن عدم مواراتهما[١] أهبة[٢] لهما .

قوله : «ويفرح جميع السكان على الأرض بهما» ، وإنما يفرح الكفار والأشرار الذين قاسوا من ضرباتهما وتبكيتهما ما قاسوا ، ولذلك ابتهجوا بقتلهما ، وشمتوا بموتهما ، وكان عندهم الهناء بذلك .

قوله : «ويتنعمون ويرسلون هدايا لبعضهم» ، بلغ من مسرتهم بما جرى أن عملوا ولائم ، ولبسوا ملابس فاخرة وتطيّبوا[٣] ، فهذا تنعمهم . وتهادوا بذخا[٤] وتلذذا لما حصل عندهم من الطرب لقتلهما وموتهما والراحة من عذابهما ، بدليل قوله : «قائلين هذان النبيان اللذان أتيا يعذبان الذين يسكنون على الأرض» .

قوله : «ويكون بعد ثلاثة أيام ونصف يدخل فيهما روح الله فيقفان على أرجلهما » ، ولم يقل أن نفسيهما تعودان إليهما ، بل قال : «يدخل فيهما

(١) دفنهما ، احتجابهما . (٢) استعدادا .
(٣) مسحوا أنفسهم بالروائح الأطياب والعطور . (٤) إسرافا ، مسرات ، صفو .

روح الله» . **والجواب** : إنه أراد **بروح الله** قوة الله . ومعلوم إنهما لما استشهدا ، بانت[١] رأساهما عن جثتيهما . وبعد ثلاثة أيام ونصف ، دخل روح الله فى الجثتين ليصححهما ويصلحهما ، ويُعدّهما لأن تستوكرهما[٢] روحهما الكريمتان ، وعند ذلك تعود نفساهما فيقومان على أرجلهما حَيّيْن سَوِيّيْن[٣] بقوة الله .

قوله : «ورجفة عظيمة تحل على كل الذين ينظرون إليهما» ، تلك العقول الخسيسة التى فرحت وشمتت بسخافة عقل عند قتلهما ، هى التى ارتجفت هذه الرجفة العظيمة عند قيامهما . وهذه عاقبة كل حركة جهلية متعلقة بأغراض رديئة خارجة عن البصيرة المعتبرة ، لا سيما وأنها تتوجه إلى معاندة خالق العالم ، كما عاند فرعون وسنحاريب وآلهما وغيرهما . وإنما رجفتهم من أن يحل بهم مثلما تقدم من تلك الضربات الهائلة التى فعلها الشهيدان ، لا سيما وقد أظهروا من الشماتة بهما والفرح بقتلهما ما ذُكر ، لكن خوفهم هذا لم يُنَجّهم .

قوله : «وسمعت صوتا من السماء يقول لهما اصعدا إلى ههنا فصعدا إلى السماء فى سحابة وأعداؤهما ينظرونهما» هذا السماع مختص بالرسول فى رؤياه ، وقد عرفتَ ما رمز بالسماع عليه . فأما عند خروج هذه القضية إلى الفعل ، فلا يسمع شىء ، بل يمكن رؤيتهما بعد قيامتهما صاعدين على سحابة تعملهما إلى السماء بمشهد من المُوالى[٤] والمُعادى[٥] . ولقد خُصّ هذان الشهيدان بأمور غريبة هى حياتان وموت واحد وصعودان وطول مدة وآيات عظيمة عدة ، ومثل هذه لم تجتمع لسواهما .

---

(١) انفصلت . (٢) تقطن ، تسكن ، تحل ، تأخذه وكرا لها ، تُعشش .
(٣) سليميْن ، معافيْن . (٤) المصاحب ، المظهر الولاء ، المصافاة ، الود .
(٥) العدو ، الذى يظهر العداء والعداوة .

٥٦- (١٣) وفى تلك الساعة حدثت زلزلة عظيمة فسقط عشر المدينة ومات من الزلزلة سبعة آلاف اسم من الناس والباقون امتلأوا خوفا ومجدوا إله السماء (١٤) الويل الثانى مضى وهوذا الويل الثالث يأتى سريعا .

قوله : «وفى تلك الساعة حدثت زلزلة عظيمة» ، إن الحوادث العظيمة تحدث قبلها أو معها الزلازل والرعود والبروق والأصوات . ولما كان قيام الشهيدين حادثا جليلا ، حدثت معه هذه الزلزلة العظيمة تنبيها للنفوس وتعظيما للآمر .

قوله : «فسقط عشر المدينة ومات من الزلزلة سبعة آلاف اسم من الناس» ، أثر حدوث هذه الزلزلة أمران ، **أحدهما** : سقوط أهل المدينة . **والآخر** : موت سبعة آلاف اسم . وأراد **بالاسم** المسمى ، **وموتهم** من الخوف المفرط من الزلزلة ، كما قال الإنجيل : «إن كثيرين يموتون من صوت البحر»[1] ، ولعل هؤلاء الذين ارتجفوا تلك الرجفة العظيمة عند مشاهدتهم قيام الشهيدين وهم المتظاهرون بالفرح والشماتة بقتلهما .

قوله : «والباقون امتلأوا خوفا ومجدوا إله السماء» ، ظاهر إن هؤلاء الباقين هم المؤمنون الأبرار . ويجوز أن يمجد الكفار والأشرار الله تعالى عند الخوف المفرط والشدائد المهولة ، فإن هذا هو شأن الجبلة[2] عند ضعفها وانقطاع حيلها أن تلجأ إلى جابلها بالطبع .

(١) لو ٢١ : ٢٥

(٢) الخلقة الإنسانية ، الطبيع .

قوله : «الويل الثانى مضى وهوذا الويل الثالث يأتى سريعا» ، قد مضى تفسير **الويل** إنها لفظة تدل على العذاب . أما **الويل الثانى** فإشارة إلى ستة أمور مضى ذكرها ، **أولها** : الضربة التى كانت عن البوق السادس . **وثانيها** : خروج النار من فم الشهيدين لقتل أعدائهما . **وثالثها** : قتل الشهيدين أعداءهما بالنوع الذى يريدون قتلهما به . **ورابعها** : الرجفة التى كانت عند قيامتهما . **وخامسها** : سقوط عشر المدينة . **وسادسها** : موت سبعة آلاف اسم . ونظير هذا ما قاله حزقيال النبى فى الإصحاح الثالث : «ويطلبون السلام فلا يجدون إلا الويل على الويل يأتى عليهم»(١) .

✠ ✝ ✠

٥٧- (١٥) وبوّق الملاك السابع فكانت أصوات عظيمة من السماء تقول مملكة العالم صارت للرب إلهنا ومسيحه ويملك إلى أبد الأبد (١٦) والأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على الكراسى خروا بوجوههم وسجدوا لله (١٧) قائلين نشكرك أيها الرب الإله ضابط الكل الكائن والذى كان والآتى لأنك أخذت القوة وملكت (١٨) وسخطت الأمم لأن غضبك آت وزمان دينونة قضاء الأموات وتعطى عبيدك أجرهم الأنبياء والأطهار وكل الذين يخافون اسمك الصغار والكبار وتهلك المفسدين للأرض .

قوله : «وبوّق الملاك السابع فكانت أصوات عظيمة من السماء تقول مملكة العالم صارت للرب إلهنا ومسيحه ويملك إلى أبد الأبد» ، هذه الأصوات

(١) حز ٧ : ٢٥ و ٢٦

هى أصوات ملائكة من السماء ، وهذه بشرى بأن مملكة العالم صارت للآب والابن وإن كانت لم تزل كذلك ، لكن مراده بطلان الملوك والممالك العالمية ، وانتهاء المُلك إلى الله تعالى وربنا يسوع المسيح له المجد من غير انتسابه لأحد من البشر ، والمراد **بأبد الأبد** ما لا نهاية له ولا آخر .

قوله : «والأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على الكراسى خروا بوجوههم وسجدوا لله قائلين نشكرك أيها الرب الإله ضابط الكل . . إلخ» ، قد عرفتَ أن هؤلاء الشيوخ هم الأنبياء ، ومكان جلوسهم وكراسيهم قد مضى تفسيره فى الفص التاسع عشر ، وكونهم **خروا بوجوههم وسجدوا** فهو رمز على تواضعهم بنفوسهم لله ، لأن أجسادهم بعد لم يلبسوها ، بل عند خروج هذه النبوة إلى الفعل يكونون قد لبسوا أجساد البقاء ، فيكون القول عند ذلك على ظاهره . وأما **شكرهم لله تعالى** فقد ذكره من أجل وصول المُلك إلى الابن ، ولذلك سموه **الرب الإله ضابط الكل** . **والدليل الأول** على أن الإشارة للابن قولهم : «الكائن والذى كان والآتى» فإن الإتيان والحركة إنما يصحا بالحقيقة على الابن بما إنه إنسان . **والدليل الثانى** قولهم : «لأنك - بكاف المخاطبة - أخذت القوة وملكت» ، والآب لم يأخذ القوة ولا ملك ، ولكنه ما زال قويا وملكا ، وكذلك قولنا فى الابن إنه ما زال قويا وملكا . وإنما الإشارة إلى الجسد الذى أخذه من طبيعتنا وصيّره واحدا مع لاهوته ، **فالوجه** هو ما ذهبنا إليه . وظهور هذا المُلك عند ورود الألف الثامنة بعد انتهاء ممالك الأمم .

قوله : «وسخطت الأمم لأن غضبك آت وزمان دينونة قضاء الأموات» ، **السخط** هو الغضب ، **وسخطت الأمم** يعنى غضبت. وأما **غضبه الآتى** فهو فى يوم الرب العظيم الذى قال إن فئات[1] الأمم الضالة تفنى فيه . وأما قوله

(١) جمع فئة ، هيئات ، جمع عدد عظيم .

وزمان دينونة قضاء الأموات فالإشارة به إلى الألف سنة[١] التي فيها قيامة الأبرار ومجازاتهم بالصالحات ، ولهذا قال : «وتعطى عبيدك أجرهم الأنبياء والأطهار وكل الذين يخافون اسمك الصغار والكبار» ، فقد قسم الأبرار إلى أنبياء وأطهار وحائفين اسمه تعالى على اختلافهم من صغار وكبار .

قوله : «وتهلك المفسدين للأرض» ، هكذا فى يوم الرب العظيم ، وسيأتى بيانه فى فص مائة وخمسة فإن فى ذلك اليوم يهلك الأشرار والمفسدين للأرض .

✠ ✣ ✠

٥٨- (١٩) وانفتح هيكل الله الذى فى السماء وظهر تابوت العهد فى الهيكل وكانت بروق ورعود وأصوات وزلازل وبرَد من السماء .

هذا الفص متسق فى المعنى مع الفص الستين الذى يرمز إلى معاندة الشيطان لأبناء المعمودية وسيد الكل ، وقصده قهرهم منذ التجربة السيدية وهلم جرا ، لا سيما بعد سقوطه الأخير قبل الدولة الدجالية . لقد أغرى عليهم الدجال أخيرا حتى تشتتوا فى الجبال والقفار مدة دولته . وأما حل رموزه :

فقوله : «وانفتح هيكل الله الذى فى السماء وظهر تابوت العهد فى الهيكل» ، هذا الهيكل هو الذى تقدم الكلام فيه فى فص خمسة وثلاثين ، وبيّنا إنه أمام العرش ، وهو الذى رآه موسى بعين النبوة عندما كان فى الجبل ،

(١) ستجد بحثا ضافيا عن الألف سنة عند ورودها فى الإصحاح العشرين تعليقا على شرح ابن كاتب قيصر .

وقيل له أن يعمل الهيكل الأرضى على مثاله ، وبحسب ظنى أن الكلام فيه على ظاهره ، بدليل قوله : «الذى فى السماء» ، وتابوت العهد هذا لا يقصد به الذى عمله موسى ووضع فيه لوحى العهد وجرة المن وعصى هرون ، بل هو الأصل المثول الذى صنع موسى على مثاله ، وفى بعض التواريخ : إن تابوت العهد الذى عمله موسى نُقل إلى ملك الحبشة ، وإنه موجود عندهم الآن[١] ، وإنهم يحملونه فى مقدمة حروبهم . وكذلك نَقل إلينا بعض رهبانهم ، وفى التاريخ المأثور ، أن آنية البيت جعلها بعض كهنتهم فى مغارة بجبل المنقطعين ، وأن الجبل انطبق عليها والتحم فلم يُعرف لها مكان . وقصدهم الردىء بذلك إن الآلات التى أودعها سليمان قبة الزمان غير التى عملها موسى . وليس هذا الرأى بالقول الذى يعتد به .

قوله : «وكانت بروق ورعود وأصوات وزلازل وبرَد من السماء» ، الأرجح فيما أراه أن هذه الآثار لتنبيه الرسول فقط على تأمل هذا المثل العجيب والرمز الغريب ، والوقوف على حقيقته والإنباء بما يظهر منه .

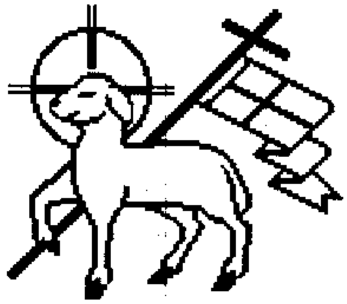

(١) العصر الذى كتب فيه ابن كاتب قيصر هذا التفسير .

الأصحاح الثانى عشر

(١) وهوذا علامة عظيمة ظهرت فوق فى السماء امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكبا (٢) وهى حبلى تصرخ وتطلق وتتوجع لتلد (٣) وعلامة أخرى أيضا ظهرت فى السماء هوذا تنين بلون النار عظيم جدا وله سبع رؤوس وعشرة قرون وسبعة أكاليل على رؤوسه (٤) فَجَرَّ ذَنَبه ثلث نجوم السماء وطرحهم على الأرض والتنين وقف أمام المرأة التى تلد حتى إذا ولدت الولد يبتلعه (٥) فولدت الابن الذكر هذا هو الذى يرعى الأمم بقضيب من حديد فاختُطِف الولد إلى الله وإلى عرشه (٦) والمرأة هربت إلى البرية إلى الموضع الذى أعده لها الله كى تُرَبَّى هناك ألفا ومائتين وستين يوما .

قوله : «وهوذا علامة عظيمة ظهرت فوق فى السماء امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكبا» ، ومعلوم أن هذا إدراك عقلى نبوى لا مشاهدة بالبصر ، وإلا لامتنع إدراكه بأن الشمس هى رداء هذه المرأة . وذكره **علامة** تدل على أن القول ليس على ظاهره ، بل هو رمز ، والرمز علامة للمرموز عليه ، وعِظَم هذه العلامة هو فى مقدار هيئتها المدركة . أما **المرأة** فقد ذهب مفسر إلى أنها على ظاهرها والمراد بها السيدة مريم الطاهرة ، وذلك مشكل من عدة وجوه ، **أولها** : لو كان كذلك لكان بقية المثل على ظاهره وهو مستحيل بالبديهة . **وثانيها** : أن السيدة العذراء **لم تهرب إلى البرية ألفا ومائتين وستين يوما** ، وإنما

هربت إلى مصر بولدها مع يوسف خطيبها عندما طلب هيرودس الطفل يسوع ، وأقاموا بمصر سنتين[١] ، ثم عادوا إلى أرض إسرائيل . **وثالثها** : أن السيدة العذراء **لم تعط جناحي نسر** كما جاء في الفص الحادي والستين . **ورابعها** : أن السيدة العذراء **لم يجر نهر ماء خلفها وابتلعته الأرض** كما جاء في الفص ٦١ . **وخامسها** : أنه ليس للسيدة العذراء **زرع آخر** كما قال أيضا في الفص ٦١ ، فقد بان أن القول ليس على ظاهره .

وذهب إيبوليطس الأسقف في تفسيره لهذا الفص إلى أن **المرأة** رمز على الكنيسة ، وأن **الشمس** التي التحفت بها رمز على سيدنا المسيح لأنه سُمي شمس البر ، وأن **القمر** الذي تحت رجليها رمز على يوحنا المعمدان ، وأن **الإكليل الذي على رأسها من اثني عشر كوكبا** رمز على الرسل الاثني عشر . وهو تفسير قريب من المقصود ، لكن لفظة الكنيسة مشتركة يراد بها تارة البناء المعد للصلوات والقداسات ، ويراد بها تارة أخرى الجماعة التي هي جماعة المؤمنين . فإن كان مراده بالكنيسة البناء، فهو مردود بقوله **إنها حبلى وإنها تلد** ، وكذا بقوله **إنها هربت إلى البرية** ، وغير ذلك من الأقوال مما لا يمكن أن يقال عن الجماد . وإن كان مراده بالكنيسة الجماعة ، فهو مشكل آخر ، إذ يقول **إنها حبلى وإنها ولدت الابن الذكر الذي يرعى الأمم بقضيب من حديد** . فإن الجماعة لا يصدر عنها

(١) اختلف المؤرخون حول المدة التي استغرقتها رحلة العائلة المقدسة إلى مصر . بيد أن مصادر الكنيسة القبطية تؤكد أن هذه الرحلة - منذ أن قدمت العائلة المقدسة إلى مصر حتى تلقت من الملاك الأمر بالعودة إلى فلسطين - بلغت ثلاث سنوات وسبعة أشهر . فإذا قدرنا أن رحلة العودة استغرقت بضعة أشهر أخرى ، تكون هذه الرحلة قد استغرقت نحو أربع سنوات .

مثل هذا الفعل سواء من حيث هى جماعة ، أو باعتبار كل فرد منها ، إذ أنه فعل مختص بمفرد مؤنث ؛ وكل ذلك ظاهر الاستحالة باعتبار الحقيقة وباعتبار المجاز . أما الحقيقة فظاهر . وأما المجاز فلأن المولود منها لا يحتمل التأويل إنه غير السيد المسيح . وكيف يقتضى التأويل جعل يوحنا المعمدان تحت الرجلين ؟ فهذا ما اقتضاه تتبع النظر ، وإن كان خطأ ، فلتقصير البشرية . والذى يمكن أن يقال فى ذلك إن المرأة رمز على المعمودية التى صرحت الشريعة بميلاد المؤمنين منها ، ونطقت أيضا بأن سيدنا المسيح اعتمد . فهى بهذا الاعتبار ، وجميع المؤمنين مولودون منها . وليس معنى هذا العماد أن سيدنا المسيح - الابن الأزلى - حصل على موهبة البنوة عند معموديته كبقية المؤمنين ، بل المراد أن هذه البنوة لم يُكشف سرها إلا عند معموديته ، حيث حلّ الروح ، وجاء صوت من السماء قائلا : «هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت»[1] . وأما التحافها بالشمس ، فالرمز بالشمس على الشريعة الحديثة ، شريعة الفضل ، كما يقول داود : «إن وصاياك نور»[2] . وأما القمر الذى تحت رجليها فيرمز به على شريعة العدل التى صارت بالنظر إلى الحديثة كالثوب البالى الخليع الملقى . فإن كانت شريعة عظيمة فى نفسها لكنها أُبطلت بالنسبة إلى الحديثة ، وقد أغنانا بولس الرسول بما بسطه من القول فيها . وأما **الإكليل** الذى على رأسها من اثنى عشر كوكبا ، فهو كما قال إيبوليطس إنه رمز على الرسل الاثنى عشر ، لأنهم القائمون بالدعوة المسيحية المبتدئون بها ، كما أن التاج مبتدأ الرأس .

قوله : «وهى حبلى تصرخ وتطلق وتتوجع لتلد» ، إن المعمودية صفة تعم الموصوفين بها وتشملهم ، وهى قائمة بهم فوصفها لاحق بهم . **والحبلى** رمز على ما اشتملت عليه من شوق خدامها . **والصراخ** رمز على إذاعة الدعوة

(١) مت ٣ : ١٧

(٢) مز ١١٩ : ١٠٥

وتعليم الكرازة . أما **الطلق والتوجع** فرمز للجهاد والاجتهاد الذى كان من خدامها ، ومقاساة الأوجاع والآلام والرباطات والقتل إلى أن دخل المؤمنون فى الإيمان .

قوله : «وعلامة أخرى أيضا ظهرت فى السماء هوذا تنين بلون النار عظيم جدا وله سبع رؤوس وعشرة قرون وسبعة أكاليل على رؤوسه» ، **العلامة** قد تقدم تفسيرها إنها دليل على أن القول مرموز به . وقد ذكر فى هذا الفص بأن **التنين العظيم** هو إبليس المضل للعالم كله ، وكونه **بلون النار** إنه لون قد يدل على الشر والغضب والحقد وأمثال ذلك . ومعلوم أن **الرؤوس والقرون** رَمزَ بها على الملوك والممالك ، وقد بيّن هذا دانيال فى رؤياه ، وسيصرح به الملاك فى الفص السابع والثمانين من هذه الرؤيا . ولما كانت الرؤوس هى الحاملة للقرون ، صارت كأنها الأصول ، والقرون فروعها ، وعنى أن الملك الذى تقدمه ملك قبله قد مَهّد له المُلك كالفرع لذلك الأصل . فلهذا حسن أن يرمز بالرؤوس السبعة على سبعة ملوك متقدمين ، وبالقرون العشرة على عشرة ملوك يتلونهم كالفروع لهم . وأما **التيجان السبعة** التى على **الرؤوس** فرمز على مزية الرؤوس وتمييزها على الملوك التالين لها . لكن هؤلاء الملوك والممالك لابد من تخصيصهم بحيث يكون بينهم وبين المثل مناسبة مطابقة ، ليصح أن يكون المثل لممثول ولا يتعلق بما اتفق من أن الملوك والممالك إذا وجدنا عددا يوافق هذا العدد ، أعنى السبعة والعشرة ، أو صادفنا وفاقا فى حال ما .

قال إيبوليطس لما فهم أن رؤوس هذا التنين وقرونه ملوك ، إأنهم من أتباع الشيطان وعُبّاده ، أن السبعة رؤوس هى سبعة ملوك : أولهم بختنصر الكلدانى ، وتاداريوس الماهى ، ودارا الفارسى ، والإسكندر اليونانى ، وعُدّ خُدّام الإسكندر الأربعة مملكة واحدة ، ومملكة الروم ، وسابعهم مملكة الدجال . وقال عن العشرة القرون بأنها عشرة الملوك الذين يهلكون مع الدجال ، وأما

التيجان فلم يتعرض لتفسيرها ولم يراع ، لما ذكر الملوك السبعة ، إنهم لا يناسبون هذه القصة ، ولا أن للملوك العشرة رمز يخصهم . ولأن النبوة تبطل بذكر من مضى من هؤلاء الملوك الذين أمرُهم معروف وقد سُوّدت بها التواريخ ، ولأنه لا فائدة فى ذكر الرؤيا لهم هنا ، وذلك لثلاثة أمور :

أولها : مجرى الحال ، وذلك بأن نستقرئ الملوك الذين قصدوا معاندة الملة المسيحية ، فإن الشيطان هو الموعز لهم الموسوس لكل منهم باعتماده ، حسبما سُطر فى آخر قوانين الرسل وأتباعهم ، حيث جاء : «ولما فرغ الحواريون من وضع هذه السُنَن والشرائع على ما ألهمهم روح القدس ، ومتلأت الأرض من المؤمنين ، الرؤساء والمرؤوسين ، أغرى الشيطان فى ذلك الوقت الملوك بهم وحرّضهم بالحنق أن يغصبوهم على عبادة الأوثان ، فأسرعوا - الملوك - فى تعذيبهم وعقابهم وسَبْيِهم وقتْلهم ، فلم يشتغلوا بما كانوا فيه من الضيق والشدة والقهر بوضه سنن أخرى» . والمدة من أيام تلاميذ السيد المسيح وأسلافهم إلى قرب مُلك قسطنطين الكبير المؤمن بالمسيح هى زهاء ثلاثمائة وست وخمسين سنة شمسية .

وثانيها : الوقت ، وهو أن نستقبل بالمدة الصعود المعظم لأنه الوقت الذى ذكر أن الولد اختُطف إلى الله وإلى عرشه .

وثالثها : أن يحفظ العدد المذكور .

فإذا اعتمدنا هذا الاعتماد وصَحّ المقصد ، وَفَيْنا بإظهار النبوة .

والصعود المعظم كان بعد انبعاث سيدنا من بين الأموات بأربعين يوما ، وذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر آيار [مايو] فى السنة الثامنة عشرة من مُلك طيباريوس قيصر ابن أغسطس ، وكان قد صار للعالم خمسة آلاف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون سنة وستة أشهر وثمانية عشر يوما على سياقة سعيد ابن بطريق .

وأما الملوك السبعة المرموز عنهم برؤوس التنين ، **فأولهم** : نيرون الذى أهاج على النصارى الشر والبلاء والعذاب ، وقتل بطرس وبولس برومية ، ومرقس بالإسكندرية وحرق جسده بالنار . وهو الذى وجه أسباسيانوس فخرّب مدائن اليهود وقتلهم وحاصر مدينة القدس فعجز عنها . **وثانيهم** : أسباسيانوس المذكور الذى ملك بعد نيرون وعمل مصائب عظيمة . **وثالثهم** : تيطس ولده الذى حاصر القدس سنتين فمات كل من فيها جوعا حتى أكلوا الميتة ولحوم أولادهم وأكلت النساء مشائمهم[١] ، بل إن جنود تيطس كانوا يشقون بطون الحوامل ويضربون بأطفالهن الصخور . ولقد خرب تيطس المدينة والهيكل وأحرقهما . **ورابعهم** : دومتيانوس ، وكان شديدا على اليهود فلم يظهر فى أيامه يهودى ، وقتل الملوك وأولادهم حتى لا يكون غيره ، كما أمر بقتل النصارى لقولهم أن المسيح ملكهم ، وأمر أن لا يقيم فى مملكته نصرانى . **وخامسهم** : طارايانوس ، وهو أندريانوس الذى أثار على النصارى بلاء عظيما ، وقتل شهداء كثيرين منهم أغناطيوس بطريرك أنطاكية برومية ، ثم قتل سمعان بن اكلأوبا أسقف بيت المقدس مصلوبا ، وأمر باستعباد النصارى ورجْمهم بالحجارة . وفى أيامه كتب يوحنا الرسول هذه الرؤيا المعروفة بالآبولمسيس .

فإن قيل أن أولئك الملوك الخمسة مضوا قبل كتابة الرؤيا ، وقد قلت أم ذكر الملوك السالفين ليس نبوة ، **فالجواب** : إن الرؤيا إنما اعتبرت المثل من أوله إلى آخره ، فدخل هؤلاء فى الجملة ، والمعلوم عنهم كفرهم فقط .

وسادسهم : إيليا أندريانوس الذى جاء إلى مصر فلقى أهلها منه شدة عظيمة ، لأنه دعاهم إلى السجود للأصنام وقتل من النصارى خلقا لا تحصى ،

(١) وتُعرف بالخلاص الذى ينزل عقب الوضع .

وقتل اصطاتيوس وامرأته وابنه بأن سلقهم ، وأعاد تخريب مدينة بيت المقدس وقتل جميع سكانها . **وسابعهم** : الدجا ، وستأتى له فصوص تخصه .

وأما الملوك العشرة المرموز عليهم بقرون التنين ، **فأولهم** : مرقس أورسليوس قيصر الذى أثار على النصارى بلاء عظيما حتى استشهد كثيرون ، وكان فى أيامه قحط وجوع ووباء لأن السماء لم تمطر سنتين ، فكاد الناس يهلكون من الجوع والوباء . فسألوا النصارى أن يصلوا ، فلما صلوا أمطرت السماء مدرارا[1] وارتفع الوباء . **وثانيهم** : ساويرس ، وقد أثار على النصارى شدة عظيمة واستشهد فى أيامه خلق كثير ، خاصة حين جاء إلى مصر وقتل من أهلها وأهل الإسكندرية عددا كبيرا ، كما هدم الكنائس وخرّب الصوامع . **وثالثهم** : مكسيمانوس الذى أثار على النصارى شدة شديدة ، وقتل منهم خلقا كثيرا بسبب امتناعهم عن عبادة آلهته ، كما قتل العديد من الأساقفة والبطاركة . **ورابعهم** : داكيوس ، فقتل من النصارى ما لا يحصى واستشهد فى أيامه خلقا لا تعد ، وقتل بلانيوس بابا رومية ، وقتل خلقا من أفَسُس وصلبهم على حصنها ، وفى أيامه كان أهل الكهف السبعة . **وخامسهم** : غلينوس ألاريانوس ، وقد قتل خلقا كثيرا منهم قزمان الشهيد ، وكان هذا الملك شريرا على النصارى . **وسادسهم** : مرقس أوريليوس قيصر الذى قتل شهداء لا يحصى عددهم . **وسابعهم** : ڤالريوس ، وكان شديدا على النصارى ، ومن جملة قتلاه قزمان ودميان الشهيدان . **وثامنهم** : ديقلاديانوس ، وقد أثار على النصارى بلاء لا يوصف وشدة لا تدرَك ، ولا تُعرف أعداد من قتلهم واستباح أموالهم ، فلقد استشهد فى عهده ألوف وربوات ، منهم مار جرجس وسرجيوس وواخس ومينا وبقطر وبوماخس ومرقوريوس والبابا بطرس الأول بابا الإسكندرية وغيرهم .

(١) هاطلا ، كثيرا ، بدون انقطاع .

وتاسعهم : مكسيميانوس الكرديوس ، وهذا أقام على النصارى بلاء عظيما إجلاء ونهبا وقتلا أشد ممن سلفوه . **وعاشرهم** : مكسيميانوس غلاريوس الذى أقام على النصارى شدائد من القتل والنهب ، وكان شريكه فى الملك مقسيطيوس ابن الكرديوس . ولما مرض هذا الملك وتقطّع لحمه ، فاستشفع بأن يصلى عليه النصارى وأطلقهم من معتقلهم ، فصلوا من أجله فشفى ، ولكنه عاد وكتب إلى الأقطار أن لا يحيا أحد منهم ، ولا يسكنوا مدينة أو قرية ، فكان أن قتل رجالا ونساء لا يحصى عددهم إذ كانوا يُحملون على العَجل ويُرمون فى البحر .

هؤلاء هم الملوك الذين تجردوا لمعاندة المسيحية ، وتعذيب أهلها وسبيهم ونهبهم وعقابهم وقتلهم .

لكن برأفة من الله تعالى ولطف من سياسته العالية ، كان يتخلل مُدد هؤلاء الملوك ملوك أخر ، ألهاهم شأنهم عن الاضطهاد . فوجد المؤمنون بذلك راحة قليلة وحُل الخناق حينا ما . ولولا ذلك لانقطعت هذه الديانة بالكلية وذهب الحرث والنسل ولا خلص منها ذو جسد .

ويمكن تقسيم هؤلاء الملوك إلى ثلاث طوائف :

طائفة لم تطل مدة ملكها ، وأكثرهم مدة من أقام سنة واحدة ، وهم عشرة ملوك :

علياس أقام سبعة أشهر ومات ، **أولون** ثلاثة أشهر ، **بيطاليين** ثمانية أشهر ، **باباوس** سنة واحدة ، **يوطسفوس** ثلاثة أشهر ، **يوليانوس** شهرين ، **مقرنيوس** سنة واحدة ، **يورنيوس** ثلاثة أشهر ، **قلوديوس** سنة واحدة ، **طاقيوس** ستة أشهر .

وطائفة ثانية شُغل كل مَلك منها بمحاربة من يثور من الأطراف أو بوباء عظيم أو بتدبير مملكته عن هذا الأمر ، وهم ثمانية ملوك :

قلوديوس وفى أيامـه حدثـت مجاعـة عظيمـة فى العالـم كلـه ، **أنطونيوس** شُغل بتدبير مملكته ، **تمودس بن مرقس قيصر** شُغل بحروب الفرس ، وفى أيامه قامت مملكتهم الثانية ، **أنطونيوس قيصر الأضلع** شُغل بتدبير مُلكه . أنطونيوس ، **الإسكندر ماما** ، **غرديانوس** شُغل بحروب فى أيامه ، **بروسيز** وشُغل أيضا بحروب فى أيامه .

والطائفة الثالثة ملكان آمنا بالسيد المسيح ولم يعلنا إيمانهما فى دولتهما ، وهما **فيلبس وغاليوس ألاريانوس** .

ولما انقضت دولة القرن العاشر[١] حينئذ ملك الملك العظيم قسطنطين الكبير المؤمن هو ودولته كلها ظاهرا .

ولنعد إلى حل رموز بقية الفص ، فقوله عن التنين : « فَجَرّ ذَنَبه ثلث نجوم السماء وطرحهم على الأرض» ، الذَنَب رمز على الرأى والاختيار ، لأن الرأى لاحق بصاحبه لحوق الذَنَب لصاحبه ، والهاء من **ذَنَبه** عائدة على التنين . **ونجوم السماء** رَمَزَ به هنا على ملائكته لما بينها وبين النجوم من المشابهة فى الرفعة والنور قبل سقوطهم . ويريد **بثلثهم** مقدار ثلث طغمة الملائكة ، لأنه من مقدمى الطغمة المذكورة ، فسقط معه من تابع رأيه ، **وطَرْحِهِم على الأرض** إشارة إلى سقوطهم إلى الأسافل من العلو ، وهذه ثالث سقطة للشيطان وجنوده . وسنوضح ذلك فى الفص الآتى .

قوله : «والتنين وقف أمام المرأة التى تلد حتى إذا ولدت الولد يبتلعه» ، قد عرفتَ أن الرمز بالتنين على الشيطان وبالمرأة على المعمودية . **ووقوف التنين** رمز على مراصدة سيد الكل حال عماده . **والابتلاع** رمز على الشهوات البدنية التى بها جرّب الشيطان سيد الكل بعد المعمودية من يوحنا . وإنما أخّر الشيطان المجاهرة بجهاده إلى هذا الوقت لسببين ، **أحدهما** : إنه لم

(١) المقصود به القرن العاشر من القرون [الملوك] .

يقو فى ظنه أن سيدنا المسيح هو بهذا الشأن العظيم ، وما توهم أنه لا يقهره أو يفوته إيقاعه فى سقطة ما . **والثانى** : إنه انتظر له حتى وصل إلى سن الشبيبة التى تقوى فيها الغيرة والشهوة وهى ثلاثون سنة ، فلذلك تعيّنت المجاهدة والتجربة فى هذا الوقت .

قوله : «فولدت الابن الذكر هذا هو الذى يرعى الأمم بقضيب من حديد» ، **ولادة المرأة الابن الذكر** رمز على قبوله المعمودية من يوحنا بن زكريا . والإشارة **بالرعاية** إلى الملك ، ولذلك كان **بقضيب من حديد** ، لأن المراد به السيف والرمز به على التسلط الآلى والملك القهرى . وقد صرّح بذلك داود النبى فى المزمور الثانى ، فقال : «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك سلنى فأعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك إلى أقطار الأرض فترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم»[١] .

قوله : «فاختُطف الولد إلى الله وإلى عرشه» ، **الاختطاف** رمز على الصعود المعظم ولم يرد إنه احتُطف عند ولادته من المعمودية ، بل بين الولادة والاختطاف [الصعود] مدة مقدارها ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، وهذه عادة الكتاب الإلهى أن يذكر الفعلين ويترك المدة بينهما ، فإن التوراة تقول : «وغرس نوح كرما وشرب من شرابه وسكر»[٢] ، وبين الغرس والسكر أقل ما يمكن ثلاث سنين وكسْر .

قوله : «والمرأة هربت إلى البرية» رمز **بهرب المرأة** إلى هرب أبنائها كما قررناه فى تفسير حبلها وطلْقها . ولم يرد أيضا أن ساعة الاختطاف هى ساعة هرب المرأة إلى البرية ، فإن بينهما زهاء ألف وتسعمائة وثلاث وستين سنة شمسية ، لأن الاختطاف هو عند الصعود والهرب فى الدولة الدجالية ، ونظير هذا قول الإنجيل فى بشارة متى : «وسيقوم مسحاء كذبة أنبياء كذبة»[٣] ،

(١) مز ٢ : ٧ - ٩ (٢) تك ٩ : ٢٠ و ٢١ (٣) مت ٢٤ : ٢٤ ، مر ١٣ : ٢٢

فبعض هؤلاء المسحاء والأنبياء الكذبة فى أوائل البشرى ، كما أخبر بذلك الرسل فى كتبهم ورسائلهم ، وآخرهم الدجال والوحش البرى الذى بين يديه ، وبين هاتين المدتين[١] ألفان وأربعمائة سنة شمسية وكسور كما نظن ، فإن تحقيق الأزمنة خفى عن البشر ، وكقوله أيضا : «وللوقت بعد ضيق الأيام الشمس تظلم والقمر أيضا لا يعطى ضوءه»[٢] . فإن كان هذا الضيق هو الاضطهاد الذى فى الدولة الدجالية ، فبينه وبين إظلام الشمس فى القيامة العامة ألف سنة[٣] ، وإن كان المراد به خراب أورشليم فالمدة أعظم .

قوله : «إلى الموضع الذى أعده لها الله كى تُرَبَّى هناك ألفا ومائتين وستين يوما» ، هذا الموضع المُعَدّ يشير به إلى الأماكن التى يرشد الله الأبرار إلى قصدها فى البرارى والقفار والجبال والمغاير ، ليختفوا فيها عند طلب الدجال لهم وبحثه عنهم ليهلكهم بإيعاز من الشيطان . وإنما خص هذه الأماكن ليشعرنا بأنها تَخفَى عن الشيطان والدجال والأعوان الطالبين الأبرار . ويريد **بالتربية** الإقامة هناك مدة الدولة المظلمة ، وهى ثلاث سنين ونصف ونصف شهر ، وهذا معنى قوله : «ألفا ومائتين وستين يوما» .

---

(١) لعل الشارح يقصد بالمدتين : من المعمودية إلى الصعود ، ومن الصعود إلى ظهور المسيح الدجال .

(٢) مت ٢٤ : ٩

(٣) يشير الشارح إلى وليمة الألف سنة ، وهو تعبير خطأ ، وستقرأ عنه بحثا وافيا عند الكلام عن الألف سنة .

الفصل الثانى عشر

٥٩- (٧) وكانت حرب عظيمة فى السماء ميخائيل وملائكته يحاربون قبالة التنين والتنين وملائكته كان يحارب قبالتهم (٨) فلم يستطع أن يقاتلهم ويحارب معهم ولم يتركوا موضعا بعد فى السماء (٩) فطرحوا التنين الثعبان العظيم الأول الذى يدعى الشيطان إبليس المضل للعالم كله أسقطوه أسفل الأرض وأسقطوا ملائكته معه .

هذا أول القسم الحادى عشر فى سقوط التنين وقصته مع المرأة .

قوله : «وكانت حرب عظيمة فى السماء» ، هذه الحرب روحانية لا جسمانية ، فتَعانُد القوى الروحانية من الفئتين المتحاربتين مفهوم ، ولا تظن أن الحرب لا تكون إلا فى الجسمانيين ، فإن الأفعال فى الحقيقة تصدر عن القُوَى ، والأجسام كالآلات لها . وقوى المجردين عظيمة جدا لا نسبة لقوى البشر إليها ، ولهذا تكون تلك الحرب عظيمة ، إلا أنها ليست بسلاح ولا فيها مابقى كالدروع والجواشن والأسلحة البيض[١] وما يشبه ذلك ، فإن هذه تختص بالأجسام ، فأما تلك فقوى تُعانِد قوى ، والأقوى منها تقهر الأضعف .

وأما كون هذه **الحرب العظيمة فى السماء** فدليل على أن الشيطان وجنده يحرصون على ألا يفارقوا التردد إلى السماء . فعندما يؤمر ميخائيل رئيس الملائكة ومن معه أن يدفعوهم من هناك ، فإنهم يسقطون سقوطا لا يعاودون معه القرب منها فضلا عن التردد إليها ، وهذا معنى قوله : «ميخائيل وملائكته يحاربون قبالة التنين والتنين وملائكته كان يحارب قبالتهم» ، فقد صرّح بمجاهرة الشيطان للقتال ومناصبته للحرب دون هبوطه من السماء .

---

(١) السيوف .

قوله : «فلم يستطع أن يقاتلهم» ، لم يرد به عدم القتال ، بدليل أنه قد تقدم ما دل على قتاله ومناصبته[١] ، وإنما أراد أنه قاتل ومن معه ، ولكنهم لم يقووا على الثبوت أمام ميخائيل وملائكته لكونهم من طغمة أعلى وقوتها أشد من قوة إبليس وملائكته ، فلهذا لم يستطيعوا الثبوت للمقابلة والمقاتلة .

قوله : «ولم يتركوا موضعا بعد فى السماء» ، هذه هى السقطة الثالثة للشيطان على نحو ما تبيّن فى الفص السابق وبحسب ما دلت به نصوص الكتب الإلهية . وقد اضطرب كثير من العلماء الباحثين حول هذا الموضع ، إذ لم يخطر لهم إنه سقط سوى مرة واحدة ، ثم حمّلوا بقية النصوص عليها ، فخرجت النصوص عن معانيها وزاغت عن مقصودها . ونحن نفصّل ذلك ونبيّنه بالأدلة ، فنقول إن :

السقطة الأولى : هى سقوطهم من الرتبة الملائكية ومن الإقامة فى السماء ، والدليل على هذين المعنيين كليهما قول يهوذا الرسول فى رسالته : «إن الله ألقى الملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا مراتبهم فى الظلمة القصوى»[٢] ، فالإلقاء معناه السقوط ، وكونهم فى الظلمة القصوى يدل على عدم الإقامة فى السماء . لكن الشيطان وجنوده لم يُمنعوا من التردد على السماء ، ولا مُنع الشيطان من الوقوف أمام العظمة ، بدليل ما تضمّنه سفر أيوب الصدّيق ونبوة زكريا ، أما سفر أيوب فقال : «وفى يوم من بعض الأيام صعدت ملائكة الله للقيام أمام الله وإذا الشيطان معهم»[٣] . وأما زكريا فقال : «وأرانى يهوشع الكاهن العظيم وهو قائم قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه يريد أن يضربه فقال ملاك الرب للشيطان يزجرك الرب منتخب

---

(١) إتعابه ، إوجاعه ، محاربته . (٢) يه ١ : ٦

(٣) أى ٢ : ١

أورشليم هذا العود المنتشل الذى نجا من النار»[١] . فهذان تصريحان بصعود الشيطان وبوقوفه أمام العَظَمَة . وإذ لم يُمنع من التردد على السماء ، لم تُمنع ملائكته لأنه بالمنع أولى منهم .

والسقطة الثانية : عندما أرسل سيدنا يسوع المسيح المسيح له المجد تلاميذه السبعين وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ، ثم عادوا وأخبروه بطاعة الأرواح وخضوعها لهم ، فقال : «إنى رأيت الشيطان قد سقط من السماء كالبرق»[٢] وليس المراد بذلك أن الشيطان قد سقط من السماء ، بل البرق المشبه به هو الساقط من السماء ، حتى يكون تقدير القول أن الشيطان سقط كسقوط البرق الذى يسقط من السماء ، وأما وجه الشبه فهو السرعة فى السقوط ، لأن بعض النصوص تشهد بعد ذلك بأن الشيطان وأعوانه مترددون على السماء ، ففهمنا منها أن هذا هو السقوط الثانى ، ذلك أنه لما وقف أمام العظمة قبالة الملائكة ضَعُفَ وَوَهَنَ فسقط كالبرق فى سرعته .

والسقطة الثالثة من تردده وملائكته على السماء : فهى قبل الدولة الدجالية ، كما يخبرنا بذلك هذا الفص الذى نحن فى تفسيره من هذه الرؤيا ، وهو قوله : «ولم يتركوا موضعا بعد فى السماء» ، وفيه دليل على أنهم كانوا قبل ذلك مترددين على السماء . فإن ادعى مدعٍ أن ذلك إخبارا بسقطته الأولى ، فهو مردود بدليلين ، **أحدهما** : ما يلى هذا القول ، وهو قوله فى الفص الحادى والستين : «فلما رأى التنين أنه قد طُرح إلى الأرض أسرع خلف المرأة التى ولدت الابن الذكر فأعطيت جناحان عظيمان مثل جناحى نسر لتمضى إلى البرية إلى الموضع الذى تُرَبّى فيه زمانا وزمانين ونصف زمان» ، وهذا تصريح بوقت هذا السقوط إنه قرب الدولة الدجالية ، وأن هرب أولاد المرأة من الدجال كان خلال مدة دولته المذكورة . **والدليل الآخر** : أن هذه نبوة

---

(١) زك ٣ : ١ و ٢ (٢) لو ١٠ : ١٨

على ما سيكون قبل كونه ، فلو كان إخبارا بماض بطلت النبوة وسقطت الفائدة أيضا ، لأن الإعلام بمعلوم تحصيل الحاصل وهو محال .

قوله : «فطرحوا التنين الثعبان العظيم الأول الذى يدعى الشيطان إبليس المضل للعالم كله أسقطوه أسفل الأرض وأسقطوا ملائكته معه» ، هذا هو الدليل الثانى على سقوطهم من السماء إلى أسفل الأرض . وأما تسميته الشيطان تنينا وثعبانا ، فقد سماه باسم الوحش الذى نطق على لسانه أولا حين خدع حواء وآدم ، ، وذلك الوحش هو الثعبان والتنين بالحقيقة . وأما إطلاقه على الشيطان فباللغة الروحانية على سبيل المجاز التشبيهى ، وأطلق ذلك لخمسة أوجه ، **أولها** : خبث هذا الوحش ، لأن التوراة تقول : «وكان الثعبان أخبث من كل وحش الأرض»[١] . **وثانيها** : العداوة التى بين هذا الوحش وبين البشر كالعداوة التى بين الشيطان وبينهم ، فإن الله يقول فى التوراة : «وأجعل العداوة بينك وبينها وبين نسلك وبينها»[٢] . **وثالثها** : إن التنين قاتل بسمه ، كذلك الشيطان قاتل بفعله ، ولذلك قال عنه سيد الكل فى بشارة يوحنا : «ذاك الذى لم يزل منذ البدء قتّالا للناس»[٣] . **ورابعها** : إن التنين مخوف بنفسه تنفر منه الطباع ، وكذلك الشيطان . **وخامسها** : من رؤيا الرسول فى الإصحاح الثانى عشر[٤] التنين الذى بلون النار المرموز به على الشيطان ؛ وأما إردافه بلفظة الثعبان بعد التنين ، وكذلك لفظة إبليس بعد الشيطان ، فذلك للتأكيد الذى يزول معه اللبس[٥] والشك والتأويل ، ثم وصفه مع ذلك بالفات الخاصة به لإزالة الريب فى أنه المقصود بهذه الأسماء المترادفة والصفات المخصصة لا غيره ، وهى قوله : «**العظيم الأول الذى يدعى الشيطان إبليس**» .

(١) تك ٣ : ١ — (٢) تك ٣ : ١٥ — (٣) يو ٨ : ٤٤

(٤) رؤ ١٢ : ٢ — (٥) ضد اليقين ، ضد الحقيقة .

قوله : «المضل للعالم كله» ، وتعجّب من قوله إنه **مضل للعالم كله** ، فهل أخنوخ الذى قيل عنه أن الله رفعه لبره وتقواه[١] ، ونوح الذى قال الله أنه صدّيق بار[٢] وملكى صادق كاهن الله العلى[٣] وإبراهيم صاحب المواعيد ، واسحق ، ويعقوب ، الذى نسب الله نفسه إليهم بقوله : «أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب»[٤] ، ثم أيوب الذى قال الله عنه إنه بار تقى خائف من الله معتزل للسيئات[٥] ، وموسى الذى قال الله عنه أنه أخشع قلبا من كل من فى الأرض[٦] ، وداود الذى قال الله عنه : «إننى رأيت قلب داود عبدى مثل قلبى»[٧] ، وصموئيل وشرفه[٨] ، وإيليا وغيرته والذى رُفع أيضا لصلاحه[٩] ، وبقية الأنبياء والقديسين والأبرار الذين فى العتيقة والحديثة . فهل هؤلاء جميعهم يدخلون فى هذا الضلال أو يُستثنون منه ؟ والوصول إلى إجابة عن هذا السؤال صعب شديد ، تحتاج عناصره ومعاقده[١٠] إلى تحليل ، ومجمله إلى تفصيل . وذلك أن **الضلال** يراد به هنا مطلق الخطأ ، والخطأ قد يكون فى العلم ، وقد يكون فى العمل ، وكل منهما قد يكون بالفكر ، وقد يكون بالفعل ، وكل من هذين قد يكون فى الكبائر ، وقد يكون فى الصغائر التى تسمى الهفوات . فهذه ثمانية أقسام ، وكل واحد من هذه الأقسام الثمانية بترك مأمور به أو ارتكاب مَنْهِىّ عنه ، فصارت الأقسام ستة عشر قسما . وكل من هذه إما أن تكون بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين خالقه ، أو بينه وبين أبناء جنسه ؛ وبحسب ذلك تصير الأقسام ثمانية وأربعين قسما من أمّهات

---

(١) عب ١١ : ٥
(٢) تك ٦ : ٩
(٣) تك ١٤ : ٨
(٤) خر ٣ : ٦ ؛ مت ٢٢ : ٣٢ ؛ مر ١٢ : ٢٦ ؛ لو ١١ : ٣٧
(٥) أى ١ : ١
(٦) عد ١٢ : ٣ و ٧
(٧) ١ صم ١٣ : ١٤ ؛ أع ١٣ : ٢٢
(٨) ١ صم ٣ : ١ - ١١
(٩) ٢ مل ٢ : ١
(١٠) جمع عُقَده ، رموزه ، إشكالاته .

مسائل الخطأ ، وتحتها أنواع كثيرة لا تكاد تنحصر . وإذا عرفتَ هذا التفصيل ، فاعلم أن مذهب الإجماع من فِرَق النصرانية المؤتلفة والمختلفة قد أجمعوا على أن أحدا من البشر لم يخل من خطأ إما بالفكر وإما بالفعل خلا سيد الكل بناسوته ، فإنه لم يصدر عنه خطأ بالفكر ولا بالفعل ، وسائر الناس بعده متباينو الدرجات والمستويات فى إتيان الصواب أو ارتكاب الخطأ . فمن غلب صوابه خطأه فهو من حيز الأخيار ، ومن غلب خطؤه صوابه فهو من حيز الأشرار . ومن تكافأ صوابه وخطؤه فلله ترجيحه إلى الجانبين لأيهما شاء حيِّزه والرحمة أولى . أما الأخيار والأشرار فلهم طبقات ومنازل كما قال : «فى بيت أبى منازل كثيرة»[١] . وحول هذه الأقسام توجد أسئلة ومشكلات تليق بكتاب غير هذا .

قوله : «أسقطوه أسفل الأرض وأسقطوا ملائكته معه» على ظاهره ، وفيه دليل على سقوطهم من السماء .

✠ ✟ ✠

٦٠- (١٠) وسمعت صوتا عظيما فى السماء قائلا الآن صار الخلاص والقوة والمملكة لإلهنا والسلطان لمسيحه لأنه طُرِح المشتكى على إخوتنا على الأرض الذى ينم عليهم أمام الله النهار والليل (١١) لأنهم غلبوه بدم الحَمَل وبدم شهادتهم لأنهم لم يحبوا أنفسهم إلى الموت (١٢) من أجل هذا افرحى أيتها السموات والويل للأرض والبحر لأن الشيطان نزل إليكما وبه غضب عظيم وهو يعلم أن الذى له زمانا قليلا .

(١) يو ١٤ : ٢

هذا السماع إدراك عقلى كما تقدم مثله . وذهب إيبوليطس إلى أنه عن الملائكة ، ويجوز أن يكون عن نفوس الأبرار بدليل قوله **إخوتنا** . والحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز . **وعظم الصوت** رمز على عظم الفرح بسقوط الشيطان وأعوانه .

قوله : «الآن صار الخلاص والقوة والمملكة لإلهنا والسلطان لمسيحه لأنه طُرح المشتكى على إخوتنا على الأرض الذى ينم عليهم أمام الله النهار والليل» ، فى هذا القول عدة مسائل :

المسألة الأولى : ما مفهوم هذا الخلاص ، وهل هو على ظاهره أم لا ؟ **والجواب** : إنه على ظاهره ، لأن معنى الخلاص لغةً التنجية ؛ تقول خلّصته من كذا تخليصا أى نجيته . وقد جاء لفظ **الخلاص** فى الكتب الإلهية على ثلاثة أضرب ، **أولها** : على ظاهره ، كما قال بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفَسُس : «وبنعمته خلّصنا وأقامنا معه»[1] . **والثانى** : بمعنى موهبة النبوة ، كما قال بطرس فى رسالته الأولى : «ذلك الخلاص الذى التمسته الأنبياء وفحصوا عنه لما تنبأوا بالنعمة التى تكون فيكم»[2] . **والثالث** : بمعنى الأبرار فى الآخرة لقوله فى الرسالة المذكورة : «أيها الذين هم بقوة الله وبالإيمان محفوظون للخلاص المعد»[3] . والمراد فى هذا الفص هو المعنى الأول الظاهر .

المسألة الثانية : من أى شىء صار هذا الخلاص ؟ **والجواب** : أن الشىء الذى صار منه الخلاص جاء فى الكتب الإلهية على أربعة أنحاء . **النحو الأول** : من الخطأ الذى تقدمت أقسامه ، وإليه أشار الملاك ليوسف بقوله : «وهو يخلص شعبه من خطاياهم»[4] . **والنحو الثانى** : من الفساد

---

(١) أف ٢ : ٦ و ٧

(٢) ١ بط ١ : ١٠

(٣) ١ بط ١ : ٥

(٤) مت ١ : ٢١

والدثور[(١)] المقابل للبقاء ، وإليه أشار بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين بقوله : «ولكنه دخل نفسه بيت المقدس مرة واحدة ونال الخلاص الأبدى»[(٢)] . **والنحو الثالث** : من الموت الطبيعى ، وإليه أشار بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفَسُس : «بالنعمة أنتم مخلصون وأقامنا معه وأجلسنا عنده فى السماء»[(٣)] . **النحو الرابع** : من عقوبة الأشرار فى الآخرة ، وعنه ذكر بولس فى الرسالة المذكورة : «هذا الذى نلنا الخلاص بدمه غفرانا لذنوبنا»[(٤)] .

المسألة الثالثة : كيف جعل إسقاط الشيطان علة لمصير **الخلاص والقوة والملكة لإلهنا** ، وهل لم تكن له هذه من قبل ، بل كان بغير خلاص ولا قوة ولا مملكة ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كثيرا . **والجواب** : إن كل من استعاد قوة كان أطلقها فقد صارت إليه وعادت له . ومن المعلوم أن تردد الشيطان على السماء وتمكنه من الشكوى نهارا وليلا على البشر إنما هما بإطلاق إلهى . ولا شك أن للشيطان بهاتين الحالتين ، وهما التردد والاستيلاء ، قوة وولاية ليستا له بذاته ، بل بإطلاق إلهى ، كما يشهد به سفر أيوب نصا بيّنا . وعند سقطة الشيطان هذه ، سلب الله منه هذه القوة وهذا الاستيلاء . فإلى ذلك أشارت الرؤيا بأن القوة والملكة صارتا لله ، ولم تعن أن هذه القوة هى القوة الإلهية الكلية ، ولا أن هذه المملكة هى المملكة الإلهية العظمى ، بل قوة واستعادة ما كان قد أطلقه الله للشيطان . وأما الخلاص الذى صار لإلهنا ، فهو خلاص البشر من **نم الشيطان عليهم نهارا وليلا أمام الله** : أما نمّه على الأبرار فلكى يدخلهم الله فى التجارب ليقنطوا[(٥)] ، وأما

(١) هلاك ، بوار ، اضمحلال .
(٢) عب ٩ : ١٢ و ١٣
(٣) أف ٢ : ٥ و ٦
(٤) أف ١ : ٧
(٥) ييأسوا .

الأشرار فبالتجاوز عن بعض أفعالهم معجلا ليكفروا . وقد تقدم فى الفص السابع والخمسين عندما بوّق الملاك السابع مثل هذه التسبحة ونظيرها ، فإن الإشارة فى تلك إلى بطلان ممالك العالم وملوكها ، والإشارة هنا إلى بطلان تردد الشيطان على السماء وبطلان نميمته .

المسألة الرابعة : ما هو السلطان الذى صار لمسيحه الآن ، وهو القائل بعد قيامته من الأموات «أعطيت كل سلطان فى السماء والأرض»[(١)] ؟

والجواب : أن هذا السلطان الذى صار لمسيحه الآن هو سلب القوة والاستيلاء اللذين كانا للشيطان كما تقدم بيانه . ولم يقصد هنا سلطان السموات والأرض المعطى للابن بما هو إنسان ، فاعلم ذلك .

المسألة الخامسة : لِمَ يقبل الله تعالى نم الشيطان على البشر مع علمه بشَرّ سريرته ؟ والذى يظهر من جواب هذه المسألة المستغلقة ، هو ما أجاب به بولس فى ذلك بقوله : «إذ لابد من البدع فيما بينكم ليظهر فيكم المزكّون»[(٢)] . ولمعترض أن يقول : أنتم ادعيتم أن سقطة الشيطان الثانية إنما كانت من الوقوف أمام الله ، فكيف قال بعد ذلك هنا : ينم أمام الله النهار والليل ؟ فنجيبه بأن الجهات وهى الفوق والتحت واليمنة واليسرة والقدام والخلف والقرب والبعد والغيبة والحضور وما يجرى مجرى ذلك ، إنما يكون فى الحقيقة لأجسام ، إذ كل ذلك من لوازم المكان الذى هو من لوازم الأجسام . أما المجردات تجريدا عن المادة فليس لها شيء من هذا . ولعل للمجردات معان خاصة نسبتها إليها نسبة المكان إلى الجسم ، ولذلك عبّرت عنها الكتب بهذه التشبيهات المحسوسة ، ليُتصوّر ما يُفهم منها . وأما الفرق بين «أمام» الأولى التى سقط منها الشيطان ، وبين «أمام» الثانية التى أشير إليها هنا ، فهو كالفرق بين قول جبرائيل الملاك لزكريا الكاهن كم جاء فى بشارة لوقا الرسول :

---

(١) مت ٢٨ : ١٨ (٢) ١ كو ١١ : ١٩

«أنا هو غبريال الواقف أمام الله أرسِلت لأخاطبك بهذا»[(١)] ، وما جاء فى نفس البشارة عن زكريا المذكور : «فبينما هو يكهن فى أيام خدمته أمام الرب»[(٢)] . فإن «أمام» الأولى فى السماء ، والثانية فى الأرض . وتقدير قوله : «المشتكى على إخوتنا» ، أى النمام عليهم .

قوله : «لأنهم غلبوه بدم الحَمَل وبدم شهادتهم لأنهم لم يحبوا أنفسهم إلى الموت» ، إن الشهداء والأبرار غلبوا الشيطان خزاه الله . ومعنى هذا الغُلب إنهم لا يطيعونه ، بل يصممون على معاندته ومعصيته والكفر به وبأعماله ، والصبر على التجارب والعقاب الشديد ، وبالجملة المثابرة إلى الموت . وإنما استمدوا هذه القوة من قوة سيد الكل الذى بدأ بفعل ذلك إلى أن أريق دمه الزكى وهو صابر صامت كالحَمَل أمام الجزار . والوجود شاهد بذلك ، فإن العتيقة كلها ظهر فيها أربعة شهداء جاهدوا على الإيمان ، هم : الفتية الثلاثة ودانيال النبى ، ولم يبلغوا إلى الموت ، بل أدرِكوا بالعناية الإلهية وخلصوا ، فهم بهذا الاعتبار فى طبقة المعترفين لا الشهداء الذين كملت شهادتهم . فأما الحديثة ، فمنذ إيمان أهلها بسيد الكل ، فإن شهداءها المجاهدين على الإيمان به لم يحبوا أنفسهم أو يشفقوا عليها من الآلام ، بل جاهدوا حتى الدم ، وصابروا إلى الموت ، ألوف ألوف وربوات ربوات لا تعد ولا تحصى . فهل هذا إلا لقوة **جُدد فيضها عليهم** وسرت منه إليهم . فغلبتهم على الشيطان **بدم الحَمَل** هى باستفادة القوة منه [من الحمل] والاقتداء به . وغلبتهم عليه **بدم شهادتهم** لأنهم لم يطيعوه [الشيطان] إلى أن أريقت دماؤهم ، شهادة لهم بقهره ، وإنهم لم يُقهروا له ، وشهادة لهم عند الله بجهادهم على الإيمان به وحفظ وصاياه .

قوله : «من أجل هذا افرحى أيتها السموات والويل للأرض والبحر لأن الشيطان نزل إليكما وبه غضب عظيم وهو يعلم أن له زمانا قليلا» ، ليست

(١) لو ١ : ١٩ (٢) لو ١ : ٨

السموات على مذهب الشرعيين ممن تَعقِل فتفرح ، كما أن الأرض والبحر ليسا ممن يعقل فيحزن . ولذلك كان المراد أهل السماء ، وأهل الأرض ، وأهل جزائر البحر والسالكين فيه ، على طريق حذف المضاف للعلم به ، كما قال : «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها»[١] ، وإنما أراد أهل أورشليم قتلة الأنبياء وراجمى المرسلين . **وفرح** أهل السموات هو من أجل سقوط الشيطان عنهم ، وأعطى **والويل لأهل الأرض والبحر** لنزول الشيطان إليهم ، وقد تقدم تفسير الويل فى الفص الثالث والأربعين . وعِظَم غضب الشيطان هو لأجل إسقاطه ، وقد كان مساق القول يقتضى أن يقول : والويل للأرض والبحر لأن الشيطان نزل إليهما . فعدل إلى توجيه الخطاب بالكاف فقال **إليكما** للعناية وتخصيص الإشارة بضمير الحاضر فإنه أعرَف من غيره وأرفع للاشتباه والريبة وأبلغ فى العبارة . ثم ذكر إن الشيطان يعرف أن الذى بقى له زمن قليل ثم يُسجن فى العمق مغلولا مقيدا بالأمر الإلهى ، بحيث يُمنع من التصرف والجَوَلان كما كان . أما نهاية الوقت الذى بقى له فقُدِّرت بثلاث سنين ونصف ، وذلك مدة الدولة الدجالية ، فكأنه استنسل[٢] فبالغ فى الجهاد والاجتهاد وإغراء الدجال وآله ببقية المؤمنين .

✠ ✟ ✠

٦١- (١٣) فلما رأى التنين أنه قد طُرِح إلى الأرض أسرع خلف المرأة التى ولدت الابن الذكر (١٤) فأعطيت جناحان عظيمان مثل جناحى نسر لتمضى إلى البرية إلى الموضع الذى تُرَبَّى فيه زمانا وزمانين ونصف زمان من وجه الثعبان (١٥) والتنين ألقى من فمه مثل

(١) مت ٢٣ : ٣٧

(٢) انتفش كالريش ، قام ، نهض .

نهر ماء خلف المرأة (١٦) والأرض فتحت فاها وابتلعت نهر الماء الذى ألقاه التنين خلف المرأة (١٧) فغضب التنين على المرأة ومضى وحارب بقية زرعها[١] الذين يحفظون وصايا الله وشهادة يسوع .

هذا هو الدليل الثانى على سقطة الشيطان الثالثة . وقال فى الفص السابق إنه نزل بغضب عظيم لأجل إسقاطه من السماء إلى الأرض ، وحينئذ يثير الدجال ويخدم دولته لينفذ به مقاصده ، ويحرضه على زرع المرأة وطلبهم ، فإما أن يطيعوه ويؤمنوا به ، وإما أن يهلكهم . وعند ذلك ينقسم القوم فرقتين : فرقة تختار الهرب والبعد ، وفرقة تختار الإقامة والصبر والثبات لقبول الشهادة . فأما الفرقة الأولى ، وهى الأكثر ، فيوعز الشيطان إلى الدجال بأن يتعبها ويتبعها بخيله ورجله[٢] إلى كل مكان من المدائن والقرى والبرارى والقفار والجبال والكهوف والمغاير والشقوق وجزائر البحر وكل جهة ، وهذا معنى قوله : «فلما رأى التنين أنه قد طُرِح إلى الأرض أسرع خلف المرأة التى ولدت الابن الذكر» ، وقد سبق لك أن المرأة هى المعمودية فإنها صفة قائمة بأبنائها ، فما لحق بهم فهو لاحق بها وبالعكس . فإسراع الشيطان خلفها فهو بواسطة الدجال المرسل جيوشه لتطلب الفرقة الهاربة ، وأطلق اللفظ عاما على المرأة لكون الفرقة الهاربة هى الأكثر ، ووصفه للمرأة بأنها **التى ولدت الابن الذكر** ليوضح بأنها هى المرأة السالف ذكرها .

قوله : «فأعطيت جناحان عظيمان مثل جناحى نسر لتمضى إلى البرية إلى الموضع الذى تُرَبَّى فيه زمانا وزمانين ونصف زمان من وجه الثعبان» ، أما **الجناحان العظيمان** فرمز على القوة الموهوبة لهذه الفرقة من الله تعالى ،

(١) نسلها .

(٢) بفرسانه ومشاته .

والإعانة على الهرب بسرعة من وجه الثعبان الذى هو الشيطان ، ولهذا وصفهما بأنهما **عظيمان** ، وكذلك قال أشعياء : «ويرفعون أجنحة كالنسور»[١] . وشبههما **بجناحى نسر** لأن هذا الطائر على عظَم حجمه سريع التحليق والانقضاض وحركة الطيران لفرط قوته وحدّته . وإيبوليطس أوّل ، أى فسر ، **الجناحين** بأنهما الرجاء والمحبة . **والبرية** أراد بها غير المعمور ، كى لا يعرفها الدجال فيقصدها . **والموضع الذى تُربّى فيه** هو حيث إقامة الفرقة الهاربة . وأما **الزمان** فرمز على سنة واحدة **والزمانان** على سنتين ، ولفظ التثنية فى اللغة القبطية قد يكون مخصصا وهو المقترن به لفظ اثنين ، وقد يكون مرسلا بلفظ الجمع ، لأن التثنية عندهم من جملة الجمع ، لكن القرينة خَصصت الدلالة على التثنية ، لأن مدة دولة الدجال تقدر بثلاث سنين ونصف ، وقد تقدم إحصاء أيامها وشهورها فى الفص الثانى والفص التاسع والعشرين ، فتعيّن حساب سنيها ، وأما **نصف زمان** فرمز على نصف سنة . وأما قوله : «من وجه الثعبان» ، أى يبتعدون عن الشيطان ويخفُون عن علمه ويُحجبون عن معرفته بالقدرة الإلهية . ولذلك يزداد غضبه ويلجأ إلى البحث عنهم والتفتيش عليهم بنفسه ، وبغيره من جيوش الدجال وأعوانه وحشود دولته .

قوله : «والتنين ألقى من فمه مثل نهر ماء خلف المرأة» ، **الإلقاء** يعود على جيوش الدجال وأعوانه وحشود دولته ، وتمثيلهم **بنهر ماء** لأربعة أوجه : لكثرتعم والتئامهم وسرعتهم وحسن سيرهم ، فإن أشعياء يقول فى وصف عسكر بختنصر : «ويسمع صوته كالبحر» ، وتسربهم إلى كل مكان ظاهر وخفى كتسرب نهر الماء فى كل مكان يغشاه ، ويَعُمّ ، لا يغادر بقعة يدركها قلّت أو جلت[٢] . وأما **إلقاؤه النهر من فمه** فرمز على تسييرهم بكلمة فيه[٣] ووسوسته وأمره وتقدمه بذلك .

---

(١) أش . ٤٠ : ٣١ (٢) عظمت . (٣) فمه .

قوله : «والأرض فتحت فاها وابتلعت نهر الماء الذى ألقاه التنين خلف المرأة» ، ابتلاع الأرض للجيوش المسَيّرين يحتمل معنيين ، **أحدهما** : أن يكون على ظاهره ، فيجرى لهم كما جرى لبنى قورح حين انفتحت الأرض فهبطوا إلى أعماقها وانطبقت عليهم . **والآخر** : أن يتأوّل ، فيكون بلعها لهم هو تيههم فيها وضلالهم عن مقصدهم ، وهذا مذهب إيبوليطس . ولعل الأول أرجح ، إذ يجوز أن ينصرف على الظاهر ، بدليل قوله : «فغضب التنين على المرأة ومضى وحارب بقية زرعها الذين يحفظون وصايا الله وشهادة يسوع» ، هذه الفرقة الثانية التى تختار الثبات وقبول الشهادة ، بدليل قوله : « بقية زرعها » . وذكره إنهم **يحفظون وصايا الله** يريد إنهم يحفظونها ، لا بالدراسة فقط ولكن بالعمل ، وحفظهم **شهادة يسوع** بأن يتشبهوا به فى الصبر والجهاد على الحق وقبول الشهادة . وهذا دليل على أن هذه الفرقة أقوى نفوسا من الفرقة الأولى ، وأشد شجاعة وثباتا ، وأثبت إيمانا وطاعة . ولو كان ثباتهم وعدم هربهم لأجل عناهم وشفقتهم على أموالهم ، كما قال إيبوليطس ، لما ثبتوا لهذه الشدائد .

الأصحاح الثالث عشر

الفصل الثالث عشر

٦٢- (١) ووقفت على رمل البحر فرأيت وحشا صاعدا من البحر عليه عشرة قرون وسبع رؤوس وعلى قرونه أربعة تيجان واسم تجديف

مكتوب على رؤوسه (٢) والوحش الذى نظرت إليه كان يشبه دبا ورجلاه مثل رجلى اللبؤة وفمه يشبه فم أسد والتنين أعطاه قوته وكرسيه وسلطانا عظيما (٣) وكان جرح فى رؤوسه مثل جرح الموت وضربة موته شفيت فتعجبت الأرض كلها من الوحش (٤) وسجدوا للوحش قائلين من يشبه هذا الوحش أو له استطاعة أن يتحارب معه .

هذا الفص عن أوصاف الدجال ودولته وأفعاله وأعوانه وما يتعلق بذلك .

قوله : «ووقفت على رمل البحر فرأيت وحشا صاعدا من البحر» ، الرسول صاحب الرؤيا يشير هنا إلى نفسه إنه واقف على رمل البحر . والبحر يجوز أن يكون رمزا على العالم ، والرمل رمزا على جانب منه ؛ وكذلك قال دانيال النبى فى رؤياه : «كنت واقفا على شاطىء البحر»[1] ، وأراد جانبا من العالم . ويجوز أن يكون المراد الظاهر من غير رمز ، فيكون إتيان الدجال من مكان فى البحر وهو جزيرة من الجزائر ، وهذا هو الأرجح بدليلين ، **أحدهما** : إنه قال فى الوحش الآخر ، فى الفص الرابع والستين ، بأنه صعد من الأرض ، أى من جهة فى البر غسر مجاوزة فى البحر ، ففهمنا من ذلك ما ذكرناه . **والثانى** : إنه الظاهر ، ولا مانع من حمل اللفظ عليه ، ولا ترجيح فى تأويله . فأما الوحش الصاعد من البحر فرمز به إلى الدجال . وأما أى نوع هو هذا الوحش ، فليس بنوع من الأنواع الحاصلة فى الوجود ، بل هو نوع مركب منها .

(١) دا ٨ : ٢

قوله : «عليه عشرة قرون وسبع رؤوس وعلى قرونه أربعة تيجان واسم تجديف مكتوب على رؤوسه» قد فسرها الملاك للرسول فى الفص الثامن والثمانين الذى سيأتى ، فقال : «والعشرة القرون التى رأيتَها هى عشرة ملوك هؤلاء الذين لم يأخذوا المملكة لكن يأخذون سلطانا مثل ملوك ساعة ويتبعون الوحش ويكون لهؤلاء رأى واحد وسلطان قوتهم يسلم للوحش»[(١)] . والذى يظهر من هذا التفسير بأن الدجال عندما يُهلك السبعة الملوك يضع يده على المعمورة ، ويقيم عوضا عن البقية فى ممالكهم على ما يقتضيه رأيه وترتيبه عشرة ملوك ، وهذا معنى قوله : «هؤلاء الذين لم يأخذوا المملكة» بل استنيبوا فيها ، وإنهم يكونون غير مستقلين بالمُلك بل كالنواب عن الدجال ، بدليل قوله : «لكن يأخذون سلطانا مثل ملوك ساعة» ، أى ساعة إقامته لهم وتعظيم أنفسهم كنفوس الملوك ، ثم يتواضعون بالتبعية له مع تفويضه إصدار الأوامر ، وهذا معنى قوله : «ويكون لهؤلاء رأى واحد وسلطان قوتهم يسلم للوحش» . وذهب بعضهم إلى أن هؤلاء الملوك عشرة أمم بالساحل وهى : أهلا ، أدوم ، اسمعيل ، موآب ، اغريم ، كيال ، عمون ، عماليق ، ملاثيان ، عميوش ناصور . فأما السبعة الرؤوس فإنها سبعة ملوك لسبعة ممالك ، يدخل عليهم الدجال فيأخذ ممالكهم ويهلكهم ، والمراد باسم الملك هنا اسم جنس لا اسم شخص .

وقد قسم القدماء أهل المسكونة إلى سبع أمم لما تكلموا عن الحيوان ، فقالوا أن سكان الحار المفرط ثلاث أمم ، **أولها** : السودان ، كالزنج وزغاوة والحبش والنوبة والتكرور والنجاة وأشباههم ، وسموهم بالسود . **وثانيها** : الأدم ، كالسند والهند وما يليهم . **وثالثها** : السمر ، كالعرب أهل الحجاز واليمامة والبحرين ونجد واليمن ومَن من البادية .

(١) رؤ ١٧ : ١٢

(٢) ويعنى بهم القريبين من خط الاستواء .

وسكان البارد المفرط ثلاث أمم ، **أولها** : الحمر ، وهم الصقالبة وما يليهم . **وثانيها** : الشقر ، وهم الترك والتخبال والحور . **وثالثها** : البيض ، وهم الروم والأرمن والجرجان والآلان والكاسك . فهذه ست أمم سكان الطرفين .

والأمة السابعة سكان المعتدل[١] ، وهم من أوساط المعمورة كالقبط[٢] واليونان والعبرانيين والكرج ومَن يجرى مجراهم .

ولكل أمة من هذه السبعة مُلك يتولاه أشخاص كثروا أم قلوا ، فهذا رمز سبعة رؤوس الوحش .

وأما كيف تكون **القرون العشرة على الرؤوس السبعة** فى الرؤيا ؟ فيمكن أن يقال فى ذلك : إن ثلاثة الرؤوس فى كل منها قرنين ، وأربعة فى كل منها قرن واحد . وأما فى المعنى ، فهو ما بيّناه من تفسير الملاك لأحوالهم مع الدجال ، فكان إتيان القرون بعد الرؤوس .

وأما تقديمه القرون فى الرؤيا على الرؤوس فلوجهين ، **أحدهما** : أن القرون أول ما يبدو للنظر . **والآخر** : لقصد الإلغاز والإيهام .

وأما التيجان الأربعة التى ذكرناها على القرون ، فالتيجان يجوز أن تكون على ظاهرها بأن يتوّج الدجال من نوابه العشرة أربعة ليشرفهم بذلك ويعظم محلهم ، ويجوز أن تفسر بمعنى أن أربعة من العشرة يتميزون والستة الأخر تحت نظرهم ، فتكون التيجان رمزا على التمييز والتشريف .

وأما **اسم التجديف المكتوب على رؤوس الوحش** فهو رمز على تملّكه الممالك المذكورة ، وإشاعة اسمه فيها ، ونفاذ نهيه وأمره بها ، ونقش اسمه على الدرهم والدينار المتعامَل به ، ووسم أهل الأرض باسمه . ولذلك خصت الرؤوس بالاسم المكتوب دون القرون الذين هم نوابه . والدليل على صحة هذا التأويل قول الرؤيا بعد ذلك أن أهل الأرض كلها يسجدون للوحش ، وقولها فى

(١) تحت خط الاستواء ، التوسط ، نصف الكرة . (٢) المصريين .

الفص الثالث والستين : «وأُعطى سلطانا على جميع القبائل وكل الألسن وكل الشعوب وسجد له كل السكان على الأرض الذين لم تُكتب أسماؤهم فى سفر الحيوة»[١] .

قوله : «والوحش الذى نظرت إليه كان يشبه دبا» ، الدب فى رؤيا دانيال رُمز به على مملكة «ماه» ، وهى مملكة الأكراد . وإنما رُمز عليها بذلك لأن الدب غليظ الجلد غزير الشعر بعيد الغور[٢] كثير الحيلة والخديعة ، وهذه صفة الماهيين ، فإن شعورهم غزيرة فى رؤوسهم ولحاهم وأبدانهم وفيهم مهانة[٣] ، وفى أخلاقهم الخبث والحيلة ، كما أن الغدر من طباعهم . فرمز به على الدجال لأن هذا شكله وهذه صفاته وأخلاقه . وأما جواز كونه من جنس الماهيين ففيه نظر لما يقال : إنه من العبرانيين ، وذكر فى الكتاب المنسوب إلى أكليمنضس : إنه يكون من سبط دان ، وأن مولده كورزين ، ومَرباه صيدا ، ويملك فى كفر ناحوم ، ويجلس فى أورشليم .

أما قوله : «ورجلاه مثل رجلى اللبؤة» ، فلأن اللبؤة فى الحرب أثبت من الأسد وأعظم جرأة ، لا سيما إن كان لها جراء [أى أشبال] ، فلهذا شبه رجلى هذا الوحش برجلى لبؤة ، وهذه تحتها رموز ، فإنها تدل من أخلاقه على ثباته فى الحرب وقوة بأسه ، وتدل على جنده وأنهم ثابتون أيضا لا يفرون ولا ينهزمون إذا دارت الحرب عليهم ، وهذا الرمز جاء مثله فى الدابة الرابعة التى رآها دانيال على مملكة اليونانيين ، وهى «غلاثى النغر» ، فقال : «ولها أسنان كبار حديد تأكل وتدق وما تبقى تدوسه برجليها»[٤] ، وفُسّرت رجلاها بجند الإسكندر الذين بهم حطم الأمم ونهب أموالهم وداس بهم الشجر والنبات واصطلم[٥] خصبها .

(١) رؤ ١٣ : ٧ و ٨ (٢) عميق الضمير سيئهُ .

(٣) احتقار ، دناءة ، عدم اعتبار . (٤) دا ٧ : ٧ (٥) استأصل ، قلع ، أباد .

قولـه : «وفمـه يشـبه فـم أسـد» ، والرمـز بذلك عـلى صفـتين ، **إحداهما** : لجرأته وقوته ، فشبهه بفم الأسد لأن فيه هذه الصفات ، لأنه لما قال أولا أنه يشبه دبا ، وكانت شجاعة الدب دون شجاعة الأسد ، عرفنا بهذا الرمز ما في الدجال من بسالة باطنة وشجاعة كامنة ، وإن كان ظاهره وقورا هادئا سـاكنا لخبثه . **والأخرى** : تجديفه على خالقه وعلى السماء وسكانها كما سيقول فى الفص الثالث والستين أنه : «أُعطى فما أن يقول تجديفات عظيمة»[١] ، ومن خواص الأسد زفرة فمه ونتنه لبخره ، فرمز به على ذلك .

قوله : «والتنين أعطاه قوته وكرسيه وسلطانا عظيما» ، قد عُلم أن **التنين** هو الشيطان ، **وقوته** يريد بها الاقتدار على عمل الآيات التى يضل بها العالم ، وأنه يتفوّه بالتجديف العظيم . **وكرسيه** رمز به على رئاسته على العالم ، لأن سـيد الكل قال : «إن الشيطان رئيس هذا العالم»[٢] ، وفى التجـربة قال إن الشيطان أراه ممالك العالم وقـال هذه كلها لى[٣] وأن الكل يسجدون له خـلا من أثبت اسـمه فى سـفر الحيوة . وأنه يقاتل القديـسين ويغلبهم . **والسلطان العظيم** هو نفـاذ الأمـر وأن يحـارب مـدة مملكته . وهذا دليل على أن الشيطان هو المتولى لهذه الدولة الظالمة المظلمة كما قلنا سابقا .

قوله : «وكان جرح فى رؤوسه مثل جرح الموت وضربة موته شفيت» ، النص القبطى يعنى أن الجرح المشار إليه فى رؤوسه ، والنص اليونانى : فى أحد رؤوسه ، والمعنى واحد لأن ما كان فى بعض أجزاء الجملة فهو فى الجملة . وقد بقى أن نبحث عن هذا الجرح والرأس التى هو فيها ، وقد ذهب إيبوليطس إلى أن الجـرح إشـارة إلى احتقار كثيرين للدجال ورذلهم له فى بادى أمـره .

---

(١) رؤ ١٣ : ٥ (٢) يو ١٢ : ٣١
(٣) مت ٤ : ٨

والرأس بأنها مملكته ، وأن احتقاره وعدم طاعته وهن[١] فيها ووصمة[٢] ، وذلك كالجرح . وأن شفاءه بعودتهم إلى طاعته عند عمل الآيات المضلة من تخيل إقامة الموتى ونطق الأصنام إلى غير ذلك .

وإذا فسرناه على ظاهره ، فالدجال أحد الرؤوس والجرح فى رأسه يجوز أن يكون إصابة فى بادىء أمره فى بعض حروب الممالك التى افتتحها واستولى عليها ، والصواب هو هذا بعدة أدلة ، **الأول** : فى الفص الرابع والستين قال : «للوحش الأول الذى برأ جرح موته»[٣] ، فقد صرّح بأنه جرح يقتضى الموت ، ومعصية أهل جهة من جهات المُلك لا يقتضى موت المَلك ، وإنما يقتضى نقص حرمته وضعف كلمته . **الثانى** : قال فى الفص المذكور : «الوحش الذى فيه ضربة السيف وعاش»[٤] ، وهذا تصريح بأن الجرح فى رأس الدجال وأنه ضربة سيف ، ، ويلزم أن يكون جرحا قطع إلى الحاجب ، بل بلغ إلى الدماغ ، وهذا مما لا يرجى برؤه ، لذلك حصل التعجب من برئه وكون صاحبه عاش . **الثالث** : على أن الجرح إصابة فى الحرب ، وقول أهل الأرض : «من يشبه هذا الوحش أو له استطاعة أن يتحارب معه» . **الرابع** : إنه حمل اللفظ على ظاهره ، ولا مانع منه ولا ضرورة فى تأويله ، فهذا هو الحق .

قوله : «فتعجبت الأرض كلها من الوحش وسجدوا للوحش قائلين من يشبه هذا الوحش أو له استطاعة أن يتحارب معه» ، **تعجبوا من برئه** وظنوه لصعوبته آية له ، فلذلك **سجدوا له** تعظيما وإجلالا . وقولهم **من يشبه هذا الوحش** تعجبا من برئه **أو له استطاعة أن يتحارب معه** تعجبا من شجاعته وبأسه وصبره .

(١) ضعف فى الأمر والعمل والبدن والقوى .

(٢) العيب ، القبيح ، الصدع فى الشرف ، وصمة العار أى عقدته .

(٣) رؤ ١٣ : ١٢

(٤) رؤ ١٣ : ١٤

٦٣- (٥) ثم أُعطى فما أن يقول تجديفات عظيمة وأُعطى سلطانا أن يحارب اثنين وأربعين شهرا (٦) وفتح فمه ليجدف على الله ويفترى على اسمه ومظلته وعلى الساكنين فى السماء (٧) وأُعطى أن يقاتل القديسين ويغلبهم وأُعطى سلطانا على جميع القبائل وكل الألسن وكل الشعوب (٨) وسجد له كل السكان على الأرض الذين لم تُكتب أسماؤهم فى سفر الحيوة الذى للحَمَل الذى قُتل منذ إنشاء العالم (٩) من له أذنان أن يسمع فليسمع (١٠) من يمضى للسبى فليمض ومن يَقتل بالسيف فسيُقتل بالسيف ومن له صبر وأمانة القديسين فطوباه .

هذه تتمة الفص المتقدم ، لأنه لما قال عن الوحش أنه يشبه الدب وفمه يشبه الأسد ورجلاه كرجلى لبؤة وله رؤوس وقرون ، أراد أن يعرفنا بأنه رَمَزَ على ناطق ليزيل عنا ظن البهيمية فيه ، فقال : «ثم أُعطى فما أن يقول تجديفات عظيمة» ، فذكر أن الشيطان أعطاها له حيث لقّنه التجديفات العظيمة ، فنطق بها من غير خوف من جبار السموات ولا حياء من خليقته .

قوله : «وأعطى سلطانا أن يحارب اثنين وأربعين شهرا» ، أعطاه الشيطان أن لا يُبطل الحرب من العالم مدة دولته ، وهى اثنين وأربعين شهرا فى كل جهة وقُطر .

قوله : «وفتح فمه ليجدف على الله ويفترى على اسمه ومظلته وعلى الساكنين فى السماء»(١) ، وهذا تفصيل لما ذُكر من تجديفه أولا . فأما **تجديفه على الله تعالى** فهو تعرضه بوقاحة للكلام فى الذات الإلهية بما لا ينبغى قوله . وأما **افتراؤه على اسم الله القدوس** فهو ما يتفوّه به من سبّه تعالى عن ذلك . وأما **افتراؤه على مظلته وعلى الساكنين فى السماء** فلعله يريد بمظلته المركبة ، وأما سكان السماء فالملائكة . وبذلك كملت إساءته إلى خالقه وخلائقه السمائيين والأرضيين . فمن لا قدرة له عليه أطلق لسانه بسبه ، ومن قدر عليه تعدى بفعله عليه .

قوله : «وأُعطى أن يقاتل القديسين ويغلبهم» ، وهو الأثر الثالث من آثار رئاسة الشيطان التى أعطاها له ، وفيه دلالة على أن القديسين لا يطيعونه ولا يستسلمون إليه ، بل يناصبونه ويقاتلونه ويكافحون جيوشه ، غير أنه ينتصر عليهم ويغلبهم ، فمنهم من يُهزم ومنهم من يظفر به فيقتله أو يسبيه .

قوله : «وأُعطى سلطانا على جميع القبائل وكل الألسن وكل الشعوب» ، يدل على تعميم مملكته وانتشار سلطانه ، وإبطال لرأى مَن ذهب مِن المفسرين إلى أنه إنما يملك مملكة الكلدانيين والروم والفرس .

قوله : «وسجد له كل السكان على الأرض الذين لم تُكتب أسماؤهم فى سفر الحيوة الذى للحَمَل الذى قُتل منذ إنشاء العالم» ، وهذا أيضا من آثار الرئاسة التى أعطاها له الشيطان ، وفيه دليل على تعميم مُلكه وبطلان الرأى المتقدم ذكره . وقد مضى تفسيرنا **لسفر الحيوة الذى للحَمَل** فى الفص

(١) [حاشية أصلية] وكذلك تنبأ بطرس الرسول فى رسالته الثانية عن أرباب البدع الذى هذا آخرهم وأعظمهم أنهم يهينون الربوبية ولا يردعون ، وقدامه يجدفون ، وعلى موضع الملائكة يفترون (٢ بط ٢ : ١٠) .

الخامس عشر . **والسفر** هو الذى وصفه بأنه **قبل إنشاء العالم** موجود عند الآب حتى سُلِّم للحَمَل ، وقد تقدم الكلام عليه فى الفص الرابع والعشرين . والمراد أن سكان الأرض قاطبة تسجد له وتطيعه خلا المؤمنين الثابتة أسماؤهم فى سفر الحيوة ، أى المعلوم فوزهم من فتنته ، فإنهم لا يطيعونه . وهذه الحوادث المنكَرة كلها : الإجماع منعقد على أنها إنما تحدث بإمهال من الله تعالى ، وتخلية يمكن معها وقوعها من جهة الشيطان ، وذلك من فروع مسألة القضاء والقدر . ولبسط القول وتفصيله لتحقيق هذا الرأى ، وهو التخلية والإمهال ، مكان آخر غير ما نحن فيه من تفسير هذه الفصوص وحلها .

قوله : «من له أذنان أن يسمع فليسمع» ، أى فليتحقق عنده هذا الأمر ، فهذا مقصد القول . وقد تقدم تفسير معناه فى الفص الحادى عشر .

وكذلك قوله : « من يمضى للسبى فليمض ومن يَقتل بالسيف فسيُقتل بالسيف» ، أى من كان له صبر على قبول الشهادة وإلا فليلجأ إلى الهرب ، وكلا الفريقين سعيد الآخرة ، ولذلك قال : «ومن له صبر وأمانة القديسين فطوباه» ، وهو معنى قول الإنجيل : «من يصبر إلى المنتهى يخلص»[١] .

✠ ✝ ✠

٦٤- (١١) ورأيت وحشا آخر صاعدا من الأرض وعليه قرنان يشبهان قرنى حَمَل وهو ينطق مثل تنين (١٢) وسلطانه كله أعطاه للوحش الأول وكان يجعله أمامه فجعل الأرض كلها والسكان فيها يسجدون للوحش الأول الذى برأ جرح موته (١٣) وكان يصنع آيات أمامه حتى جعل نارا تنزل من السماء على الأرض أمام الناس

(١) مت ١٠ : ٢٢ ، ٢٤ : ١٣ ؛ مر ١٣ : ١٣

(١٤) ويضل السكان على الأرض بالآيات التى أُعطى أن يعملها أمام الوحش ويقول لسكان الأرض أن يعملوا صورة الوحش الذى فيه ضربة السيف وعاش (١٥) وأُعطى أن يجعل روحا فى صورة الوحش وأن يُقتل الذين لا يشاؤون السجود للوحش وصورته (١٦) ويسم الصغار كلهم والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد فى يدهم اليمنى وجبهتهم (١٧) كى لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من كان رسم الوحش عليه أو اسمه أو عدد اسمه (١٨) والحكمة فى هذا الموضع من له قلب فليحسب عدد الوحش لأنه عدد إنسان وعدده ستمائة وستة وستون .

إن موقف الرسول على رمل البحر موقف واحد رأى فيه الوحشين - فالأول هو الوحش الصاعد من البحر ، والثانى هو هذا الوحش ، ولهذا عطف فقال : «ورأيت وحشا آخر صاعدا من الأرض» . وقول إيبوليطس أنه يأتى قبل الدجال ، يدل هذا الفص على ضده ، وهو إتيانه بعده . ولم يذكر الرسول نوع هذا الوحش بل قال **وحشا آخر** وقد يكون من نوع كبش الجبل وقرناه كقرنى حَمَل ، لأن الوحش المقرّن دون الوحش المفترس فى الشجاعة والبأس ، ولذلك شبّه الدجال بدب ، وهذا الوحش مقرّن . **والصعود** يريد به الظهور أولا هنا ، لأن الوحشين كلاهما مخفيان ، فيظهران : الأول من البحر والثانى من البر .

والرمز بهذا الوحش على متنبىء كذاب يقوم أمام الدجال فيتنبأ باسمه ، كأن ذاك إله بزعمه وهذا نبى من جهته وبين يديه ، كما قال بولس الرسول : «وليس عجبا لأن الشيطان هو أيضا يتبدل بشبه ملاك نورانى فليس هو أيضا عظيم إن كانوا خدامه يتبدلون بشبه خدام الحق»[(١)] .

(١) ٢ كو ١١ : ١٤ و ١٥

قوله : «وعليه قرنان يشبهان قرنى حَمَل» ، الرمز بالقرنين قد جاء فى رؤيا دانيال عندما رأى كبشا وله قرنان[1] ، وفُسر القرنان بأنهما مملكتان : مملكة الماهيين ومملكة الفرس . وقد فسرهما إيبوليطس بأنهما الناموس والأنبياء ، وقال إنهما رمز على تظاهر هذا الوحش بالوداعة وداخله ذئب خاطف .

ويبطل قوله هذا من ثلاثة أوجه فى تأويل القرنين ، **الوجه الأول** : ليس لهذا الوحش مملكة مستقلة . **الوجه الثانى** : ليس له ناموس ولا أنبياء مما يضل بهما الناس . **الوجه الثالث** : إنه ضعيف ، والذى أراه فى القرنين سلاح به يتمكن من القهر . فلذلك رمز بهما على أمرين قهر بهما الوحش الناس على إطاعة الدجال وأحد القرنين رمز على القهر بالآيات الخارقة التى يقدر على فعلها ، والقرن الآخر رمز على قهر الناس بالسلطان وهو أن يقتل الذين لم يسجدوا للوحش .

قوله : «وهو ينطق مثل تنين» ، من المعلوم أن التنين لا يتكلم . فما هو وجه الشبه به فى النطق ؟ فى ذلك وجهان ، **أحدهما** : إنه ينطق ويغضب وينفخ ، فحاله عند نطقه كحال التنين عند نفخه ، وهذا وجه المشابهة العامة . **والوجه الآخر** : أن يتكلم مع الناس بخدع ومكر كما نطق التنين مع حواء .

قوله : «وسلطانه كله أعطاه للوحش الأول» ، أى غاية قصده فى تسلطه على قهر الناس بالطريقين المذكورين : أن يجلب العالم لطاعة الوحش الأول البحرى والتعبد له والسجود لصورته ، فغاية سلطانه حينئذ يؤول إلى الوحش .

قوله : «وكان يجعله أمامه» ، الضمير يستتر فى لفظة **كان** والهاء متصلة بقوله **يجعله** عائدان على الوحش البحرى ، أى أن الوحش الأول البحرى

(١) دا ٨ : ٣

يجعل الوحش الثانى أمامه ليستعبد الناس ويقهرهم على السجود له ، وهذا معنى قوله : «فجعل الأرض كلها والسكان فيها يسجدون للوحش الأول الذى برأ جرح موته» ، ووصفه بأنه الذى برىء جرح موته ليميزه عن الوحش الثانى . وقد تقدم القول إن المراد **بالأرض** فى مثل هذا الموضع أهل الأرض . فكيف قال هنا إن الأرض والسكان فيها يسجدون له ، هل الأرض تسجد ؟ وإن كان المراد أهل الأرض ، فما الحاجة إلى العطف على أهل الأرض بسكانها ، وهل يعطف الشىء على نفسه ؟ **والجواب** : إن ذلك جائز فى المخاطبات وغيرها إذا اختلف اللفظ على سبيل الترادف لتمكين القول وتثبيته ، كما يقال : خرج العالم والناس ، والعالم هم الناس ، وشاع ذلك لما اختلف اللفظ .

قوله : «وكان يصنع آيات أمامه» ، الفاعل المضمر هنا هو الوحش الثانى . والنظر فى هذه الآيات التى يصنعها ، وهل هى حقيقية فى نفسها وجودية ، أو هى فى المخيلة التى يسميها اليونانيون فنطسة [أحلاما] أو قلب نظر ؟ فإن كثيرين من المفسرين ذهبوا إلى ذلك . والحق أن بعض الآيات التى يقدر على فعلها الشيطان تكون حقيقية وبعضها خيالية . وقد قال بولس الرسول لما تكلم عن الدجال : «وإنما مجىء ذلك بكيد الشيطان بكل القوى والآيات والأعاجيب الكاذبة»(١) ؛ فهذه الآيات قسمان : حقيقية وكاذبة ، وهى بقسميها معا كاذبة الشهادة على صدق فاعلها فى ادعائه ، وهذا معنى قول بولس الرسول : الأعاجيب الكاذبة . وهل ينبغى أن تسمى هذه الأفعال الشيطانية السحرية آيات أم لا ؟ **والجواب** : أن لفظة الآية تدل على معنيين ، **أحدهما** : عام لغوى ، وهو العلامة . **والآخر** : خاص بالنقل الشرعى . وحدّها يحسبه أنها فعل إلهى خارق للمعتاد يؤيد بها فاعلها صدق دعواه لكسب

---

(١) ٢ تس ٢ : ٩

طاعة من يدعوه أو تحقيق مصلحة ما ، فالمعتبر فى الآية بحسب هذا الحد هو الفعل الإلهى . فإطلاق الآية على الأفعال الشيطانية هو الإطلاق العام ، وهذا وجه تسمية الرؤيا لها آيات .

قوله : «حتى جعل نارا تنزل من السماء على الأرض أمام الناس» ، **حتى** هنا بمعنى **إلى أن** ، وهى تعنى أن هذا الوحش فعل آيات غير هذه لم تُذكر . وهذه هى الآية الأولى التى ذُكرت ، وكونها حقيقية لأنها نار عنصرية محرقة ، وقد فعل مثلها مع أيوب حيث أُحرِقَت ماشيته . وللروحانيين قدرة على هذا التصرف فى العناصر . وأما كونها من السماء فمجاز ، ومعناه تخيل ، لأن غرض فاعلها أن تعتقد الناس أنها من السماء ، وأن يخيفهم بذلك ويتوعدهم بأن من لا يصدق نبوته ويطيعه ويؤمن بالدجال ويسجد لصورته فسوف يحرقه بها .

قوله : «ويضل السكان على الأرض بالآيات التى أُعطى أن يعملها أمام الوحش» ، هذه الآيات يعملها الشيطان للوحش الثانى لتكون سببا فى إضلال سكان الأرض .

قوله : «ويقول لسكان الأرض أن يعملوا صورة الوحش الذى فيه ضربة السيف وعاش» ، فى هذا القول مطلبان ، **أولهما** : كيف يمكن أن يقول لسكان الأرض واجتماعهم متعذر ؟ **والمراد بالقول** قد يكون بالمشافهة ، وقد يكون بالمكاتبة ، وقد يكون بالمراسلة . **وثانيهما** : كيف يتأتى أن يعمل أهل الأرض صورة الوحش مع تباعدهم وتباين مساكنهم ؟ **والجواب** : أن الصورة هنا اسم جنس ، أى أن أهل كل جهة يعملون للوحش صنما على صورته يعبدونها . وميز الوحش بالضربة عناية وتمييزا له بأنه المخصص بالعبادة دون سواه ، وداعيا للتعجب من برئه وحياته من تلك الضربة القاتلة .

قوله : «وأعطى أن يجعل روحا فى صورة الوحش» ، هذه هى الآية الثانية ، وهى خيالية كاذبة لأن المُعتقَد فيها خلاف ما هى عليه ، إذ المُعتقَد أن الصنم صار ذا نفس عاقلة ناطقة كالنفس الإنسانية على بدنها ، ولكن الأمر خلاف ذلك ، لأن تلك التى فى الصورة روح من أعوان الشيطان ، دخل فى ذلك الصنم كالمعتاد عند الوثنيين ، وفعْل هذا الروح فى الصنم أن ينطق منه وبه . فأما حركة الأجساد وأعضائها وتصرفها بالنفس التى فيها ، فمما يعجز عنه الشيطان اللعين وأعوانه .

قوله : «ويسم الصغار كلهم والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد فى يدهم اليمنى وجبهتهم» ، هذا القول بلا شك على ظاهره . وقد فسره إيبوليطس بأن سمة اليد رمز على السجود ، وسمة الجبهة رمز على أن كل واحد يرفعه على جبهته كإكليل . وأكد الصغار بقوله **كلهم** ، أى أنه لا يترك أحد منهم لشرف والديه أو لشفاعة فيه ، بل يعمهم الوسم . والظاهر أنه إنما يسم منهم من بلغ سن التكليف[١] .

قوله : «كى لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من كان رسم الوحش عليه أو اسمه أو عدد اسمه» ، إذ لا يصح البيع والشراء إلا مع من بلغ سن التكليف ، لأنه جعل علة السمة المعاملة ، والمراد أن يكون الوسم بأحد هذه الثلاثة ، **إما بالرسم** : وهو علامة الوحش كصورته أو غير ذلك . **أو اسمه** : وهو يُعلم فى ذلك الوقت . **أو عدد اسمه** : وهو أسماء الأعداد الدالة على اسمه وهى ستمائة ستة وستون .

قوله : «والحكمة فى هذا الموضع من له قلب فليحسب عدد الوحش لأنه عدد إنسان وعدده ستمائة وستة وستون» ، وحساب العدد هو استنباط الحروف الدالة على اسم الوحش من العدد . وقوله : «لأنه عدد إنسان» ، هو احتراز

(١) الرشد ، البلوغ .

لئلا يتوهم متوهم أن الغرض هو استنباط لفظة وحش ، فقال : «لأنه عدد إنسان» . ولم يقصد أيضا لفظة إنسان بعينها ، بل اسم الوحش الذى يصح عليه أنه إنسان لا وحش فى الحقيقة . فإذا وُسم أحد بالحروف الدالة على العدد المذكور ، أدرِك منها اسم الوحش وأدرِكت الحروف منه . فأما اسم الوحش المستنبط من العدد المشار إليه ، فقد تعددت فيه آراء المفسرين ، فاستخرج إيبوليطس أربعة أسماء عدد حروفها العدد المذكور . وذكر بولس أسقف مصر المعروف بالبوشى ، فى تفسيره لهذا الموضع ، إنه وجد فى منارة الإسكندرية خمسة أسماء تدل على هذا العدد . أما الأربعة الأولى التى ذكرها إيبوليطس فيقرب تصورها ، لا سيما الاسم الرابع منها ، إلى الكلمة التى تفسيرها الشك . وأما الأربعة الأسماء التى أخبر عنها بولس البوشى فليست فى شىء من هذا المعنى ، وإن اتفق العدد فيها ؛ فإن مدلولها ليس هو هذا الوحش الصاعد من البحر ولا الصاعد من البر ، لأن هذين الوحشين إنما يأتيان فى آخر الزمان عند الانقضاء كما أخبر الإنجيل المقدس . وأما الذى رأيته فى استنباط اسم الوحش البحرى المشار إليه ، فإن محاولة استنباطه على الحقيقة غير مدرَك إلا بالوحى ، إذ كانت المستنبطات فى ذلك كثيرة . فكيف السبيل إلى معرفة ذلك الاسم من جملتها دون غيره ؟ والحكمة فى إخفاء هذا الاسم لئلا ينتحله أحد من الملوك أو من أرباب البدع ويدعى أنه ذلك الوحش .

قد ينبغى أن يتعقب هذا الفص بإحدى عشر قضية فى معنى الدجال ، ذُكرت متفرقة ولم يذكرها سفر الرؤيا ، نذكرها مرتبة ، ثم نأتيها بالنصوص الشاهدة بها ، وعليك أن تطابق بينها . **الأولى** : أن الدجال يأتى ويظهر ضرورة بحسب الأمر الإلهى . **الثانية** : ما ذكر من أسمائه وهى خمسة : الطغيان وإنسان الخطية وابن البوار والضد الكذاب والأثيم[١] . **الثالثة** : مجيئه بمكيدة

(١) ٢ تس ٢ : ٣ - ٨

الشيطان وسبب إطلاق ذلك من جهة الله تعالى. إلا الهالكين فإنهم لم يقبلوا الحق ليحيوا فأرسل عليهم مكيدة الطغيان ليصدقوا بالإفك فيعاقبوا[١] . **الرابعة** : أن جلوسه سيكون فى هيكل الله[٢] . **الخامسة** : دار ملكه أورشليم . **السادسة** : إنه متكبر . **السابعة** : إنه يدعى الإلوهية ثم الربوبية . **الثامنة** : إنه كذاب . **التاسعة** : إنه يُضل بالإثم . **العاشرة** : إنه يفعل قوى وأعاجيب وآيات كاذبة[٣] . **الحادية عشر** : أن ربنا يسوع المسيح يبيده بروح فيه[٤] ، والشاهد بها قول بولس الرسول فى الفصل الثانى من رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى لما تكلم على العبث : «لأنه لا يكون ذلك حتى يكون الطغيان أولا ويظهر إنسان الخطية ابن البوار وهو الضد الكذاب . ويستكبر على كل من يسمى إلها حتى يجلس فى هيكل الله بمنزلة الله ويخبر عن نفسه أنه الله لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يرفع من الوسط الذى يحجز ، حينئذ يظهر الأثيم الذى يبيده ربنا يسوع المسيح بروح فيه ويبطله بظهور مجيئه وإنما يجىء ذلك بمكيدة الشيطان بكل القوى والآيات والأعاجيب الكاذبة وبكل ضلالة الإثم التى تكون فى الهالكين لأنهم لم يقبلوا الحق ليحيوا به . لذلك يرسل الله عليهم مكيدة الطغيان ليصدقوا بالإفك ويعاقب جميع الذين لم يصدقوا بالقسط بل رضوا بالإثم»[٥] ، وقول بطرس فى رسالته الثانية فى أرباب البدع : «إنهم يهينون الربوبية ولا يرتعبون»[٦] .

---

(١) ٢ تس ٢ : ١٠ و ١١

(٢) ٢ تس ٢ : ٤

(٣) ٢ تس ٢ : ٩

(٤) ٢ تس ٢ : ٨

(٥) ٢ تس ٢ : ٤ - ١٣

(٦) ٢ بط ٢ : ١٠

الأصحاح الرابع عشر

الفصل الرابع عشر

٦٥- (١) ورأيت الحَمَل واقفا على جبل صهيون ومائة ألف وأربعة وأربعين ألفا معه واسمه واسم أبيه مكتوبان على جباههم (٢) وسمعت صوتا من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم والصوت الذى سمعته صوت مثل قيثارة (٣) وهم يسبحون بتسبحة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ ولم يقدر أحد أن يعلم التسبحة إلا المائة ألف والأربعة والأربعين ألفا الذين اشتُروا من الأرض (٤) وهؤلاء هم الذين لم ينجسوا ثيابهم مع امرأة لأنهم أبكار وهؤلاء هم الذين يمشون مع الحَمَل حيثما يذهب وهؤلاء الذين اشتُروا من الناس باكورة لله وللحَمَل (٥) ولم يوجد أحد كاذب فيهم لأنهم أطهار .

قوله : «ورأيت الحَمَل واقفا على جبل صهيون ومائة ألف وأربعة وأربعين ألفا معه واسمه واسم أبيه مكتوبان على جباههم» ، وقوف سيد الكل [الحَمَل] ومن معه مُشعِر ببشرى الأبرار وإنذار الفجار ، وأن وقت المجازاة قد قرب ، وأن الحرب العظيمة حانت . وتخصيص **جبل صهيون بالوقوف** لأن هناك تكون حرب اليوم العظيم . والجمع المذكور عدته هو نفوس أبرار أبكار من جملة من آمن بالمسيح من أسباط بنى إسرائيل ، وقد مضى الكلام فيهم فى

الفص الثالث والثلاثين ، وهم الذين رُسموا ، وهو معنى قوله : « **واسمه واسم أبيه مكتوبان على جباههم**» .

قوله : « وسمعت صوتا من السماء كصوت مياه كثيرة وكصوت رعد عظيم» ، سلف لنا أن السماع يريد به إدراكا خفيا ، وكونه **مثل مياه كثيرة ورعد عظيم** لأنه أصوات جمع كبير متفق فى التصويت فيشبه صوت خرير المياه وصوت الرعد العظيم .

قوله : «والصوت الذى سمعته صوت مثل قيثارة» ، قوله **مثل** مُشعر فى الحقيقة بأنه ليس صوت نورانيين ، فإذن مصدره فى الرؤيا عن أنفس بقية الأبرار ، لأنهم متشبهون فى تسابيحهم بالنورانيين الذين هم الملائكة .

قوله : «وهم يسبحون بتسبحة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ» ، هذا دليل على أن مصدر التسبحة هو أنفس الصدّيقين لأنهم شُبهوا بالملائكة . قوله إنهم **أمام الأربعة الحيوانات والشيوخ** دليل آخر على اختصاصها بنفوس البشر . وأما التسبحة فلا نعرفها إذ لم يذكرها ولا يُعلم سبب إخفائها . أما معنى قوله إنهم : «اشتُروا من الأرض» ، فقد مضى تقريره فى فص أربعة وعشرين .

قوله : «وهؤلاء هم الذين لم ينجسوا ثيابهم مع امرأة لأنهم أبكار» ، أى لم يضاجعوا امرأة حلالا ولا حراما ، وقد مضى تفسيره فى الفص الخامس عشر .

قوله : «وهؤلاء هم الذين يمشون مع الحَمَل حيثما يذهب» على ظاهره خلا لفظة **الحَمَل** فإن المراد بها سيد الكل باللغة الروحانية ، والمقصود بالقول اختصاصهم به وقربهم منه وملازمتهم له ، لأنه قال فى بشارة يوحنا : «وحيث أكون أنا هناك يكون خادمى»[١] .

(١) يو ١٢ : ٢٦

قوله : «وهؤلاء الذين اشتُروا من الناس باكورة لله وللحَمَل» ، **الشراء** قد مضى تفسيره فى الفص الرابع والعشرين ، وبقية القول على ظاهره خلا **الحَمَل** فإنه كما تقدم .

قوله : «ولم يوجد أحد كاذب فيهم لأنهم أطهار» ، وإن هذه لسيرة عظيمة ، ولو لم يكن لهؤلاء إلا هاتان الفضيلتان لعظم التعجب من إتقانهم لهما مع صعوبتهما ، أعنى العفة والصدق ، فلهذا استحقوا هذا الشرف الباذخ والعز الراسخ . رحمنا الله بصلواتهم وبركاتهم أجمعين ، آمين .

☩ ✝ ☩

٦٦- (٦) ورأيت ملاكا يطير فى وسط السماء معه بشرى الإنجيل الأبدى يبشر السكان على الأرض وكل شعب وكل قبيلة وكل لسان وكل لغة (٧) ويقول بصوت عظيم خافوا الله ومجدوه فقد أتت ساعة حكمه واسجدوا للذى صنع السماء والأرض والبحر والمياه .

قوله : «ورأيت ملاكا يطير فى وسط السماء معه بشرى الإنجيل الأبدى» ، قد وُصفت حركات الملائكة بالطيران لسرعتها ، **وطيرانه فى وسط السماء** ليكون ظهوره أعلى ، **والبشرى** التى معه تختص بالبشر ، وهى بشارة الإنجيل بالخلاص ، وكونها **أبدية** يريد بذلك دوام سرور الأبرار ، المجاهدين فى سيرة الفضيلة ، لسماع هذه البشرى الدائمة . أما وهم فى أجسادهم ، ففرحهم بالراحة والأمانة . وأما بعد ذلك ، ففيما ينالونه من خيرات الملكوت الدائمة .

قوله : «يبشر السكان على الأرض» ، قد صرّح فيه بأن البشرى تختص بهم .

قوله : «وكل شعب وكل قبيلة وكل لسان وكل لغة» ، الواو من قوله **وكل شعب** زائدة فى اللغة القبطية لا عاطفة ، وما بعدها تفسير لسكان الأرض ، فيكون التقدير : لسكان الأرض ، كل شعب وكل قبيلة وكل لسان وكل لغة ، والفرق بين الشعب والقبيلة ، واللسان واللغة قد مضى تفسيره فى الفص الرابع والعشرين .

قوله : «ويقول بصوت عظيم خافوا الله ومجدوه فقد أتت ساعة حكمه» ، هذه هى البشرى التى بشر بها الملاك ، وكونها **بصوت عظيم** ليعظم ظهورها . كيف وكونها **بصوت عظيم** ليعظم ظهورها . وكيف تجتمع البشرى والتمجيد وهما علامة الفرح ، مع الأمر بالخوف وذكر إتيان ساعة الحكم وهما علامة الحزن ؟ **والجواب** : أن هذه البشرى للأبرار كما تقدم . وكل الذى قيل فيها يسرهم ويفرحهم . أما خوف الله فان داود النبى يقول : «يفرح قلبى حين أخشى اسمك»[١] ، فالبار يفرح بخوفه من الله لأن الخوف رأس الحكمة ، وسبب طاعته وصلاح أحواله . **وأما إتيان ساعة الحكم** فلوجهين ، **أحدهما** : راحة أصحاب هذه السيرة من أتعاب الجسد وهموم العالم ومعاندة الأرواح الشريرة . **والاخر** : نيلهم الملكوت جزاء أفعالهم الصالحة وسيرتهم الفاضلة .

قوله : «واسجدوا للذى صنع السماء والأرض والبحر والمياه» ، فى هذا إشعار أن الكلام موجه للأبرار الذين فى أيام الدجال ، وكأنه بهذا الأمر نهاهم عن الوقوع فى السجود لغير الله . وأما كون الأمر بشىء يلزمه النهى عن نقيضه فمسألة مثبتة فى علم الأصول الحكمية ، أما علة السجود لله فهى لأنه

(١) مز ٨٦ : ١١ ، وتقول نسخة الأمريكان : «وحد لى قلبى لخوف إسمك» ، أما النسخة القبطية فهذه فى المزمور ٨٥ وهى كالمدونة أعلاه .

صنع السماء والأرض ؛ والبحر والمياه على مجرى التفسير المذكور داخلان فى الأرض ، فَلِمَ أُفرزا منها وعُطفا عليها ؟ ذلك لأن طائفة عظيمة من الحكماء الصابئين ، والحنفاء الوثنيين ، يذهبون إلى أن العالم قديم ، وأن الأرض من الماء ، بل وبقية العناصر ، وأن الماء قديم غير مخلوق ؛ ولهذا السبب عَبَدَ القبط[١] عنصر الماء قديما . وربما تعلل من انتحل كون الماء غير مخلوق بأن التوراة لم يُذكر فيها خلقته . وليس هذا بصحيح ، فإن هذا القول بعينه قد ذُكر فى السفر الثانى عندما أمر بحفظ السبت فقال : «لأن الرب خلق السماء والأرض فى ستة أيام ، والبحور ومافيها ، واستراح فى اليوم السابع»[٢] ، وهذا الرأى [أن الماء غير مخلوق] يظهر أيضا فى الدولة الدجالية ، فكان هذا القول (خر .٢ : ١١) إعلاما ببطلان هذا الرأى الردىء الذى أهلك عالم الطوفان ومن تابعه ، وسيُهلك عالم الدجال ومن يصير معه ، هكذا ذكر القديس بطرس الرسول فى رسالته الثانية ، حين قال أن قوما مستهزئين يأتون فى آخر الزمان ، ويقولون أن السماء والأرض كانتا فى القديم ، والأرض من الماء ، ومن الماء قامت بكلمة الله ، وبه غرق ذلك العالم فهلك ، فأما الآن فالسموات والأرض مخزونة بتلك الكلمة الى يوم الدين وهلاك القوم الكافرين[٣] .

---

(١) المصريين

(٢) خر .٢ : ١١

(٣) ٢ بط ٣ : ٣ - ٧

٦٧- (٨) وملاكا ثانيا تبعه قائلا سقطت سقطت بابل العظمى التى سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها .

وكما ظهر الملاك الأول قبل هذا مبشرا للأبرار ، ظهر هذا منذرا مبكتا للأشرار بما سيأتى . **وأما بابل** هذه فمراد بها أورشليم الأرضية مدينة مملكة الدجال ، ولذلك وصفها بالعظمى وسماها بابل تشبيها ببابل فى عبادة أهلها صورة الدجال . كما عبد أهل بابل الحقيقية الصورة الذهب التى اقامها بختنصر **وسقوطها** على ظاهره بالزلزلة العظيمة التى من آثار الجام[1] السابع . وذكر أنها سقطت بصيغة الفعل الماضى ، وإن كانت لا تسقط إلا فى الفعل المستقبل ، أى أن الله حكم عليها بذلك .

قوله : «التى سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها» ، إضافة الخمر إلى الغضب إضافة الصفة إلى موصوفها ، كما يقال : حمرة الخجل ، وصفرة الوجل[2] . **والزنا** يريد به عبادة الأوثان كما أطلقه كثير من الأنبياء وخاصة أشعياء ، واستعمل ذلك لما بينهما من التشبيه البليغ ، وهو : كما أن الزانية تترك بعلها وتصير مع غيره ، كذلك عُبّاد الأوثان يتركون خالقهم ورازقهم ويتعبدون للأوثان ، ولذلك سيتجرعون كأس خمر الغضب الإلهى ، ودلنا على ذلك قول الملاك الثالث فى الفص الثامن والستين : «من يسجد للوحش وصورته وختمه على جبهته ويده فهو يشرب من خمر غضب الله»[3] ، حتى صار التقدير : «سقطت بابل من ثورة غضب الله على زناها .

---

(١) الكأس . (٢) الخوف .

(٣) رؤ ١٤ : ٩ ، ١٠ .

٦٨- (٩) وملاكا ثالثا تبعه قائلا من يسجد للوحش وصورته وختمه على جبهته ويده (١٠) فهو يشرب من خمر غضب الله الممزوج بخمر صرف من كأس غضبه ويعذبهم بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الحَمَل (١١) ودخان عذابهم يصعد إلى أبد الأبد وليست لهم راحة هناك النهار والليل للذين يسجدون للوحش ولصورته ومن يوسم باسمه (١٢) هنا صبر القديسين الحافظين وصايا الله وإيمان يسوع المسيح .

الملاك الأول بشر الأبرار ، والثانى أنذر الفجار بهلاك مُدنهم ، وهذا الثالث منذر لهم أيضا بهلك أنفسهم لسجودهم للوحش وصورته : وإنما كان المبشر ملاكا واحدا ، والمنذر ملاكين لأن الأبرار طائعون تكفيهم أدنى إشارة فيصدقون ويطيعون ، وأما الفجار فعلى خلاف ذلك .

قوله : «وملاكا ثالثا تبعه قائلا» ، الهاء من **تبعه** تعود على الملاك الثانى .

قوله : «من يسجد للوحش وصورته وختمه على جبهته ويده (١٠) فهو يشرب من خمر غضب الله» ، قد جعل لهذا الشرط جزاءين ، **أحدهما** : السجود للوحش وصورته . **والآخر** : أن يكون ختمه على جبهة الساجد ويده . والجزاء عن ذلك شربه من خمر غضب الله . واستعارة الخمر لغضب الله قد فسرناها بذكر الوصف المشترك بينهما وهو الثورة المسكرة فعبّر عنها بموصوفها وهو الخمر ، حتى يكون التقدير : تحل عليه ثورة غضب الله .

قوله : «الممزوج بخمر صرف من كأس غضبه» ، يريد **بالخمر** هنا الانتقام ، للوصف المشترك بينهما ، وهو الحدة اللاذعة . ووصفها بأنها **صرف** لأن الصرف هو الخالى من الشوائب[1] ، أى أن هذا الانتقام لا تشوبه رأفة ولا تخالطه شفقة . **والمزج** الخلط ، وكأنه قال : غضب اللـه المتصل بانتقامه الذى لا يخالطه إشفاق . والكأس فى اللغة الروحانية يراد بها الموت الطبيعى تارة والبلوى العظيمة تارة . فالأول كقول الإنجيل : «إن كان يستطاع أن تعبر عنى هذه الكأس»[2] ، وأراد بها الموت الطبيعى أو بلوى [آلام] الصلب . وقوله لابنى زبدى : «أما كأسى فتشربانها»[3] ، ودل بها على الموت الطبيعى لأن ابنى زبدى لم يُصلبا . والعرب أيضا قد استعملوا الكأس فى ذلك فقالوا : كأس الموت وكأس الفراق وغيره . والمراد بالكأس هنا البلوى العظيمة ، وإضافتها إلى غضبه إضافة التعريف المخصص ، فالانتقام مسبب عن الغضب ممزوج به ، وتقدير القول فيه : غضب الله الممزوج بانتقام خالص من الرأفة نافذ من بلوى غضبه . فيا لهذه الفصاحة والبلاغة التى لهذا الرسول .

قوله : «ويعذبهم بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الحَمَل» ، فيا لشدته من عذاب جامع بين الألم المبرّح والاشتهار المفضح ، وأشد منهما دوامه ، فنسأل الله العفو بلطفه ورحمته .

قوله : «ودخان عذابهم يصعد إلى أبد الأبد» ، المراد بصعود الدخان معنيان : **أولهما** : أنه دليل على أنهم لا يفنون ولا يُعدمون بالإحراق ، لأن الدخان الصاعد دليل على بقاء بقية من المحترق . **والثانى** : أن ألمهم يدوم بدوام بقائه ، ولهذا قال : «يصعد إلى أبد الأبد» .

---

(١) العيوب ، الخلط ، المزج .　　　(٢) مت ٢٦ : ٣٩ ؛ مر ١٤ : ٣٥

(٣) مت ٢٠ : ٢٣ ؛ مر ١٠ : ٣٩

قولـه : «وليست لهم راحة هناك النهار والليل» ، يريد أن هذا الألم ليس هو من وقت دون وقت ، ولا تتخلله فترات فيكون ببعضها راحة ، بل هو دائم ، فلا رحمة لهم راحة هناك فى النهار ولا فى الليل . وفى الحقيقة إنه لا ليل هناك ولا نهار ، ولكنه لفظ خطابى مشهور معتاد ، يُدِل السامع على دوام الاستمرار .

قوله : «للذين يسجدون للوحش ولصورته ومن يوسم باسمه» ، أعاد ذكر المعاقَبين ووصفهم وفعلهم المؤكد للمعنى ، وتخصيصهم بهذا العذاب كى لا يرتاب بذلك مرتاب أو يتأول فيه متأول . ومع هذا الاتفاق والتكرار المؤكد ، فإن كثيرا من الناس باغترارهم يرتابون فى دوام العقاب .

قوله : «هنا صبر القديسين الحافظين وصايا الله وإيمان يسوع المسيح» ، هذا القول على ظاهره ، وهنا شرط وقد حُذف جوابه وهو : فطوباه ، ودل عليه ما ذكره فى الفص التاسع والستين : «طوباهم الأموات بالرب» .

✠ ✣ ✠

٦٩- (١٣) وسمعت صوتا عظيما من السماء يقول اكتب طوباهم الأموات بالرب إذا ماتوا من الآن قال الروح لكى يكون لهم راحة من الآن من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم .

هذا أول إنباء فى الإنذار بقيامة الصديقين ومجازاتهم بالصالحات .

قولـه : «وسمعت صوتا عظيما من السماء يقول» ، **عِظَم الصوت** كثرة ظهوره ، والصوت موجه نحو الرسول الرائى السامع ، وقد ذكر المكان المدرك منه وهو **السماء** . فأما **الصوت** فيجوز أن يكون ملاكا من الملائكة ، ويجوز أن يكون وحيا أوحى به للسامع ، والأول أولَى لأن الوحى بالروح وهى التى أجابته ، والمجيب غير القائل .

قوله : «اكتب طوباهم الأموات بالرب» ، قد مضى فى تفسير الفص الثانى أن لفظة **الطوبى** سريانية تفسيرها السعادة . وقوله **اكتب** يريد اكتب ذلك ودوّنه فى جملة الرؤيا . **والأموات فى الرب** يريد بهم شيئين ، **أولهما** : أن يموتوا من أجل إيمانه وطاعته كالشهداء والمعترفين والذين نالتهم ضيقات من أجله . **وثانيهما** : أن يموتوا على إيمانه وطاعته كالأنبياء والصدّيقين والعبّاد والأبرار ومن يجرى مجراهم .

قوله : «إذا ماتوا من الآن» ، ليت شِعرى : أى آن يريده ؟ هل هو قبل الدولة الدجالية حتى يستريحوا ولا يروا عثرتها ، أو هو فيها حتى يعظم أجرهم بجهادهم ، أو هو بعدها حتى يكونوا قد تعبوا وصبروا إلى المنتهى واستراحوا من أتعابهم ؟ ويظهر أن هذا القسم الأخير هو مراده بثلاثة دلائل ، **أولها** : إنه القسم الأقوى . **والثانى** : أن مدة موتهم لا تطول ، بل تدركهم قيامة الصدّيقين . **والثالث** : وهو الأقوى ، لأنه قال هذا القول بعد بشرَى الملائكة وإنذارهم بانتهاء الدولة الدجالية وقُرب المجازاة . ولفظة **الآن** تحتمل أن تكون متعلقة بموتهم ، وتقدير القول : طوبى لمن يموت الآن ، وهذا أرجح .

قوله : «قال الروح لكى يكون لهم راحة من الآن من أتعابهم» ، يريد **بالروح** الروح القدس له المجد ، والقول منه إجابة للقائل بأن العلة فى ذلك هى راحتهم من أتعابهم ، وفيه دل على أن القائل الأول هو ملاك وأن الروح القدس أجابه . والقول والجواب لإعلام الرسول ، وفيه دليل أن «الآن» متعلقة براحتهم .

قوله : «وأعمالهم تتبعهم» ، ذلك لأن أعمال القديسين ترافقهم ليظهروا بها أمام ربهم وهم بشرف عظيم .

٧٠- (١٤) ورأيت سحابة بيضاء وواحدا جلس على السحابة يشبه ابن البشر وكان على رأسه إكليل ذهب وسيف يضرب بيده .

إن غوامض هذه الرؤيا لتخطف البصائر ، وتذر[١] المتأمل كالباهت الحائر . ومن جملتها ما نحن فيه الآن ، وهو قوله : «ورأيت سحابة بيضاء وواحدا جلس على السحابة يشبه ابن البشر» ، وهذا يوهم أنه ليس هو السيد المسيح ، لأنه له المجد ابن البشر حقيقة . فكيف يشبّه الشيء بنفسه ؟ ثم قوله في الفص الآتي إن ملاكا آخر قال للجالس على السحابة : «أرسل محصدك» ، وهذه صيغة أمر من الملاك على هذا المتوّج ، ثم قوله : «لأن ساعة حصاد الأرض أتت» ، وهذا مشعر بأنه لم يعلم حضور الساعة المشار إليها حتى أعلمه بها الملاك ، فهذه التي قوّت هذا الوهم . وإن قلنا إنه ملاك ، لأن الملائكة تتراءى بشبه البشر وعليها ملابس الملوك ، فإن دانيال النبي يقول في رؤياه : «فإذا بإزائي واقف كمنظر رجل وسمعت صوت إنسان وقال أنا جبرائيل»[٢] ، وكذلك رأى حزقيال ، فقال في الإصحاح الرابع إنه رأى رجلا مطقسا وهو لابس فرفير ومنطقة مشدود بها ظهره . لكن هذا المجموع الذي ذكر في الرؤيا لا يجتمع لملاك ، وهو كونه على سحابة بيضاء وإكليل على رأسه وبيده سيف . ثم القول عليه في الفص الثاني والسبعين بأنه حصد عنقود عنب الأرض وداس المعصرة[٣] ، وهذا مذكور في النبوات على سيدنا المسيح له المجد ، فثبت أن الإشارة بهذا الفص إليه والنص بها عليه . فلنكشف عن رموزه لنصل إلى العلة التي وراءها ، فنقول :

(١) تترك ، تجعل .

(٢) دا ٨ : ١٥

(٣) رؤ ١٤ : ١٩ و ٢٠ .

إن السحابة البيضاء يرمز بها كالرمز بالفرس الأبيض ، وذلك على المُلك والعدل . أما الركوب على ذلك الفرس فهو كالجلوس على السحابة ، وأما كون الجالس عليها يشبه ابن البشر ، وليس هو بابن البشر حقيقة ، فلأن هذه رؤيا عقلية روحانية رُمِزَ بها على ما سيكون فى الوجود الخارجى على جهة التمثيل . فلو كان المرئى هو ابن البشر حقيقية ، وكذلك السحابة والسيف وما يتصل بذلك ، لصار المثل هو الممثول وقد خرج إلى الفعل ، وبطل المثل والنبوة ، وهذا سر قوله : «يشبه ابن البشر» . وعلى هذه الصورة بعينها قال دانيال فى رؤياه : «كنت أرى على سحاب السماء مثل ابن البشر» . وكذلك كل مثل ، وإن لم يصرّح فيه بالتشبيه ، فإنه فى نفسه كذلك ، وإنما حُذف منه ما يدل على التشبيه لاستقرار العلم به أن أصل وضعه كذلك .

قوله : «وكان على رأسه إكليل ذهب وسيف يضرب بيده» . **الإكليل** هنا رمز إلى السلطان والحكم ، وكونه **ذهبا** يدل على الشرف والبقاء كما بيّنا أقسام رموزه فى الفص الثامن . وكذلك الرمز **بالسيف** وكونه **يضرب** قد بيناهما فى الفص المذكور . لكنه قال هناك إن **سيفا بفمين يخرج من فيه** ، وقال هنا إنه **بيده** ، ولكل منهما معنى رمز به عليه . أما كونه فى فمه ، فقد بيّناه هناك [فص ٨] بأنه يدل على مضاء الحكم بمجرد القول والإرادة ، وأما كونه بيده فى هذا الفص فرمز على بلوغ الانتقام أن يخرج إلى الفعل كمن يتناول آلة ويهيئها فى يده للعمل بها . أما كونه لم يذكر هنا أنه ذو فمين كما ذكر هناك ، فلأن السيف المذكور فى الفصين واحد بالشخص ، والإشارة به إلى قوة واحدة بعينها ، فاستغنى بصفته فى الفص الثامن عن تكرارها فى هذا الفص . وما سوى ذلك مما أشرنا إليه سيأتى بيانه فى مكانه .

✠ ✝ ✠

٧١- (١٥) وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم للجالس على السحابة أرسل محصدك واحصد لأن ساعة حصاد الأرض أتت (١٦) والجالس على السحابة محصده على الأرض فحُصدت الأرض .

الخروج من الهيكل يريد به الخروج من المكان الذى فيه الهيكل . وهذا الملاك هو رابع ملاك خرج . لكنه أول خارج من الهيكل . وقد عرفتَ من تفسير الفص الثالث والخمسين أن **الهيكل** هو **مذبح البخور** وهو المذبح الذهب ، وأن **الصراخ والصوت** مدركان عقليان ، وأن **الصوت العظيم** هو إعلان الأمر وإظهاره .

قوله : «للجالس على السحابة» ، اللام حرف يوصل معنى الفعل إلى الاسم ، أى الصراخ للجالس على السحابة المقدم ذكره .

أما قوله : «أرسل محصدك واحصد» ، فى هذا اللفظ ، وإن كانت صيغته صيغة فعل الأمر ، فإن لهذه الصيغة ثلاث اعتبارات ، **أولها** : أن تكون صادرة من الأعلى إلى الأدنى ، كما يأمر الملك غلامه فيقول له : افعل . وتسمى بهذا الاعتبار أمرا . **وثانيها** : أن تكون صادرة من الأدنى إلى الأعلى ، كما يقول العبد : ارحمنى يا الله . وتسمى بهذا الاعتبار ضراعة وسؤالا ودعاء . **وثالثها** : أن تكون صادرة من المماثل إلى مماثله ، كما يقول إنسان لرفيقه : امش معى . وتسمى بهذا الاعتبار طلبا والتماسا . فالملاك إذن إنما قال لسيد الكل : «أرسل محصدك واحصد» بالاعتبار الثانى الذى هو الضراعة والسؤال . وأما عظم الصوت فإعلان لصاحب الرؤيا لكى يفهم ، لا للمخاطَب جل عن ذلك .

وقوله : «لأن ساعة حصاد الأرض أتت» ، **الحصاد** بالقول العام المجازى يراد به الموت على اختلاف أنواعه طبيعيا كان أو قتلا . وقد ورد فى تفسير سيدنا لمثل الزوان أن الحصاد هو منتهَى الدهر ، والمنتهَى فى الواقع هو الوقت الذى يكمل فيه موت البشر . وكأنه يريد بالحصاد معنى خاصا ، هو هلاك التابعن للدجال بالقتل وإراقة الدكماء كما سيأتى ذلك . وقد أعطى العلة فى الحصاد وهى إتيان ساعة وبلوغ الأمد ، وهو فى الحقيقة من لوازم ما قضى به الله تعالى وقدّره فى ذلك الأمد ، فقد عبّر أيضا عن الملزوم بلازمه . ومراده **بحصاد الأرض** حصاد أهل الأرض . ، فحذف المضاف للعلم به . ولم يقل هذا الملاك شيئا من هذا القول للجالس على السحابة لكى يعلم ما لا يعلمه ، بل ليظهر بذلك للرسول صاحب الرؤيا فيعلم بلوغ الأمر وأمده . وقد انحل ما كان موهما أن الجالس على السحابة ليس هو سيد الكل .

قوله : «والجالس على السحابة محصده» ، أى أطلق الفعل فى حينه . **والمحصد** هو الآلة التى يُحصد بها الزرع كالمنجل ، وفيها دليل على أن موت تلك الأمة يكون أكثره بالسيف المرموز عليه بالمحصد لما بينهما من بليغ المشابهة والمناسبة .

✠ ✝ ✠

٧٢- (١٧) وخرج ملاك آخر من السماء وبيده سيف يضرب (١٨) وخرج أيضا ملاك من المذبح وله سلطان النار فدعا بصوت عظيم الذى بيده السيف الضارب قائلا ارسل سيفك الضارب واقطف عنقود عنب الأرض لأن عنبها قد نضج (١٩) وضرب سيفه على الأرض وقطف عنب الأرض وألقاه فى معصرة غضب الله العظيمة

(٢٠) وداس المعصرة خارج المدينة فخرج دم من المعصرة إلى لُجُم الخيل ألفا وستمائة غلوة .

هذا خامس ملاك يخرج .

قوله : «وبيده سيف يضرب» ، يدل على أنه الملاك المتولى الانتقام من آل الدولة الدجالية ، وقد مضى بيان ما يرمز عليه **بالسيف** وما يرمز عليه بكونه **يضرب** .

قوله : «وخرج أيضا ملاك من المذبح» ، فهذا سادس ملاك يخرج ، وثانى ملاك خارج من المذبح الذى هو الهيكل .

قوله : «وله سلطان النار» ، يريد أن عنصر النار تحت سلطانه وتصرفه ، ودل على أن ذلك القول على سبيل التعريف به والوصف له لكونه لم يذكر فعلا سوى إبلاغ الأمر للملاك الذى يرسل سيفه الضارب ، ولهذا قال : «فدعا بصوت عظيم الذى بيده السيف الضارب قائلا : ارسل سيفك الضارب واقطف عنقود عنب الأرض» ، فإن كان هو السيد الجالس على السحابة كما ذهب إيبوليطس فى تفسيره ، فما الحاجة إلى الرمز على سيد الكل بهذا الملاك ، وقد عُلم القصد فى هذا المثل ، وما المرجع لهذا التأويل ؟ وإن كان غيره ، فهل هو شريك له أو ناسخ لفعل ذاك بفعله ؟ كل ذلك بعيد عن الصواب . والصحيح أن الفاعل قد يصدر عنه الفعل بغير واسطة ، كما يأكل الإنسان الخبز ويشرب الماء . وقد يصدر عنه الفعل بواسطة ، كما يضرب الملك عنق مذنب بواسطة السياف ، أو يقطع يد آخر بواسطة نائبه ، أو ينعم على آخر بواسطة من يعطيه إنعامه . هذه الأفعال بلا شك أو ريب صادرة عن الملاك ، لأنّا لو قدّرنا عدمه لبطلت الأفعال ، ولو قدّرنا عدم الواسطة أو الوسائط المذكورة

لصدرت هذه الأفعال عنه بغيرهم أو بذاته ، فالفعل له وبهم . إذا عرفتَ ذلك ، فالفاعـل هو سـيد الكل الجالس عـلى السحابة ، والملاك الذى له سلطان النار هو الواسطة المنفذ لهذا الأمر من قِبَلِ سـيد الكل ، والملاك الضارب بسيفه هو المنفذ للأمر من قِبَل ملاك النار . وبالجملة ، فإن العلل والمعلولات تنتهى متصاعدة إلى أولها ، وتنتهى متنازلة إلى آخـرها فى كل ما فيه ذلك . والمعنى **بالقطف** كامعنى بالحصاد ، **والعنقود** رمز على جموع الناس التى تجتمع فى يوم الحرب العظيمة ، **والعنب** رمز على الناس الذين يُقتلون ، **والأرض** على ظاهرها .

قوله : «وضرب سيفه على الأرض وقطف عنب الأرض وألقاه فى معصرة غضب الله العظيمة» أى نفّذ الفعـل المأمور به ، وقام بتنفيذ الأمر بإفناء الخلق التابعين الدجال بالقتل فى آخر دولته عندما يحشدهم ليوم الحرب العظيمة . **والمعصرة** هى الحرب نفسها ، ولذلك قال إنها **عظيمة** ، وأضافها إلى **الغضب** إضافة المسبب إلى السبب ، أى أن غضب الله هو سبب هذا الفعل الماحى لتلك الدولة المظلمة .

قوله : «وداس المعصرة خارج المدينة فخرج دم من المعصرة إلى لُجُم الخيل ألفا وستمائة غلوة» ، **الدوس** رمز على إقامة الحرب وتشديدها . وكونه **خارج المدينة** إشارة إلى مكان الحرب العظيمة ، وبقية الفص على ظاهره . **والغلوة** مسافة رمية سهم . والمراد أن دماء القتلى من تابعى الدجال فى يوم الحرب العظيمة تكون جارية كنهر طوله ألفا وستمائة غلوة ، وعمقه إذا خاضت الخيل فيه وصل إلى مكان لُجمها ، وهذه دماء عظيمة تفوق الوصف بل

التصور ، فجريانها كذلك لأن أكثر أهل الأرض وملوكها يجمعهم الدجال لهذه الحرب العظيمة مع سيد الكل راكب ومن معه على ما سيأتى ذكره .

وقد تنبأ على هذه الواقعة بعينها أشعياء النبى ، فقال مشيرا إلى سيد الكل عندما رآه بعين النبوة : «مَن هذا الآتى من أدوم وثيابه حمر من بوص ، بهى بلباسه ، عزيز بقوته ؟ أنا المتكلم بالبر المكثر الخلاص . ما بال ثيابك حمر وقماشك كالذى صعد من المعصرة ؟ إنى دستها وحدى ولم يكن أحد من الشعوب معى . عصرتهم بغضبى ووطئتهم بسخطى فامتلأ من دمائهم لباسى وجميع ثيابى ترملت بالدم من أجل أن يوم النقمة المطلوب فى قلبى وقد حضرت شبه الخلاص ، نظرت وليس معين ، وتعجبت وليس من يسند ، وذراعى خلصنى ، وأسندنى غضبى ، وبرجزى دست الشعوب ، وأبدت ذكرهم بسخطى وأحدرت غيرهم إلى الأرض»(١) . واعلم أن أدوم يريد بها بلاد أدوم وهو العيص «صيراثا» جبل ساعير ، وهذه الجهة تقع غربى أورشليم وتميل إلى الجنوب كما ذُكر فى سفر يشوع بن نون . وكان النبى تارة يتكلم عن نفسه كالسائل ، وتارة عن سيد الكل كالمجيب .

وتنبأ عنها أيضا يوئيل النبى فى آخر سفره ، فقال : «صبوا المناجل لأن القطاف قد حضر . ادخلوا ودوسوا الآن لأن الجباب قد امتلأت وفاضت المعصرة»(٢) ، وقد شرحنا الواقعة بصورتها ، فسبحان علام الغيوب المفيض روحه على أنبيائه الطاهرين .

---

(١) أش ٦٣ : ١ - ٧

(٢) يؤ ٣ : ١٣

الأصحاح الخامس عشر

الفصل الخامس عشر

٧٣- (١) ورأيت علامة أخرى عظيمة فى السماء وهى أعجوبة سبعة ملائكة ومعهم السبع الضربات الأخيرة لأن بها كمل غضب الله .

هذا الفص أول النبأ السادس فى الضربات التى يضرب بها الدولة الدجالية ومن فيها . وما يتعلق بها هو عنوان لما يأتى من هذه الرؤيا . والعلامة التى أدركها الرسول بعقله المرتقى بروح النبوة إلى السماء ، هى سبعة ملائكة ومعهم سبع ضربات . أدرك عند ترائيهم واستعدادهم أنهم قد أُمروا بما سيأتى ، فكان ذلك علامة لما سوف يظهر ، وأدرك من قوة عزمهم عِظَم العلامة ، وأدرك الضربات التى معهم كما ندرك الحركة من التهيىء ، والغضب من التعبيس ، والتعجب من الضحك . فأما العقول المجردة والروحانيون المتأهلون فلا يحتاجون إلى ذلك ، بل إدراكهم أولىً بلا فكرة ولا روية ولا وسط .

قوله : «وهى أعجوبة» ، أى لم ير مثل هؤلاء الملائكة فى عظمتهم وزيّهم وقوة حركتهم ، فاستعظم حركتهم ، واستغرب جلالتهم .

قوله : «ومعهم السبع الضربات الأخيرة لأن بها كمل غضب الله» ، **الضربة** يريد بها العقوبة . وهذا القول فيه ثلاث مسائل ، **إحداها** : أن هذه الضربات السبع التى تحل بالدولة الدجالية ، لم يجر لهذه الدولة قبلها ضربة أو

أكثر من ضربة ، فتكون هذه أخيرة بالنسبة إليها . **الثانية** : أن الحرب العظيمة ، وإن كان ق تقدم ذكرها لبعض مجاريها ، تكون ضرورة بعد هذه الضربات ، لأن بها فناء الدولة الدجالية ومن فيها . فكيف يستأنف هذه الضربات بعدها حتى تكون أخيرة ؟ **الثالثة** : كيف يكون كمال غض الله بهذه الضربات والحرب العظيمة بعدها التى هى أحرى وأجدر أن يكمل بها الغضب ؟ فنقول :

أما جواب الأولى : فإن العصر الذى يكون فيه الشهيدان العظيمان (أخنوخ وإيليا) هو الذى تكون فيه الدولة الدجالية ، ومدته سبع سنين منها ثلاث سنين ونصف مدة إنذار الشهيدين ومنها ثلاث سنين ونصف مدة الدولة الدجالية . وقد ضُرب أهل ذلك العصر بسبع ضربات : الأولى فى أيام إنذار الشهيدين وهى ضربات البوقات ، فهذه أخيرة بالنظر إلى تلك .

وأما جواب الثانية : فإن هذه الضربات السبع لم يذكر أنها أخيرة بالنسبة إلى الحرب العظيمة ، بل بالنسبة إلى ضربات البوقات المتقدمة .

وأما الجواب عن الثالثة : فإن كمال غضب الله بهذه الضربات ، لأن ضربات البوقات والجامات أربع عشرة ضربة تنزل فى عصر واحد . والغرض بها توبة أهل ذلك العصر ورجوعهم إلى الله تعالى فى إيمانهم وأفعالهم ، ولا غاية بعد هذه الرحمة منه سبحانه أن يرسل الأنبياء لوعظهم ، وينزل الآيات ليؤمنوا ، ويضربهم بعدة ضربات ليتأدبوا ، فلا يتعظون ولا يتأدبون ، كما مثّل الإنجيل اليهود : «تقول صبيان لصبيان : زمّرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا»[١] ، فعند ذلك يكمل غضب الله عليهم ، ويأتى بعد كمال غضبه بالحرب العظيمة المفنية لذلك العصر ، وينقضى الأمر بكمال غضب الله بهذه الضربات الأخيرة كما قالت الرؤيا .

(١) مت ١١ : ١٧ ؛ لو ٧ : ٣٢

٧٤- (٢) ورأيت مثل بحر زجاج مختلط بنار وجميع الذين غلبوا الوحش وصورته وعدد اسمه واقفين على بحر الزجاج ومعهم قياثير الله (٣) ينشدون بتسبيحة الحَمَل مع موسى عبد الله قائلين عظيمة هى أعمالك وعجيبة أيها الرب الإله ضابط الكل أنت الحق وطرقك حق هى يا ملك الأمم (٤) فمن الذى لا يخافك أيها الرب ويمجد اسمك لأن الأمم كلهم يأتون ويسجدون لاسمك لأن حقوقك قد ظهرت .

قوله : « ورأيت مثل بحر زجاج مختلط بنار» ، قد ذكر الرسول فى الفص السابق أنه رأى علامة أخرى فى السماء ، ثم عطف عليها هذا القول فقال : **ورأيت مثل بحر زجاج** ، فدل على أن هذه الرؤيا أيضا فى السماء . وذكر فى الفص التاسع عشر أنه رأى أمام عرش الله مثل بحر زجاج وهو جليد ، وذكر هنا أنه مثل بحر زجاج مختلط بنار ، والحال فيهما متقارب ، يجوز أن يكون أحدهما هو الآخر ، فإنه قال فى الفصين أن المرئى **مثل بحر زجاج** ، إلا أنه قال فى فص ١٩ إنه **جليد** ، وقال هنا إنه **مختلط بنار** ، ويجوز اجتماع الوصفين فى البحر المشار إليه المشبه **بالزجاج** . وبقى علينا أن ننظر إن كان هذا القول على ظاهره ، وإن كان رمزا فعلى ماذا يدل ؟ وقد بيّنا فى تفسير الفص التاسع عشر أن هذا البحر رمز على أورشليم السمائية ، وأن وصف هذه المدينة المذكورة فى فص مائة وخمسة عشر ، وذكرنا فى ذلك وجهين من المناسبات المستدل بها ، **أولهما** : قوله : «وبناء سورها من حجر اليشب والمدينة من الذهب الخالص كالزجاج النقى»[١] . **والثانى** : قوله : «وأسس سوق المدينة مزينة بكل حجر كريم فالأول يشب»[٢] . واليشب والثلج والزجاج

(١) رؤ ٢١ : ١٨ (١) رؤ ٢١ : ١٩

يجمعها الإشفاف والصفاء ، وهو المشبه فى فص ١٩ بالجليد ، وأما فى هذا الفص فقد شُبهت أورشليم السمائية ببحر زجاج مختلط بنار ، وقد ذكر فى وصفها فى فص مائة وخمسة وعشرين وجهان مناسبان له ، **أولهما** : قوله : «والمدينة من الذهب الخالص كالزجاج النقى» . **والثانى** : قوله : «وسوق المدينة من ذهب نقى كالزجاج الشفاف» . فالمدينة وسوقها التى ذكر أنها ذهب نقى وزجاج شفاف ، هى المشبهة ببحر الزجاج المختلط بالنار ، فقد حصلنا على أربع مناسبات مطابقة لهذه الرؤيا صححت لنا تأويلهم بأورشليم السمائية ، وأما وجه التشبيه لها بالبحر ، فقد مضى بيانه فى الفص التاسع عشر .

قوله : «ومعهم قياثير الله ينشدون بتسبيحة الحَمَل» ، القيثارة فى العرف آلة موسيقية لطيفة تؤدَّى بها الألحان بالصناعة ، ومراده هنا معناها الروحانى وهو حركة النفس التى تؤدَّى بها نعانى التسبيح للرب الإله . والنشيد والإنشاد فى اللغة هو التعريف بالإعلان ، يقول من ذلك : أنشدت القصيدة ؛ إذن عرَّفها بالإعلان . وأما فى اصطلاح أصحاب علم الموسيقى ، فإن النشيد ضرب خالص من ضروب اللحن المتَّفِق ، واللحن هو النغم المؤلف على نسب ما وينقسم قسمين ، **متَّفِق** : وهو الذى تلتذه النفس . **ومختلف** : وهو الذى تنفر منه وتنبذه عند سماعه ، وربما لا يسمى هذا لحنا أصلا . واعتبار اللحن المتَّفِق روحانيا هو ما تدركه النفس من ذلك . والتسبحة رالسبح ألفاظ إلهية تشتمل على لفظ التسبيح ، فيكون معنى التسبحة أنها معانٍ إلهية تشتمل على معنى السبح ، وهو المعنى هنا أيضا ، فصار تقدير القول : وكانت نفوسهم متحركة بطرب مستعينة بمعانى التسبيح للسيد المسيح .

قوله : «مع موسى عبد الله» على ظاهرة ؛ لكن لماذا خصص موسى دون غيره ؟ يظهر أنه لميزة اختص بها وإلا لما حصل التخصيص ، وليس هذا من جهة النبوة ، فإن الأنبياء كثيرون ، وقد تنبأوا على مجىء السيد المسيح .

ولا لكونه صاحب تسابيح ، فإن داود وكثيرا من الأنبياء لهم تسابيح . ولا لأن تسابيحه تضمنت شيئا من ألفاظ هذه التسبحة ، فإن ذلك أيضا مشترك . ولا لعدالته وبرّه ، فإن الأبرار كثيرون . ولا لأنه أخشع قلبا من كل من فى الأرض ، فقد قال الله عن داود النبى : «إنى رأيت قلب داود عبدى مثل قلبى»[١] . ولا لتواضعه ، فإن داود وإبراهيم وغيرهما يشتركون معه فى ذلك . ولا لأنه شجاع مقدام ، فإن شمشون وداود وغيرهما كذلك . وإنما هذا الاختصاص وهذه المزية لشىء واحد ، حيث بشرهم بالتجسد عندما قال : «كما سألت فى حوريب يوم الاجتماع وقلت لا أعود أسمع صوت الله ربى ولا أعود أعاين هذه النار العظيمة كى لا أموت وقال لى الله حسن ما قالوا ، سأقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك وأجعل كلمتى فى فيه[٢] فيقول لهم كالذى آمره به ، وكل نفس لا تسمع من ذلك النبى تهلك من قومها»[٣] .

ومذاهب المفسرين فى هذه النبوة ثلاثة ، **أولها** : أنها عن يشوع بن نون خليفة موسى النبى على الخصوص . **وثانيها** : ذهب جماعة من علماء التلمود وتابعهم موسى بن ميمون[٤] أنها عن النبى على الإطلاق ، أى نبى كان لا نبيا معينا . **وثالثها** : وهو مذهب جمهور علماء اليهود وعلماء النصارى أنها عن السيد يسوع المسيح المخلص المنتظر . واستشهد بها لوقا فى كتاب الإبركسيس[٥] مما قاله بطرس الرسول . والحق أنه مع هذه النبوة قرائن تنطبق عمومها على سائر الأنبياء ، وفيها ما يقتضى التخصيص .

(١) ١ صم ١٣ : ١٤ ؛ أع ١٣ : ٢٢
(٢) فمه
(٣) تث ١٨ : ١٦ - ١٩
(٤) راجع حاشية رقم ٤ صفحة ١١٤
(٥) أع ٧ : ٣٧

وعلى كل حال ، يصح أن يطلق العام على الخاص ، لا سيما إن كان واضحا لمن تأمله ، سواء قاله بإشارة خاصة أو لم يقله .

فأما ما يقتضى العموم ، فإنه قبلها نهاهم عن أعمال الشعوب كجواز الأولاد على النار ، والاستقسام ، والأخذ بالعيون والنظار والطارق ، وسؤال المنجم أو العراف ، أو سؤال الأموات ، ثم تلى ذلك بقوله : «فأما أنت فليس كذلك بل وهب الله ربك لك من إخوتك نبيا»[١] ، أى أنبياء تسألهم عن حوائجك ومآربك ، ولست تحتاج أن تسأل هؤلاء عنه ؛ ولا تنقطع الأنبياء من بينكم ، فهذا ما يقتضى العموم .

أما ما يقتضى التخصيص فوجهان : **أولهما** : تطمينهم من خوف أنوار العظمة بالتجسد ، وكنى عنه بقوله بعد إقامته النبى : «وأجعل كلمتى فى فيه» . **والثانى** : قوله : «مثلك» ، لأنه لو قال نبيا فقط لساغ أن ينصرف إلى العموم ، ولكنه أراد قيدا آخر فقال **مثلك** . وقال فى آخر التوراة بعد موت موسى : «ولم يقم بعد فى بنى إسرائيل مثل موسى»[٢] ، فبطل أن تكون المماثلة بالنبوة ، وتخصصت بالمنتظر مخلص المجد له المجد . لأنه واضع شريعة الفضل كما كان موسى واضع شريعة العدل ، فهذا وجه المماثلة . ولهذا تعيّن لموسى التقدم فى التسبحة للحمل وبقية المسبحين معه .

قوله : «قائلين عظيمة هى أعمالك وعجيبة أيها الرب الإله ضابط الكل» معانى هذه الألفاظ هى التسبحة التى تحركت بها نفوسهم ، وهى على ظاهرها ، وسيأتى كمالها .

قوله : « أنت الحق وطرقك حق هى يا ملك الأمم» ، هذا المبتدأ ، وهو لفظة **أنت** ، محذوف فى اللغة القبطية وخبره يدل عليه ، وحذف منها لكثرة استعماله تخفيفا ، فلم يكن للمترجم بد من من إيراده لبيان المعنى . والمراد

(١) تث ١٨ : ١٤ و ١٥ (٢) تث ٣٤ : ١

بقوله **أنت الحق** أى أنت الإله الحق وما سواك إلا باطل ، وأما **طرقك** فيريد بها أحكامه وأفعاله . والقول بأنه ملك الأمم ، أى ملك جميع الخلائق آمنوا أم كفروا ، بروا أم أثموا .

قوله : «فمن الذى لا يخافك أيها الرب ويمجد اسمك» أى عندما تظهر آثار القدرة العالية ، تخاف كل جبلة من جابلها وتخور قواها . ولذلك يكون مرجع المؤمن والكافر فى الشدائد والمضائق إلى الله تعالى ، والتضرع بتمجيد اسمه . لكن الكافر إذا أفرج عنه ، ربما قسا قلبه وعاد لكفره ، كما جرى لفرعون وبختنصر وأمثالهما .

قوله : «لأن الأمم كلهم يأتون ويسجدون لأن حقوقك قد ظهرت» ، أعطى علة تمجيد الأمم لاسمه ، فقال **لأنهم يأتون ويسجدون لاسمك** ، وأراد بالاسم المسمى ، ثم أعطى علة السجود ، فقال : «لأن حقوقك قد ظهرت» ، والحقوق التى ظهرت يريد بها الضربات السبع عند إدراكهم لها مع الملائكة .

☩ ✟ ☩

٧٥- (٥) وبعد هؤلاء رأيت هوذا هيكل قبة الشهادة انفتح فى السماء (٦) وخرج السبعة الملائكة من الهيكل الذين معهم السبع الضربات وعليهم ثياب مغسولة زاهية مربوط على صدورهم مناطق ذهب (٧) فأعطى واحد من الأربعة الحيوانات للسبعة الملائكة سبع جامات ذهب مملوءة من غضب الله الحى إلى الأبد آمين (٨) فامتلأ الهيكل من دخان مجد الله ومن قوته ولم يستطع أحد أن يدخل إلى الهيكل حتى كملت هذه الضربات من السبعة الملائكة .

قوله : «وبعد هؤلاء رأيت هوذا هيكل قبة الشهادة انفتح فى السماء» ، **هؤلاء** إشارة إلى الملائكة السبعة ، أى بعد أن رأيت الملائكة فى قبة الشهادة يُشف عن مناظرهم ، انفتح باب القبة فى السماء فرأيت الهيكل ، وقد بيّنا كيفية انفتاح السماء فى الفص الثامن عشر ، وذكرنا أن المذبح هو الهيكل ، وأما القبة فإنها تسمى قبة الشهادة وقبة الزمان ، وهى قبة واحدة منقسمة بقسمين بينهما حجاب ، وفى القسم الداخلى تابوت العهد بما فيه وفوقه الصفيحة وفوقهما الكروبين ، وفى القسم الآخر الهيكل الذى هو مذبح البخور والمنارة والمائدة .

قوله : «وخرج السبعة الملائكة من الهيكل الذين معهم السبع الضربات» هؤلاء هم الملائكة الذين رآهم الرسول قبل فتح القبة ، وقد رآهم الآن بصورة أجلى وأوضح . ووصفهم بأنهم الذين معهم الضربات إعلاما بأنهم هم الأولون . ثم أخذ فى وصف زيهم وخدمتهم المرسومة لهم ، فقال : «وعليهم ثياب مغسولة زاهية» ، لم يذكر لهذه الثياب لونا بل قال إنها مغسولة ، وقد تقدم فى تفسير الفص الخامس عشر بأن الثياب رمز على المنزلة ، وأما كونها **مغسولة** فإنه يريد بالغسل القداسة والطهارة ، ، وكذلك قال داود النبى فى المزمور الخمسين : «اغسلنى فأبيض أفضل من الثلج» ، وأراد : طهرنى من الأدناس . وأما كونها **زاهية** فيريد إنها مشرقة معجبة .

قوله : «مربوط على صدورهم مناطق ذهب» ، قد تقدم لنا فى تفسير الفص الثامن أن **المنطقة الذهب** رمز على الملك ، وبذلك استدللنا هنا على أن هؤلاء السبعة من طغمة السلاطين ، وهكذا قال حزقيال فى الإصحاح الرابع من نبوته أن رجلا مطقسا وهو لا بس فرفير ومنطقة مشدود بها ظهره ، وذكر ديونسيوس أن هذا الملاك من طغمة السلاطين .

قوله : «فأعطى واحد من الأربعة الحيوانات للسبعة الملائكة سبع جامات ذهب مملوءة من غضب الله الحى إلى الأبد آمين» ، يا للعجب ! لقد قال فى

الفص الثالث والسبعين إنه رأى الضربات السبع مع الملائكة ، فكيف استأنف هنا فقال إنه رأى أحد الحيوانات أعطاها للملائكة ؟ فهل استعيدت منهم بعد رؤياه لها معهم ثم سلمها لهم الحيوان الآن ، أم أن هذه ضربات أخرى غير تلك ؟

والجواب : إنها هى لا غيرها ، بدليل إحالته هنا بالألف واللام التى للعهد السابق على ما ذكر أولا ، وهذا معنى قوله : «وخرج السبعة الملائكة من الهيكل الذين معهم السبع الضربات» ، وإنما رأى الملائكة والضربات على دفعتين ، الأولى [فى فص ٧٣] على وجه مجمل كالعنوان ، وهذه على وجه مفصل لتلك ، وسيفصل هذه أيضا بجاماتها فى فص آخر .

وأما أى حيوان من الأربعة هو الذى أعطى الجامات لهذه الملائكة ؟ فالمناسب لذلك ، هو الذى يشبه وجه أسد لاختصاص هذا الشبه بالغضب والانتقام والشدة . ولعلو مرتبته ، يتلقى الأمر من مقر العظمة ويؤديه للملائكة . **والجامات** ، آنية الغضب ، هى رمز على أمر الله تعالى المشتمل على الغضب . وأما كونها **ذهب** فرمز به هنا على العدل فيما حل بأهل ذلك العصر . وأما وصفه لله تعالى بالحياة إلى **أبد الأبد** ، فالمراد أنه هو الذى يبقى ويزول الكل ، وأحكامه النافذة فى كل حكم وقبله وبعده . قوله : «آمين» لتحقيق هذا الرأى وتثبيته .

قوله : «فامتلأ الهيكل من دخان مجد الله ومن قوته» ، الامتلاء على ظاهره ، **والدخان** رمز يدل على حلول القوة الإلهية المهلكة كدلالته على النار المحرقة . **ومجد الله** يريد به جلاله ، **وقوته** يريد بها قوة غضبه إطلاقا للعام على الخاص ، فتقدير القول : فامتلأ هيكل الله من جلاله وقوة غضبه . وقد وقع الكلام فى الإدراك الروحانى للغضب وغيره بما فيه كفاية .

قوله : «ولم يستطع أحد أن يدخل إلى الهيكل حتى كملت هذه الضربات من السبعة الملائكة» ، أى لم يستطع أحد من الملائكة أن يدخل الهيكل ليستشفع عن خطايا البشر حتى كملت الضربات ، لأنه ذكر فى الفص السابع والثلاثين أن ملاكا وقف عند المذبح ومعه مجمرة مملوءة بخورا من صلوات القديسين ، وبيّنا فى تفسيره أن ذلك الاعتماد استشفاع من الملائكة عن خطايا البشر .

✠ ✠ ✠

الأصحاح السادس عشر

الفصل السادس عشر

٧٦- (١) وسمعت صوتا عظيما من السماء يقول للملائكة امضوا اسكبوا جاماتكم التى لغضب الله على الأرض .

قد مضى تفسير الصوت وعِظَمه ، والسماع والجامات . فأما **السكب** فإنه رمز على تنفيذ الأمر بإخراجه من القوة إلى الفعل . ، وقوله : «على الأرض» ، يقصد أهل ذلك العصر ، وبقية الفص على ظاهره .

وأما : هل هذه الضربات عامة على الأرض كلها ، أم خاصة بمكان دون مكان ؟

فالجواب : أن منها أربع عامة وهى الأولى والثالثة والرابعة والسابعة ، ومنها ثلاث خاصة وهى الثانية والخامسة والسادسة ، وسيأتى بيانها فى أماكنها . وبحسب اعتبار آخر : منها ثلاث ضربات فى المياه وهى الثانية والثالثة والسادسة ، ومنها ضربة فى الهواء وهى السابعة ، ومنها ضربة فى الشمس وهى الرابعة ، ومنها ضربة فى كرسى الوحش وهى الخامسة ؛ ،منها ضربة **غير معيّنة** وهى الأولى .

✠ ✣ ✠

٧٧- (٢) فمضى الملاك الأول وسكب جامه على الأرض فكانت ضربة سوء على الناس المختومين من الوحش والساجدين لصورته .

أخذ فى تفصيل الضربات السبع التى تحل بدولة الوحش وتابعيه ، الأولى : قوله : «فمضى الملاك الأول وسكب جامه على الأرض» إلى آخر الفص . السكب والجام قد مضى تفسيرهما ، ويريد بقوله **على الأرض** ، أى على أهل الأرض ، فحذف المضاف بدليل قوله : **فكانت ضربة سوء على الناس** وما يتلوه ، وقد مضى مثل ذلك . **والختم** قد فُسّر . لكن ما هى هذه الضربة ، فإنه لم يعين نوعها ، بل وصفها بأنها ضربة سوء ؟ ويجب علينا أن نتطلب ذلك بتتبع القرائن اللفظية والمعنوية والحالية .

أما اللفظية : فلم نظفر منها بتعيين ، حيث أن قوله **ضربة سوء** يُشعر بأنها ليست ضربة قاتلة كالوباء والسيف والحريق وما يشبه ذلك ، وإلا لكانت مريحة لهم من الضربات الآتية ، ولكانت الضربات الآتية تبطل .

قوله : «على الناس المختومين من الوحش والساجدين لصورته» ، يُشعر بثلاثة أمور ، **أولها** : عموم هذه الضربة عليهم . **وثانيها** : أنها ليست بضربة قاتلة بل مُعذِّبة . **وثالثها** : أن هذه الضربات إنما تكون فى أواخر الدولة الدجالية بعد وسم الناس وسجودهم لصورة الدجال الطمثة(١) .

وأما القرائن المعنوية : فإذا اعتبرنا هذه الضربات السبع ، لوجدناه قد جازى بأكثرها ضربات الأبواق التى فى أيام الشهيدين العظيمين ، وذلك أن الثانية - فى الضربات الأولى - هى قلب ماء البحر دما وموت ثلث حيواناته [فص ٤٠] ، وفى هذه كذلك ، لكن مات من هذه كل حيواناته [فص ٧٨] . وأما الثالثة فى تلك فوقوع نجم يمرر مياه الأنهار ويقتل كثيرا من الناس [فص ٤١] . وفى هذه تنقلب المياه دما فيكون شربه عقوبة للناس من غير موت [فص ٧٩] ، وهما متقاربان . وأما الرابعة هناك فانكساف النيّريْن والكواكب ، وهنا احترار الشمس فتنبعث منها السموم فيجدف الناس [فص ٨٠] ، وبالجملة فالاثنتان فى الشمس . وأما الخامسة هناك فصعود دخان العمق كأتون عظيم فتظلم منه الشمس والجو [فص ٤٤] ، وهنا يظلم كرسى الوحش [فص ٨١] . وأما السادسة هناك فهبوط الأربعة الملائكة لقتل ثلث الناس [فص ٤٨] ، وهنا جفاف نهر الفرات لتعدية الملوك من المشارق لقتال الدولة الدجالية [فص ٨٢] ، فقد اجتمعتا فى كونهما قتلا للناس . والسابعة هناك أصوات سمائية تقول إن مملكة العالم صارت لله [فص ٥٧] ، وهنا آثار سماوية وانهدام المدائن بالزلزلة التى فيها [فص ٨٦] . فهذا التشابه بين الكائنين فى ست ضربات قد بيّناه . وبقية الأولى - التى هى المقصود - فإن هناك برد ونار مختلطان بدم أحرق ثلث الأرض والشجر وكل العشب الأخضر [فص ٣٩] ، وأما فى هذه [فى هذا الفص ٧٧] فلم يعيّن نوعها ، بل أُبهِمَت ، ولم يمكنّا أن نفسر هذا المبهم الذى

(١) المعتمة ، الغير ظاهرة ، الغير واضحة .

لم يعين بأنه أيضا برد ونار ودم حملا على ذلك المكان بالمشابهة ، لأن غاية تلك الضربة [فى فص ٣٩] أن أحرقت وأهلكت ، وهذا فى هذه الضربة ممنوع لما بيّناه من أن هذه ضربة عامة غير مهلكة . ثم اعتبرنا الفص الثالث والتسعين ، فألفيناه قد ذُكرت فيه أربعة أنواع من العقوبات للمدينة المدعوة بابل ، مدينة مملكة الدجال ، وهى : موت وحزن وجوع وحرق . أما الموت والحرق فقد امتنع تفسير ضربة السوء بهما أو أحدهما لما بيّناه ؛ وأما الحزن والجوع فممكنان ، وكذلك مرض من الأمراض المؤلمة ، والأرجح فى هذه على حسب ظنى هو الجوع ، فإنه يتبعه الألم والحزن وكل آفة ، فلنفسر هذه الضربة الأولى التى ذكر أنها ضربة سوء بأنها جوع ، وذلك بأن تقوى شهوة الغذاء فينتج منها مرض كداء الكلب - وتقل الحنطة والحبوب وما يُتَقَوّت به - فيعم البلاء المسكونة ويشتد بقوة الشهوة - وهذا الداء كثيرا ما يعرض للناس فى القحط ، وإن هذه لضربة سوء كما قالت الرؤيا .

✠ ✣ ✠

٧٨- (٣) وسكب الملاك الثانى جامه على البحر فصار دما مثل دم ميت فماتت كل نفس فى المياه .

هذه هى الضربة الثانية ، وهى على ظاهرها . **والبحر** يريد به يريد به البحر الملح كما فسرنا ذلك فى تفسير الفص الأربعين . ويجوز هنا أن يكون البحران معا : الأحمر الهندى الجنوبى والأخضر الرومى شمالا .

وقوله : «مثل دم ميت فماتت كل نفس فى المياه» ، أى استحال ماء البحر ، على عظَمه وكثرته ، فصار دما كدم الميت . وسواء كان الميت وصفا للدم أو الدم مضافا إليه ، فإن المعنى واحد ، وذلك أن الدم فى الميت يستحيل

ماء أصفر صديدا له له كيفية منتنة سمية ، وهو بعينه الدم الميت . ولأن تنفس الحيوان البحرى إنما هو بالماء ، كما يتنفس الحيوان الأرضى بالهواء ، فحتما يموت كل حيوان فى المياه منه . ولمانع ما ، لم تبلغ هذه المادة الرديئة أن تفسد مزاج الهواء[١] ، ولعل ذلك المانع أن الهواء لم يتكثف بكثفها الرديئة للزوجة[٢] جرم الماء ، أو أنها لم تلبث مدة تبلغ فيها التأثير على الهواء ، أو هو عصمة بالأمر الإلهى ، وإلا لهلك حيوان البر أيضا ؛ فهى إذن تعم حيوان الماء وخاصة به دون سواه .

✠ ✣ ✠

٧٩- (٤) وسكب الملاك الثالث جامه على الأنهار وينابيع المياه فصارت دما (٥) وسمعت ملاك الماء يقول أنت صادق أيها الكائن والذى كان لأنك حكمت على هؤلاء (٦) لأنهم سفكوا دم القديسين والأنبياء فأعطيت دما لهم ليشربوا لأنهم يستحقون (٧) وسمعت صوتا من المذبح قائلا نعم أيها الرب الإله ضابط الكل أنت الحق وأحكامك حق .

قوله : «وسكب الملاك الثالث جامه على الأنهار وينابيع المياه فصارت دما» ، هذه هى الضربة الثالثة ، وهى تخص المياه المشروبة ، كالأنهار والآبار والبطائح[٤] وكل ماء يشرب . واعلم أن الماء المختار للشرب هو أن يكون رقيق القوام صافيا لا لون له ولا رائحة ولا طعما . فأما مصيره دما فبأن يغلظ

(١) أى طبيعة الهواء ومكوناته . (٢) مرن أشبه بالعسل ، قابل للتلبك والالتصاق .
(٣) أى طبيعة الماء ومكوناته . (٤) القنوات .

قوامه ، ويتكدر صفاؤه ، ويحمرّ لونه ، وتزفر رائحته ، ويُعاف طعمه . ولم يذكر فى هذه الضربة أنه استحال صديدا[١] ، إذ لو كان كذلك لهلك بقية الحيوان . وإذا اشتد العطش ولم يصادف الحيوان ماء ، شربوا هذه المياه الدموية مرغمين للضرورة ، فإن سالكى السبل المعطشة[٢] قد يبلغ بهم الحال إلى أن يشربوا ما يريقونه[٣] . فأما ماء البحر الزعاق فلا يسيغ اللهوات[٤] شربه أصلا لشدة ملوحته ومرارته وزفرته وكراهيته وعدم الرى به ، فهذه المياه أهون شربا منه . ولعل ما يُستنبط بالحفر من المياه ينبع أيضا دما ، وإلا لكان الناس يحتفرون كما فعل المصريون فى مثل هذه الضربة أيام موسى وفرعون[٥] .

قوله : «وسمعت ملاك الماء يقول أنت صادق أيها الكائن والذى كان لأنك حكمت على هؤلاء» ، هذا الملاك الذى ذكر أنه ملاك الماء هو من الملائكة المتولّين تصريف العناصر ، وهو غير الملاك الثالث صاحب هذا الجام ، إذ لو كان هو لقال الرسول : سمعته ، أو : سمعت الملاك . فلما لم يقل ذلك ، علمنا إنه غيره . وهذا القول على سبيل الإعجاب بأحكام الله العادلة فى سقى الدم لمن سفك دم قديسيه وأنبيائه ، وهذا هو الحق الذى لم يكن لهم محيص منه ، **والصادق** قد تقدم تفسيره فى الفص التاسع والعشرين . **والكائن والذى كان** قد مضى تقريره فى الفص الثالث ، وهو يخص الآب بدليلين : **أحدهما** : لأنه لم يقل فيه والذى يأتى . **والثانى** : فى تمام هذا الخطاب : «نعم أيها الرب الإله ضابط الكل» .

---

(١) مرا ، علقما .

(٢) أى الطرق التى ليس بها ماء .

(٣) أى ما يتبوّلونه .

(٤) البطن ، الغلة .

(٥) خر ٧ : ٢٤

قوله : «لأنهم سفكوا دم القديسين والأنبياء» ، يريد بالقديسين : الذين استشهدوا فى الدولة الدجالية ، وبالأنبياء : الشهيدين العظيمين أخنوخ وإيليا اللذين قتلهما الدجال فى أول دولته .

قوله : «فأعطيت دما لهم ليشربوا لأنهم يستحقون» ، هذا على ظاهره ، وفى قوله **ليشربوا** دليل على أنهم من عطشهم يشربون .

قوله : «وسمعت صوتا من المذبح قائلا نعم أيها الرب الإله ضابط الكل أنت الحق وأحكامك حق» ، السماع إدراك عقلى ومصدره عن الملاك ، وبقية الفص قد مضى مثله .

✠ ✣ ✠

٨٠- (٨) وسكب الملاك الرابع جامه على الشمس فأفادها أن تحتر على الناس حرارة عظيمة (٩) فاحتر الناس وجدفوا على اسم الله الذى له السلطان على هذه الضربات ولم يتوبوا ومجدوه .

هذه هى الضربة الرابعة . وهذا الاحترار يحصل بستة أسباب - منها ثلاثة باعتبار الفاعل ، **الأول** : مسامتة[١] الشمس للرؤوس ، فإن المسامتة تؤثر على اقتداح الأشعة . **والثانى** : بأن تطول مدة إقامتها فوق الأرض ، فإن النار مثلا ، وإن كانت ضعيفة ، فإنها إذا طالت مدة عملها ، فعلت فعل النار القوية . **والثالث** : إذا اجتمعت معها الكواكب الدرارى كالشعرى العبور وكوكب الجبار إلى غيرها من المتحيرة ، أوجب من الحر باجتماع الأشعة ما لا يوجب مثله فى تفرقها . ومنها سبب باعتبار القابل[٢] ، وهو أن يكون

(١) مقابلة ، موازاة .

(٢) المستقبل .

المكان الذى تطلع عليه الشمس متعسبرا[١] يلقى الأشعة التى تتفرع على جوانبه إلى وسطه كالأغوار والأودية والوهاد[٢] . ومنها سببان يعتبران بطريق العَرَض ، **الأول** : هبوط الرياح الشرقية ، فإنها بمرورها على أماكن حارة تحتر فتكون سموما كما أهبها الله تعالى عندما فلق البحر الأحمر على يد موسى لعبور بنى إسرائيل فجففت لهم الطريق [٣] . **والثانى** : أن لا تهب الرياح الباردة التى تكسر من حرارة الأشعة وتبرّد النسيم ، فيقوَى الحر لعدم الرادع .

فأى هذه الأسباب الستة آثره الملاك ؟ هل سير الشمس إلى حيز المسامتة لرؤوس أهل الأرض كلها على اختلاف المساكن فى حين واحد ؟ وهذا ممتنع . أو جعل الشمس تقصر فى المسير حتى طال النهار أكثر من أطول النهارات ؟ وهذا أيضا مستبعد . أو جمع الكواكب المذكورة إليها ؟ وهو أبعد . أو صيّر المساكن كلها غورا وأغوارا بعد أن لم تكن كذلك ؟ وهذا أشد بعدا . أم أهبّ الرياح الحارة ؟ أم أركد[٤] الرياح الباردة ؟ وكل هذه بعيدة نافرة عن مقصود الفص .

والجواب : ولا واحدا من هذه الأسباب التى ذكرها الطبيعيون تعتبر فى هذه الآية ، لأنها فى الشمس نفسها كما قال الفص . والشمس نفسها ليس مُحرّة لما يوجد من بَرَد أعالى الأرض والجو ، إذ لو كانت الشمس حارة لأسخنت الأعلى فالأعلى والأقرب إليها فالأقرب : بل هذه الحرارة تصدر عن الشعاع الصادر عن نور الشمس الظاهرة على سطوح الأجسام الكثيفة لا سيما الصقيلة[٥] فإنه يتصل فيها باتصال السطح ، وبحسب شدته توجب الحرارة حتى

---

(١) بحثنا فى كتب اللغة فلم نجد هذه اللفظة ، ولعله أراد : «مقعرا» .

(٢) مقابل أودية ، ما انخفض من الأرض . (٣) خر ١٤ : ٢١

(٤) أوقف ، سكن . (٥) اللماعة ، اللامعة .

تبلغ إلى حد الإحراق . ويضاف إلى ذلك بقية الأسباب المذكورة ، فالسببان الأولان هما المسامتة وطول مدة تأثرها بالشعاع المتصل بالأرض لا بالشمس فى السماء ، والثالث أيضا كذلك تأثيره بشعاعها مع أشعة الكواكب . وبقية الأسباب معتبرة بحسب القائل ، وبحسب العَرَض ، لا بحسب الشمس نفسها . فالحق حينئذ أن الملاك أفاض على الشمس نفسها بالأمر الإلهى حالة حارة انبثت فيها ومنها ، فأثرت السموم المؤلمة المذكورة ، وهذا معنى قوله : «وسكب الملاك الرابع جامه على الشمس فأفادها أن تحتر على الناس حرارة عظيمة» .

ولقائل أن يقول : قد ذكرت الرؤيا آنفا ، فى الفص السادس والسبعين ، أن صوتا قال للنلائكة أصحاب الضربات : «امضوا اسكبوا جاماتكم التى لغضب الله على الأرض» ، فكيف يقول هنا أن هذا الملاك سكب جامه على الشمس ، والشمس فى السماء ، والذى فى الأرض إنما هو شعاعها أو نورها لا هى ؟ فمجيبه بأن السكب قد تقدم ، وأنه رمز على تنفيذ الأمر . وتنفيذ الأمر بالحقيقة هو إيجاد السموم على الأرض، لكن علته احترار الشمس . والمعنى أنه نفذ الأمر بواسطتها ، وكلاهما تنفيذ للأمر .

قوله : «فاحتر الناس وجدفوا على اسم الله الذى له السلطان على هذه الضربات ولم يتوبوا ومجدوه» ، الله تعالى هو الفاعل الأول ، والملاك المأمور هو الفاعل الثانى ، والشمس هى العلة الثالثة ، والسموم التى آلمتهم هى العلة الرابعة . فلذلك قصدوا **بالتجديف** الفاعل الأول لانتهاء الأمر إليه ، بدليل قوله : **الذى له السلطان** ، والتجديف فى اللغة هو كفر النعمة ، ويظهر أنه إنما يريد به السب والكلام والهَجْو . والاسم يحتمل أن يراد به هنا المسمى ، ويراد به المجموع ، وأغرب ما سمع أنهم قد علموا أن نجاتهم بالتوبة ، وأن هلاكهم بإصرارهم على كفرهم ، ولم يتوبوا ولا قنعوا بإصرارهم ، بل تعدوا إلى الافتراء الذى يضر ولا ينفع . ولعمرى لو كانو مؤمنين صالحين حتى

أُلجئوا بأدنى أمر من الأمور المؤلمة إلى الكفر والشر ، لفعلوا ، محتجين بأن ضرورة ما وقعوا فيه ألجأت إلى ذلك ، ولبسطوا أوضح عذر لهم . فأما الآن ، مع هذا الأدب البالغ المبّرح ، لا يرتدّون ، بل يزدادون كفرا وشرا وافتراء . وأما فائدة قوله : **ولم يمجدوه** ، فإن الشدائد ، كما تقدم لنا ، يلتجىء فيها الكافر إلى خالقه بالطبع ويمجده . لكن هؤلاء ، لقساوتهم ، عاندوا طباع البشرية باختيارهم الرديء وتصميمهم عليه . أفليس استحقاق أن يُضربوا بمثل هذه الضربات الشديدة وأشد منها ؟ نعم ، إنهم مستحقون .

✠ ✣ ✠

٨١- (١٠) وسكب الملاك الخامس جامه على كرسى الوحش فأظلم ملكه ومضغوا ألسنتهم من الألم (١١) وجدفوا على إله السماء من الألم ومن أعمالهم لم يتوبوا .

هذه هى الضربة الخامسة . **وكرسى الوحش** يريد به رئاسته . قوله : «فأظلم ملكه» ، لفظة **أظلم** يحتمل أن تكون على ظاهرها : فتكون الضربة ظلاما يغشى المسكونة فى غير وقت الليل ، كما غشى الظلام المصريين أيام فرعون[1] . ويحتمل أن يراد بها خمول الدولة الدجالية وإدبارها ، بما يؤثر على أهلها من هذه الضربات الشديدة ، فسمى إدبارها ظلاما . وكثيرا ما أطلق الأنبياء ذلك ، فقد قال حزقيال فى حق منفيس ، ملك مصر فى تلك الأيام : «وأغشى السماء بطفيتك[2] وأظلم كواكبها ، والشمس بالغمام تتغطى ، والقمر لا يضىء نوره ، وكل المنيرات التى فى السماء أظلمها عليك وأجعل الظلمة فى أرضك»[3] ، فقد بان ذلك ، وهذا الوجه هو المقصود بالقول لا الوجه الأول .

(١) خر ١٠ : ٢١ - ٢٣ (٢) باطفائى إياك . (٣) حز ٣٢ : ٧ و ٨

قوله : « ومضغوا ألسنتهم من الألم وجدفوا على إله السماء من الألم ومن أعمالهم لم يتوبوا » ، لم يذكر فى هذه الضربة ما يقتضى الألم حتى يقول إنهم مضغوا ألسنتهم بسببه . فأى ألم هو هذا ، وما سببه ؟ أتراه ألم السموم الذى تقدم ذكره ؟ لكن ذاك أيضا ليس بألم يقتضى هذا المضغ ، لأن أعراض ألم سموم الشمس غشى وتهيّج وعرق وسقوط قوة وما أشبه ذلك ، ولم يذكر قبلها أيضا ضربة تقتضى ذلك . فليبقى أن يكون حدث مع إدبار الدولة الدجالية عَرَض مؤلم طوى ذكره فى عبارته عن هذه الضربة . وذكر الألم العارض عنه ليستدل عليه منه ، ويشبه أن يكون هذا المرض من نوع التشنج الذى سببه حرارة ويبس ، فإن الأعصاب التى فى كل عضو تتقلص بمنزلة الأوتار التى نالتها حرارة النار فانقبضت ، وهو من الأمراض الصعبة ، وسببه السموم المتقدمة عن احترار الشمس ، وأعراض هذا المرض : لدغ وتلهف وعطش وغور العينين - كما يعرض من لسع الهوام المسمومة - بل هذا أشد لقوته وعمومه للأعضاء ، فيمضغ المبتلون به ألسنتهم من صعوبته ويجدفون . ويستدل على مناسبة هذا التفسير من ضربة البوق الخامس بالجراد التى تلبست بحمى فى أذنابها كالعقارب المحاذية[1] لهذه الضربة لتقارب الألم فيهما ، والأعراض اللازمة عنه ، وقد مضى تفسير التجديف .

وأما قوله : « ومن أعمالهم لم يتوبوا » ، فإن الرسول لم يكرر ذكره جزافا ، بل متعجبا من عظم قساوتهم وتصميمهم رغم هذه الصعوبات .

(١) المشابهة ، المماثلة .

٨٢- (١٢) وسكب الملاك السادس جامه على النهر العظيم الفرات فجف الماء لتتهيأ الطريق للملوك الذين من مشارق الشمس .

هذه هى الضربة السادسة ، وهى خاصة بنهر الفرات . وإنما يجف النهر لهبوب ريح عاصفة ترد جريانه وتعيد مده جزرا ، وبسموم تجفف قاعه ، كما جرى فى البحر الأحمر عند عبور بنى إسرائيل فيه مع موسى .

قوله : «لتتهيأ الطريق للملوك الذين من مشارق الشمس» ، الكلام فى هؤلاء الملوك الشرقيين وإتيانهم وقصدهم ، يشتمل على أربع مسائل :

المسألة الأولى : هل هم من شيعة الدجال ونوابه الذين تحت حكمه ، الطائعين له ، لا طاعة الملك ، بل طاعة تألهه ، وعبادته ، والسجود لمثاله وصورته ، ورفع البخور لها ، والقَسَم باسمه ، ووسمه على أيديهم وجباههم ، فقد سلف بأن أهل الأرض دانوا له - وأنه قسّم الممالك واستناب فيها الرؤوس والقرون ؟ أم أن هؤلاء الشرقيين أمة أخرى لم تدخل تحت طاعته ؟

المسألة الثانية : وبتقدير أن يكونوا ممن آمن بالدجال وأطاعه - أو ليس ممن آمن به وأطاعه - فهل جاءوا لطاعته ونجدته ، أم أتوا لقتاله وهلاك دولته بأمر إلهى ؟

المسألة الثالثة : من أُية مظنة هم ؟ فإن جهة المشرق متسعة تشتمل على عدة إقاليم ومساكن .

المسألة الرابعة : من أى جنس هم ؟ فإن المشرق فيه من الأمم أجناس كثيرة .

وقد ذكر إيبوليطس فيما يجاب به عن ذلك : أما عن **الأولى** فإنه ذهب إلى أنهم من شيعة الدجال ونوابه . وأما عن **الثانية** فإنه قال : إن الرب ، لإمهاله ، سهّل طريقهم حتى يأتوا إلى الدجال لنجدته وطاعته . وأما عن

الثالثة والرابعة فلم يذكر فيها المفسرون شيئا - فإن هذا الفص من مشكلات الرؤيا .

ونحن نتتبع ما يمكن تحصيله من ذلك بقدر الاستطاعة ، فنقول : أما القول بأن هؤلاء الملوك من شيعة الدجال أتوا لنجدته ، فمناف لمقصد القول بعدة وجوه :

الأول : لو كان الأمر كذلك ، لم تكن هذه ضربة على الدولة الدجالية ، بل آية عُملت لها وعناية بها .

والثانى : إنه من الشناعة أن يقال أن الله أرسل ملاكه ليجفف نهر الفرات حتى يأتى ملوك كفار لإعانة الدجال على قتال سيد الكل والمؤمنين به .

والثالث : إنه من الممكن السهل أن يعبر هؤلاء الملوك نهر الفرات بخيلهم ورجلهم ، إما على جسر يمدونه ، أو بمراكب ينزلونها ، أو بأخشاب يجمعونها ويعبرون عليها ، أو يخوضون من أماكن تخاض فيه معروفة على عادة مستمرة لمن تَقدّمهم ، ولا يحتاجون إلى تجفيفه .

والرابع : أن الدجال يمكنه تسهيل سبلهم بقدرة ملكه وسحره ، ويستغنون عن هذه الآية العظيمة .

وأما غير ذلك ، فإن لكل مملكة إقبالا وإدبارا ، فإقبالها لعمل تعمله ، وإدبارها لغاية تنتهى إليها . فإذا أدبرت دولة ، ظهرت عليها دولة أخرى تضادها يكون بها فناؤها وتلاشيها - كما ظهرت الدولة العبرانية فأهلكت عدة دول من الأمم الثمانية بأرض كنعان لما كملت خطاياهم وأدبرت دولهم . وكذلك لما أدبرت الدولة العبرانية ظهرت عليها دولة الكلدانيين فأبادتها ، وأباد الماهيون الكلدانيين ، وأباد الفرس الماهيين ، وأباد اليونان الفرس ، وأباد الروم اليونان ، وهلم جرا . وكل ذلك بالضرورة ثابت فى العلم الإلهى ، كائن بالإرادة العالية الإلهية ، مأمور به ملائكة تولى كل دولة ملاك منها كما جاء فى نبوة دانيال ، هذا ما كان قديما .

وأما فى عصر الرسل ، فقد ذُكر فى سيرة متى الرسول فيما حكاه لبطرس وأندراوس إخيه عند مصادفته لهما وقد عاد من بشرى بلاد البربر ، قال : إنه لما بشّر فى بلاد المغبوطين باسم سيدنا يسوع المسيح ، قالوا له : نحن نعرف هذا الاسم ، وغدا تشاهد من بشرتنا به عيانا . فلما كان الغد ، ظهر ربنا يسوع المسيح له المجد على غمامة مضيئة فى قوات تسبحه ببيعتهم ، فسجدوا أمامه ، وعلّمهم وأوصاهم وباركهم وصعد عنهم . وأن متى الرسول سألهم من هم حتى استحقوا هذا الأمر العظيم ؟ فقالوا : «ألم يبلغك خبر تسعة الأسباط ونصف الذين أدخلهم الرب أرض الميعاد ؟ نحن هم . » ثم وصف من نقاوتهم وعفتهم وزهدهم وخدمتهم الهياكل وصدقهم وسكونهم ما وصف .

إذا عرفتَ ذلك ، فلِمَ لا يجوز أن يكون هؤلاء الملوك الذين من مشرق الشمس هم هذه الأمة ، إدّخرها وأخفاها ، ثم يظهرها عند إدبار الدولة الدجالية لإهلاكها ؟ كما أن يأجوج ومأجوج فى مساكنهما ، لا يوصَل إليهما فى الدولة الدجالية . ولكنهم معدون ليوم خروجهم على الأرض قبل القيامة العامة حسبما تذكره هذه الرؤيا فيما يأتى . ويكون تجفيف نهر الفرات لتهيئة طريق هؤلاء الملوك ضربة للدولة الدجالية وعناية بهم وآية لهم . وهو ، وإن كان من جملة الضربات التى تحل بدولة الدجال ، فإن له اعتبارا بوجه آخر وهو أنه أول مبادىء الحرب العظيمة . وأما إمكان عبورهم بطريق من الطرق التى ذكرنا فهو ظاهر .

لكن الآية جعلت لظهورهم علامة نصرتهم وخذلان الدولة الدجالية . وبالجملة ، قد صرح عزرا النبى بذلك وتنبأ عليه وشرحه وأراحنا من تقريره والاستدلال عليه ، وهو قول الوحى فى تفسيره له ما رآه ، من ذلك حيث يقول عن سيد الكل والأمة الغريبة التى رأته ونادها للصلح ، فهم بقية التسع القبائل والأسباط التى سباها شلمناصر ملك السريان فى أيام نوف ملك إسرائيل ، وبعث بهم إلى أرض أخرى خلف الأمم التى نُفوا إليها ، وما سكنت حتى سكنوها

ونصبوا أنفسهم لعبادة الله ، فأجازهم مداخل الفرات ومخائضه بضيق ، لأن العلى صنع بهم العجب وأحسن إليهم وأقام المياه لهم حتى جازوا النهر ، بعد أن صاروا فى أرض أون سنة ونصف . فإذا أتوا فى الزمن الأخير ، سيقيم لهم العلى مياه النهر حتى يجوزوا .

فقد تبيّن من هذا جواب المسائل الأربعة ، وهى : أنهم غير الشيعة ، وأنهم أتوا لإهلاكها وقتلها بالسيف بالأمر الإلهى ، ويغلب علىّ الظن أنهم هم المغبوطون الذين ذكرهم متى الرسول ، وأن جنسهم عبرانيون .

✠ ✠ ✠

٨٣- (١٣) ورأيت فى فم التنين وفى فم الوحش وفى فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة مثل ضفادع (١٤) لأنها أرواح شياطين تصنع آيات فى ملوك الأرض لتجمعهم إلى حرب اليوم العظيم الذى لله ضابط الكل .

قد عرفتَ أن الرؤية فى الرؤيا إدراك عقلى كإدراك الحس للمبصَرات ، وأن التنين هو الشيطان ، وأن الوحش البحرى هو الدجال ، وأن النبى الكذاب الذى يقيمه أمامه هو الوحش البرى .

وأما **الفم** فيريد به النفْس لما بينهما من المشابهة ، وذلك أن الفم مصدر اللفظ والنفْس مصدر لمعنى اللفظ ، فتشابها فى المصديرة وفى أن الصادرين عنهما متلازمان ، والأشباه والمتلازمات يدل بعضها على بعض .

قوله : «ثلاثة أرواح نجسة مثل ضفادع لأنها أرواح شياطين» ، مراده بالروح هنا قوة تقتدر بها على أفعال غير إلهية خارقة للمعتاد . وهذه الأرواح ، وإن كانت ثلاثة بالشخص ، فهى واحدة بالنوع ، وهى للتنين بطباعه ،

وللوحشين بالاكتساب منه ، فإن التنين يفيضها على الوحش البحرى كما قالت الرؤيا متقدما [فص ٦٢] ، والوحش البحرى يفيضها على النبى الكذاب . وأما كونها **نجسة** فمعلوم على ظاهره . وتشبيهها **بالضفادع** لسماجتها ونجاستها وقذارتها . وإضافتها **للشياطين** على سبيل التشبيه .

قوله : «تصنع آيات فى ملوك الأرض لتجمعهم إلى حرب اليوم العظيم الذى لله ضابط الكل» ، معلوم أن الشيطان فى قوته وقدرته أن يطوف الأرض كلها فى لحظة واحدة ، كما بُيّن ذلك فى سفر أيوب عندما قال الله تعالى له : «من أين أتيت ؟ قال : طفت الأرض جميعها وهاأنذا»[(١)] ، فهذه حركته . وأما علمه فمنبسط روحانى لأنه مجرد عن المادة ، مع أنه - بخطئه - نقص عن بساطته الأولى فى علمه وقدرته ، وكذلك الحال فى أعوانه وملائكته .

وأما الملوك الذين ذُكروا أنهم أتوا من مشارق الشمس ، وإن كانت مساكنهم أخفيت أولا عن علم الشيطان والدجال والنبى الكذاب ، فلا يخفى عنهم حركتهم بعد خروجهم ومسيرهم ، فلذلك يهتمون بالجمع والحشد على هؤلاء الملوك الشرقيين لقتالهم .

ومملكة الدجال منبسطة على الأرض وأقطارها متباعدة . فلو أخذ يُسَيّر رسلا وينتظر عودتهم ومجىء العساكر لطال وفات القصد ، لأن أقصى الأقطار يحتاج فى الأقل إلى مسير سنة كاملة وإلى أكثر من ذلك حتى تصل الرسل ، إلى مدة أخرى مثل ذلك ، تصل فيها العساكر إلى مدينة القدس .

فلذلك كانت الآيات التى يصنعها التنين والدجال والنبى الكذاب هى تسيير الأرواح إلى سائر الجهات والأقطار والممالك ، إما بمكاتبة أو بمشافهة ، ليسرع حضورهم فى المدة اليسيرة بباعث شديد وحركة مسرعة . وهذا معنى

---

(١) أى ١ : ٧

قوله : «تصنع آيات فى ملوك الأرض لتجمعهم إلى حرب اليوم العظيم» ، وكل يوم فيه واقعة عظيمة إما بخير أو بشر ، فإن الأنبياء وأرباب الوحى يسمونه **يوم الرب** بدليل قول أشعياء : «هذا يوم الرب الآتى»[١] ، وقول ملاخى : «وهانذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجيء يوم الرب العزيز المخوف»[٢] .

✠ ✞ ✠

٨٤- (١٥) ها أنا آتى كلص فطوبى للذى يحترس ويحفظ ثيابه كيلا يمشى عريانا فينظرون سوءته .

هذا الفص معترض بين كلامين متصلى المعنى الأول بالثانى . فإن آخر الفص الماضى : «تصنع آيات فى ملوك الأرض لتجمعهم إلى حرب اليوم العظيم الذى لله ضابط الكل» ، وأول الفص الآتى : «فجمعتهم إلى الموضع المدعو بالعبرانية أرماكادون» ، وهذا كلام متتالى النظام ، وقد اعترض بينهما هذا الفص للعناية بإيقاظ السامعين . لأنه لما ذكر اجتماع الملوك للحرب العظيمة ، نبّه على سرعة مجيئه له المجد ، وأن الوقت الذى ينعم فيه الأبرار قد حان وآن ، ليكون تيقظ السامعين أعظم ، فيدعو إلى توبة الأشرار وتسلية[٣] أصحاب الشدائد ومسرة الأبرار . ثم أخبر أن مجيئه كمجيء اللص وفى حين غفلة عن الانتظار ، وكذلك قال فى الإنجيل المقدس : «لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان»[٤] ، ثم قال أن مجيء ابن البشر يكون كما جاء

(١) أش ١٣ : ٦ و ٩
(٢) ملا ٤ : ٥
(٣) مواساة ، مؤازرة .
(٤) مت ٢٤ : ٤٤

الطوفان[١] أى فى حين لم يُرتقب . وقال أيضا أن مجيئه كمجىء الفخ[٢] على الطائر عند انطباقه حال غفلة الطائر . وكذا قال بولس الرسول : «لأنكم تعلمون أن يوم الرب يأتى كسارق»[٣] .

قوله : «فطوبى للذى يحترس ويحفظ ثيابه كيلا يمشى عريانا فينظرون سوءته» ، قد مضى تفسير **الطوبى** ، **والاحتراس** على ظاهره **والثياب** رمز على الثبات والصبر كما تقدم ، **والعرى** هو الخور وقلة الثبات ، **والسوءة** رمز على الخزى ، وصار تقدير القول : السعادة لمن يحفظ ثيابه وصبره كى لا يخور فيظهر خزيه .

✠ ✝ ✠

٨٥- (١٦) فجمعتهم إلى الموضع المدعو بالعبرانية أرماكادون .

هذا الفص مكمل للفص الثانى والثمانين ومتمم لمعناه . والضمير فى قوله فجمعتهم إشارة إلى حشود الرجال والملوك الآتين من مشارق الشمس لتكون الحرب العظيمة فى الموضع المدعو بالعبرانية أرماكادون ، ومعنى هذا اللفظ الموضع الواطى . وأما تعيينه ، فقد ذكره إيبوليطس أنه وادى يهوشافاط ، آخذا من قول يوئيل النبى : «وأجمع كل الشعوب وأهبطهم إلى وادى يهوشافاط»[٤] ، ويظهر أن هذا النص ليس بمقول عن هذه الواقعة ، لأن أوله : «فى تلك الأيام وفى ذلك الزمان أسترد سبى يهوذا وأورشليم» ، ثم قال : «وأجمع كل الشعوب وأهبطهم إلى وادى يهوشافاط» ، فبهذا تبيّن إنه مختص بآل يهوذا عند عودتهم من سبى بابل على يد زربابل ، وانتصاره على الذين حوله المانعين له من بناء بيت المقدس وعمارة أورشليم .

(١) مت ٢٤ : ٣٧ و ٣٨
(٢) لو ٢١ : ٣٥
(٣) ١ تس ٥ : ٢
(٤) يؤ ٣ : ٢

٨٦- (١٧) وسكب الملاك السابع جامه على الجو فصرخ صوت عظيم من الهيكل ومن وجه العرش قائلا قد كان (١٨) فكانت رعود وبروق وأصوات وكانت زلزلة لم يكن مثلها قط بهذا المقدار (١٩) فصارت المدينة العظيمة ثلاثة أجزاء ومدن الأمم سقطت وبابل العظيمة ذُكرت أمام الله لتعطَى كأس خمر حنق الغضب (٢٠) وكل الجزائر هربت والجبال لم توجد فى مواضعها (٢١) وبَرَد مثل صنجات الميزان سقط من السماء على الناس فجدف الناس على الله من الضربة والبَرَد الكثير جدا .

إن قوله : «وسكب الملاك السابع جامه على الجو» يعنى أن الضربة كلها من الآثار العلوية .

قوله : «فصرخ صوت عظيم من الهيكل ومن وجه العرش قائلا» ، أما **السكب والجام والهيكل والعرش** فقد تقدم الكلام عليها ، وأما **الصوت** فى الرؤيا فمدرك عقلى كما أن السماع فيها إدراك عقلى ، والغرض به التهويل والإنذار بالضربة قبل كونها ليُعلم صدورها عن القصد الإلهى ، والصوت مع ذلك علامة لها . قوله : «قد كان» ، أى قد قضى هذا الأمر وحتم بالإرادة الإلهية .

قوله : «فكانت رعود وبروق وأصوات» ، هذه الحوادث على ظاهرها تكون فى ذلك الوقت ، بدليل قوله : «وكانت زلزلة لم يكن مثلها قط» ، وأنها هدمت ثلث المدينة . وكانت هذه الأصوات الثلاثة ترد وهى **الرعود والبروق والأصوات** ، ثم يعقبها **الزلزلة** . فالصوت الأول مؤذن بكون الآثار الأربعة التى ذُكرت . والبرق والرعد مقدمة لهبوط البَرَد الذى سيأتى ذكره . والزلزلة

سبب لغوص الجزائر فى البحار واندكاك الجبال وتفرّق أجزائها . وإن زلزلة تفعل مثل هذا الفعل لزلزلة هائلة وحادث جَلل ، ولهذا قال : «لم يكن مثلها قط» ، ومن العجب أن يبقى معها جدار قائم أو حيوان حى وقد دُكّت الجبال وغُوّصت الجزائر ، لكن الإرادة الإلهية شاءت حياة من يحيا لمعاينة هذه الحوادث العجيبة الغريبة والاتعاظ بها وتسبيح الله من أجلها .

واعلم أن العلماء الطبيعيين يعطون لهذه الآثار العلوية أسبابا إذا جرت فى الوجود على مجراها الطبيعى ، فأما إذا أتت على طريق المعجز الخارق العادة الوجودية ، تبعث الأسباب الأمر الإلهى للوقت مُسَخّرة دون أن تلزم نظامها الوجودى أو تقف عنده ، بل تبادر خاضعة طائعة لأمره تبارك وتعالى .

فأما الأسباب التى ذكرها الطبيعيون ، فهى : أن البخار الرطب والدخان يلتفان عند صعودهما من أسفل ويرتفعان إلى الطبقة الباردة من الهواء فيجمد البخار سحابا ويحتبس ذلك الدخان فى باطنه ، فإن بقى الدخان حارا قصد العلو ومزق السحاب تمزيقا عنيفا فصوت هذا التمزيق هو الرعد . وإن برد الدخان وقصر عن الصعود اتجه إلى أسفل ومزق السحاب أيضا فكان عنه الرعد . ولأن الدخان لطيف فيه مائية وأرضية عملت فيها الحرارة والحركة والخلخلة والممازجة عملا ، قرب مزاجه من الدهنية ، فهو لا محالة يشتعل بأدنى سبب لا سيما بالحركة الشديدة والاحتكاك القوى ، فعند قوة حركته إذا تمزق السحاب فيشتعل فذلك هو البرق . وقالوا : ربما كان البرق سببا للرعد ، فإن الدخان عندما يشتعل وينطفىء فى السحاب ، فصوت انطفائه هو الرعد .

فهذه أسباب البرق والرعد . وأما سبب الأصوات والزلزلة ، فقد بيّنا ذلك فى تفسير الفص الثلاثين ، ونحن نعيده هنا ، فنقول : إن الزلزلة إما أن تكون تحت الأرض أو فوقها أو مركبا منهما .

أما التى تحت : فإن الدخان إذا تولد تحت الأرض وكان حارا كثير المادة ووجه الأرض متكاثف منسد المسام والمنافذ ، ثم حاول ذلك الدخان الخروج فلم يتمكن ، فحينئذ يتحرك فى ذاته ويحرك الأرض ، وربما بلغ من قوته إلى أن يشق الأرض فيخرج نارا وأصواتا ريحية هائلة . ومتى وقع هذا الشق فى بلدة أو عندها جعل أعاليها سافلها ، أو تسيل مياه كثيرة فى أغوار الأرض فتهتز الأرض لثقلها .

وأما السبب الذى فوق الأرض : فهو أن تسقط رؤوس الجبال ، إما لفرط رطوبة بأمطار أو يبوسة لحر الشمس ، فإذا سقطت تزلزلت بها الأرض ؛ ووقوع هذا أقل من الأول .

قوله : «فصارت المدينة العظيمة ثلاثة أجزاء ومدن الأمم سقطت» ، أما **المدينة** فسنبيّن إنها بابل المشار بها إلى مدينة القدس . وأما مصيرها **ثلاثة أجزاء** فلا يخلو أنه يريد بذلك المدينة نفسها أو أهلها أو المجموع . فإن كان مراده المدينة نفسها ، فمعناه أم جزءا منها يخرب ويندثر ، وجزءا يبقى سالما ، وجزءا ثالثا ينهدم بعض الهدم القابل للإصلاح . وإن كان مراده أهل المدينة ، فجزء يعتل ويهلك ، وجزء يسلم بعد معاينة ومعاناة تلك الأهوال ، وجزء ثالث يحيا أشخاصه لكنهم معلولين محطمين بين الحياة والموت ، وبين السلامة والمرض . وإن كان مراده المجموع ، فقد بان مما قلناه . **وسقوط مدن الأمم** دليل على أن هذه الحوادث تعم وترتج بها الأرض جميعها ، وتسقط المدائن كما ذكر .

ويبقى سؤالان ، **أحدهما** : هل يموت أهل هذه المدائن التى تسقط أو يحيون ؟ ويظهر أنهم يكونون على الأقسام الثلاثة التى تقدم ذكرها . **والآخر** : لماذا خصت الزلزلة المدائن بالهدم دون البلاد والقرى ؟

والجواب : إن هذا دليل ظاهر على أن الزلزلة إنما تعرض بقصد إلهى خارق العادة ، فلذلك خصت المدائن بالسقوط دون سواها مع تعميم الزلزلة على الأرض كلها . وكيفية ذلك أن القدرة العالية أمرت البخار الدخانى أن يشق الأرض فى كل مدينة أو عندها فيصير عاليها سافلها للوقت كما بيّنا ذلك .

قوله : «وبابل العظيمة ذُكرت أمام الله لتعطى كأس خمر حنق الغضب» ، إنما أراد ببال هذه مدينة القدس ، ولم يرد بابل مدينة بختنصر ، بعدة دلائل ، **الأول** : أنه ميزها عن تلك بقوله **العظمى** فميزها بالعظمة عن بقية المدائن بعد أن ذكر اسمها فأتى بمميز بعد تمييز . **الثانى** : أن بابل تلك خربت . وذكر جماعة من الأنبياء أنها لا تعود تعمر إلى الأبد ، ولا يوقد فيها سراج ، ولا يُسمع فيها صوت استجلاء[١] عروس ، بل تكون موطنا لبنات آوى وفراخ النعام وموطنا للشياطين ، فمن الممتنع أن تعود تعمر . **الثالث** : أن للنبوات بمثل ذلك عادة ، فإن أشعياء يخاطب أهل أورشليم : «اسمعوا يا مسلطى سدوم وانصتوا لشريعة إلهنا يا شعب عمورة »[٢] ، ولهذه الرؤيا عادة أن تسمى مدينة القدس كل حين باسم مدينة ما إذا غلب على أهلها فى ذلك الوقت أفعال أهل تلك المدينة . فإنها ذكرت فى الفص الخامس والخمسين عن الشهيدين أخنوخ وإيليا : « وتكون جثتاهما فى شارع المدينة العظيمة المدعوة روحيا سدوم ومصر حيث صُلب سيدهما فيه»[٣] ، ومضى إيضاع ذلك بأن تسميتها سدوم لأجل لواط أهلها وتظاهرهم بالفحشاء فى ذلك الوقت ، ومصر لأجل إغراقهم فى عبادة الأوثان . وبيّن فيها أن المراد هو مدينة القدس بقوله : «حيث صُلب سيدهما» ، وكذلك هنا لما كان ألها فى ذلك الوقت يغلب عليهم السحر وعادة الأوثان سماها بابل . **الرابع** : تصريحه بذلك وتنبيهه فى الفص

(١) زفة ، احتفال عريس - ولم تأت فى اللغة عروس إلا نادرا .

(٢) أش ١ : ١٠ .

(٣) رؤ ١١ : ٨

السادس والتسعين ، إذ قال عن بابل هذه : «لأن بأدويتك ضل الأمم جميعا ووجد دم الأنبياء والقديسين فيها»[١] ، وقد قال الإنجيل المقدس بأن : «نبيا لا يهلك خارجا عن أورشليم»[٢] . فقد ظهر ذلك ظهورا بيّنًا . فأما مَن ذكرها أمام الله ؟ فهم الملائكة ونفوس الشهداء والصديقين الذين يستغيثون فى كل حين ويسألون الانتقام لدمائهم حسب ما تقدم ذكره وشرحه . **وكأس الخمر** يريد بها الانتقام الإلهى ، وبيّن ذلك بإضافته إلى **حنق الغضب** ، وكثيرا ما أطلق الأنبياء كأس الخمر على الانتقام الإلهى ، فإن المزمور يقول : «وفى يد الرب كأس صرف وهو يديرها من هذا إلى هذا»[٣] ، ويقول أشعياء النبى فى نبوة على رد سبى أورشليم : «انتبهى انتبهى وانهضى يا أورشليم التى شربت من يد الرب كأس غضبه»[٤] . وأما إضافته الحنق إلى الغضب ، فلأن الحنق قد يكون لتأديب الأخيار إذا هفوا ، وقد يكون الغضب على الأشرار إذا استفحلوا فى الخطايا ، وهو المراد هنا ، على أن معنى الحنق والغضب متقاربان لغة .

قوله : «وكل الجزائر هربت والجبال لم توجد فى مواضعها» ، هذا القول من تتمة آثار الجام السابع . وإنما اعترض حديث بابل بينها للإخفاء والإبهام ، إذ عادة النبوات المرموزة أن تُدخل كلاما أجنبيا بين كلامين متصلين فيختلط المعنى ويقف الفهم ، **فهرب الجزائر** غوصها فى البحار عند انتفاض الأرض بالزلزلة العظيمة ، أى لم توجد ولا عُرف مكانها ، وهذه تشبه حال الهارب وصفته ، ولذلك وصفها بالهرب . أما كون **الجبال لم توجد فى مواضعها** فلأمرين ، **أحدهما** : أنها غاصت فى الأرض وألحمت عليها الأرض فلم يُعرف لها موضع . **والثانى** : لأنها تهدمت وتفتت بالزلزلة التى ذُكرت ونسّفتها الرياح فلم يُعرف موضعها . فيا لعظم هذا الأمر وما أشده .

(١) رؤ ١ٸ : ٢٣ و ٢٤ (٢) لو ١٣ : ٣٣
(٣) مز ٧٥ : ٨ (٤) أش ٥١ : ١٧

قوله : «وبَرَد مثل صنجات الميزان سقط من السماء على الناس» ، هذا أثر خامس بعد الأربعة التى ذُكرت ، وهى الرعود والبروق والأصوات والزلزلة . وفى البَرَد أبحاث ، **منها** : أن الصنجة والوزنة فى اللغة القبطية واليونانية يدل عليهما لفظة واحدة مشتركة بينهما ، فهى تدل بقول مطلق على الشىء الذى يوزن به قل أم كثر ، وذلك من القنطار إلى الدرهم فما دونه .

قوله أن **البَرَد سقط من السماء** : البَرَد لا يكون فى السماء ، ولكن فى الجو حيث يجمد فيه البخار الرطب لفرط برودة الهواء . فإن كان ذلك فى الجو الأعلى ، كان البَرَد صغيرا لبعد المسافة . وإن كان فى الجو الأدنى ، كان البَرَد أكبر لقربها . وكأن الأمرين حصلا هنا ، ولهذا وصفه بأنه كثير جدا ؟

والجواب : إن عادة اللغات جارية بتسمية كل ما علا : سماء ، فقيل : سماء البيت إشارة إلى سقفه ، وأجريَت المخاطبة هنا على هذه العادة المجازية .

ومنها : ذكره أن البَرَد سقط على الناس . فهل لم يسقط على غير الناس من شجر وأرض وحيوان ؟ **والجواب** : إنه سقط على الكل لعمومه وكثرته . ولكنه خص الناس بالذكر ليعطى سببا لتجديفهم مما أصابهم من شدة هذا البَرَد العظيم . وسقوطه على غير الناس معلوم ومستغنى عن ذكره لظهوره .

قوله : «فجدف الناس على الله من الضربة والبَرَد الكثير جدا» ، يشير بالضربة إلى جملة الآثار الخمسة التى للجام السابع . ولشدة ما أصابهم من كثرة البَرَد ، أخيرا أطلقوا ألسنتهم بالتجديف ، فيا لقساوة هذه الأمة وكفرها ، إذ فى الوقت الذى وجبت فيه التوبة والخضوع والخوف من الله واستكفاء جبروته العظيم ، أطلقت ألسنتها النجسة بالسب والافتراء . فظهر من هذا استحقاقها لحلول الغضب والانتقام ومعاناة هذه البلايا ومقاساتها . فنسأل الله العفو وخاتمة صالحة بلطفه ورأفته ، آمين .

وهذه الآثار الخمسة نظير آثار البوق السابع التى فى أيام إنذار أخنوخ وإيليا عندما ذكر انفتاح الهيكل وظهور تابوت العهد .

الأصحاح السابع عشر

الفصل السابع عشر

٨٧- (١) جاء واحد من السبعة الملائكة الذين أُعطوا السبعة الجامات فتكلم معى قائلا تعال أريك عِظَم دينونة الزانية الجالسة على المياه الكثيرة (٢) التى أخطأ ملوك الأرض وزنوا معها وسكر من خمر زناها الكائنون على الأرض (٣) وحُملتُ بروح إلى البرية فرأيت امرأة راكبة على وحش أحمر مملوء فمه بأسماء تجديف وله سبعة رؤوس وعشرة قرون (٤) والمرأة كانت لابسة ثياب برفير وقرمز وهى بحلى ذهب على الذهب والحجر الكريم وجواهر وكأس ذهب فى يدها مملوءة نجسا من نجاسات زناها مع الأرض كلها (٥) واسم مكتوب على جبينها سرٌ بابل أم الزناة وقلوب أنجاس الأرض .

لما فرغ الملائكة السبعة من الكشف للرسول عن ضربات الجامات السبعة ، أخذ ملاك منهم يريه مدينة القدس وما يجرى على ملوكها وأهلها .

قال الرسول : «وجاء واحد من السبعة الملائكة الذين أُعطوا السبعة الجامات فتكلم معى قائلا تعال أريك عِظَم دينونة الزانية» ، مراده بالزنا هنا عبادة الأوثان وبقية الرذائل .

قوله : «الجالسة على المياه الكثيرة التى أخطأ ملوك الأرض وزنوا معها وسكر من خمر زناها الكائنون على الأرض» ، قد فسر الملاك المياه الكثيرة بأنها

شعوب وألسن ولغات يجتمعون ، أما الإشارة **بالزانية** فإلى مدينة القدس . وأما **خطأ ملوك الأرض معها** فإنه ارتكابهم الرذائل فيها من عبادة أوثان وسحر وقتل وعسف وظلم وتمرغ فى الشهوات . **والسكر** هنا يريد به انفعال العقل باعتقادات رديئة وآراء وبيلة لعدم النظر فى الصواب ، فأشبهت حاله بذلك حال السكران . **والخمر** يريد بها قوّتىّ الغضب والشهوة واستيلائهما على الناطقة ، لأن الخمر تقوّى هاتين القوتين وتمنع القوى الباطنة من تصريف العقل لها وبها على حسب اختياره ، فيكون تقدير القول : إن قوّتىّ الشهوة والغضب استولتا على أهل هذه المدينة من أجل انفعال عقولهم بالآراء الرديئة وعدم بصيرتهم ونظرهم الصواب . ولم يذكر فى الرؤيا أن الرسول رأى امرأة جالسة على مياه كثيرة ، بل أن الملاك قال له : **تعال أريك ذلك** ، فيلزم أن يكون قد رأى المرأة بهذه الصفة أيضا ، وإن لم يذكر ذلك ، وإلا فلا فائدة لتفسير الملاك له ما لم يره .

قوله : «وحُملتُ بروح إلى البرية» ، الأقرب أنه يريد بالروح بعض الملائكة ، والذلك نكّر[1] لفظة الروح . ولو كان مراده أنه حُمل بروحه لا بجسده لما ذكر لفظة الروح ، بل كان يقول : وحُملت بروحى أو بالروح . ولو أراد الروح القدس لما نكّره أيضا . وفى الحقيقة إن الروح الملائكى أراه أنه حُمل إلى برية .

قوله : «فرأيت امرأة راكبة على وحش أحمر مملوء فمه بأسماء تجديف» ، الركوب إشارة إلى اشتمال المدينة على جنس الدجال . وقد فسر الملاك للرسول هذا المثل فيما بعد [فى فص ٨٩] فقال : «والمرأة التى رأيتَها هى المدينة العظيمة التى هى ملكة على جميع ملوك الأرض»[2] ، وظاهر أن هذه هى

(١) أى استخدمه نكرة دون إضافة الألف واللام للتعريف .

(٢) رؤ ١٧ : ١٨

مدينة الدجال : مدينة القدس . ولفظة ϵcϩϵⲙcι في اللغة القبطية مشتركة بين الجلوس والركوب ، لأن الركوب جلوس خاص . **والوحش الأحمر** يريد به جنس الدجال ، وسيأتي الكلام على ذلك عند تفسير الملاك له . وكونه **أحمر** قد تقدم في الفص السادس والعشرين أنه رمز على الشر والفساد وإراقة الدماء . وكون **فمه مملوءا بأسماء تجديف** رمز على افترائه وقوته على عمل آيات الطغيان . **والفم** رمز على النفس ، وقد بيّنا ذلك في تفسير الفص الثالث والثمانين .

قوله : «وله سبعة رؤوس وعشرة قرون» ، قد فسر الملاك هذه أيضا بأن **الرؤوس السبعة** سبعة ملوك : خمسة سقطوا وواحد موجود والآخر لم يأت ، وإذا أتى يقيم قليلا . **والقرون العشرة** هي عشرة ملوك يتبعون الوحش برأي واحد ، وهذه هي قرون الوحش الصاعد من العمق ، وقد تكلمنا عليها هناك[١] ، وسنزيد هذا بيانا عند تفسير الملاك له .

قوله : «والمرأة كانت لابسة ثياب برفير وقرمز» ، أخذ يصف غِنَى أهل المدينة وملابسهم الملوكية الفاخرة .

قوله : «وهي بحلي ذهب على الذهب والحجر الكريم وجواهره» ، يريد أن حليهم هي من الذهب والحجر الكريم والجواهر لفرط الغنى والتفاخر والبذخ .

قوله : «وكأس ذهب في يدها مملوءة نجسا من نجاسات زناها مع الأرض كلها» ، **الكأس** يريد بها النفس النزوعية[٢] الجامعة لقوتي الشهوة والغضب . وكونها **ذهبا** رمز به هنا على إسرافها في ملاذها وتفننها في البذخ . وكونها **في يدها** يدل على التمكن من استعمال هذه النفس في الملاذ وتيسير الملاذ لها ، كما أن الشيء الذي في يد الإنسان هو متمكن منه ، متمسك به ، مالك له . وكونها **مملوءة** رمز على إغراقها في الجواذب الطبيعية . **ونجاسات**

(١) رؤ ١٢ : ٣

(٢) ضد القناعة ، الشراهة ، المائلة إلى الشر .

زناها أفعالها الرديئة الصادرة عنها من عبادة أوثان وقتل وفسق وظلم إلى غير ذلك ، والهاء من لفظة زناها عائدة على المرأة ، وكون ذلك **مع أهل الأرض كلها** على ظاهره إلا قليلا فيهم .

قوله : «واسم مكتوب على جبينها سرٌ بابل أم الزناة وقلوب أنجاس الأرض» ، كأنما كُتب على جبينها عنوان المثل حتى لدى تأمل هذه المرأة تظهر أسرار المدينة المرموز عليها وأهلها وما فعلوا وما كان منهم ، ويريد **بالاسم** القصة . وأما تسميتها **أم** فعلى عادة الأنبياء فى قولهم : «صهيون الأم»[1] ، وأورشليم أمكم . **وقلوب أنجاس الأرض** معطوف على الزناة ، أى هى أم الزناة وأم قلوب أنجاس الأرض .

☩ ✣ ☩

الفصل الثامن عشر

٨٨- (٦) ورأيت المرأة سَكْرَى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع المسيح فتعجبت تعجبا عظيما (٧) فقال لى الملاك لماذا تتعجب أنا أعلمك سر المرأة والوحش الحامل لها الذى له سبعة الرؤوس وعشرة القرون (٨) والوحش الذى رأيتَه فإنه كان وليس بباق يصعد من العمق وهو ماض إلى الهلاك وتتعجب جميع سكان الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة فى سفر الحيوة من قبل خلق العالم

(١) مز ٨٧ : ٥ - وحسب الترجمة القبطية : مز ٨٦

وينظـرون الوحش أنه كان ولم يكن وسـقط (٩) من له قلب وعلم فليفهم السبعة الرؤوس هى سبعة جبال والمرأة جالسة عليها هؤلاء سبعة ملوك (١٠) الخمسة سقطوا وواحد موجود والآخر لم يأت بعد وإذا أتى يقيم قليلا (١١) والوحش الذى كان وليس بباق هو ملاك من السبعة ويمضى إلى الهلاك (١٢) والعشرة القرون التى رأيتَها هى عشرة ملوك هؤلاء الذين لم يأخذوا المملكة لكن يأخذون سلطانا مثل ملوك ساعة ويتبعون الوحش (١٣) ويكون لهؤلاء رأى واحد وسلطان قوتهم يسلم للوحش .

هذه المرأة التى رآها سكرى ، هى بعينها المرأة الراكبة الوحش الأحمر التى سلف ذكرها ، وهى الراكبة على المياه الكثيرة . وإنما أعاد ذكرها توطئة لتفسير الملاك رموز ذلك له ، ويكون تقدير القول الجامع لرؤياه إياها هكذا : رأيت امرأة جالسة على مياه كثيرة ، ورأيتها راكبة على وحش أحمر ، ورأيتها سكرى . لتفنن أحوالها واختلاف رؤياه لها .

وفى قوله : «ورأيت المرأة سَكْرَى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع المسيح» نظرٌ ، وهو أنه رأى المرأة وعليها من علامات السكر وحركاته ما لا يكاد يخفى فى المعتاد . فكيف علم أن سكرها من دم ، لا سيما من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع المسيح ، والملاك لم يفسر له ذلك فيما فسر ، ولا هنا قرينة تدل على ذلك ، ولا تقدم ما يُشعر به ؟

والجواب : إن الرسول أدرك أشياء كثيرة بعقله وبإلهام الروح لم يفسرها له الملاك ؛ مثل إدراكه فى الفص التاسع عشر أن سبعة مصابيح النار هى سبع أرواح الله ، وكما أدرك فى الفص الثانى والعشرين أن السفر مكتوب من داخل

ومن خارج ، مع أنه مطوى ،مختوم بسبعة ختوم ، وكإدراكه فى الفص الرابع والعشرين أن السبع العيون التى على رأس الحَمَل هى سبع أرواح الله المرسلة على الأرض كلها ، ومثل إدراكه فى الفص السابع والأربعين أن ملاك العمق اسمه ماكادون . فهذا الإدراك ، الذى هو سكر المرأة من دماء القديسين والشهداء ، من هذا القبيل . ويجوز أن يكون رآها تشرب دما ، ورأى إنه من دماء القديسين والشهداء .

قوله : «فتعجبت تعجبا عظيما» ، تعجب الرسول من مجموع المقول فى هذا الفص والفص السالف لا من هذا الفص فقط ، بدليل تفسير الملاك له رموزهما معا . وللعجب أسباب منها الشكل المرئى من ركوب امرأة وحشا بعدة رؤوس ، ونطق الوحش بالتجديف ، وحسن ملابس المرأة وحليها ، والكأس التى فى يدها ، وكتابة سرها على جبينها ، ومنها سكرها من الدماء ، وإن هذه الأشياء لمحل لأعظم التعجب لغرابتها وخفاء أسبابها وغموض سرها . وهذه هى أسباب التعجب ، ولذلك قال : «فتعجبت تعجبا عظيما» .

قوله : «فقال لى الملاك لماذا تتعجب أنا أعلمك سر المرأة والوحش الحامل لها الذى له سبعة الرؤوس وعشرة القرون» ، فى استفهام الملاك عن تعجب الرسول بيان لسبب تعجبه ، وهو خفاء هذه الأسرار وأسبابها ، ثم حل له ستة رموز ، **الأول** : المرأة الراكبة . **الثانى** : الوحش المركوب . **الثالث** : رؤوسه السبعة . **الرابع** : قرونه العشرة . **الخامس** : كون الوحش واحد ورؤوسه سبعة . **السادس** : المياه الجالسة عليها المرأة . وإذا ظهرت أسباب المُتَعجب منه ، زال التعجب ، وصار التغريب معهودا والمجهول معلوما .

قوله : «والوحش الذى رأيتَه فإنه كان وليس بباق» ، هذا الوحش فى رؤيا الرسول غير الوحش الذى رآه أولا صاعدا من العمق ، وإن اشتركا فى بعض الصفات لسر سنبينه بعد أن نذكر ما اشتركا فيه وما تميز به كل واحد عن الآخر . فأما وجوه الاشتراك فخمسة ، **أولها** : أن كلا منهما وحش .

الثانية : أن له سبعة رؤوس . **الثالثة** : أن له عشرة قرون . **الرابعة** : أن في فمه أسماء تجديف . **الخامسة** : أنه ذكر عن كل منهما إنه صعد من العمق . وأما وجوه التمييز ، فإن في الوحش الأول الذى رآه على رمل البحر صفات ست يتميز بها ، **أولها** :أن قرونه عليها أربعة تيجان . **الثانية** : الاسم المكتوب على رؤوسه . **الثالثة** : أنه يشبه دبا . **الرابعة** : أن رجليه كرجلى لبؤة . **الخامسة** : أن فمه كفم أسد . **السادسة** : الجرح الذى في رأسه . وأما الوحش الثانى ففيه صفات ثلاث يتميز بها ، **الأولى** : أن الرسول رأى هذا في برية حُمل إليها ، وذلك رآه على رمل البحر . **الثانية** : أن على هذا امرأة راكبة . **الثالثة** : أن لونه أحمر . فهذه جهات الاشتراك وجهات التمييز .

وزعم إيبوليطس في تفسيره : إن هذا الوحش هو الذى رآه الرسول أولا على رمل البحر صاعدا من العمق . وهذا غير صحيح لما بيّناه من وجوه التمييز بينهما ، ولما رُمزبه عليه ، وسيرد عليك إيضاح ذلك .

وأما قوله : «وليس بباق» ، أى بعد انقضاء مدته القصيرة لا يكون ، لأن اسم الفاعل هنا استقبالى .

قوله : «يصعد من العمق وهو ماض إلى الهلاك» ، **العمق** رمز على العالم هنا ، أى يظهر من العالم . **والهلاك** يريد به الجحيم حيث مصير الأشرار ، بمعنى أنه إذا انتهت مدة دولته نُقل إلى الجحيم .

قوله : «وتتعجب جميع سكان الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة في سفر الحيوة من قبل خلق العالم» ، تخصيصه هؤلاء القوم بالتعجب لأن اعتقادهم الضال كان عظيما فيه بأنه لا يُقهر ولا يزول . فهم أولى بالتعجب من سواهم . وقد علمتَ بأن **السفر** رمز على سابق العلم الإلهى ، فكأنه قال إن ضلاله سبق ثبوته في العلم الإلهى الكاشف لكل كائن قبل كونه من قبل خلق العالم .

قوله : «وينظرون الوحش أنه كان ولم يكن وسقط» ، هذا القول ظاهر ، أي الذين كانوا يرونه ويعتقدون فيه ذلك الاعتقاد ، رأوه قد هلك وعُدم سلطانه ، ومُحيت قوته وسقط من رتبته ومضى إلى الهلاك .

قوله : «من له قلب وعلم فليفهم» ، مراده **بالقلب العقل** ، وكثيرا ما يعبّر عن العقل بالقلب . **والعلم** هو الصفة القائمة بالعقل . **والفهم** على ظاهره . ومقصده التنبيه على تأمل هذه الغوامض وتمييزها وتصور رموزها .

قوله : «السبعة الرؤوس هى سبعة جبال والمرأة جالسة عليها» ، إنما أشبه الملوك بالجبال لعظمتهم وقوتهم . وهذا النوع من التشبيه يقال له فى علم البيان : تشبيه الروائح - وتقديره فى قوله : هى **سبعة** جبال ، وهى **كسبعة** جبال ، فحذف أداة التشبيه وأقام المشبه بمقام المشبه به للمبالغة . وذكر هنا أن **المرأة جالسة على رؤوس الوحش** وكان قد ذكر فى الفص الذى قبله أنها **راكبة على الوحش** ولا تنافى بينهما ، لأنه أولا ذكر ركوبها على الوحش ، وهنا عيّن موضع ركوبها أو جلوسها وهو على رؤوس الوحش ، والسر فى هذا أن المدينة مشتملة على هؤلاء الملوك - والرمز إليها برؤوس الوحش لا يظهره ، فكان الرمز بجلوسها على الرؤوس أولى من ظهر الوحش - وقد عرفتَ أن جلوسها عليهم أراد به اشتمالها على كل منهم .

قوله : «هؤلاء سبعة ملوك الخمسة سقطوا وواحد موجود والآخر لم يأت بعد وإذا أتى يقيم قليلا» :

أما إيبوليطس فذهب إلى أن هذا الوحش رمز على عبادة الأوثان ، وأن خمسة رؤوسه الذين سقطوا خمسة ملوك : **أحدهم** بختنصر الكلدانى ، **والثانى** كورش الماهى ، **والثالث** دارا الفارسى ، **والرابع** الإسكندر اليونانى ، **والخامس** خدامه الأربعة الذين ملكوا أربعة أركان المسكونة . وقد فنيت هذه الملوك ، وأما التى وُجدت فهى مملكة الروم . وأما الآخر الذى لم يأت بعد ، فبالاتفاق إنه الدجال .

وهذا الموضع من أكبر مشكلات الرؤيا ، لأن الرمز بالوحش لوكان على عبادة الأوثان ، لكانت رؤوسه وقرونه أكثر من هذا العدد بكثير ، فإن عبادة الأوثان بدأت منذ الطوفان وإلى أيام قسطنطين الكبير ، منتشرة فى جميع أقاليم المسكونة ، كما تشهد به التواريخ والسير والأخبار . وعلى هذا ، فلمَ خُصّت بذاك مدينة القدس دون بقية المسكونة ، حيث قال أن المرأة المرموز بها على المدينة راكبة على رؤوس هذا الوحش ؟ ولا يمكن أن يكون هذا التخصيص هدرا ، ولو كان الرمز بالوحش على الشيطان خزاه الله ، لاقتضى الأمر إلى ذكر أكثر من العشرة الرؤوس المذكورة . ولو كان الرمز بالوحش على الدجال ، فكيف يكون ملوكه وممالكه قد مضت وهو لم يأت بعد ؟ وكيف يكون هو ملك من السبعة وهى رؤوسه ؟

والذى يقتضيه الرأى الصائب فى تفسير هذا الرمز ، بحسب مساق هذا الفص ومغزاه ، اعتبار ستة شروط ، **الأول** : أن يكون المرموز عليه يجحد أن سيكون سيدنا يسوع هو المسيح . **الثانى** : أن يكون ملكا ، لأن الملاك فسر رؤوسه وقرونه بملوك ، ولو كان المراد به غير ملوك ، لكان المدعو للألوهية من أرباب البدع كثيرين جدا . **الثالث** : أن يدّعى الألوهية . **الرابع** : أن يدعو إلى عبادته . **الخامس** : أن يكون ذلك فى مدينة القدس بالتأكيد ، وإن اتفق أن يشترك معها غيرها فيه ، لقوله : إن المرأة التى رمز بها جالسة على رؤوس الوحش . **السادس** : أن يكون مَن مضى من ملوكه بهذا العدد إلى حين هذه الرؤيا .

وإذا وجدنا مَن فيهم هذه الشروط ، فقد استوفينا القصد وأصبنا الغرض المقصود بالقول . والذى يرجّح عندى فى ذلك ، بحسب الاستقراء والقياس ، أن الرمز بالوحش إشارة إلى جماعة ملوك اعتمدوا فى مدينة القدس ما سوف يعتمده الدجال فيها ، فلاتفاق أفعالهم رُمز على اجتماعهم بالوحش المشار إليه ، ورُمز على شخص منهم برأس .

والدليل على أنه يسمى كل من شابهت أفعاله أفعال الدجال دجالا أو مسيحا كذابا ، ما قاله هذا الرسول فى رسالته الأولى : «يا أيها الفتيان هى الساعة الأخيرة فكما سمعتم أن المسيح الدجال يأتى فهوذا مسحاء كذبة كثيرون قد كانوا»[١] ، وأشار بذلك إلى قوم من أرباب البدع وقال فيها : «من هو المسيح الكذاب غير الذى يجحد أن يسوع ليس هو المسيح هذا هو المسيح الكذاب»[٢] ، وفيها : «كل روح لا يعترف بيسوع ليس هو من الله وهذا هو المسيح الكذاب الذى سمعتم أنه يأتى وهو الآن فى العالم»[٣] ، ويرد على هذا ما ذكرناه من أن المسحاء الكذبة بهذا الاعتبار يكونون أكثر من سبعة .

والجواب : إن الرؤيا لم تطلق هذه النبوة على كل من ادعى الألوهية أو استعبد لوثن ، ولو كان كذلك لورد هذا الاعتراض ، ولكنها إنما قصدت بها قوما اشتركوا مع الدجال فى الصفات الست المذكورة شروطا على التخصيص ، ولم تتعرض إلى سواهم من أرباب البدع ، ولا إلى من دعا إلى عبادة غير الله تعالى . وأما أولئك الذين ذكرهم الرسول فى رسالته الأولى فإن المسيح الكذاب يطلق عليهم إطلاقا عاما ، وأما الإشارة فى هذه الرؤيا فإلى الملوك السبعة فقط :

فالرأس الأول : من الخمسة التى سقطت هو **انطياخوس افيفانوس المقدونى بن انطياخس الأكبر** ، الذى ملّكه الإسكندر آسيا وما معها . وذاك أنه ذُكر فى أول الجزء الثانى من كتاب المكابيين : إن أنطياخوس هذا ملَكَ الشام ومصر أيضا وأطاعته فارس وغيرها ، فطغى وتجبر وأمر أن تُعمل أصنام على صورته ، وأمر فى ممالكه بعبادتها والسجود والتقريب لها . ثم

(١) ١ يو ٢ : ١٨

(٢) ١ يو ٢ : ٢٢

(٣) ١ يو ٤ : ٣

حضر إلى بيت المقدس فقتل كثيرا من اليهود وسبى كثيرا ، ثم رحل عنها واستخلف بها رجلا يقال له **فيلفود من عظماء** قواده ، وتقرب إليه بإسجاد اليهود لصورته التى نصبها فى الهيكل ، وتكليفهم أكل الخنزير ، وتقريبه البخور للصورة المذكورة ، ومنعهم من الختان ومن حفظ السبت ، كما قتل خلقا كثيرا . فكان أن سجد للصورة خلق كثير ، واستمر الحال إلى أن انتصر المكابيون وأزالوا ذلك . ومدة ملكه ثلاث سنين ونصف كمدة الدجال .

الرأس الثانى : **طيباريوس قيصر** ، فإنه ذُكر فى الجزء السادس من الكتاب المذكور : إن طيباريوس كان رجل سوء قبيح السيرة ، إذ أمر بالسجود لصورته . وبعث بيلاطس ، مقدم جيشه ، ومعه صنم بصورته إلى بيت المقدس ليسجد لها أهله . فامتنع اليهود عن ذلك ، فقتل منهم جماعة كبيرة . ولا يَبعُد مع هذا الفعل أن سجد لها خلق كثير ، لأن من امتنع قُتِلَ ، ثم اجتمعوا عليه فهزموه . ومدة ملك طيباريوس اثنتان وعشرون سنة .

الرأس الثالث : **نيرون قيصر** بعد طيباريوس ، حكى عنه الكتاب المذكور : إن نيرون قيصر أمر الناس أن يسموه إلها ، وأن يحلفوا باسمه ، وأن يبنوا له مذابح فى جميع مملكته . فأجابته الأمم كلها عدا اليهود . وبنى أصحابه المعابد بمدينة القدس على اسم قيصر ليقرِّب عليها ، ولم تزل إى أن مات . ومدة ملكه ثلاث عشر سنة . وملك أقلوديوس فهُدمت فى أيامه المذابح التى بناها نيرون .

الرأس الرابع : **تيطس قيصر** ذكر عنه الكتاب المذكور : إنه لم فتح أورشليم ، وكان للقدس باب مصفح بالفضة ، فأحرقه جنده ليأخذوا الفضة التى عليه . ودخلوا إلى القدس ، ثم نصبوا أصنامهم فيها ، وقرّبوا القرابين لتيطس سيدهم . ورفعوا أصواتهم بالمدح والثناء عليه ، وأقبلوا يفترون على البيت ويتكلمون بالعظائم .

فهذه الخمسة رؤوس التى سقطت[١] ، وأما **الرأس السادس** الذى قال عنه الملاك : «وواحد موجود» ، فإن وجوده لا يعدو قسمين من الزمان :

القسم الأول : مدته ، وهى ١١٦٨ سنة ، أولها من حين فرغ الرسول أن يرى الرؤيا ، وكان ذلك فى السنة السادسة من ملك طيباريوس قيصر ، بعد القيامة السيدية بسبعين سنة ، على ما تبيّن ذلك من سيرة الرسول . وذلك أيضا بعد التجسد سنة ١٦٣ ، وهو أيضا فى سنة ٥٦٦٣ للعالم منذ آدم وإلى عصرنا هذا[٢] الذى فسرنا فيه هذه الرؤيا العظيمة ، وهى سنة ٩٨٧ لديقلاديانوس ، وسنة ١٢٧١ للتجسد ، وسنة ٦٧٧٢ للعالم .

والقسم الثانى : مائتان وثلاث وعشرون سنة ونصف ، أولها سنة ٦٧٧٣ للعالم وآخرها سنة ٦٩٩٦ للعالم ؛ وعند هذه الغاية يقوم **الرأس السابع** وهو الدجال .

فإن كان الملك المرموز عليه **بالرأس السادس** ، الذى قال الرسول عنه فى ذلك الوقت إنه موجود ، قد وجد فى القسم الأول ، فهو **إيليا أنريانوس قيصر** ، لأن هذا حضر إلى مدينة القدس وبناها بعد خراب تيطس لها ، وفعل أفعالا شريرة .

وأما غيره من ملوك هذه المدة ، فلم نقف مِن الأخبار على مَنادعى هذه الدعوى وكملت فيه الشروط الستة المتقدم ذكرها .

وإن كان الملك المرموز عليه بالرأس السادس يظهر فى القسم الثانى ، فإنما يتبيّن ذلك بطريق كشف أو وحى ، لأنه أمر مغيب عنا ، ولم ندرك شيئا منه فى كتب الأنبياء .

(١) لم نجد فى الأصل الذى أخذنا عنه اسم الملك الخامس ، بل وجدنا مكانه على بياض .

(٢) أى الوقت الذى وضع فيه ابن كاتب قيصر هذا التفسير .

فإن كان الملك الذى ينذر أخنوخ وإيليا فى أيامه قبل مجىء الدجال ، فغير بعيد ، لأن الرؤيا تقول إن إنذار هذين الشهيدين فى مدينة القدس ، فبالضرورة تكون عامرة آهلة ، وتقول إن تلك الأمة كثيرة الكفر والسحر وعبادة الأوثان والرذائل ، وإلا لما ضرباها بتلك الضربات العظيمة ، فليس يبعد مع هذا أن يكون ، فليس يبعد مع هذا أن يكون مَلكها على هذه السيرة الرديئة ، والله أعلم بغيبه . فإن قيل إنه النبى الكذاب الذى يكون فى أيامه الدجال ، فليس بسديد أيضا ، لأن فى ذلك الوقت قيام **الرأس السابع** ، وأما ذلك النبى فليس برأس البتة ، لأنه تبع الدجال كما تقدم بيان ذلك . وأما أن المرموز عليه بالرأس السابع يقيم قليلا ، فقد مضى تعيين هذا الرأس بأنه الدجال ، وأن هذا القليل ثلاث سنين ونصف التى هى مدة دولته .

قوله : «والوحش الذى كان وليس بباق هو ملاك من السبعة ويمضى إلى الهلاك» ، فى هذا المكان لغزان :

اللغز الأول : قوله **إن هذا الوحش واحد من السبعة** ، وقد ذكر فى الرؤيا أربعة وحوش ، *الأول* : الوحش الذى رآه على رمل البحر صاعدا من العمق ، وهو الدجال . *الثانى* : الوحش الصاعد من الأرض ، وهو النبى الكذاب الذى يكون بين يدى الدجال . *الثالث* : التنين الذى بلون النار ، وهو الشيطان ، إذ التنين قد سُمى وحشا كما يقول فى التوراة : «وكان الحنش أخبث من جميع وحوش الأرض»[(١)] ، فقد سُمى وحشا . *الرابع* : الوحش الأحمر الذى رؤيت المرأة راكبة عليه ، والرمز به على جماعة ملوك متفقى الأعمال كما بيّنا . فالإشارة هنا إلى أى وحش من هذه الأربعة ؟

إن مساق اللغز يوهم الإشارة به إلى الوحش الرابع ، لقول الملاك قبل ذلك : **أنا أعلمك سر المرأة والوحش** ، ثم فسر له . وباطن اللغز يشير

(١) تك ٣ : ١

به إلى الوحش الأول بدليلين ، *أحدهما* : أن الوحش الرابع ليس هو ملاك من السبعة ، وهذه الحجة قائمة فى الوحش الثالث أيضا أنه ليس بواحد من السبعة . وأما الوحش الثانى ، فليس برأس البتة كما بيّنا . *والدليل الآخر* : قوله بعد ذلك فى القرون العشرة إنها عشرة ملوك يتبعون الوحش ويسلمون إليه سلطانهم . ومحال أن يكون هذا الوحش هو الرابع .

اللغز الثانى : قوله **هو ملاك من السبعة** ، والسبعة ليس ولا واحد منها بملاك ، وليس هذا خطأ من النسّاخ أو من المترجمين ، لأنه كذلك فى اللغة القبطية بلفظ ⲟⲩⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ، وفى النسخ المترجمة من اليونانية والسريانية يدل على ذلك أيضا . وتقدير هذا اللغز أنه لما سلف له ذكر سبعة ملائكة وذكر سبعة أرواح التى هى المنفذة للأوامر الإلهية ، أوهم هنا إنه ملاك من أولئك السبعة ، كما أوهم بالوحش إنه الوحش الرابع . . فانظر إلى هذه الأسرار الخفية والغوامض الإلهية .

وإنما يجوز إن يسمى مثل هذا الملك الكافر ملاك ، لوجهين من وجوه التشبيه ، **أحدهما** : قوته على عمل الآيات الخارقة ، وإن كانت مضلة ومدلسة[١] . **والثانى** : تسلطه على البشر واستيلاؤه .

ومراده **بالهلاك** هنا عذاب الأشرار بالنار والكبريت .

قوله : «والعشرة القرون التى رأيتَها هى عشرة ملوك هؤلاء الذين لم يأخذوا المملكة لكن يأخذون سلطانا مثل ملوك ساعة ويتبعون الوحش ويكون لهؤلاء رأى واحد وسلطان قوتهم يسلم للوحش» ، قد مضى تقرير هذا التفسير فى شرح الفص الثانى والستين .

(١) كاذبة ، غير حقيقية .

٨٩- (١٤) هؤلاء يحاربون الحَمَل فيغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك والمدعوون معه وولمختارون والأمناء (١٥) ثم قال لى إن المياه التى رأيتَها والمرأة الجالسة عليها هى لغات وأمم كثيرة وألسنة (١٦) والعشرة القرون التى رأيتَها مع الوحش هؤلاء يبغضون الزانية وسوف يخربونها ويتركونها عريانة ويأكلون أجسادها ويحرقونها بالنار (١٧) لأن الله ألقى فى قلوبهم أن يصنعوا برأيه ويكونوا بمشورة واحدة ليعطوا مملكتهم للوحش لتتم أقوال الله (١٨) والمرأة التى رأيتَها هى المدينة العظيمة التى هى ملكة على جميع ملوك الأرض .

يشير بلفظة **هؤلاء** إلى إلى الملوك العشرة والوحش ومن معهم ، لأن كلامه فيهم متصل .

وقوله إنهم : «يحاربون الحَمَل فيغلبهم» ، إشارة إلى الحرب العظمى التى تراءى فيها سيد الكل راكبا على الفرس الأشهب ومعه المائة ألف وأربعة وأربعون ألفا الأطهار ، والملوك الآتون من مشارق الشمس كما تقدم الكلام على ذلك . وقد صرّح بغلبة الحَمَل ومن معه على فئة الدجال الضالة وانتصاره عليها .

قوله : «لأنه رب الأرباب وملك الملوك» ، أعطى علة الغلبة والنصر لسيد الكل بأنه رب الأرباب وملك الملوك . ومعنى ذلك إنه رب لكل من ادعى الربوبية من البشر وغيرهم شاءوا أو أبوا ، لأن حكمه جار عليهم نافذ فيهم ، فلا يُتصوّر أن يُغلب مَن هذه صفته ، بل ينتصر على الكل ، لأنه أعطى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض .

قوله : «والمدعوون معه وولمختارون والأمناء» ، قد قسم التابعين لسيد الكل إلى ثلاثة أقسام ، **الأول** : المدعوون ، وهم الأبكار المائة ألف وأربعة وأربعون ألفا . **الثانى** : المختارون ، وهم الآتون من الملوك من مشارق الشمس . **الثالث** : الأمناء ، وهم بقية المؤمنين ومن بقى من فتنة الدجال ، لأن لفظ المؤمنين والأمناء مشترك فى اللغة القبطية واللغة اليونانية . ولهذا القول فى عطفه على ما قبله احتمالان ، **أولهما** : أن يكون قوله **والمدعوون معه وما بعده** معطوف على ضمير الفاعل من قوله **فيغلبهم** ، أى فيغلبهم هو والمدعوون معه . **والثانى** : أن يكون قوله **والمدعوون** مفعول معطوف على الحَمَل ، فيكون تقدير القول : فيحاربون الحَمَل والمدعوين معه . والأول أولى وهو غرض القول .

قوله : «ثم قال لى إن المياه التى رأيتَها والمرأة الجالسة عليها هى لغات وأمم كثيرة وألسنة» ، الضمير فى **قال** عائد على الملاك المفسر للرسول هذه الرموز ؛ وقد عرفتَ الفرق بين اللغات والألسنة ، والمناسبة الشبهية بين المياه وهذه الجموع من أربعة أوجه ، **الأول** : الكثرة ، فإنها وصف مشترك بينهما ، وفى مثل ذلك يقول أرميا النبى : «صعد على بابل البحر الكبير ومن كثرة أمواجه تغطت»[١] ، وقال حزقيال النبى نبوة على خراب صور : «وأصعد عليك شعوبا كثيرة كمثل صعود أمواج البحر»[٢] . **والثانى** : ارتجاج الأصوات ، فإن لفظ الجموع واجتماع أصواتها واختلاطها يشبه تصويت المياه ، وفى مثله قال أرميا فى الإصحاح المذكور لما تنبأ على فتح ملك ماه لبابل : «لأن أصواتا عظيمة مثل أصوات المياه الكثيرة أصوات المنهزمين إذا أخذوا جبابرتها» ، وقال قبل هذا : «وأصواتهم مثل البحر المرتج»[٣] . **الثالث** : القوة . **الرابع** : سرعة

(١) أر ٥١ : ٤٢

(٢) حز ٢٦ : ٣

(٣) أر ٥٠ : ٤٢

الحركة . **وجلوس المرأة على المياه** ، وإن تعذر فى الخارج ، فإنه ممكن فى الرؤيا . والرمز بالجلوس على الاشتمال كما قلنا متقدما ، أى أن هذه المدينة مشتملة على جيوش كثيرة من الناس وضروب شتى .

قوله : «والعشرة القرون التى رأيتَها مع الوحش هؤلاء يبغضون الزانية وسوف يخربونها ويتركونها عريانة ويأكلون أجسادها ويحرقونها بالنار» ، قد مضى تفسير القرون العشرة أنها عشرة ملوك أعوان الدجال ، طائعون له مستسلمون إليه ، لأنهم نوابه . والذى يظهر من القول هنا ، أن الدجال عندما يرى علامات خذلانه وإدبار دولته ويحس بضعفه ، يأمر هؤلاء الملوك العشرة بأن يفسدوا المدينة المذكورة بأمور ذكر منها هنا ثلاثة : **الخراب والنهب والحريق** ، لأن من عوائد الملوك إذا رأوا غلبة عدوهم على مدينة بأيديهم ، أن يسبقوه إلى خرابها ونهبها وحرقها ، غيرة عليها وحسدا لعدوهم كى لا يملكها ، لا سيما مع بغضة هؤلاء الملوك فى المدينة المذكورة كما ذكر ، فإن فعلهم يكون فيها أشد . واعلم أن اسم المدينة تارة يريد به البناء ، وهذا معنى قوله **وسوف يخربونها** ، وتارة يريد به أهل المدينة كقوله **ويتركونها عريانة** . ومثل ذلك قال ناحوم النبى عن نينوى : «فأكشفُ أذيالكِ على وجهكِ وأُرِى عورتك للشعوب وفضيحتك للممالك»[1] ، وقال أشعياء عن بابل : «لأن عورتك تنكشف ويظهر عارك»[2] . وتارة يريد به المجموع ، وهذا معنى قوله **ويحرقونها بالنار** . فأما قوله **ويأكلون أجسادها** فيحتمل معنيين ، **أحدهما** : النهب ، فإن أشعياء قد سمى النهب أكلا ، إذ يقول لحكام أورشليم : « ويأكلون شعبى أكل الخبز»[3] ، أى ينهبونهم ويختلسونهم . وفى

(١) ناحوم ٣ : ٥

(٢) أش ٤٧ : ١

(٣) أش ٦٥ : ٣

مثل ذلك يقول أرميا : «قالت أورشليم أكلني بختنصر ونهبني وتلوى مثل التنين وملأ بطنه من خيراتي»[١] . **والمعنى الثاني** : أكل ما فيها من أجساد الحيوانات التي تؤكل كالضأن والماعز والبقر والدجاج وما يشبه ذلك .

قوله : «لأن الله ألقى في قلوبهم أن يصنعوا برأيه ويكونوا بمشورة واحدة ليعطوا مملكتهم للوحش لتتم أقوال الله» ، قد صرّح بأن طاعة هؤلاء الملوك للدجال وعملهم برأيه واتفاقهم بمشورة واحدة على ذلك ، بإيعاز أو إطلاق إلهي . وأما أقوال الله التي تتم في هذه النبوة التي أنبأ بها قبل كون ما تضمنته بحسب ما ثبت في علمه تعالى ذكره .

قوله : «والمرأة التي رأيتَها هي المدينة العظيمة التي هي ملكة على جميع ملوك الأرض» ، هذا التفسير جلي ، وقد بيّنا أن هذه **المدينة** هي مدينة القدس ، والمراد بها هنا المسكن وسكانه معا . وقد جاءت **المرأة** بمعنى القبيلة أو أهل الأرض ، كما قال هوشع أن الله أمره أن يتخذ امرأة زانية من أجل أن الأرض تزني[٢] ، وكذلك الابن جاء بمعنى القبيلة في قول هذا النبي أن المرأة الزانية والدت له ابنا وسمته يزرعيل[٣] ورمز به على قبيلة يهوذا ، وولدت له بنتا رمز به على يهوذا . وكونها **ملكة على جميع ملوك الأرض** باعتبارين ، **أحدهما** : إنها أعظم المدائن وأجلّها وأعمرها ، فكأنها ملكة عليهم بهذه الصفات . **الثاني** : أن **مُلكها مُلك على سائر ملوك الممالك** .

(١) أر ٥١ : ٣٤

(٢) هو ١ : ٢

(٣) هو ١ : ٣ و ٤

الأصحاح الثامن عشر

الفصل التاسع عشر

٩٠- (١) وبعد هؤلاء نظرت ملاكا آخر نزل من السماء ومعه سلطان عظيم فأضاءت الأرض من وجهه ومجده (٢) وهتف بصوت عظيم قائلا سقطت بابل العظمى وصارت مرقدا للشياطين ومسكنا لكل روح نجس ومأوى لكل الطائر النجس والمبغَض (٣) لأنه من خمر غضب زناها سقطت الأمم جميعها وملوك الأرض الذين زنوا معها وتجار الأرض من لهوها استغنوا .

هذا الفص فى سقوط بابل يلى فى اللفظ الفص الذى تقدمه لأنه معطوف عليه ، ويتلو فى معناه معنى الفص السابع والستين .

قوله : «وبعد هؤلاء نظرت ملاكا آخر نزل من السماء» ، أى بعد أن رأيت المرأة راكبة الوحش ورؤوسه وقرونه ، وجلوس المرأة على المياه ، وسكرها من دماء القديسين وما اتصل بذلك ، نظرتُ هذا الملاك الآخر ، **ونزوله من السماء** إنذار بسقوط بابل .

قوله : «ومعه سلطان عظيم فأضاءت الأرض من وجهه ومجده» يريد بهذا **السلطان العظيم** ثلاثة أشياء على الملاك ، **الأول** : جلاله وشرفه فى صورته وزيه . **الثانى** : ما عليه من الأنوار والمجد . **الثالث** : شدة حركته وسلطته . ويظهر من هذه الأوصاف أنه من طغمة السلاطين ، وهى الخامسة .

قوله : «وهتف بصوت عظيم قائلا سقطت بابل العظمى» ، هذا هو الإنذار الثاني بسقوط هذه المدينة ، لأنه قال عنها فى الفص السابع والستين إنه رأى ملاكا قائلا : «سقطت سقطت بابل العظمى التى سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها» ، فأعطى هناك علة سقوطها البعيدة ، وهى كفر أهلها وخطأهم . وأعطى هنا علة سقوطها القريبة ، وهى خرابها ونهبها وحريقها كما تقدم ذكره . والسقوط هنا من ثلاثة أمور ، **أولها** : السقوط من العمار إلى الخراب . **والثانى** : من السكن إلى الخلو . **والثالث** : من العز إلى الضعة . وقد قلنا غير مرة أن مراده **ببابل** مدينة القدس . وفى قوله **بابل العظمى** إشعاربأنها أعظم من بابل الحقيقية لعدة وجوه ، **أحدها** : كون كل منهما أعظم مدائن المسكونة فى وقتها . **وثانيها** : كونها كرسى مملكة مُلك المسكونة . **وثالثها** : لا يُعبَد فيها مَلكها . والمراد **بالسقوط** قد مضى بيانه . وقد تنبأ أرميا النبى على بابل وفتح ملك ماه لها بما يناسب هذا ، وهو قوله : «سقطت بابل وانتهبت»[١] .

قوله : «وصارت مرقدا للشياطين ومسكنا لكل روح نجس ومأوى لكل الطائر النجس والمبغَض» ، إن من الشياطين والجان طوائف مأواها القفار والخراب لظهور آثارها فيها ، وعليه شواهد ، **أولها** : قول الإنجيل المقدس عن سيد الكل : «وحمله روح إلى البرية ليجرّب من الشيطان»[٢] . **وثانيها** : قوله : «إن الروح النجس إذا خرج من الإنسان يقصد أماكن لا ماء فيها»[٣] ، فإن هذا مَثَل على ظاهره ، وإن قصد لمشوله غير ذلك ، وإلا لصار المثل هو المثول ، فتنبّه لذلك . **وثالثها** : لَجئون[٤] ، قد ذكَرَ عنه الإنجيل أنه استقر

(١) أر ٥١ : ٨ (٢) مت مت ٤ : ١ (٣) لو ١١ : ٢٤

(٤) اسم الروح النجس الذى أخرجه يسوع من الإنسان الذى كان يعيش فى القبور بكورة الجدريين .

فى المجنون الذى كان يسكن المقابر والقفار[١] . **ورابعها** : أن السواح والمتوحدين فى المغائر والجبال والقفار كثيرا ما تظهر لهم أرواح وتجاهدهم . وهذا دليل على أن هذه المدينة مع خرابها لا يكون حولها أيضا معمور . ويتجه أنه يريد **بالروح النجس** الجان ، ويكونون نوعا غير نوع الشياطين كما قال الفلاسفة فى معنى اسم الجن إنه حيوان هوائى ناطق مشف الجرم ، من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة . وأما **الطائر النجس والمبغَض** فهو جوارح الطير وخسائسها كالحداء والرخم[٢] والبوم ، **والمبغَض** وصف لهذه معطوف عليها ، أى أنها نجسة ، وهى بعينها مبغَضة لنجاستها وخستها . ومثل هذا ما قاله الأنبياء كثيرا عن أورشليم وبابل ونينوى وصور وصيدا وغيرها من المدائن التى أنزِل بها الغضب والانتقام . فإن أشعياء يقول على بابل[٣] : ترقص فيها الشياطين وتعمر بالغيلان . ويقول كذلك فى خراب الموصل : وتلقى فيها الشياطين بعضها بعضا هنالك استراحت الغول . وقال فيها أيضا : هنالك اجتمعت الحداء والصداء . والمراد بجميعها أنها تخرب وتندثر وتعود قفارا منقطعة عن السالك وكذلك ما حولها .

قوله : «لأنه من خمر غضب زناها سقطت الأمم جميعها وملوك الأرض الذين زنوا معها» ، أعطى العلة البعيدة فى سقوط الأمم ، وهى إقبالهم على فعل الرذائل المشهورة فى هذه المدينة ، وسهوهم عن التيقظ للحق والخير كما يسهو الممتلىء خمرا عن الصواب وينهمك فى الرذائل غير مفكر فى غيرها . وكنا قد فسرنا الخمر بأنها رمز على النفس النزوعية[٤] الجامعة لقوتى الغضب والشهوة ، وها هو الآن قد بيّن ذلك هنا وصححه بإضافته الخمر إلى الغضب .

---

(١) مر ٥ : ١ - ٩

(٢) طائر جارح منقرض كان أضخم من النسر .

(٣) أش ١٣ : ٢١

(٤) المائلة إلى الشرور والفجور ، النهمة .

ثم أنه أضاف الغضب إلى الزنا ، وقد كان يمكنه أن يقول : خمرة غضبها وزناها . وقد زاد هذا المعنى هنا بأنهذا الغضب كان سببا لعبادة غير الله المرموز عليها بالزنا ، فكأنه خصص هذا الغضب بإضافته إلى الزنا . وإذا وُجد الخاص وُجد العام فقد طابق التأويل المتقدم وصح المقصد . **وسقوط الأمم والملوك** يريد به هلاكهم دنيا وآخرة بما اجترفوه من رذائلها .

قوله : «وتجار الأرض من لهوها استغنوا» ، أى أن المتاجر فى كل صنف تكون فى ذلك الوقت نافقة[١] فيها لغنى أهلها وتفسحهم وبطرهم . فلذلك كثر جلب الأصناف إليها ، فاستغنى تجارها وتمولوا[٢] .

✠ ✝ ✠

٩١- (٤) وسمعت صوتا من السماء قائلا اخرجوا يا شعبى منها لئلا تشتركوا فى خطاياها ولئلا تشتركوا فى قتلها (٥) لأن خطاياها بلغت إلى السماء وذكَر الله ظلمها .

السماع إدراك عقلى ، وهذا الصوت صوت خطاب من الضرب الأول من الاعتبار الأول كما بيّنا فى تفسير الفص الثامن . والدليل أنه صادر عن الله تعالى ، قوله : **يا شعبى** ، والمراد بشعبه المؤمنين الأبرار ، **والهاء** فى لفظة **منها** عائدة على المدينة . وقد أعطى علة خروجهم ، وهى لئلا يشتركوا فى قتل أهلها بخطاياهم ، وقد يلزم الخطايا القتل ، فذكر الملزوم وهو خطاياها ، واللازم وهو القتل ، ونظير هذا قول أرميا النبى : «اهربوا من خوف بابل ولينجو الرجل بنفسه كى لا تبتلوا بخطاياها»[٣] ، وقال أيضا : «اخرجوا من وسطها يا شعبى وليفلت الرجل من رجز الرب»[٤] .

(١) رائجة ، مجبورة .

(٢) اغتنوا ، صاروا أصحاب مال .

(٣) أر ٥١ : ٦

(٤) أر ٥١ : ٤٥

قوله : «لأن خطاياها بلغت إلى السماء» ، ظاهر هذا القول يدل على أن خطاياها كانت خفية ثم ظهرت بعد ذلك وبلغت إلى السماء ، كما يكون بعض القضايا خفى عن ملك من الملوك ثم يصل إلى علمه . وليس المراد هنا هذا المعنى ، بل المراد كثرتها والتظاهر بها حتى فشت وصارت غير خفية عن أحد بالجملة ، لا سيما عن عالم السرائر[١] . وإنما قال **بلغت السماء** مبالغة لما تقرر فى النفوس من بُعد السمَاء عن الأرض وارتفاعها ، أى ما بلغت إلى ذلك البعد العظيم إلا بعد كثرة عظيمة وظهور بيّن مستحكم ، فحق عليها الانتقام . ومثل هذا قال أرميا النبى عن بابل : «لأنه قد دنا قضاؤها من السماء وارتفع خطأها حتى السحاب»[٢] .

قوله : «وذكر الله ظلمها» ، ليس أنه تعالى كان غير ذاكر لظلمها ثم ذكره ، بل أنه أمهلها مدة تفعل فيها بمحض اختيارها ، ففعلت ، وأشبهت هذه المهلة حال الناسى . فلما انتبهت وأراد مجازاتها عن فعلها ، أشبهت هذه حال الذاكر . فعبّر عن ذلك بأنه **ذكر ظلمها** .

٩٢- (٦) أعطِها كما جازت به وضاعف لها كمثل أعمالها فى كأسها كما ردّته مضاعفا منها (٧) والمجد الذى كانت فيه أعطِه لها ألم قلب وحزن .

(١) حاشية أصلية : هذا القول ، وإن كان متسقا على ما تقدمه ، فإنه ليس بصادر عن الصوت المسموع من السماء ، بدليل قوله : «وذكر الله ظلمها» ، ولو كان عن الصوت لقال : وقد ذكرتُ ظلمها . والداعى غير المدعو إليه ، فقد بان . وإنما صدر هذا القول عن الملاك الذى ذكر الرسول فى الفص التسعين أنه نظر إليه وقد نزل من السماء ومعه سلطان عظيم ، وأنذر بسقوط بابل . فاعلم ذلك .

(٢) أر ٥١ : ٩

لفظة **أعطها** ، وإن كانت بصيغة الأمر ، فإن معناها الدعاء والتضرع ، لأنها سؤال من الأدنى ، وهو الملاك المتقدم ذكره ، إلى الأعلى عز وجل . قوله **كما جازت به** ، أى كما كانت مجازاتها لغيرها بالشرور ، كذلك جازها يا رب .

قوله : «وضاعف لها كمثل أعمالها فى كأسها كما ردّته مضاعفا منها» ، قد سلف أن **الكأس** رمز على الانتقام . **والمضاعفة** معلومة ، لكنها تنافى المماثلة ، فيلزم من هذا أن تكون هى ضاعفت المجازاة لغيرها ، والقصاص منه ، بدليل قوله : «كما ردّته مضاعفا منها» ، وكذلك يضاعف الله المجازاة لها والقصاص منها ، وحينئذ تجتمع المضاعفة والمماثلة . وقد كان يتجه أن يقول : وضاعف لها مجازاتها . ولكنه ألغى المجازاة لتقدم ذكرها ولظهور معناها . والهاء فى **ردّته** عائدة على الكأس المرموز بها على الانتقام والمجازاة . وتقدير القول : : ضاعف لها الجزاء كما ضاعفته هى لغيرها .

قوله : «والمجد الذى كانت فيه أعطه لها ألم قلب وحزن» ، لما سأل الملاك مجازاتها عن ظلمها ، أعقب ذلك بطلب مجازاتها عما كانت فيه . فأما **المجد** فإشارة إلى استعمال القوة الغضبية فى ملاذها كالأنفة والغشم والعسف والرياء والنفاق واغتصاب الأموال وما يجرى مجرى ذلك . وأما **اللهو** فاستعمال الشهوانية فى ملاذها كالأكل والشرب والبذخ والفسق وما يشبه ذلك . فتجازى عن استعمال الغضبية **بألم القلب** ، وهو الخوف ، لأنه انقباض الروح الحيوانى إلى داخل دفعة لتوقع شر . وعن استعمال الشهوانية بالحزن ، وهو انقباض الروح الحيوانى إلى داخل قليلا أسفا على فائت .

٩٣- (بقية عدد ٧) بينما هى تقول فى قلبها إننى أجلس ملكة ولست أنا أرملة ولا أرى حزنا (٨) من أجل هذا فى يوم واحد تأتى ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الإله الذى حكم عليها قوى (٩) وتبكى وتنوح عليها كل ملوك الأرض الذين زنوا جميعا معها ولهوا وإذا رأوا دخان حريقها (١٠) يقفون من بعيد من أجل خوف عذابها قائلين الويل لها الويل لها المدينة العظيمة بابل المدينة الإلهية لأنه فى ساعة أتى حكمها (١١) وتجار الأرض يبكون عليها ويحزنون عليها لأنه ليس أحد يشترى بضائعهم منهم (١٢) وصنف الذهب وصنف الفضة والحجر الكريم والجوهر والحرير والبرفير والقرمز وكل الأوانى العاج وكل الأوانى التى من الأخشاب المكرمة وكل الأخشاب الأبنوس والنحاس والحديد والمرمر (١٣) والعنبر والبخور والطيب واللبان وخمر ودهن وسميذ القمح وبهائم وكباش وخيل وأجساد ونفوس الناس (١٤) وفاكهة شهوة النفس خرجوا عنكِ وشحومكِ جميعها وأدويتكِ هلكت منكِ ولم يجدها تجاركِ .

قوله : « بينما هى تقول فى قلبها إننى أجلس ملكة ولست أنا أرملة ولا أرى حزنا » ، الإشــارة إلى المدينة وأهلها كأنها تنطق بلسان حالها ، أى فى حال أمنها وسكونها ، وظنا أنها تبقى بحالها . يومئذ يدركها الانتقام ، وقد بيّنا الوجه فى أنها ملكة . وقولها «ولست أنا «أرملة ، المدينة الأرملة هى التى بغير ملك ، وكونها لا ترى حزنا ، أى لا تحل بها نقمة فتحزن من أجلها .

قوله : «من أجل هذا فى يوم واحد تأتى ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار» ، يريد أن القضاء ينزل بها فى ذلك اليوم . وضرباتها ست ذُكر منها أربع : جوع وحزن وموت بالسيف ؛ وأما النهب فلما فيها من الأمتعة ، والخراب لبنائها ، والحريق للمجموع .

قوله : «لأن الرب الإله الذى حكم عليها قوى» ، هذا القول واضح .

قوله : «وتبكى وتنوح عليها كل ملوك الأرض الذين زنوا جميعا معها ولهوا» ، هذا وصف حال الملوك الذين تلوثوا برذائلها . وتعجّب : كيف قال الملاك المفسر المرسل سابقا إن الملوك العشرة يبغضونها ؛ بينما قال هنا إن ملوك الأرض ينوحون عليها . والجمع بين القولين إنهم عندما ينهبونها ويخربونها ، يكونون غاضبين عليها كما قال الأول . وعندما يرون ما يؤول إليه حالها ومن بها ، يرحمونها ويرقون لها وينوحون عليها .

قوله : «وإذا رأوا دخان حريقها يقفون من بعيد من أجل خوف عذابها قائلين الويل لها الويل لها المدينة العظيمة بابل المدينة الإلهية لأنه فى ساعة أتى حكمها» ، يريد أن الملوك إذا أحرقوا هذه المدينة تباعدوا عنها من هول حريقها ، لأنها مدينة عظيمة ، فحريقها عظيم اللهب جدا ، وحرارته تنبسط إلى مسافة بعيدة ، فلهذا يقفون من بعيد خوفا أن تمسهم حرارتها . وتكريرهم قول **الويل لها الويل لها** ترديد الندب والرثاء . ووصفها **بالعظمة واللهو وذِكر اسمها** ، لا للتعريف وذكر غير معلوم ، بل هو ندب عليها : وهذه طريقةَ الندب أن يُذكر المندوب باسمه وصفاته ، ويُرثَى له ويُعطَى الويل لفرط ما أصابه ، لا سيما من خسر دنياه وآخرته . فنعوذ بعفو الله من العذاب وسوء المنقلب والمآب .

وأما قوله : **فى ساعة أتى حكمها** بينما قال سابقا **فى يوم واحد تأتى ضرباتها** ، فالجمع بين القولين له ثلاثة احتمالات ، **أحدها** : أن حكمه إذا أتى فلابد أن يكون فى ساعة ما ثم يمتد العقاب إلى نهايته . **والثانى** : أن

يكون قد أراد حكما خاصا هو الحريق . **والثالث** : أن يكون أراد بقوله **فى ساعة** ، أى بغتة ، وهو الأقرب .

قوله : «وتجار الأرض يبكون عليها ويحزنون عليها» ، لما أنذر بما تفعله الملوك وتقوله ، شرع فى الإنباء بأحوال تجار المدينة الجالبين إليها بضائعهم ، لأن بكاءهم وحزنهم لِمعان ثلاثة ، **أولها** : فوات ما يُحَصّلونه من فوائد متاجرهم الرائجة فيها بخلاف غيرها ، وهذا المعنى هو المقصود بالأكثر وسيصرّح به . **وثانيها** : لذهاب ما لعله كان لهم فيها إما من بضاعة مخزونة أو ثمن متأخر عند معامليهم . **وثالثها** : قوله **لأنه ليس أحد يشترى بضائعهم منهم** قد أعطى العلة القوية فى بكائهم وحزنهم كما قلنا . ويلوح من هذا أيضا أن هؤلاء التجار استصحبوا بضائع كثيرة على عادتهم ، ووصلوا إليها فوجدوا هذه حالها ، فوقفوا على بعد يبكون ويحزنون عليها وعلى بوار ما جلبوه إليها ، لأنه لا يروج فى غيرها رواجه فيها .

قوله : «وصنف الذهب وصنف الفضة والحجر الكريم والجوهر» ، مقصوده أن يشير إلى أصناف بضائعهم التى يجلبونها ، فذكر هذه الأربعة .

قوله : «والحرير والبرفير والقرمز» ، وهذه ثلاثة من صنف آخر فيما يجلبونه من الحرير الخام ، سماه باسم نوعه ، والملون سماه بألوانه : فالبرفير يصبغ بدم الحلزون البحرى ، ويختص بملابس الملوك . والقرمز ناصع الحُمرة .

قوله : «وكل الأوانى العاج» ، أى كل ما يُعمَل من هذا العظم مثل أسِرّة وخلافها ، وهو كثير ، فعبّر عنها بالأوانى .

قوله : «وكل الأوانى التى من الأخشاب المكرمة» ، الأخشاب المكرمة كالعود والصندل والعرعر والأبنوس والعناب والساسم والبقش وما يشبه ذلك ، وكلها منجورة أو مخروطة آلات وآنية .

قوله : «وكل الأخشاب الأبنوس» ، الأبنوس من الأخشاب المكرمة كما تقدّم ، وإنما لكونه يُجلَب خشبا غير مصنوع ، أفرده عن الأخشاب المكرمة .

قوله : «والنحاس والحديد والمرمر» ، يجوز إنه يريد بهذه الأصناف الثلاثة أنها تُجلَب معمولة وغير معمولة . والمرمر من جنس الرخام ، يوجد فى جوف جبال الرخام قَطَعا كبارا مكونة كالقلوب ، على طريق ما يوجد الزمرد فى حجر بأزهر المعدنى .

قوله : «والعنبر والبخور والطيب واللبان» ، هذه أربعة أصناف هندية : **فالعنبر واللبان** معروفان . وأما **البخور** فعبّر به عن أصناف يبخَّر بها كالعود والظفر واللادن ، وإن كان غير هندى . وأما **الطيب** فعبّر به عن أصنافه كالمسك وقصب الذريرة والسنبل والقرنفل وما يشبه ذلك .

قوله : «وخمر ودهن وسميذ القمح» هذه فى الأكثر تُجلب من قرى المدينة وأماكن ريفها القريبة منها .

قوله : «وبهائم وكباش وخيل» ، **البهائم** يريد بها الماعز والبقر والحمير ، وأما **الكباش والخيل** فمعروفة .

قوله : «وأجساد ونفوس الناس» ، هذا القول يحتمل ثلاثة معان ، **أولها** : ما يُجلب إليها من الرقيق والعبيد والجوارى . **وثانيها** : من يأتيها ويتردد إليها من الناس فى متاجرهم وأشغالهم . **وثالثها** : المجموع ، وهو الأولى لعمومه . وأما ذكره **الأجساد والنفوس** فمما لابد منه احترازا عن أجساد يؤتَى بها ميتة .

قوله : «وفاكهة شهوة النفس خرجوا عنك» ، أما **الفاكهة** فتُقسّم إلى ثلاثة أقسام ، **قسم يُشم ولا يؤكل** : كالريحان والآس وثمر الحناء والياسمين والبهار والسوسن وغير ذلك . **وقسم يؤكل ولا يُشم** : كالرُّطَب والرمان والعنب والتين والقراصيا وأمثال ذلك . **وقسم يُشم ويؤكل معا** : كالتفاح والآجاص والسفرجل والخوخ . وأما قوله **خرجوا عنكِ** فليست الإشارة بذلك إلى الفاكهة فقط ، بل إليها وإلى سائر الأصناف المتقدم ذكرها ، أى لا يعود يُجلَب إليها شيء منها .

قولـه : «وشحومـك جميعها وأدويـتك هـلكت منـك» ، أمـا **الشحوم** فيبخَّر بها للأوثان . وأما **الأدوية** فهى التى يعالج بها السحر ويبخّر بها ويقرّب كالعود واللبان والمر والميعة والصندروس والاصطرك والقنة وما يجرى هذا المجرى .

قوله : «ولم يجدها تجارك» ، إن كان هؤلاء التجار هم المتقدم ذكرهم ، فكيف لم يجدوها وهم الذين يجلبونها ؟ ليس كذلك . بل هؤلاء التجار هم الذيـن يجلبـون إلى أماكن أخرى هذه الأصناف وغيرها كما سـيرد ، فيصح على هذا التقدير أنهم بعد هلاكها وانقطاع الجالبين إليها لا يجدون الأصناف المذكورة .

✠ ☦ ✠

٩٤- (١٥) لأن هؤلاء هم الذين استغنوا إلى الغاية منكِ يقفون من بعيد من أجل خوف عذابها يبكون ويحزنون وينوحون (١٦) قائلين الويل لها الويل لها المدينة العظيمة اللابسة الحرير والبرفير والقرمز وحلى الذهب والحجر الكثير الثمن والجوهر (١٧) لأنها فى ساعة واحدة خربت هذه العظيمة الغِنَى وكل رؤساء البحر يقفون من بعيد (١٨) ويصرخون إذ ينظرون إلى دخان حريقها ويقولون من يشبه هذه المدينة العظيمة (١٩) ويحملون التراب على رؤوسهم ويصرخون باكين حزانى قائلين الويل للمدينة العظيمة التى استغنى منها جميع الذين يُخرجون سفنا فى البحر واستغنوا من نفائسها لأنها فى ساعة واحدة خربت .

وصف هؤلاء التجار بما وصف أولئك الأولين من استغنائهم من متاجر هذه المدينة ، وإلا لكان القول مكررا لغير فائدة .

قوله : «يقفون من بعيد من أجل خوف عذابها» ، وقوف هؤلاء أيضا من بعيد كالملوك خوفا من أن يقعوا فى العذاب الحال بأهل المدينة .

قوله : «يبكون ويحزنون وينوحون قائلين الويل لها الويل لها المدينة العظيمة» ، قد مضى تفسير مثل هذا فيما تقوله الملوك .

قوله : «اللابسة الحرير والبرفير والقرمز» ، أولا وصفها بأنها اللاهية بقول مجمل ، وهنا ذكر من لهوها أشياء من جملتها الملابس الملوكية كالبرفير والثياب الفاخرة كالحرير والقرمز .

قوله : «وحلى الذهب والحجر الكثير الثمن والجوهر» ، أى أن ملوكها ونساءها يتزينون بالذهب المفصص بالياقوت والزمرد والزبرجد والنجادى و غير ذلك من الأحجار المثمنة والمرصعة بالجواهر النفيسة .

قوله : «لأنها فى ساعة واحدة خربت هذه العظيمة الغنَى» ، علة إعطائها الويل المتقدم هى ما ذكره هنا من أنها خربت مع كثرة غناها الذى يصعب فناؤه سريعا .

قوله : «وكل رؤساء البحر يقفون من بعيد (١٨) ويصرخون إذ ينظرون إلى دخان حريقها ويقولون من يشبه هذه المدينة العظيمة» ، هؤلاء هم أرباب السفن الذين يحملون إليها الناس والبضائع فى سفنهم ، ويترددون فى معائشهم وأشغالهم ، وإذ أدركوها من بُعد محترقة ، وقفوا وصرخوا متأسفين قائلين : **من يشبه هذه المدينة العظيمة** .

قوله : «ويحملون التراب على رؤوسهم ويصرخون باكين حزانى قائلين» ، هذا لفرط تلهفهم وإشفاقهم عليها وعلى أهلها فإنهم يحثون[١] التراب على رؤوسهم ويصرخون ويبكون .

(١) يضعون ، يرفعون على رؤوسهم .

قوله : «الويل للمدينة العظيمة التى استغنى منها جميع الذين يُخرجون سفنا فى البحر واستغنوا من نفائسها» ، الذين يُخرجون سفنا فى البحر هم رؤساء السفن ومصرّفوها ومدبّروها ، واستغناؤهم من طريقتين ، **إحداهما** : كثرة من يستأجرهم من المترددين إليها فى السفن المذكورة . **والأخرى** : ترددهم بما لعلهم يجلبونه من بضائع تختص بهم ، فنفائس هذه المدينة سبب لورود الخلق والبضائع إليها . والوارد إليها سبب لاستغناء أرباب السفن ، فنفائسها سبب لاستغناء أرباب السفن كما ذُكر .

قوله : «لأنها فى ساعة واحدة خربت» ، قد مضى تفسير مثل هذا فى تفسير الفص السالف .

✠ ✣ ✠

٩٥- (٢٠) فلكِ الفرح أيتها السماء بها وجميع القديسون والرسل والأنبياء لأن الرب صنع حكمهم بها .

فرح السماء فيه وجهان ، **الأول** : أن يكون قد أراد به المبالغة المجازية ، كما أشهد موسى السماء والأرض على شعب إسرائيل ، فقال : «أشهد عليكم اليوم السماء والأرض»[١] . **والآخر** : أن يكون أراد به أهلها فحذف المضاف ، ويصبح تقدير القول : فلكم الفرح يا أهل السماء . وسبب هذا الفرح زوال ما حل بأهل الأرض من فتنة الدجال ، وزوال حزن أهل السماء عليهم لرحمتهم لهم .

---

(١) تث ٤ : ٢٦ ؛ ٣٠ : ١٩

قوله : «وجميع القديسون والرسل والأنبياء» ، فى هذا القول مسألتان ، **أولاهما** : كيف قدّم القديسين على الرسل والأنبياء ؟ **والجواب** : إن الرسل والأنبياء من جملة القديسين بلا شك ، وإنما ذكرهم معهم للتخصيص ، وبدأ بالقديسين لتقديم العام على الخاص . **والثانية** : كيف يفرح القديسون بهلاك أحد وسقطته ، وطريقهم خلاف ذلك ؟ لا يجوز أن يقال إن الرؤيا لم تذكر أنهم فرحوا ، بل قال الملاك **لكم الفرح** ، لأننا نقول إن قول الملاك **لكم الفرح** فى قوة قوله **افرحوا** ، ولا يجوز أن يأمرهم بما لا يجوز شرعا إلا لعلة كما سلف بيانه . بل **الجواب** أن فرحهم ليس لنفس سقوط المدينة أو سقوط أهلها وهلاكهم ، بل إن الله تعالى التفت إلى قديسيه واهتم بهم وذكر مظلمتهم ، ففرحهم إنما هو بنظر الإله سبحانه إليهم على الخصوص ، تعلق ذلك بالانتقام من هذه المدينة أو لم يتعلق به ؛ وقد أعطى هذه العلة عينها صريحا فقال : «لأن الرب صنع حكمهم بها» .

✠ ✣ ✠

٩٦- (٢١) وملاك شديد صرخ بصوت وحمل حجر طاحون عظيم وطرحه فى البحر قائلا هكذا سقوطا تسقط بابل أسفل البحيرة العظمى والمدينة العظيمة لا توجد بعد (٢٢) ولا صوت مغنٍ بنورٍ وبوق لن يسمع فيكِ بعد وكل الصناع لن يوجدون فيكِ بعد وصوت رحى لن يسمع فيكِ بعد (٢٣) ولا ضوء سراج يضيء فيكِ بعد ولا صوت عريس وعروس يسمعه تجاركِ وملوك الأرض فيكِ بعد لأن بأدويتكِ ضل الأمم جميعا (٢٤) ووجد دم الأنبياء والقديسين فيها وكل الذين قُتلوا على الأرض .

يظهر أن هذا الملاك من ظغمة القوات لكونه شديدا كما قال . والصوت مدرك عقلى ، وشدة الصوت رمز على قوة الأمر ونفاذه .

قوله : «وحمل حجر طاحون عظيم وطرحه فى البحر قائلا هكذا سقوطا تسقط بابل أسفل البحيرة العظمى» ، لم يقل إنه حمل صخرة ولا حجرا كيف اتفق ، بل **حجر طاحون** ، فلابد لهذا التخصيص الإضافى من مزية . وذاك أن الصخرة حجر غشيم ، وحجر الطاحون منظم بالآلات والصناعة ، ففيه الاستدارة والتسطيح وحلقه مشرف أجوف . فلذلك حسن أن يجعله مثلا للمدينة ، لأنها مستديرة مسطحة وبناؤها مرتفع وشوارعها وما بين جدرانها أجوف . ولأن سقوط المستدير أسرع لتناسب أجزائه فى الجهات ، لا سيما إن كان **عظيما** كما قال ، فلذلك مثّل سقوطه بسقوطها . وأما **طرْحه فى البحر** فإنه غير سقوطه ، لأن سقوطه مثل لخراب المدينة . وأما طرحه فى البحر فمثل لإلقاء أهلها فى البحيرة العظمى المملوءة نارا وكبريتا التى يعاقَب فيها الخطاة بعد هلاكهم . فلذلك قال الملاك **هكذا سقوطا تسقط بابل أسفل البحيرة العظمى** ؛ لفظة **هكذا** للتشبيه ، وأراد بالمصدر مه فعله للتأكيد .

قوله : «والمدينة العظيمة لا توجد بعد» ، هذا إخبار موجّه نحو الندب مع التقريع . ثم أخذ يعدد ما عدم منها وهلك فيها ، وقسّم أهلها خمسة أقسام : ملهيين ، وأرباب صناعات ، وأرباب أعمال ، وتجار ، وملوك .

قوله : «ولا صوت مغنٍ بنورٍ وبوق لن يسمع فيكِ بعد» ، هذا هو القسم الأول . والباء فى لفظة **بنورٍ** للمصاحبة ، وإنما يكون هذا فى جلوة العروس فى الأفراح والولائم ، والإشارة بذلك إلى أن هذا جميعه يذهب بخراب المدينة وهلاك أهلها .

قوله : «وكل الصناع لن يوجدون فيكِ بعد» ، هذا على ظاهره ، وهو القسم الثانى . فمن الصنّاع سكان الحوانيت كالصائغ والحداد والنحّاس والنجار والخياط ، ومنهم سكان الدور كالحائك والقزاز والبناء ومن يجرى مجراهم .

قوله : «وصوت رحى لن يسمع فيكِ بعد» ، هذا هو القسم الثالث . والرحى قد تكون رحى اليد ، والعمل بها من أعمال النساء فى الأكثر ؛ وقد تكون رحى الطاحون الدائرة بالدواب أو بالماء أو بالهواء ، وهذا من أعمال الرجال فى الأكثر .

قوله : «ولا ضوء سراج يضىء فيكِ بعد» ، لما ذكر الصنّاع والأعمال ، جمع القول ، فقال : **ولا ضوء سراج يضىء فيكِ بعد** ، والإشارة بذلك إلى الدثور بحيث لا يلوح فيها ساكن ولا نافخ نار كما يقال . والنور الأول الذى ذكره غير هذا ، فإن هذا عام وذاك يختص بالأعراس والتهانى لمصاحبة الأغانى .

قوله : «ولا صوت عريس وعروس يسمعه تجارك وملوك الأرض فيكِ بعد» ، هذا مختص بالملوك والتجار ، وهما القسمين الرابع والخامس ، لأن هاتين الطائفتين قد تقدم أنهما وقفا على بُعد ينظران حريق المدينة وخرابها . فلهذا خاطب المدينة كالنادب قائلا : لا تسمع هاتان الطائفتان فيكِ صوت فرح بعد .

قوله : «لأن بأدويتكِ ضل الأمم جميعا» ، قد أعطى هذا الملاك أيضا العلة فى هلاك هذه المدينة ومن بها ، وهى انعكاف أهلها على عبادة الأوثان واستعباد سائر الأمم لها[1] مع السحر وبقية الضلالات . **والأدوية** يريد بها العقاقير التى تقرّب ويبخّر بها للأوثان ويعالِج بها السحر ، وقد تقدم بيان ذلك .

(١) أى دفع سائر الأمم إلى عبادة الأوثان .

قوله : «ووجد دم الأنبياء والقديسين فيها وكل الذين قُتلوا على الأرض» ، يجب أن نقدر هذا القول أولا ثم نبحثه ، فنقول إن العطف فيه يحتمل وجهين ، **أحدهما** : إنه عطف لفظتى **القديسين وكل** على لفظة دم ، فيكون التقدير : ووُجد دم الأنبياء ودم القديسين فيها ودم كل الذين قُتلوا على الأرض . **والثانى** : إنه عطف اللفظتين المذكورتين على لفظة **الأنبياء** ، فيكون التقدير : ووُجد دم الأنبياء والقديسين فيها وكل الذين قُتلوا على الأرض . والتقدير الأول أولَى لقربه من مقصد القول ومناسبته ما سوف يتبيّن من التفسير - وله ظاهر وتأويل وإطلاق وتقييد - فإن كان المراد به الظاهر المطلق ، وهو أن دماء هذه الطوائف وُجدت فيها ، فدم الأنبياء الأمر فيه كذلك كما بيّناه . وأما دم الطائفتين الأخريين فمشكل بأن أكثرهم قُتلوا فى سائر الأقطار من الأشرار والفجار من القبط[1] واليونان والروم والسريان والفرنج والأرمن وغيرهم من أهل المسكونة . وكيف انتقلت دماء هؤلاء جميعا إلى مدينة القدس ورتبت ذنوبهم على أهلها ، إذ جعل ذلك علة لخرابها وهلاكها ، مع أن ذوى هذه الدماء قُتلوا فى أماكن غيرها بيد قوم غير أهلها ، وفى أزمنة غير أزمنتهم ؟ فهذا هو الإشكال على الظاهر المطلق ؛ فلم يبق إلا التأويل والتقييد المخصص . فلنمعن النظر فى ذلك ، ونتبصر حقيقة المسكن ، ونلخص سره الغامض لنكشفه ، فنقول : إن فى هذا القول وجهين ، **أحدهما** : التخصيص ، وهو أن اللفظ عام وأُريدَ به الخصوص ، وعند ذلك تصير الألف واللام التى فى **القديسين** ليست تخص العموم بل التعريف ؛ كما نقول لطائفة من الناس : قام الناس ، وقعد الناس ، وأكل الناس ، وهم فى الحقيقة بعض الناس . وتصير الأرض أيضا أرضا مخصوصة ، وهى أرض القدس ، فيعود تقدير القول : ووجد دم الأنبياء والقديسين الذين بها فيها ،

(١) المصريين .

وكل الذين قُتلوا على أرضها . **والوجه الآخر** : التأويل المعتمد عليه ، وهو أن الذى تقدمته جماعة أخطأوا خطايا مستفحلة وعوقبوا عليها أشد العقاب ، وتُوُعّدوا بأعظم منه ، ثم ارتكب هو تلك الخطايا بالنوع ، فحقيق بأن يعاقَب بأضعاف عقوبة جميع من سبقه ، لأنه لم يتعظ بكل من سلف ، ولم يتأدب بهم ، ولم يرتدع بما نالهم ، ولكنه تواقح وتجاسر على علم وبصيرة . كذلك الحال فى أهل هذه المدينة ، فإنهم فعلوا خطايا كل من سبقهم ، فيلزمهم ما لزم أولئك . بل يضاعَف عذابهم لما ذكرناه .

وإذ بان هذا ، فالمراد هنا **بالمدينة** أهلها ، وبوجود دم الطوائف الثلاث فيها [الأنبياء والقديسين وكل الذين قُتلوا على الأرض] وجود لازمه ، وهو الذنب الذى يترتب عليه الحكم بهلاك أهل المدينة ، ولم يرد أن ذنوب أولئك القتلة المتقدمين تُلزِم أهل هذه المدينة ، بل أن ذنوب أهلها هى تلك بالنوع وموازنة لها فى المقدار .

أما قتلهم الأنبياء فأخنوخ وإيليا . وأما قتلهم القديسين وبقية الأبرار فظاهر ، ومراده بقوله : **وكل الذين قُتلوا على الأرض** هو من الأبرار خاصة ، لأن كلامه فيهم ، ودماؤهم هى التى تُطلَب ، ونظير هذا قول الإنجيل مخاطبا للكتبة ، ومراده جماعة اليهود : «من أجل هذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فتقتلون منهم وتصلبون وتجلدونهم فى مجامعكم وتطردونهم من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم كل دماء الصديقين التى سفكت على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل»[١] ، فمقصد هذا الفص وكقصد الرؤيا لا يختلفان ، فإن هؤلاء أيضا يلزمهم الدماء السالفة بأشخاصها ، بل بنوعها ، لكونهم فعلوا ذلك ولم يرتدعوا ويتعظوا بمن مضى .

(١) مت ٢٣ : ٣٤ - ٣٦

الأصحاح التاسع عشر

الفصل العشرون

٩٧- (١) وكان بعد هذه سمعت مثل صوت عظيم من جمع كثير يصرخ فى السماء ويقول هللوا الخلاص والمجد والكرامة والقوة لإلهنا (٢) لأن أحكامه حق وبحكم حق حكم على الزانية العظمى وأخذ باستحقاق لدم عبيده منها (٣) والدفعة الثانية قال هللوا ودخانها يصعد إلى أبد الأبد .

قوله : «وكان بعد هذه» ، إشارة إلى الأمور السالف ذكرها التى فعلها الملاك والأقوال التى قالها ، ودلنا بقوله : «سمعت مثل صوت عظيم» على أنه ليس بصرت بل هو إدراك عقلى كما تقدم . أما عِظَم الصوت هنا فدليل على قوة الفرح .

قوله : «من جمع كثير يصرخ فى السماء ويقول هللوا» ، هذا الجمع العظيم هو الملائكة ونفوس الأبرار ، كما دل على ذلك الفص الخامس والتسعين الذى تقدم ، بقوله : «فلكِ الفرح أيتها السماء بها وجميع القديسون والرسل والأنبياء» ، وهذا هو فرحهم أظهروه بالتهليل ، **والصراخ والصوت العظيم** متقاربان فى المعنى . والتهليل لغةً ، هو رفع الصوت . وبحسب النقل الشرعى : هو النشيد الذى فيه لفظة **هللوا** .

قوله : «الخلاص والمجد والكرامة والقوة لإلهنا» ، كله على معناه الظاهر منه ، **والمجد والكرامة** فى اللغة بمعنى واحد .

قوله : «لأن أحكامه حق» ، أعطى علة هذا التهليل ، وهى ما ظهر لهذا الجمع من أن أحكام الله حق .

قوله : «ويحكم حق حكم على الزانية العظمى» ، أى من جملة أحكامه الحق ، حكمه على هذه المدينة بما حكم به .

قوله : «وأخذ باستحقاق لدم عبيده منها» ، ، أى ومن جملة حكمه على هذه المدينة ، أخذه لدم عبيده منها باستحقاق ، وقال إنه **باستحقاق** لا عن جورٍ تعالى الله عنه .

قوله : «والدفعة الثانية قال هللوا» ، كرر الأمر بالتهليل ليؤكده ، ولكن لابد للأمر من مأمور به . فمن هم المأمورون بهذا الأمر ؟ **والجواب** : إن المأمور قد يكون هو الآمر ، وهذا كثير ، كما يعاتب الإنسان نفسه ويأمرها وينهاها ويلومها ويُعذرها ، كما قال داود النبى : «يا نفسى باركى الرب»(١) ، فالمأمور هنا هو الآمر ، ويسمى هذا النوع فى صناعة البيان بالتجريد ، لأن المتكلم يجرد نفسه كأنها غيره ، ويخاطبها كما تقدم به المثال ، وهذا من أسرار البلاغة .

قوله : «ودخانها يصعد إلى أبد الأبد» ، هذا مشكل ، إذ أن المدينة لا يدوم حريقها ، حيث أن النار ستفنيها وتستهلكها وما فيها فى أوجز مدة وأقرب وقت لقوة فعل النار . أما **الدخان** فهو بخار يحترق ، ففناؤه بفنائه ، فكيف يمكن أن يدوم دخانها إلى الأبد ؟ **والجواب** : إنه يظهر من هذا أنه لم يرد المدينة بل أهلها ، ولم يرد بهذا الحريق الدنيوى الذى حل بها ، بل المراد عقاب أهلها فى الآخرة العقاب الدائم بلا نهاية حسبما ذكره وسيذكره أيضا . والدخان رمز على تأثير المحرِق وتأثر المحترق .

---

(١) مز ١٠٣ : ١

٩٨- (٤) فخرّ الأربعة والعشرون شيخا والأربعة الحيوانات وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين هللوا الله .

علة كون هؤلاء الشيوخ والحيوانات خروا وسجدوا لله وآمنوا وهللوا ، هى بعينها علة فرح أولئك الجموع وتهليلهم . ومعنى **آمين** هنا حق ، والإشارة بذلك إلى أن أحكام الله تعالى حق . وقولهم : **هللوا** يجوز أن تكون تجريدا كما قلنا [أى أن يكون الآمر هو المأمور] ، وأن يكونوا قد أشاروا بذلك إلى الجموع المذكورة . **والجلوس** رمز على الرئاسة الثابتة . **والعرش** قد امضى الكلام عليه .

٩٩- (٥) وخرج من العرش صوت قائلا باركوا إلهنا يا جميع عبيده والخائفين من قدامه الصغار والكبار .

المصوت بهذا الصوت مجهول لوله إنه **من العرش** وليس هو صادر عن الله تعالى ، بل عن ملاك أو غيره ، بدليل قوله : **باركوا إلهنا** ، وقوله : «**يا جميع عبيده**» ، ولم يقل : باركونى يا جميع عبيدى ، فهذا ظاهر . وقوله : «باركوا إلهنا» ، أى قولوا : تبارك إلهنا ، وتبارك بمعنى بارك بفتح الراء ، غير أن هذه متعدية وتلك غير متعدية ، مثل قاتل ويقاتل . والبركة هى النمووالزيادة .

قوله : «يا جميع عبيده والخائفين من قدامه الصغار والكبار» ، الفرق بين **العبيد والخائفين** أن طبقات الأبرار ثلاث ، **الأولى** : عبدت رهبة من العقاب . **والثانية** : عبدت رغبة فى الثواب ، وهذه أعلى من الأولى .

والثالثة : عبدت لا رغبة ولا رهبة ، بل لاستحقاقه تعالى العبادة ، ولشرفه وعظمته فى ذاته ، وهذه أعلى من الطبقتين . وقد قسّم الأبرار هنا إلى طبقتين فقط ، والوجه فى ذلك أن نقول إن الأبرار إما أن يعبدوا الله خوفا من عقابه ، وهم الخائفون ؛ أو لا يعبدونه خوف عقابه ، وهم العبيد ، ولذلك قدّمهم على الخائفين . وأما **الصغار والكبار** فيريد بذلك فى العمل لا فى العمر .

✠ ✠ ✠

١٠٠- (٦) وسمعت مثل صوت جمع عظيم ومثل صوت مياه كثيرة ومثل صوت رعود قوية يقولون هللوا الله .

هذا الجمع العظيم هم الملائكة ونفوس الأبرار كما تقدم .

قوله : «مثل صوت مياه كثيرة ومثل صوت رعود قوية» يحتمل وجهين ، **أحدهما** : أن يكون قد شبّه أصوات الملائكة بتشبيه ، وأصوات نفوس الأبرار بتشبيه آخر . **والثانى** : أن يكون قد شبّه الجميع بتشبيه بعد تشبيه ، لأن أصوات الملائكة وأصوات الرعود متشابهة ؛ وقد قلنا إنها تحكى لفظ الجموع وتكاثرهم واختلاط أصواتهم وكلامهم . وأما **التهليل لله** فقد ذكرنا معناه . وليس سببه هنا هو السبب المتقدم ، بل هذا سبب آخر مستأنف ، تفسيره ما سيرد فى الفص التالى ، وهو البشرى بعُرس الحَمَل

✠ ✠ ✠

١٠١- (بقية عدد ٦) قد ملك الرب الإله ضابط الكل (٧) فلنفرح ولنتهلل ونمجده لأن عُرس الحَمَل أتى وعروسه التى اختيرت له (٨) وأعطيَت أن تلبس حريرا زاهيا مقدسا لأن الحرير هو بر القديسين .

هذه الإجابة من الرب الإله ضابط الكل الذى لذكره السجود ، إجابة للصوت العظيم من الجمع العظيم كصوت مياه ورعود القائل هللوا لله ، وأما المراد بهذه الثلاثة ، وهى **الفرح** **والتهليل** **والتمجيد** ، فينبغى أن نذكر معانيها أولا ، ثم نقرب المقصد فى وصف الإله تعالى بها ، فنقول : إن **الفرح** عند الحكماء عارض نفسانى يحرك الروح إلى خارج أولا فأولا عند نيل مأمول أو حصول محبوب . فالنيل هو المؤثر للعارض ، والعارض هو المحرك للروح ، والروح هو **القابل** للتأثر . فإذا قوى هذا العارض ، أثرى فى الإنسان انبساطه ورفع صوته ورقصه ومرحه على نحو قوة العارض . **والتهليل** قد عرفتَ أن معناه رفع الصوت عند الفرح . **والتمجيد** تفعيل من المجد ، وهو الكرم والشرف . وإذ وضح هذا ، فلا نبادر بإنكار هذه الأوصاف لله تعالى ، وهى : انفعال وتأثر ، فإنهما لم يطلقا عليه بهذا المعنى ، بل نسبتهما إليه أن عُرس الحَمَل محبوب عنده تعالى . فلما بلغ أمد هذا العُرس وخرج من القوة إلى الفعل ، وكان هذا من أسباب الفرح لأنه بلوغ محبوب ، سمى هذا الحال فرحا إطلاقا لاسم المعلول على علته ، **والتهليل** **والتمجيد** أصوات مخصوصة ، وكثيرا ما وُصف تعالى بالأصوات الخطابية مجازا . وأما جواز إطلاقها شرعا فقد جاء ذلك كثيرا ، كقول المزمور : «يفرح الرب بأعماله»(١) ، وورد أن الله يفرح بخاطىء واحد إذا تاب(٢) ، وفى المزمور : «صوت الرب على المياه»(٣) ، وعند قول سيد الكل : «يا أبت مجد ابنك فجاء صوت قد مجدت وأيضا أمجد»(٤) ، فقوله : «أمجد» نبوة على على الموضع من هذه الرؤيا .

---

(١) مز ١٠٤ : ٣١
(٢) لو ١٥ : ٧
(٣) مز ٢٩ : ٣
(٤) يو ١٢ : ٢٨

قوله : «لأن عُرس الحَمَل أتى وعروسه التى اختيرت له» ، معروف أن **الحَمَل** هو سيد الكل كما مضى بيانه ، وأما **عُرسه** فهو ظهوره فى مجده بين ملائكته وقديسيه فى وليمة الألف سنة[١] . وأما **عروسه المختارة** فهى المدينة المستجدة أورشليم السمائية ، وسيأتى وصفها ، وكما سمى أورشليم الأرضية امرأة زانية ، سمى هذه عروسا مختارة[٢] .

(١ و ٢) لقد تركنا المفسر يعرض بعض آرائه ، مع مخالفتها لأغلب آراء المفسرين ، لأنها خارجة عن المسائل الإيمانية . أما الآن ، وقد وجدناه يختلف أيضا فى هذه المسألة العقائدية مع إجماع المفسرين ، فلم نر مندوحة عن إيراد الإيضاحات الصحيحة التى تتفق وإجماع العلماء ، وهذا لا يغمط من علمه الغزير وفضله الوفير ، والذى قرأ ما مضى من أقواله يقرنا على ذلك ، حيث نجده يتكلم بإيضاح واف عن مختلف العلوم والفنون من جغرافيا وطبيعة وطب وعلم نفس وبلاغة ، مع تمكنه من اللغات القبطية والسريانية والعبرية ، حتى أن القس يوسف الحلبى كثيرا ما اعتمد على آرائه ، فالبعض قد أشار إليها ، كما نقل الكثير بلا إشارة . فإذا كان فى رأيه خلاف ، فليس معناه أن أقواله عديمة الأهمية ، ولكن الرجل قد اعتقد بصوابية رأى فأبداه ، وهذه شجاعة يحمد عليها ، لا سيما وكنيستنا القبطية لا تعتقد بعصمة أفرادها إلا فى تقريرات المجامع الإيمانية فهذه تكون بإلهام الروح القدس . وعليه ، فمن المسائل التى أخطأ فيها مفسرنا ، قوله :

أولا : «وأما عُرسه فهو ظهوره فى مجده بين ملائكته وقديسيه فى وليمة الألف سنة» ، وهذا خطأ محض :

١- لأن مجىء السيد المسيح فى مجده مع ملائكته سيكون فى اليوم الأخير عند الانقضاء .

٢- قد أجمع العلماء على أن الألف سنة تبتدىء من قيامة السيد المسيح إلى يوم الانقضاء . وعليه ، يكون الرأى الصحيح عن ذلك العُرس هو الفرح الدائم والسعادة الخالدة بملك عروس المسيح التى هى كنيسته المنتصرة فى السماء . =

قوله : «وأعطيَت أن تلبس حريرا زاهيا مقدسا لأن الحرير هو بر القديسين» ، قد فسر **الحرير** بأنه البر ، **والزاهى** هو الحسن المنظر لغةً ، **والمقدس** هو المطهّر ، وأما **اللباس** فقد جاء بمعنى الوصف فى مزمور مائة

= وقد قال فى ذلك القس يوسف الحلبى الكاثوليكى ، بعد قوله عن احشويرش لما طلق وشتى وتزوج من أستير ، أنه أعد وليمة عظيمة لنبلاء دولته وعبيده (أس ٢ : ١٨) «هكذا الله الآب فإنه أعد فى السماء وليمة العُرس الدائمة للمسيح والكنيسة المنتصرة ، أى المؤمنين . ففرح السماويين إذن وتهليلهم صادر عن قرب يوم النشور ، وإقامة عُرس المسيح مع الكنيسة فى السعادة الأبدية» (العنوان العجيب ، ص ٤٦٩) .

ثانيا : قال : «وأما عروسه المختارة فهى المدينة المستجدة أورشليم السمائية ، إلخ» ، وهذا خطأ أيضا ، لأن العروس هى كنيسة المسيح ، وهذا القول لا يختلف فيه اثنان . قال بولس الرسول : «إنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كو ١١ : ٣) ، وقال : «كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥ : ٢٥ - ٢٧) .

نعم ، قد جاء فى سفر الرؤيا ما نصه : «وجاءنى واحد من الملائكة السبعة الذين معهم الجامات السبعة المملوءة من الضربات السبع الأخيرة وكلمنى قائلا هلم فأريك العروس امرأة الحَمَل وذهب بى بالروح إلى جبلٍ عالٍ وأرانى المدينة المقدسة أورشليم نازلة من السماء من عند الله» (رؤ ٢١ : ٩ و ١٠) ، ولكن الذى يطالع الأعداد ١ و ٣ و ٤ من هذا الأصحاح يجد الرسول قد رأى سكان أورشليم السمائية . وهنا فى عددى ٩ و ١٠ يرى ذلك المسكن ذا المجد الباذخ الذى تقيم فيه عروس المسيح المنتصرة وما هو عليه من مجد وبهاء ، ويحتمل أنه ذكر المكان ويقصد به المكين وهذا جائز - وتظهر لنا هذه الحقيقة بأكثر جلاء من ذلك المثل الذى ضربه =

وثلاثة ، إذ قال : «لبست الاعتراف وعظم البهاء»[١] بمعنى اتصفت بهما . ولا يكون أهل هذه المدينة إلا أبرارا ، فهم موصوفون بالبر ، والوصف الجارى عليهم جارٍ عليها ، كما وُصفت مدينة القدس بأنها زانية وبأنها عادلة إذ كان أهلها كذلك ، فالوصف لها بواسطتهم .

✠ ✠ ✠

١٠٢- (٩) وقال لى اكتب طوبى للمدعوين إلى وليمة الحَمَل وقال لى إن هذه الكلمات هى حق من الله (١٠) فسقطتُ أمام رجليه لأسجد له فقال لى لا تفعل لأنى أنا صاحب وخادم لك ولإخوتك الذين معهم شهادة يسوع فاسجد لله لأن شهادة يسوع هى روح الحق .

= السيد المسيح عن العشر عذارى ، إذ قال : «يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس ، إلخ» (مت ٢٥ : ١ - ١٣) ، وهذا لا يحتاج إلى إيضاح .

قال القس يوسف الحلبى عن قوله : «وعروسه التى اختيرت له» : «هكذا يقول إن الكنيسة تزيّنت بكل فضيلة فاخرة وتمت فى عدد المختارين وهم الرسل والشهداء والعذارى والمعترفين ، فلم يبق لها إلا أن تساق إلى خدر عريسها فى السماء وتتمتع به هناك إلى أبد الدهور» . اعلم أن الكنيسة هنا فى العالم عروس المسيح ، ويكون إملاكها فى العماد بواسطة النعمة . أما هناك ، فيكون عرسها بواسطة السعادة الخالدة . وقد جاء فى نشيد الأنشاد ما يدل على إملاك المسيح مع الكنيسة ، وهو : «يا بنات صهيون اخرجن وانظرن إلى سليمان وإلى الإكليل الذى كللته به أمه يوم إملاكه» (نش ٣ : ١١) (العنوان العجيب ، ص ٤٦٩ و ٤٧٠) .

(١) وبحسب الترجمة القبطية : مز ١٠٤ : ٢

الضمير فى قوله : «وقال لى» يعود على الملاك المذكور فى أول الفص السادس والتسعين .

قوله : «اكتب» ، أمر بما سوف يكتبه من مرائى هذه الرؤيا ، وقد مضى أن **طوبى** لفظة سريانية تفسيرها سعادة . وبحق قال أن المدعوين إلى وليمة الحَمَل سعداء . **والوليمة** لغةً طعام العُرس ، وأضافها إلى **الحَمَل** يريد بذلك نعيمه للأبرار فى الألف سنة .

قوله : «وقال لى إن هذه الكلمات هى حق من الله» ، الضمير فى **قال** عائد على الملاك المتقدم ذكره ، وأما **الكلمات** فتحمل معنيين ، **أحدهما** : ما قاله الآن ، وهو **طوبى للمدعوين إلى وليمة الحَمَل** ، وهو الأقرب . **والآخر** : أن يكون أشار بذلك إلى الرؤيا جميعها . وأما كونها **حقا من الله** فلأن الحكم بها صادق من جهة الله تعالى لا ريب فيه .

قوله : «فسقطتُ أمام رجليه» ، تاء الضمير من قوله **فسقطتُ** تعود على الرسول يوحنا صاحب الرؤيا ، وهاء الضمير من قوله **أمام رجليه** تعود على الملاك المذكور .

قوله : «لأسجد له فقال لى لا تفعل» ، علة هذا النهى قد أعطاها الملاك بقوله : «لأنى أنا صاحب وخادم لك ولإخوتك» ، **المصاحبة** تعارف يتبعه محبة وأنس ، **والخادم** هو الساعى فى حوائج من يخدمه وفى منافعه ومقاصده ، فكأنه قال : من هو بهذه المثابة لا يُسجَد له بل لله ، ويريد **بإخوته** بقية الرسل والأبرار .

قوله : «الذين معهم شهادة يسوع» ، **الذين** صلتها وعائدها وصف للرسل الأبرار ، **والشهادة** لها فى اللغة أربعة معانٍ ، وهى : الشهادة خبر قاطع ، وهى المراد هنا . الشهادة والحلفا . الشهادة العَيان والحضور . الشهادة القتل فى سبيل الله [الاستشهاد] .

قولـه : «فاسجد للـه» ، **السجود** لـه معنيـان فى اللغـة : أحدهما الخضوع ، والآخر وضع الجبهة على الأرض . فلاخضوع إطلاقا لاسم المعلول على علته ، ويقصد بها وجهان ، **أحدهما** : العبادة ، كالسجود للمعبود . **والثانى** : الإكـرام ، كالسجود لـكل معظـم مبجـل من الملائـكة والملوك والعظماء ، وهو جائز ، وقد استعمله الأنبياء والكهنة وغيرهم ، كما سجد أبونا إبراهيم للرجال الثلاثة[١] ، ولبنى حث عند ابتياعه المغارة منهم[٢] ، وكذلك سجد لوط للملاكين بسدوم[٣] ، وأسجَدَ يعقوب نساءه وبنيه لأخيه عيسو[٤] . فنهى الملاك أولا الرسول عن السجود له ، لا على أنه سجود عبادة ، فإن الرسول يجل عن ذلك ، بل على أنه سجود إكرام ، فنزّهه عنه وأجلّه ، ثم أمره هنا بالسجود لله سجود عبادة .

قوله : «لأن شهادة يسوع هى روح الحق» ، **شهادة يسوع** قد قلنا إنها الإخبار القاطع بالهيئة ، والإضافة هنا إضافة اختصاص . **وروح الحق** يريد بها هنا الإيمان ، لأن الملَكات النفسانية تسمى أرواحا ، وبهذا المعنى قال بولس الرسول : «روح الأمانة»[٥] ، وصار تقدير قول الرؤيا : لأن الإخبار القاطع بألوهية يسوع هو إيمان الحق ، وجعل هذه علة السجود لله ، لأن الإيمان الحق يقتضى السجود له .

(١) تك ١٨ : ٢

(٢) تك ٢٣ : ٧

(٣) تك ١٩ : ١

(٤) تك ٣٣ : ٦

(٥) ٢ كو ٤ : ١٣

١٠٣- (١١) ومن بعد هذا رأيت السماء مفتوحة ورأيت فرسا أبيض والراكب عليه يُدعَى الأمين الصادق وهو يحكم بعدل (١٢) وكانت عيناه تشبه لهيب النار وأكاليل كثيرة على رأسه واسم مكتوب لا استطاعة لأحد أن يعلمه إلا هو وحده (١٣) وعليه ثوب مصبوغ بالدم ويُدعى كلمة الله (١٤) والعسكر كانوا يتبعونه بخيل بيض وعليهم حرير زاهٍ (١٥) ومن فيه يخرج سيف ماضٍ ليضرب به الأمم ويرعاهم بقضيب من حديد ويدوس معصرة الخمر التى لحنق غضب الله ضابط الكل (١٦) واسم مكتوب على ثوبه وفخذه ملك الملوك ورب الأرباب .

قوله : «ومن بعد هذا» ، أى من بعد بشرى الملاك بإتيان ساعة الحكم ، **رأيت السماء مفتوحة** ، وقد مضى الكلام على فتح السماء فى الفص الثامن عشر .

قوله : «ورأيت فرسا أبيض والراكب عليه يُدعَى الأمين الصادق» ، قد أنذر بهذا الراكب الفرس الأبيض فى الفص الخامس والعشرين ، الذى هو العنوان لهذا ، عندم فتح الحَمَل الختم الأول ، والرمز **بالراكب** إلى سيد الكل . وقد بيّن لنا هنا ذلك بقوله إنه **يُدعَى الأمين الصادق** وسبق لنا تفسير الأمين الصادق ، وسيصرّح باسم سيد الكل هنا . والرمز **بالفرس** الأبيض على العدل والخير والظفر ، ومن هذا قوله هنا : **وهو يحكم بعدل** ، ومزاده العدل فى النقمة من الدجال ومن معه .

قوله : «وكانت عيناه تشبه لهيب النار» ، فسرنا هذا الوصف فى الفص الثامن بأنه رمز على معنيين : **ثاقب العلم وكونه مخوفا مرهوبا** .

قوله : «وأكاليل كثيرة على رأسه» ، فسرنا ما يدل على الإكليل والتاج فى الفص الخامس والعشرين ، وهى سبع : المُلك والحكم والشهادة والنبوة والرسالة والكهنوت والفرح ، وبيّناها بأدلتها ، والمراد هنا الجميع ، ولذلك قال هنا إنها **أكاليل كثيرة** ، وتأمل كيف قال هناك [فى فص ٢٥] إنه **أعطى إكليلا** وهنا **أكاليل كثيرة** ! **والجواب** : إنه هناك رمز بالأكاليل على معنى واحد ، وهنا رمز بالأكاليل الكثيرة إلى معانٍ كثيرة ، وإنما أظهر أكاليل كثيرة عند عُرسه لتضاعف عظمته وجلالته ليدل بها على ذلك .

قوله : «واسم مكتوب لا استطاعة لأحد أن يعلمه إلا هو وحده» ، هذا الاسم الشريف الأعظم المكنون المكتوب هو مكتوب على رأسه لأنه عطفه على الأكاليل التى على رأسه ، ولا سبيل لنا إلى علم هذا ، إذ **لا استطاعة لأحد أن يعلمه إلا هو وحده** .

ولعل هذا هو الذى أشار إليه أشعياء النبى فى قوله : «من أجل مولود وُلد لنا وابن أُعطيناه وسلطانه على منكبيه ودُعى اسمه عجيبا»(١) ، إذ العجب ما خفى معناه وسببه ، ويظهر أن السبب فى إخفائه لخصوصية فيه وسر فى معرفته ؛ ومثل هذا ذكر فى الفص الثالث عشر ، المتضمن ما يكتب به إلى كنيسة برغامس ، عند قوله : «من يغلب أنا أعطيه من المن المخفى وأعطيه فصا أبيض وعلى الفص اسم جديد مكتوب عليه لا يدركه أحد إلا من أخذه»(٢) ، ومثله ذكر أيضا فى الفص الثانى والستين على الوحش البحرى ، فقال : «واسم تجديف مكتوب على رؤوسه»(٣) . لكن الذى ظهر لنا من الاسم الذى على الفص أنه يدل على مجموع مواهب أهل الملكوت ، ومن الاسم المكتوب

(١) أش ٩ : ٦
(٢) رؤ ٢ : ١٧
(٣) رؤ ١٣ : ١

على رؤوس الوحش البحرى إنه يدل على مُلكه ونفاذ أمره ونهبه وإشاعة اسمه ونقشه على الدينار والدرهم ووسم أهل الأرض به .

فإن كان هذا الاسم الذى فى هذا الفص من هذا الجنس ، أى أنه يدل على ألوهيته ومُلكه وسلطانه وما يشبه ذلك ، فجائز ، وبالجملة فهذه حدوس[١] على مدلولاتها . فأما هذه الأسماء فغير معلومة لنا .

وأما قوله فى الفص الخامس والستين عن المائة وأربعة وأربعين ألفا أن اسم الحَمَل واسم أبيه مكتوبان على جباههم ، فيحتمل أن تكون الأسماء الظاهرة ، كقولك : الآب والابن ، أو : الله والحَمَل ، أو ما يشبه هذا ، ويجوز غيره .

قوله : «وعليه ثوب مصبوغ بالدم ويُدعى كلمة الله» ، **الثوب المصبوغ بالدم** يوهم إنه رمز على أن الذى صلبه اليهود وطُعن فسال دمه ، هو هذا العظيم الشأن . لكن ليس المقصود هنا هذا المعنى ، بل هى رمز على كثرة الدماء التى تراق من الدجال فى الحرب العظيمة ، فإن أشعياء النبى تنبأ على هذه القصة وأوضحها بقوله فيها : «من هو الآتى من أدوم وثيابه حمر من بصرة بهى بلباسه وعزيز بقوته . أنا المتكلم بالبر المكثر للخلاص . ما بال ثيابك حمر وقماشك كالذى صعد من المعصرة . إنى دستها وحدى ولم يكن أحد من الشعوب معى . عصرتهم بغضبى ووطئتهم بسخطى فامتلأ من دمائهم لباسى وجميع ثيابى تلطخت بالدم»[٢] ، وهذه النبوة قد أوردناها كاملة وفسرناها فى الفص الثانى والسبعين . وأما كونه **يُدعى كلمة الله** فتصريح باسمه لأنه ، **أولا** : سماه الأمين الصادق من حيث ناسوته . **ثانيا** : سماه كلمة الله من حيث لاهوته ، وهو الاسم الذى أطلقه الرسول عليه فى أول بشارته[٣] .

(١) ظنون ، تخمينات .   (٢) أش ٦٣ : ١ - ٤   (٣) رؤ ١ : ٥

قوله : «والعسكر كانوا يتبعونه بخيل بيض» ، يريد بهذا **العسكر** المائة وأربعة وأربعين ألفا ومن معهم من الأبكار والأبرار ، بدليل قوله فى الفص الرابع عشر : «من يغلب ويحفظ أعمالى إلى الانقضاء أعطيه سلطانا على الأمم» ، فإذن يختص هذا السلطان بالمائة وأربعة وأربعين ألفا ومن معهم من الأبكار والأبرار . **وخيلهم البيض** رمز على السلطة والاستيلاء والنصر والغلبة على نحو ما تقدم .

قوله : «وعليهم حرير زاهٍ» ، الضمير فى **عليهم** عائد على العسكر الراكب . وقد فسر الفص المائة وواحد أن **الحرير** هو بر القديسين .

قوله : «ومن فيه(*) يخرج سيف ماضٍ ليضرب به الأمم» ، فدل على أن الضارب واحد وهو سيد الكل . وأما قوله **سيف يضرب** فمعناه أنه ماضٍ من شأنه قطع كل ما يلاقيه . ولكن هل هذا السيف على ظاهره أو هو رمز ؟ والحق إنه رمز بدليل قوله **من فيه يخرج** فهو رمز على القوة المهلكة ، وفى ذلك يقول أشعياء النبى : «ويضرب الأرض بروح فيه(*) ويميت المنافقين بروح شفتيه»[١] ، وقد حللنا هذا الرمز فى تفسير الفص الثامن .

قوله : «ويرعاهم بقضيب من حديد» ، **الرعاية** هى السياسة وقوتها فى اللغة القبطية بالضبط . ومعناها ينقسم إلى أقسام جزئية يصح على كل منها أن يكون رعاية : كالإحسان إلى البار ؛ والإساءة إلى الخاطىء : وهذه الإساءة تنقسم قسمين ، **الأول** : تأديب للإصلاح . **والثانى** : انتقام للمجازاة بالحق وحفظ العدل . والمراد هنا القسم الأخير ، وهو الانتقامى ، لأن أزمنة التأديب والإصلاح قد انتهت وعبرت . **والقضيب الحديد** يريد به السيف . وإن كان على ظاهره ، فواضح إنه انتقام بالسيف ؛ وإن كان مرموزا بالأمر ، فهو عقاب الأشرار .

(*) فمه .

(٢) أش ١١ : ٤

قوله : «ويدوس معصرة الخمر التى لحنق غضب الله ضابط الكل» ، **الدوس** رمر على تشديد الحرب وتسلطها ، كما أن دوس المعصرة تشديد مضغط لها . **والمعصرة** رمز على الحرب العظيمة . **والحنق** هو الغيظ ، **والغضب** معروف ؛ لكن الحنق أعم بأنه قد يكون للتأديب ، وقد يكون للغضب . وتقدير القول : لأنه يشدد حرب الانتقام التى لغيظ غضب الله ضابط الكل .

قوله : «واسم مكتوب على ثوبه وفخذه ملك الملوك ورب الأرباب» ، فى هذا القول أربعة أسئلة ، **الأول** : لِمَ فسر هذا الاسم وكتم الاسم الأول المكتوب على الرأس ؟ **الثانى** : لِمَ كُتب هذا على الثوب والفخذ ؟ **الثالث** : هل المعنِى بكونه ملك الملوك ورب الأرباب اللاهوت أم الناسوت ؟ **الرابع** : ما فائدة هذه الكتابة ؟ **والجواب عن الأول** : للسر المختص بالمكتوم . **وعن الثانى** : أنه لم يرد كتابته فى مكانين : أحدهما الثوب والآخر الفخذ ، بل المراد إنه مكتوب على مكان الفخذ من الثوب . **وعن الثالث** : إنه المجموع[1] . **وعن الرابع** : أن الأسماء موضوعة لتعريف مسمياتها ، فمن الواجب أن يُعَرِّف صاحب الرؤيا بسيد الكل . ولما كان الاسم الأول مكتوما ، كُتب الثانى معرّفا ليكشفه ويعرف معناه .

☩ ✢ ☩

١٠٤- (١٧) ورأيت ملاكا آخر قائما فى الشمس يصرخ بصوت عظيم قائلا يا جميع الطيور الطائرة فى وسط السماء تعالى اجتمعى فى الوليمة العظمى التى للرب الإله (١٨) لتأكلى لحوم الملوك ولحوم

(١) هكذا قال المفسر ، وهذا غير مفهوم .

قواد الألوف ولحوم الجبابرة ولحوم الخيل والراكبين عليها ولحوم الأحرار والعبيد والصغار والكبار .

كون الملاك **قائما** ، ليظهر للحيوانات التى يناديها فتراه وتسمعه وتحضر إليه . وكون **قيامه فى الشمس** ، ليكون أظهر . **وصراخه بالصوت العظيم** ، ليُسمع النداء . فهذا تعليل الرأى . وأما هو على ظاهره أو هو قابل للتفسير ؟ فالحق أنه على ظاهره ، إلا الصراخ بالصوت ، فهو قابل للتفسير ، وسنبينه . ودليل الظهور ثلاثة أوجه ، **أحدها** : فى الفص التالى عن شيعة الدجال ، إذ يقول : «وكل طيور السماء أكلت من لحومهم» . **والثانى** : أن إرسال ملاك يجمع الطير يوم الحرب العظيمة غير ممتنع ، بل المعتاد أن تُجمع لأكل الجثث . لكن هذا الجمع يكون أعظم . **والثالث** : إنه لا ضرورة تصرفه عن الظاهر . وفيه إشعار[١] للسامعين بعظمة هذه الحرب .

وقد يجوز تأويله بأن هذه الطيور هى الملوك الآتية من مشارق الشمس لحرب الدجال ، وأن **الأكل** أراد به القتل والنهب ، **والطيران** سرعة المسير ، وكونها **فى وسط السماء** ، لا أنها سائرة على الأرض، وهى فى المكان الأوسط من السماء .

ولكن النص قد أرشد إلى أنه ظاهر بالصريح ، فلا معنى للتأويل .

قوله : «يا جميع الطيور الطائرة فى وسط السماء تعالى اجتمعى فى الوليمة العظمى التى للرب الإله» ، هذا نداء بلسان حال ، معناه : أن الملاك يجمع كل الطيور، والجوارح خاصة ، لأنها الآكلة لجثث القتلى ، فيكون قد أطلق العام وأراد به الخاص . **والوليمة** قد قلنا أنها فى اللغة طعام العُرس ،

(١) تنبيه ، استلفات ، إبلاغ .

ودُعيَت وليمة لأن الكواسر تُدعَى إليها وتشبع فيها من لحوم البشر كما يشبع المدعوون من الطعام .

قوله : «لتأكلى لحوم الملوك ولحوم قواد الألوف ولحوم الجبابرة» ، قد صرّح بعلة الجمع ، وهى أكل لحوم القتلى ، وذكرهم فى أربع طبقات : الأولى منهم ثلاثة أصناف : ملوك وقواد ألوف وجبابرة . ولحوم الخيل والراكبين عليها هذه طبقة ثانية . قوله : «ولحوم الأحرار والعبيد» وهى طبقة ثالثة . قوله : «والصغار والكبار» وهى الطبقة الرابعة . وفصّل هذه الطبقات ، وإن كان بعضها يغنى لعمومه ، كقوله العبيد والأحرار ، وكقوله الصغار والكبار ليستوعب القصد . فإن قوله **العبيد والأحرار** يخرج عنها الخيل ، وكذلك قوله **الصغار والكبار** . ولو أضاف إلى إحداها الخيل لجاز أن يتأول فيها التخصيص فنفاه بهذا التفصيل بلاغة وحصرا .

ونظير هذا الفص قول حزقيال النبى فى يأجوج : «وأنت يا ابن الإنسان فقل لكل طير السماء وكل ذئاب القفر اجتمعوا وتعالوا من كل موضع للذبيحة العظيمة فى جبال إسرائيل لتأكلوا اللحم وتشربوا الدم . تأكلون لحوم الجبابرة وأبكار المفطمين والثيران والتيوس وعجول باشان وتأكلون لحم عظماء الأرض والخيل وركابها والرجال المقاتلة»[(١)] .

✠ ✠ ✠

١٠٥- (١٩) ورأيت الوحش وملوك الأرض وعساكرهم مجتمعين ليتحاربوا مع الراكب على الفرس الأبيض ومع عساكره (٢٠) فصادوا الوحش والذين معه والنبى الكذاب الذى صنع العجائب فيهم قدامه

(١) حز ٣٩ : ١٧ - ٢٠ .

وربطوا الذين وُسموا من الوحش والساجدين لصورته وألقوا الاثنين حيّين فى البحيرة المملوءة نارا وكبريتا (٢١) والبقية قُتلوا بسيف الراكب على الفرس الذى خرج من فمه وكل طيور السماء أكلت من لحومهم .

هذا الفص عن يوم الحرب العظيمة . وقد تقدم فى هذا المعنى الفص السابع والخمسين الذى ذكر فيه حوادث البوق السابع . وهذا يتسق معه فى المعنى بدليل قوله فى ذاك [فص ٥٧] : «وتهلك المفسدين للأرض» ، وهنا قال إنه أهلكهم .

قوله : «ورأيت الوحش» ، يريد الوحش البحرى ، وفرق بين قوله فى الفص الثانى والستين : «فرأيت وحشا صاعدا من البحر» ، وقوله هنا : «ورأيت الوحش» ، فإنه أراد هناك وحشا على الحقيقة وهو المرموز به ، وهنا أراد به الملك الدجال ، وهو المرموز عليه ، وإنما أطلق عليه اسم الوحش مجازا . ومثل هذا البحث مضى فى تفسير الفص الخامس والستين فى الفرق بين قوله : ونظرت إلى حَمَل واقفا ، وقوله : «ورأيت الحَمَل واقفا»

قوله : «وملوك الأرض وعساكرهم مجتمعين» ، دل بهذا القول على أن الملوك النواب عن الدجال فى أقطار المسكونة قد وصلوا إليه وصحبتهم العساكر والحشود[1] بالخيل والرجل والآلات والسلاح . ووصل أيضا إلى عسكر سيد الكل الملوك الواصلون من مشارق الشمس وعساكرهم ، وتكملت الفئتان المعدتان لمصاف الملحمة[2] الكبرى والحرب العظمى ، وهذا معنى قوله : «ليتحاربوا مع الراكب على الفرس الأبيض ومع عساكره» .

(١) الجموع ، المجتمعون .
(٢) الحرب ، الواقعة .

قوله : «فصادوا الوحش والذين معه والنبى الكذاب الذى صنع العجائب فيهم قدامه» ، وهذا لا يكون إلا بعد وقوف الصفين للقتال ، وإشهار السلاح ، وإقامة الحرب ، ومصادمة العسكرين ، وإعمال السيف والرمح وغيرهما فى القتل الذريع[١] ، وانكسار الدجال فيها وخذلانه وإتلاف أكثر من معه . وحينئذ يؤخذ الملك ، وهو الدجال ، وخواصه ونبيه الكذاب الذى هو الوحش البرى الذى كان يعمل الآيات أمامه لتؤمن به شيعته . فألغى ذكر جميع ذلك وذكر العلة ، وهى أمران ، **أحدهما** : أخذ الدجال ومن معه . **والثانى** : أخذ نبيه الكذاب .

قوله : «وربطوا الذين وُسموا من الوحش والساجدين لصورته» ، هذا الربط يحتمل وجهين ، **أحدهما** : كونه على ظاهره . **والآخر** : كونه متأولا بالاستيلاء عليهم ، وأخذ سلاحهم وأسرهم بالأمر الإلهى . وبقية القول واضح بنفسه وقد مضى الكلام فيه .

قوله : «وألقوا الاثنين حيّين فى البحيرة المملوءة نارا وكبريتا» ، هذا يدل على أنهما لا يموتان الموت الطبيعى ، بل يُنقلان إلى جهنم ؛ وهذا عجب لكونهما لا يذوقان الموت الطبيعى ويذوقه سيد الكل بالجسد وأخنوخ وإيليا كما سبق القول ! ويظهر أن سبب هذا أن ما صارا إليه ، وهو أشد من الموت بكثير ، يعجل عليهما بالأشد .

قوله : «والبقية قُتلوا بسيف الراكب على الفرس الذى خرج من فمه» ، يريد **بالبقية** جميع من قَبِل النبى الكذاب وتبع الوحش ، وهم الذين وُسموا منه وسجدوا لصورته . وقد مضى لنا أن هذا السيف الخارج من الفم لا يكون على ظاهره ، بل يفسر بالقوة المهلكة التى تُفعل بالقول أو بالأمر أو بالمشيئة أضعاف ما تفعله السيوف الماضية[٢] ، ودليل صحة ذلك ما قاله بولس الرسول

(١) الشديد ، العظيم .

(٢) أى الحامية والقاطعة .

نبوة على هلاك الدجال ، إذ قال : «ذاك الذى يهلكه الله بروح فيه»[١] . وإذا كان القتل بروح فيه لا بسيف ، فكيف تجرى تلك الدماء من آل الدجال ، وكيف يصح قول أشعياء وقول هذه الرؤيا أن الثوب تزمل بالدم ، وأن الدم يخرج من المعصرة المتلثة بالحرب ؟ ولا يمكن تأويل هذه الأماكن ، لأن التأويل أفضى بها إلى هذا المعنى . وإذا أُوّل المعنى الذى وصل التأويل إليه بطل التأويل إذ لابد أن يستند المجاز إلى حقيقة ما ؟ **والجواب** : أن هذه الشبهة حدثت عن سببين ، **أحدهما** : نصوص لا يمكن تأويلها . **والآخر** : أماكن متأولة لا يمكن حملها على ظاهرها . فلا محيص عن الشبهة إلا ما يجمع بين القولين ، فنقول : إنّا قد بيّنا فى تفسير الفص الثانى والسبعين كيفية الأفعال بالوسائط وقررناه عندما أمر سيد الكل ملاك النار ، وأمر ملاك النار الملاك الذى بيده السيف المتولى الانتقام ليقطف عنقود عنب الأرض . فلا نحتاج إلى تكراره هنا . وعلى ذلك فيصح أن يكون الملوك الآتون من مشارق الشمس واسطة أيضا بين الملاك المتولى الانتقام الذى هو والى دولتهم وبين شيعة الدجال ، فيباشرون قتالها وقتلها وسفك دمائها بحد سيوفهم ؛ والفعل منسوب إلى سيد الكل . ويبقى السيف الخارج من فمه ومن فم عسكره ، والسيف الذى بيد الملاك المتولى الانتقام ، كلها مفسرة ، فهذا حل الشبهة وإجماع القولين .

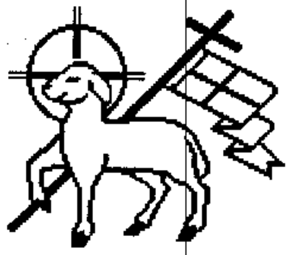

(١) ٢ تس ٢ : ٨ [و «فيه» هنا بمعنى الفم] .

الأصحاح العشرون

الفصل الحادى العشرون

١٠٦- (١) ورأيت ملاكا نزل من السماء ومفتاح العمق بيده وسلسلة عظيمة فى يده (٢) فأمسك التنين الثعبان الأول الذى هو إبليس الشيطان وقيده ألف سنة (٣) وطرحه فى العمق وسد فمه وختم من فوق عليه لئلا يضل الأمم حتى تكمل الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يُحَل زمانا يسيرا .

هذا الملاك هو ملاك العمق الذى ذُكر فى الفص الرابع والأربعين ، ورُمز عليه بالنجم الساقط من السماء ، فقد قيل هناك [فى فص ٤٤] أن هذا الملاك أعطى مفاتيح بئر العمق ، **والمفتاح والعمق** قد تكلمنا عليهما فى الفص التاسع بأن **المفتاح** هو الحكم المطاع ، وأن **العمق** هو الغور الأقصى من الأرض ، ولم يرد به عمق البحر لقوله بعد ذلك فى الفص المائة والحادى عشر : «والبحر أخرج الموتى الذين فيه وسلم العمق والجحيم الموتى الذين فيهما »[1] ، فدل على أنه غيره . **والسلسلة** رمز على القوة الروحانية الضابطة . **واليد** رمز على الحكم أيضا ، كما نقول : إن هذا تحت يدى أى تحت حكمى .

قوله : «فأمسك التنين الثعبان الأول الذى هو إبليس الشيطان وقيده ألف سنة» ، إن هذا الملاك ضبط الشيطان بالقوة الإلهية أسفل أعماق الأرض ،

---

(١) رؤ ٢٠ : ١٣

ويلزم من هذا أن يكون أعوانه مضبوطين معه ، ليتم القصد فى راحة هذا العالم منه ومنهم مدة الألف سنة . ولا تستعظم لهذا الملاك أن يقوى بمفرده على الشيطان وجميع جنوده لسببين ، **أحدهما** : أن ميخائيل رئيس الملائكة وملائكته يكونون قد كسروا همة الشيطان وقوته وقوة أعوانه عندما يحاربونه ويسقطونه ومن معه من السماء . **والآخر** : أن هذا الملاك أُيّد بقوة كافية فى هذا الغرض .

قوله : «وطرحه فى العمق وسد فمه وختم من فوق عليه» ، معلوم أن **المطروح فى العمق** هو الشيطان ، والذى **سد الملاك فمه** هو العمق ، **والختم عليه** رمز على صونه وإحراز من فيه . وإلى هذا المعنى أشار بطرس الرسول فى رسالته الثانية : «إن كان الله لم يُشفق على الملائكة الذين أخطأوا بل طرحهم فى وثاق الظلمة ليُحفظوا إلى يوم الدينونة»[١] ، لكى يعاقبهم ، فحبسهم إلى آخر الألف سنة ، وحفظهم إلى يوم الدينونة .

قوله : «لئلا يضل الأمم حتى تكمل الألف سنة» ، ضمير الفاعل فى **يضل** عائد على الشيطان ، وقد أعطيت هنا لعلة فى ضبط الشيطان وحبسه فى العمق ، وهى أن لا يضل الأمم بوساوسه وحيله وأعماله وخدعه التى اعتاد اعتمادها مع البشر . وجعل لحبس الشيطان أمد ، وهو الألف سنة ، وعند انتهائها يُفلت ، وهو قوله : «وبعد ذلك لابد أن يُحَل زمانا يسيرا» ، أى بعد هذه السنين الممتدة . وقد سلفت الإشارة فى الفص الثامن والثمانين **بالقليل** إلى نصف أسبوع لما قال عن الوحش أنه يقيم قليلا ويمضى إلى الهلاك . وقد أُشير بالقليل فى مكان آخر إلى آلاف من السنين ، إذ قال فى **الإنجيل المقدس** والرسائل : «إن الزمان يسير»[٢] ، فصار اليسير عندنا بغير ضابط . ومن الرأى الإلهى كتمان الأزمنة وترك تعيينها عنا ولنا ، لما يعلم سبحانه فى ذلك

(١) ٢ بط ٢ : ٤

(٢) يو ١٢ : ٣٥ ؛ ١٣ : ٣٣ ؛ ١ تس ٢ : ١٧

من حصول مصالح لنا ودفع مفاسد عنا . ولذلك كانت مدة حل الشيطان وإضلاله للأمم مجهولة لدينا كما شاء الله تعالى . وسيرد لهذا الفص كمال آخر بعد الفص الآتى .

✠ ✠ ✠

١٠٧- (٤) ورأيت كراسى والذين جلسوا عليها حكموا من أجل نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته والذين لم يتسموا على جباههم وأيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة (٥) وبقية الأموات لا يحيون حتى تكمل الألف سنة هذه هى القيامة الأولى (٦) طوباه وقديس الله من له نصيب فى القيامة الأولى وعلى هؤلاء لا يتسلط الموت الثانى لكن يكونون كهنة لله والمسيح ويملكون معه الألف سنة .

يظهر أن هذه الرؤيا إنما تتم بعد هلاك الدجال وجموعه ، وقبل قيامة الأبرار القيامة الأولى ، لأنه بعد أن يُحكم على أولئك الأشرار ، يُحكم لأنفس الأبرار .

قوله : «ورأيت كراسى والذين جلسوا عليها حكموا» ، يُسأل فى هذا القول عن عدة أمور ، **أولها** : هل تكون هذه الكراسى روحانية أو جسمانية ؟ **وثانيها** : إن الرسول يوحنا قال فى بشارته عن سيد الكل : «إن الآب أعطى الحكم كله للابن»[١] ، فكيف يحكم غيره لأنفس الأبرار ؟ **وثالثها** : من هم هؤلاء الحكام ؟ إن كانوا هم الشيوخ الأربعة والعشرين ، فالرسل الإثنا عشر

(١) يو ٥ : ٢٢

يكونون من جملة المحكوم لهم ، مع أنهم وُعدوا أن يجلسوا على كراسى ويدينوا أسباط إسرائيل الإثنى عشر . وإن كانوا هم الرسل ليتم لهم هذا الوعد ، فمن شرطه أن يدينوا أسباط إسرائيل ، ذلك أن سيد الكل قال عن الرسل لليهود : «من أجل هذا هم يحكمون عليكم»[1] ، والحكم على الأشرار إنما يكون فى القيامة العامة عندما يجازَى كل واحد كنحو عمله ، وهنا لم يقل إن هؤلاء الحكام يدينون أحدا بالحكم عليه ، بل قال **يحكمون من أجل نفوس الأبرار** ؟ **ورابعها** : ما هذا الحكم الذى حكموا به ؟ **والجواب** :

أما عن الأول : فإن هذه الكراسى روحانية ، لأن الرسل يكونون فى هذه الحال قد سبقوا قيامتهم من الأموات بجسد البقاء الروحانى . والجلوس عليها علامة الرئاسة والشرف ، لأنها منصب الحكم الذى يشاهده الكل . ولهذا كان القول بأنها رمز على الرئاسة هنا لا أن لها وجودا ضعيفا .

وعن الثانى : أن هؤلاء الرسل إنما يحكمون نوابا وخلفاء عن سيد الكل ، وليس هذا بمخرج[2] للحكم عنه .

وعن الثالث : أن هؤلاء الحكام هم الرسل ، لأن هذه القيامة تختص بشهداء الدعوة المسيحية وأبرارها ، وسننبه على أدلة ذلك فيما بعد . أما معنى الدينونة والحكم واحد ؛ فالحكم لقوم أو عليهم يصح أن يكون دينونة ، كما يصح أن يكون حكما ، ولا يمنع حكمهم للأبرار فى حينه أن يحكموا على الأشرار فى حينه ، مع أن كثيرا من المفسرين قد ذهبوا فى تأويل حكم الرسل على الأسباط ودينونتهم لهم إلى أن نظر الأسباط إليهم هو دينونتهم ، وهو ضعيف ، وسنتكلم عن ذلك عند الكلام عن القيامة العامة بمشيئة الله تعالى .

---

(١) مت ١٢ : ٢٧

(٢) مُبعد ، مناف .

وعن الرابع : أن الذى حكموا به للأبرار ثلاثة أحكام ، *أولها* : تعجيل قيامة أجسادهم الروحانية الباقية جزاءا عن تعجيل ما نالوه من الهوان والقتل فى العالم . *وثانيها* : مُلكهم وكهنوتهم وتنعّمهم فيها هذه المدة مع سيد الكل . *وثالثها* : أن لا يتسلط الموت الثانى عليهم .

قوله : «من أجل نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله» ، هذا تصريح جلى بأنه لا يقوم فى هذه القيامة الأولى إلا أبرار الدعوة المسيحية فقط ، وضبط ذلك بالنفى والإثبات كى لا يتأول :

أما الإثبات ، فقوله إنهم : «حكموا من أجل نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته والذين لم يتسموا على جباههم وأيديهم»

وقد قسّم الذين حُكم لهم بهذا الحكم إلى طائفتين ، **الأولى** : الشهداء . **والثانية** : الأبرار .

وقد أعطيت لقتل هؤلاء الشهداء علتان ، **الأولى** : الشهادة ليسوع . **والثانية** : إنه كلمة الله . وهذا معنى قوله : «من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله» ، أى وشهادة كلمة الله ، فحذف المضاف استغناء بالشهادة المتقدمة .

قوله : «والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته والذين لم يتسموا على جباههم وأيديهم» ، هذه هى الطائفة الثانية وهم الأبرار ، وليس المعنيون «بالذين» الأولى غير المعنيين «بالذين» الثانية ، بل هم هم ، وإنما عطف بالواو ليميز بين الاعتبارين اللذين هما **السجود** **والاتسام** ، فيصير تقدير القول : الذين لم يسجدوا وهم الذين لم يتسموا ؛ كما نقول : الذى يخلق ، والذى يرزق ، والمعنى واحد بهما . هؤلاء الأبرار هم من الذين هربوا إلى القفار والجبال والكهوف وغيرها واختفوا حتى جازت[1] الدولة الدجالية .

(۱) انقضت ، مضت ، انتهت .

قوله : «فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة» ، هذه هى القيامة الأولى . أما كونهم **عاشوا** ، فهو الحكم الأل الذى حُكم لهم به ، ومعناه أن أجسادهم قامت من بين الأموات بالقدرة الإلهية أجسادا روحانية باقية غير فانية ولا متألمة ، واتحدت بها نفوسهم كالكون الأول . وأما كونهم **ملكوا معه ألف سنة** فهو الحكم الثانى لهم . وأما كون هذه هى القيامة فكالنسبة إلى القيامة العامة . وأما كيفية قيام الأجساد ، فسنتكلم عليه عند الكلام فى القيامة العامة بمشيئة الله[1] .

(١) سبق أن قلنا أن ابن كاتب قيصر قد اختلف مع بعض العلماء فى تفسيره لبعض آيات سابقة ، شأنه فى ذلك شأن المفسرين الذين يبدون آراءهم الشخصية . وهنا نجده يختلف أيضا مع غيره فى نقطتين هامتين : الألف سنة والقيامة الأولى .

وقبل إبداء الرأى الصائب عن هاتين المسألتين نقول إنه ليس هو وحده الذى انفرد بهذا الرأى ، بل قد سبقه إلى ذلك كثير من العلماء ، منهم القديسان إيريناوس وترتليانوس ، وكذلك لكتنيوس ويقطرينوسالشهيد وأبوليناريوس وتيباريوس ويوستينوس الشهيد والقديس أغسطينوس ؛ إلا أن هذا الأخير قد رجع عن رأيه وتاب عنه (العنوان العجيب ، ص ٤٨٧) . وخلاصة رأيهم هذا ، كما يرى ابن كاتب قيصر ، أن الأبرار والقديسين يقومون من بين الأموات ويملكون مع المسيح على الأرض ألف سنة ، ويكون الشيطان فى هذا المُلك معتقلا عنهم .

وهناك بدعة أخرى يقول بها علاّمة الكاثوليك ألفونسيوس ، وهى أن هذه الألف سنة تبتدىء من يوم النشور [القيامة] . والقس يوسف الحلبى يقول عنها إنها تفسير ملفق سمج ، لأن هذه الألف سنة لا تعقب يوم النشور والقيامة وسعادة القديسين ، بل تسبق ذلك كله (العنوان العجيب ، ص ٤٨٩) .

بعد هذا ، نورد الرأى الصحيح عن المسألتين السابقتين :

قوله : «طوباه وقديس الله من له نصيب فى القيامة الأولى» ، فى هذا القول تقديم وتأخير يظهره التقدير ، لأنه جملة مركبة من شرط وجزاء ، تقدم فيها الجزاء على الشرط ، وتقديره فى الأصل : من له نصيب فى القيامة الأولى فطوباه وهو قديس الله . وحينئذ يصح عَوْد الضمير فى **طوباه** على **مَن** المتقدمة فى الفهم . والقول على ظاهره كما قلنا أن هذه القيامة لا يدعى إليها إلا الفائزون السعداء .

= أولا - الألف سنة :

ذهب أغلب العلماء والقديسين إلى أن مدة الألف سنة تبتدىء من آلام المسيح إلى يوم النشور - منهم غريغوريوس الكبير وأغسطينوس وبريماوس وغيرهم ، فقالوا إن السيد المسيح وهو على الصليب خلع الشيطان من سلطانه على البشر ، بدليل قوله تعالى : «الآن رئيس هذا العالم يُلقَى خارجا» . وأما فى أيام الدجال فينحلّ ويعود إلى ما كان عليه من القوة والسلطان اللذين يعطيهما الشيطان إلى الدجال . فالمسيح إذن وهو على الصليب نفى الشيطان الكبير ، أى الحية القديمة ، ويريد به زعيم الشياطين ، إلى جهنم ، حقيقة على ظاهرها ، وهناك اعتقله لكى لا يتمكن من الخروج من هناك ويأسو إلى البشر حتى الدجال ، فحينئذ ينحلّ ويخرج من هناك (العنوان العجيب ، ص ٤٨٦) .

وقد قال أنثيموس بطريرك أورشليم فى تفسيره الألف سنة ما يأتى : «أما الألف سنة فلا تدل هنا على عشر مئات ، بل على كمال العدد وعلى تمام جميع عقود الأعداد : الآحاد والعشرات والمئات ، أى على كل زمان الكرازة الإنجيلية وتمام كمية المؤمنين . وبعد انقضاء هذه المدة التى لا يعلمها إلا الله وحده ، يأتى المسيح الدجال ويملك مدة يسيرة كما ذُكر فى سفر نبوة دانيال النبى (ص ١٢) زمانا وزمانين ونصف زمان ، أى سنة وسنتين ونصف سنة ، أى ثلاث سنوات ونصف «ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولك لأجل المختارين تقصر تلك الأيام» (مت ٢٤ : ٣٢) كما سبق الرب فقال (كفاية اللبيب ، ص ١٤٢) . =

قوله : «وعلى هؤلاء لا يتسلط الموت الثانى لكن يكونون كهنة لله والمسيح ويملكون معه الألف سنة» ، قد تقدم لنا أن الموت الثانى هو عقوبة الأشرار فى بحيرة النار . وكون أهل هذه القيامة الأولى لا يتسلط عليهم الموت الثانى هو الحكم الثالث لهم . وأما كونهم **يكونون كهنة لله والمسيح ويملكون معه الألف سنة** فعلى ظاهره ، وهو تمام الحكم الثانى ، فهذا كلام الرؤيا فى القيامة الأولى . وقد تكلم عنها جماعة من المتألهين أرباب الوحى فصرّحوا بها ولم يلوحوا . فمن ذلك ما هو كالتفسير للرؤيا ، ومنها ما تكون هى كالتفسير له ، ومنها ما هو تفصيل لها ، ومنها ما يزيد عليها ، وعليك أن تطابق ذلك .

= أما وقد أوردنا آراء العلماء الصريحة بأن هذه الألف سنة تبتدىء بآلام السيد المسيح وتنتهى بيوم النشور ، فإننا هنا ندعمها بالأقوال الإلهية والرسولية :

فقد قال السيد المسيح له المجد : «فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله» (مت ١٦ : ١٧) ، ومن هذا يتضح أن المجازاة واحدة وليست لفريق دون الآخر .

وقال أيضا : «فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»(يو ٥ : ٢٨) ، وهذا دليل بيّن على أن الدينونة واحدة للأشرار ، كما أن المجازاة بالحياة الأبدية السعيدة واحدة للأبرار . وفى ذلك يقول بولس الرسول : «عمل كل واحد سيصير ظاهرا لأن اليوم [يوم النشور] سيبينه» (١ كو ٣ : ١٣) ، وقال أيضا عن صديقه أنيسفورس : ليعطه الرب أن يجد رحمة الرب فى ذلك اليوم» (٢ تى ١ : ٨) ، ويقصد بذلك اليوم يوم النشور . =

فأول من يُذكر منهم **بولس الرسول** الذى قال فى رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى : «ثم نخبركم عن قول ربنا إننا نحن الذين نتخلف أحياء إلى مجىء الرب لا نلحق بالذين رقدوا لأن الرب بأمره وبصوت رئيس الملائكة

= ثانيا - القيامة الأولى :

والكلام عن هذه المسألة مرتبط بالمسألة السابقة ، حيث يقول ابن كاتب قيصر ، ومن يوافقه من العلماء ، إن القيامة الأولى هى مدة الألف سنة التى يعيشها الأبرار مع المسيح على الأرض ، وهذا الرأى خطأ محض ، لأن الأقوال الإلهية الرسولية وآراء أغلب العلماء الموثوق بأقوالهم تبرهن على أن القيامة واحدة . أما القيامة الأولى التى ذكرها يوحنا الرائى ، فقد أجمعت الآراء الصادقة على أنها قيامة روحية ، تشمل جميع الذين هم عائشون على الأرض فى قداسة وبرارة وطهارة . فى ذلك يقول الأنبا بولس البوشى مطران مصر أقوالا ذهبية مؤيدة بأدلة صادقة صحيحة ، منها : «إن الله قال لأبينا آدم : فى اليوم الذى تأكل من عود المعصية [أى شجرة معرفة الخير والشر] موتا تموت . وأكل آدم ولم يمت ذلك اليوم ، بل بعد تسعمائة وثلاثين سنة . ومن هذا يتضح أن قصد الله هو الموت المعقول [أى الموت الأدبى والروحى] لا الموت المحسوس . . . وعليه يكون سلوك الإنسان وهو فى هذه الحياة الدنيا فى طريق وصايا الله وتجنب نواهيه ، فإنه يصبح هيكلا لحلول روح قدسه ، وبذلك يكون قد قام هذا الإنسان من موت الخطية إلى حياة البر ، وهذه هى القيامة الأولى» .

وقال القديس أغسطينوس : «إن القيامة الأولى هى قيامة النفس من الخطية بواسطة النعمة ، والقيامة الثانية هى القيامة من بين الأموات» .

إذن يكون الموت الأول هو مفارقة نفس الإنسان لجسده ، والموت الثانى هو الخلود فى النار الأبدية ؛ والقيامة الأولى هى قيامة النفس من الخطية واتصالها بخالقها بسيرها فى نواميسه ووصاياه وهى فى هذه الحياة ، والقيامة الثانية هى التى ستكون فى يوم النشور ، أى عند المجىء الثانى للسيد المسيح .

وبوق الله الذى من السماء ينبعث أولا الموتى الذين ماتوا على الإيمان بالمسيح ، وعند ذلك الباقون أحياء نُختطف معهم جميعا بسحاب لنلقى ربنا فى الجو وهكذا نكون مع الرب كل حين»(١) ، فقد أبان هنا عن حال الذين يبقون أحياء حين مجىء ربنا كأنه ينطق عنهم بأنهم لا يلبثون أمواتا كمن تقدمهم ، بل يبدلون فى لحظة واحدة ، لأنهم حال موتهم يضرب رئيس الملائكة بالبوق النازل معه من السماء فيقومون للتو . والبوق إنما يصوّت بطنين تجويفه وبالصوت المنحصر من النافخ فيه ، وهذا معنى قوله : «وبصوت رئيس الملائكة وببوق الله» . فأمر الله هو العلة فى قيام الأموات ، والملاك وسيط فى تنفيذ الأمر ، والبوق آلة ، والصوت الذى يظهر من البوق شرطه فى قيام الأموات بحسب الإاردة الإلهية . وأخبر عن الموتى من المسيحيين الشهداء والأبرار إنهم يقومون . ودل بقوله : «ينبعث أولا الموتى الذين ماتوا على الإيمان بالمسيح» على تخصيص هذه القيامة بهم ، وأما من سواهم ، بارا كان أو فاجرا ، فإنما يقوم فى القيامة العامة ، وأخبر عن جميع الذين سيحيون ، المتبدلين والقائمين معا ، إنهم يُختطفون بسحاب ليلقوا سيد الكل فى الجو ، وأنهم يكونون مع الرب ملازمين له فى كل حين .

وقد يد هذه الحقيقة السيد المسيح له المجد بقوله لمرثا : «أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١ : ٢٥) .

إذن ، فالمؤمن بالسيد المسيح ، السالك بالكمال ، لن يرى الموت الثانى الذى هو هلاك النفس والجسد فى جهنم . وأما الموت الطبيعى فلن يفلت منه أحد قط .

يقول القديس بولس الرسول : «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح بالنعمة أنتم مخلصون وأقامنا معه فى السموات» (أف ٢ : ٥ و ٦) ، وقال أيضا : «قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه فى المجد» (كو ٣ : ٣ و ٤) .

(١) ١ تس ٤ : ١٥ - ١٧

وقال أيضا فى آوائل رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى : «ويحييكم أنتم الذين تُضطهدون عند ظهور ربنا يسوع المسيح من السماء فى جند ملائكته حين يجعل النقمة بلهيب النار فى أولئك الذين لم يعرفوا الله»(١) ، [وهذا مجمل ما قاله يوحنا فى رؤياه ، وهو لا يتجاوز حدود معناه] .

كما قال فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : «فالمسيح هو البدء ثم أصحاب المسيح فى مجيئه ثم أصحاب الكمال عندما يسلم الملك لله الآب»(٢) . فقد تبيّن فى هذا القول أمر القيامتين على نسق وتقدم قيام الأبرار فى القيامة الأخيرة العامة على الأشرار . لأنه لما تكلم فى قيام الأجساد من موتها ، ذكر أن المسيح له المجد هو بدء القائمين من الأموات قياما لا يعقبه موت ، وإلا فقد قام كثير من الأموات قبل السيد المسيح له المجد .

ولما كان بين القيامة الأولى والقيامة الجامعة مدة أخرى فسيحة ، فقد عطف بحرف **ثم** أيضا فقال : «ثم أصحاب الكمال عندما يسلم الملك لله الآب» . وظاهر من هذا أن قيامة هؤلاء الأبرار ، الذين سماهم أصحاب الكمال ، تأتى قبل قيامة الأشرار ، وأنه سماهم بذلك لأن بقيامهم تكمل قيامة الأبرار . وتسليم الحكم لله الآب فى القيامة العامة له مكان يليق به تفسيره .

وفى قوله : «أصحاب المسيح» نظر ، وهو أن قيامة أخنوخ وإيليا هى قبل القيامة العامة ، فقد سبقوا هم أصحاب المسيح .

والجواب : إنه يجوز اعتبارهما من أصحاب المسيح ، ويجوز أن يكون قسما مفردا كما كانت حياتهما وموتهما ، كذلك تكون قيامتهما .

وقال أيضا فى رسالته المذكورة : «وهوذا سر أقوله لكم إننا لا نرقد كلنا وسنتبدل جميعنا فى لحظة وطرفة عين فى البوق الأخير لأن البوق ينادى فيقوم

(١) ٢ تس ١ : ٧ و ٨

(٢) ١ كو ١٥ : ٢٣

الأموات وهم بغير فساد ونحن أيضا سنتبدل»[١] ، يريد بالبوق الأخير إذا نادى فمن كان ميتا من الأبرار المسيحيين قام أولا ، ومن كان حيا منهم تبدل جسده ، بمعنى صيرورته باقيا روحانيا ، والتبديل يعم الكل : من قام ومن هو حى . وقيام الموتى متبدلين يسبق تبدل الأحياء ، أما الضمير فى «إننا» فيعود على مفهوم «وهم الأحياء الذين تدركهم القيامة الأولى» ، وكأن الرسول ينطق بلسان حالهم كما قلنا . ويريد بالرقاد الموت الطبيعى ، وبالبوق الأخير الصوت الأخير من البوق بحذف المضاف ، وصار الوصف كأنه للمضاف إليه . ولعل الصوت الأول إنذار بأن الحين أتى ، والثانى به قيامة الأموات وتبدلهم والأحياء معهم .

وثانيهم **أشعياء النبى** ، قال : «يخرج عصا من صلب يسى وينبت غصن من أصله . ويحل عليه ويطمئن روح الله وروح الحكمة والفهم روح التدبير والجبروت روح العلم وخشية الله وليشرق بخوف الرب ولا يحاكم كما ترى عيناه ولا يبكت كما تسمع أذناه . ولكن يقضى بالحق للمساكين ويوبخ أشرار الأرض بالعدل ويضرب الأرض بروح فيه ويميت المنافقين بروح شفتيه . ويكون البر شدا لظهره والإيمان شداد حقويه حينئذ يسكن الخروف مع الذئب ويربض النمر مع الجدى ويرتع العجل مع شبل الليث جميعا ويرعاها صبى صغير . ويرتع الدب والبقر جميعا . تربض أولادهما جميعا ويأكل الأسد التبن مثل الثور . ويلعب الطفل بابن فترة والفطيم يدخل يده فى حجر الأفعى . لا يفسدون ولا يسوؤون فى جبل قدسى . لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب مثل الماء الذى يغشى البحر»[٢] . **فالعصا والقضيب** يشير بهما إلى المسيح سيدنا من حيث ناسوته ، لأنه من قِبَلِ أمه العذراء من صُلب يسى

(١) ١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢

(٢) أش ١١ : ١ - ٩

أبى داود وأصله . والأرواح السبعة التى تحل عليه من حيث ناسوته أيضا ، **أولها** : الروح القدس الذى أطلق عليه هنا روح الله ، فإن يوحنا المعمدان يقول إن الروح يحل ويثبت عليه . **أما الستة الأخرى** : فهى الحكمة والفهم والتدبير والجبروت والعلم وخوف الله ، التى هى مبدأ الحكمة ورأسها كما قال داود النبى[١] . وبهذه المَلَكات صدرت عنه تلك الأفعال المعجبة فى ظهوره الأول ، وتظهر عليه هذه المَلَكات فى ظهوره الثانى لعظمة مجده . ويريد **بإشراقه** ظهوره بمجده فى هذه الألف سنة . وكونه **يشرق بخوف الرب** ، أى بالحق والعدل ، لا بالبهتان والجور كما يظهر الدجال . وأما كونه **لا يحاكم كما ترى عيناه ولا يبكت كما تسمع أذناه** فإشارة إلى أنه يدين بحسب السرائر المضنرة وسجايا النفوس لا بالظاهر المخالف للباطن . وأما **توبيخه الأشرار بالعدل** فعلى ظاهره . وأما **ضربه الأرض بروح فيه وإماتته المنافقين بروح شفتيه** فذلك ما يفعله بالدجال وشيعته الضالة . **والظهر والحقو** هما محل قوة البدن لأنهما كالعارضة التى تُبنَى عليها السفينة ، **وشدهما** فى العرف بالمنطقة تقوية لهما ، وهو من رسوم الملوك ، وأن يمنطق غيرهم فهو يشير ههنا إلى أن تقوية مُلكه بالحق الذى هو الإيمان والبر الذى هو الخير . وأما **سكن الخروف مع الذئب وربض النمر مع الجدى وما يتلو ذلك** ، فلاشتباهه ، صار المفسرين له فرقا[٢] :

فرقة من علماء اليهود : أوّلت هذه الوحوش بأمم أخلاقها كأخلاق هذه الوحوش ، لكن ذهبت إلى أن هذه النبوة تمت فى الخمس عشرة سنة التى وهبها الله لحزقيال الملك زيادة على عمره ، فإنها كانت بغير حرب ، وكانت أرض القدس وما والاها هادئة من شرور وفتن الأمم التى حولها . **والعدل** الذى هو الحق سائدا فى ملكه تلك المدة .

(١) مز ١١١ : ١٠ .

(٢) أى اختلفت حوله الآراء

وفرقة من معتبريهم(١) : حملت هذه على ظاهرها ، ولكنها تتم فى أيام المسيح المنتظر الذى هو على رأيهم ملك من البشر يقيم دولة دنيوية يعيد بها دولة بنى إسرائيل .

وفرقة من علماء النصرانية بالمشرق : أوّلت ذلك كما أوّله علماء اليهود ، لكن النبوة تمت فى مجىء سيد الكل الأول عند بدء الدعوة المسيحية ، كما قال ذلك الشيخ أبو عيسى بن زرعة فى مقالته لفنحاس(٢) ، وكذلك

(١) مؤيدى تأويل فرقة علماء اليهود .

(٢) عيسى بن اسحق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا أبو على النصرانى اليعقوبى والبغدادى تلميذ يحيى بن عدى (٩٤٣ - ١٠٠٨م) هو أحد المتقدمين فى علم المنطق والفلسفة ، وأحد النَّقَلَة المجوّدين ، له من المؤلفات :
١- اختصار كتاب أرسطو فى المعمور من الأرض ٢- كتاب أغرض كتب أرسطو المنطقية ٣- مقالة فى معانى إيساغوجى ٤- مقالة فى العقل ٥- مقالة فى النميمة ٦- كتاب الحيوان لأرسطو ٧- كتاب منافع أعضاء الحيوان بتفسير يحيى النحوى ٨- كتاب سوفسطيقا النص لأرسطو ٩- مقالة فى الأخلاق ١٠- خمس مقالات من كتاب نيقولاؤس فى فلسفة أرسطو .
وباقى إلى اليوم فى ألبوم تصانيفه : ١- صحة مذهب النصارى وفساد مذهب اليهود ٢- رسائل التثليث والتوحيد ٣- تبرئة اليعقوبية من القول بحلول الآلام بذات الابن الأزلى ردا على كتاب أبى القاسم البلخى المسمى أوائل الأدلة ٤- أجوبة عن مسائل سأله عنها أبو حكيم النجيرى ٥- مقالة فى أربعة مباحث عن الاتحاد الذى تقول به النصارى ٦- رسالة إلى اليهودى بشر بن فنحاس ، وهى التى أشار إليها هنا ابن كاتب قيصر ٧- أبحاث فى الإنجيل وأجوبة على مسائل شتى ٨- وله كتاب فى «أصول الدين» للعلاّمة القبطى اسحق بن العسال - مقالة فى إثبات النسخ من الأنقص إلى الأكمل ٩- ونشرت له مجلة المشرق (٦ : ٣١٦ - ٣١٨) تعريبه لمقالة أناموسطيوس فى السياسة (عن ابن القفطى ٢٤٥ ، وعيون الأنباء ١ : ٢٣٥ ، والفهرست لابن النديم ٢٦٤ ، والمخطوطات العربية ٨) .

ما قاله القس أبو الفرج ابن الطيب النسطوريفى فردوس البيعة[١] ، لكن هذه النبوة عنده إنما تمت فى أيام حزقيال الملك قبل التجسد .

أما الفرقة الأولى والثالثة فتتفقان عن القول : «ويأكل الأسد التبن مثل الثور» .

وأما الفرقة الثانية المنتظِرة الدولة الإسرائيلية ، فتقف عند قوله : «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب مثل الماء الذى يغشى البحر» . فإن الإيمان إذا عم ، فليس لبنى إسرائيل ميزة على غيرهم فى ذلك ولا سلطة .

وإذن ، بطلت آراء الفرق الثلاث ، وطابقت هذه النبوة لما يكون فى وليمة الألف سنة ، وتعيّن أن يكون ما نصه النبى من أحوال الوحوش والأطفال على ظاهره .

وما ذلك ببدع ولا بمستنكر ، فإن الأحوال كانت على هذه الصورة منذ بدء الخلق إلى الطوفان ، لا يكسر وحش ولا جارح ، ولا تأكل السباع ولا الطير ولا الهوام لحما ولا غيرها بل الثمار والنبات ، وعلى هذه السُنّة اجتمعت فى سفينة نوح .

وأما ابن فترة[٢] فنوع من الحيات يثب فى الهواء مارا كالسهم وهو رديء جدا .

وأما قوله عن العجل والشبل : «ويرعاها صبى صغير» ، وقوله : «ويلعب الطفل بابن فترة» ، وقول : «والفطيم يدخل يده فى حجر الأفعى» ، فقد دلنا بذلك على أن فى هذه الألف سنة أطفال ومشائخ ورعاة ، ويلزم أن يكون فيها حرث ونسل وتصرف دنيوى . ويظهر من ذلك أن هؤلاء غير من بُعث من الأبرار وتبدّل من أحيائهم ولبس جسد البقاء ، قطعا لكون الأحوال غير الأحوال . وهذا مما يجب أن تضيفه إلى علمك حتى يحق الكلام عليه من بعد .

(١) راجع هامش رقم (١) ص ١٠٨ . (٢) وقال قوم إنها : فنزة .

وقال هذا النبى أيضا فى ذلك : «ويسمع الصم فى ذلك اليوم كلام الكتاب وتبصر أعين العميان فى الظلمة والسجاف[١] ويزداد المتواضعون فرحا بالرب والمساكين بقدوس إسرائيل يطربون لأن الذى يطأ قد جاز وهلك المستهزىء وباد جميع الذين يهيجون الإثم ويخطئون الناس بالكلام ويضعون عثرة للذى يبكتهم وينصبون فخا للبار فى الظلمة»[٢] .

ثم قال : «ويكون حينئذ على كل جبل مرتفع وأكمة عالية تجرى جداول الماء يوم القتل العظيم وهدم البروج ويكون نور القمر مثل نور الشمس ونور الشمس سبعة أضعاف مثل نور سبعة أيام فى اليوم الذى يضمد الرب انكسار شعبه ويشفى وجع ضربتهم»[٣] .

أما **سماع الصم ونظر العمى** فيحتمل وجهين ، **أحدهما** : أن يكون على ظاهره ، وهو أن الذين يُبعثون ويتبدّلون إن كان فيهم صم أو عمى أو غير ذلك فإنه يزول ، وكذلك الذين يبقون أحياء حينئذ ولم يتبدلوا ، تزول أدواؤهم وأمراضهم لتعم الصحة والبهجة . **والآخر** : أن تكون الإشارة به إلى الطاعة وعدم المعصية فى هذه المدة . لأن هذا النبى يصف العصاة فى مكان آخر بما يقابل هذا المعنى ويقول : «نظرا ينظرون ولا ينظرون وسماعا يسمعون ولا يسمعون لقد غلظ قلب هذا الشعب»[٤] .

ويريد **بقدوس إسرائيل** إله إسرائيل .

وأما ما ذكره من هلاك مَن هلك وإبادة مَن باد من المستهزئين والمخطئين والمغترين وناصبى الفخاخ للأبرار ، فإشارة إلى الدجال وآله الذين هلكوا يوم القتل العظيم ، وخربت مدائنهم وحصونهم ، وهذا معنى قوله : «يوم القتل العظيم وهدم البروج» .

---

(١) سترة ، ستارة ، ساعة من الليل .
(٢) أش ٢٩ : ١٧ - ٢١
(٣) أش ٣٠ : ٢٥ و ٢٦
(٤) أش ٦ : ٩ و ١٠

وأما كون نور القمر كنور الشمس ، وكون الشمس نورها سبعة أضعاف مثل نور سبعة أيام ، ففيه نظر ، وذلك أن تغيير النيّريْن قد يعتبر بالنسبة إليهما فى نفسهما أو فى حالتهما : إما بأن يعظم جرماهما ، أو يزيد النور المودع فيهما ، أو بأن يجتمع ذلك . وقد يعتبر بالإضافة إلى الناظر إليهما ، فإن الضعيف النظر إذا صح ، والصحيح النظر إذا قوى نظره ، رأى أكثر وأقوى مما كان يرى ، ورأى ما لم يكن يراه أولا من الأشياء الخفية الدقيقة لزوال العوائق والآفات ولقوة الحاسة . وليس ذلك لتغيير المدرك المحسوس ، بل لتغيّر المدرِك الحاس . فهل يُحمل قول النبى حينئذ على الاعتبار الأول أو الثانى ؟

ذهب جمهور علماء اليهود والنصرانية إلى الحمل على الاعتبار الثانى وهو تغيّر المدرِك الحاس ، وذلك أن موسى بن ميمون رئيس شيعة الربانيين قد تكلم على هذا فى الفصل الحادى والثلاثين من الجزء الثانى من كتابه المعروف بدلائل الحائرين . وذكر مواضع من الأنبياء كهذا ، وأورد آراء مشايخ لهم يذهبون إلى ذلك - ولا نطيل بذكرهم - فإن الحاصل من ذلك أن المتغيّر هو البصر الحاس لا النيّران . وذكر أن النبى أشار بقوله : «مثل نور سبعة أيام» إلى بهجة أيام سليمان الملك عند إكماله بناء البيت وكسوته ورتبته ورفع الصلوات والقرابين والضحايا فيه ، والسكون الذى كان فى أيامه . وقال ابن ميمون هذا أيضا إنها تجوز أن تكون فى أيام المنتظر ، وهو الصواب .

وإلى تغيّر المدرِك الحاس ، ذهب القس أبو الفرج ابن الطيب أيضا فى كتابه المعروف بـ «فردوس البيعة» عند تفسيره نبوة أشعياء ، فإنه قال : «وكون نور القمر كنور الشمس دليل الرخاء - كما أن الإنسان فى الشدة يرى المضىء مظلما - هكذا فى الرخاء يرى المضىء أكثر ضياء» .

وذهب القس الفاضل الأنبا بطرس السدمنتى[١] إلى جواز الاعتبار الثانى ، وهو تغيّر النيّريْن، واستدل على ذلك بوجهين، **أحدهما** : لاستناده إلى ما احتمله ظاهر القول النبوى . **والثانى** : أن إدراكات الأبرار لتبدلها تكون أقوى فتحتاج إلى نور أقوى ، والدليلان مدحولان[٢] . **أما الأول** : فإنه مصادرة على المطلوب ، لأنه استدل على أولوية أحد الاحتمالين بالاستناد إلى احتمال القول لهما . **وأما الثانى** : فإن فى نور النيّريْن كفاية لهذه المدركات . وكذلك الأقوى منها من غير احتياج إلى زيادة نور فيهما . وكل من المدركِين يدرِك من نورهما بقدر قوته واحتياجه .

فالاعتبار المتقدم حينئذ أولى ، وهو تغيّر المدرِك الحاس ، لأن تبديله وقوته متيقنة . وأما تغيّر النيّريْن فلا دليل لترجيحه .

والتضعيف سبعة لسبعة أسباب : لجوهر الأجسام وصفائها ولطاقتها وتروحنها وعدم الخوف والهم والغم . فكلما ارتفع مانع حدث إدراك ، وكلما زاد سبب حدث إدراك آخر .

ثم قال أيضا هذا النبى فى آواخر نبوته مخاطبا اليهود عن الله تعالى : «وتصير أسماؤكم لعنة لأصفيائى ويبيدكم الله الرب ويدعو عبيده باسم آخر . والذى يتبارك بالأرض يتبارك بالله ويقول آمين . والذى يحلف بالأرض يحلف بالله حقا من أجل أن العتيقة القديمة تنسى قدامى . لأنى أنا خالق سماء جديدة وأرضا جديدة ولا تذكرون الأمور القديمة ولا تخطر على القلب بل يفرحون ويجزلون بما أخلق لهم إلى دهر الداهرين لأنى خالق لأورشليم فرحا . وأسر بها وبإسرائيل وأبهج وأجزل بشعبى . ولا يُسمع فيها رنين البكاء أيضا . ومن الآن لا يكون هناك صبى قليل الأيام ولا شيخ لم تكمل أيامه من أجل أن الصبى يموت ابن مائة سنة . والذى يخطىء لا يُلعن إلا بعد مائة سنة . ويبنون البيوت

(١) تجد تاريخه فى المقدمة .

(٢) متباعدان ، مستتران .

ويسكنونها وينصبون كروما ويأكلون ثمرتها . ولا يبنون بيوتا ويسكنها غيرهم ولا ينصبون كروما ويأكلها سواهم من أجل أن أيام شعبى مثل أيام الشجر وعمل أيديهم يأكلون ولا يتعب أصفيائى بالباطل ولا يتوالدون للعن من أن نسلهم باركه الرب هم وبنيهم معهم . قبل أن يدعونى أستجيب لهم وقبل أن يتكلموا أسمع منهم . ويرعى الذئب والحَمَل فى مكان واحد والأسد يعتلف التبن مثل الثور ويكون طعام الحية التراب ولا يسيئون ولا يفسدون فى جبل قدسى»[(١)] .

أما **أصفياؤه** فهم المؤمنون بسيدنا المسيح : الأبرار من اليهود ومن سائر الشعوب ، **والذين تصير أسماؤهم لعنة** هم الذين لم يؤمنوا ، **وإبادة الله لهم** قطعهم بجلوة طيطوس بن آسباسيانوس قيصر الأخير ، **وعبيده الذين يدعوهم باسم آخر** هم النصارى .

وأما قوله : «الذى يتبارك بالأرض يتبارك بالله ويقول آمين» ، يصف شرف الأرض ، أى كأنه عندما يتبارك بها يتبارك بالله تعالى ، فيكون جهة التشبيه والإكرام والتعظيم .

قوله : «والذى يحلف بالأرض يحلف بالله حقا» ، أى يتحرّى الصدق ويراقب الحَلَف كما يراقب إذا حلف الله تعالى لكرامة الأرض وشرفها وطهارتها من اللعنة الأولى .

والسماء والأرض الجديدتان اللتان يخلقهما ، إن كان المراد بذلك الظاهر ، فالإشارة به إلى تجديدهما فى القيامة العامة . وإن كان المراد التأويل ، وهو الأقرب ، فالإشارة إلى ما فسر ذلك به على الاتصال ، وهو أن يخلق لأورشليم فرحا ، وبهذا يدل على أن مدينة أخرى تُبنَى غير التى يكون فيها الدجال وتخرّب عند هلاكه ، وتسمى أورشليم هى أيضا ، بدليل قوله بعد ذلك : «ولا يتوالدون للعن» ، أى للموت .

(١) أش ٦٥ : ١٥ -٢٥

وأما قوله : «وأسر بها وبإسرائيل وأبهج وأجزل بشعبى» ، فالهاء فى **بها** عائدة على المجددة **وإسرائيل** هم المؤمنون بالمسيح منهم . **وشعبه** هم المؤمنون به من بقية الشعوب .

قوله : «ولا يُسمع فيها رنين البكاء أيضا» ، أى لا يُسمع فى المدينة التى قبلها .

قوله : «لا يكون هناك صبى قليل الأيام ولا شيخ لم تكمل أيامه» ، يريد : بل تبلغ الأعمار إلى مائة سنة ، وهذا دليل ثالث على وجود الطائفة المتقدمة الذكر .

وأما قوله : « والذى يخطىء لا يُلعن إلا بعد مائة سنة» ، كأنه يشير باللعن هنا إلى الموت الطبيعى . وقوله بعد ذلك : «من أجل أن أيام شعبى مثل أيام الشجر» ، أى يكونون طويلى الأعمار .

قوله : «وعمل أيديهم يأكلون» ، دليل رابع على وجود الطائفة المذكورة ، وتغرس وتأكل كدها وتُعمِّر وتموت بعد المائة سنة .

قوله : «ولا يتعب أصفيائى بالباطل» ، يريد فى لهو الدنيا وغرورها فيما يفسد عاجلا وآجلا . والسماع منهم والاستجابة لهم لحسن طاعتهم وجميل سؤالهم .

ورعى الذئب والحَمَل وأكل الأسد التبن والحية التراب قد تكلمنا عنه فى النبوة المتقدمة .

واليهود مجمعون على أن هذه النبوة عن مجىء المسيح المنتظر .

والقس ابن الطيب يذهب إلى أنها نبوة على حال اليهود بعد رجوعهم من سبى بابل ، وهو ظاهر البطلان ، لأنها لم تتم فى ذلك الحين .

وثالثهم **داود النبى** ، حيث قال فى المزمور الثانى نبوة على سيد الكل له المجد : «الرب قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . سلنى فأعطيك الشعوب ميراثك وسلطانك على أقصى الأرض لترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم»[١] .

ولفظ هذه النبوة عينه قد ورد فى رؤيا الرسول يوحنا فى وليمة الألف سنة ، فلا نحتاج إلى تفسير ولا تقرير بعد الكلام هناك فيها .

ورابعهم **بطرس الرسول** ، فإنه كشف عن ذلك فى رسالته الأولى إلى مؤمنى العبرانيين ، فقال لهم عن سيد الكل : «إنه سوف يتمجد وتأخذون منه كمال أمانتكم خلاص أنفسكم لأن من أجل هذا الخلاص طلب الأنبياء وبحث الذين تنبأوا عن النعمة التى صارت فيكم وبحث عن الزمان الذى تكلم فيه روح المسيح إذ قد سبق أن شهد عن أوجاع المسيح وعن النعمة والخيرات الآتية بعد أوجاعه التى كشف الأنبياء أنها لا تعمل لهم وكانوا يخدمونكم أنتم بها الرسل وهى الآن التى أخبركم بها المبشرون لكم بروح القدس من السماء وبالنعم والخيرات التى تشتهى الملائكة أن تراها»[٢] ، والمجد لله دائما . ...

* (إلى هنا آخر ما وُجد من أقوال ابن كاتب قيصر تفسيرا للرؤيا) *

(١) مز ٢ : ٧ - ٩ (٢) ١ بط ١ : ٨ - ١٢

١٠٨- (٧) وإذا كملت الألف سنة يُحَلّ الشيطان من سجنه ليضل المسكونة ويجمع جوج وماجوج من زوايا الأرض الأربع إلى القتال الذين عددهم مثل رمل البحر (٨) فطلعوا على ساحة الأرض وأحدقوا[١] بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة (٩) فنزلت نار من السماء من قِبَل الله وأكلتهم (١٠) وإبليس الذى كان يضلهم طُرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب يتعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين[٢] .

قوله : «وإذا كملت الألف سنة يُحَلّ الشيطان من سجنه» ، إن كمال الألف سنة يكون فى عهد الدجال .

قوله : «ليضل المسكونة» ، أى أنه يخرج من الجحيم ليضل جميع الساكنين على الأرض .

قوله : «ويجمع جوج وماجوج من زوايا الأرض الأربع إلى القتال الذين عددهم مثل رمل البحر» ، جوج وماجوج اسمان عبرانيان معناهما جمع وكبرياء ، وقيل إنهما يوجدان فى نواحى بلاد التَتَر ، ولهما مَلك يُظَن إنه أحد الملوك العشرة السالف ذكرهم . وذكرهم حزقيال النبى بقوله : «يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال»[٣] .

---

(١) أحاطوا .

(٢) تفسير هذه الأعداد من ٧ إلى آخر هذا الإصحاح مقتبس من كتابى «العنوان العجيب» و «كفاية اللبيب» ، لأننا لم نجده لابن كاتب قيصر ولا لبولس البوشى .

(٣) حز ٣٨ : ٢

قوله : «فطلعوا على ساحة الأرض وأحدقوا بمعسكر القديسين» ، يريد بالقديسين الذين هربوا من وجه الدجال فى البرارى والسهول .

قوله : «وبالمدينة المحبوبة» ، قال بعضهم إنها بيت المقدس حيث يكثر اجتماع المؤمنين لسماع وعظ إيليا وأخنوخ . وقال غيرهم إنها كنيسة المسيح .

قوله : «فنزلت نار من السماء من قِبَل الله وأكلتهم» ، أى أن جوج وماجوج وجيش الدجال كله يُحرَق بنار سماوية .

قوله : «وإبليس الذى كان يضلهم طُرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب يتعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين» ، هذا القول على ظاهره ، أى أنه بعد موت الدجال وانقراض جيشه ، يلقَى الشيطان فى جهنم . وقال بعضهم إنه ربما الأرجح أن الشيطان يلقَى فى جهنم مع الدجال ليعطِى الرب الكنيسة سلاما بعذ اضطهاد الدجال لها .

✠ ✝ ✠

١٠٩- (١١) ورأيت كرسيا أبيض عظيما والجالس عليه هو الذى هربت من وجهه السماء والأرض ولم يوجد لهما موضع .

قوله : «ورأيت كرسيا أبيض عظيما» ، يريد بالكرسى العرض المبجّل ، ووُصِفَ بالبياض الذى هو شعار القداسة .

قوله : «والجالس عليه» ، الجالس هو السيد المسيح له المجد ديّان الجميع .

قوله : «هو الذى هربت من وجهه السماء والأرض ولم يوجد لهما موضع» ، أى أن عدل المسيح الديّان لا يدع مجالا لشفاعة القديسين سكان السماء ، ولا لرحمة سكان الأرض .

١١٠- (١٢) ورأيت الأموات الكبار والصغار قيام أمام الكرسى وفُتحت المصاحف وفُتح مصحف آخر الذى هو سفر الحياة ودين الأموات بما هو مكتوب فى المصاحف كأعمالهم .

قوله : «ورأيت الأموات» ، أي الذين بُعثوا من رقاد الموت ومثلوا أمام العرش .

قوله : «الكبار والصغار قيام أمام الكرسى» ، يريد بالكبار الأبرار وبالصغار الخطاة .

قوله : «وفُتحت المصاحف وفُتح مصحف آخر الذى هو سفر الحياة» ، أى انكشفت أعمال الخطاة والصالحين ، بدليل قوله : «ودين الأموات بما هو مكتوب فى المصاحف كأعمالهم» .

✠ ✝ ✠

١١١- (١٣) والبحر أخرج الموتى الذين فيه وسَلّم العمق والجحيم الموتى الذين فيهما ودين كل واحد كأعماله .

قوله : «والبحر أخرج الموتى الذين فيه» ، أى الذين غرقوا وأكلتهم الحيتان وغيرها . «وسَلّم العمق» ، أى الأجساد التى دُفنت فى الأرض . «والجحيم» أى الذين أُحرقوا بالنار . فكأن تقدير القول أن العناصر تُرجع أجزاء الجسم كل فيما يخصه إلى حالتها قبل الموت وذلك بقدرة الله الذى أوجدها من العدم ، حتى إذا تركبت الأجسام ، تتحد بنفوسها بأمر الله ، ثم تمثل لسماع الحكم عليها إن خيرا أو شرا ، كما يقول بعد ذلك : «ودين كل واحد كأعماله» .

١١٢- (١٤) وطُرح الموت والجحيم فى بحيرة النار هذا هو الموت الثانى .

طُرح الموت والجحيم ، لا ليتعذبا ، بل ليعذبا الخطاة الذين أتوا أعمالا تستحق العذاب الدائم .

١١٣- (١٥) ومن لم يوجد مكتوبا فى سفر الحياة طُرِحَ فى بحيرة النار .

وهم الذين لم يُكتبوا فى سفر الحياة بسبب كفرهم ، فإنهم سيُطرحون فى النار الخارجية .

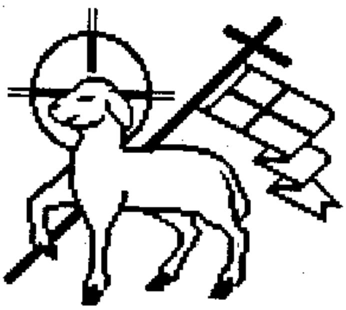

الأصحاح الحادى والعشرون

(†)

١١٤- (١) ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا والبحر لم يوجد .

قال يوحنا الرائى : «ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا والبحر لم يوجد» .

وقد قال الرب : «طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض»(١) ، وقال أيضا : «السماء والأرض تزولان»(٢) وذلك عند هجوع الخلايق يوم السبت يكون زوالهم إلى الليل المقبل . ثم يقومون سَحَرا ، وهو وقت قيامة الرب له المجد من بين الأموت سَحَرٌ جدا يوم الأحد .

وعند زوالهم ، تذهب هذه الأنوار المحسوسة ، الشمس واقمر والنجوم ، كما يقول الرب : الشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه والكواكب تتساقط من السماء»(٣) ، فإذا ذهب هؤلاء ، حينئذ النور الغير محسوس المُشْرِق على القوات الروحانية يتصل إلى الأرض الجديدة . ذلك الذى لا يناله بعد ليل ولا ظُلمة ، لتعلم الخليقة أن لها ابتداء ثم بعد ذلك يكون لها انتهاء .

(†) التفسير من أول هذا الإصحاح إلى آخر سفر الرؤيا هو للأنبا بولس البوشى مطران مصر .

(١) مت ٥ : ٥ (٢) مت ٥ : ١٨

(٣) مت ٢٤:٩ ؛ مر ١٣:٢٤ ؛ لو ٢١:٢٥ ؛ أع ٢:٢٠ ؛ يو ٥:١٠ و ٣١ ، ٣:١٥

فأما الدهر العتيد فليس له انتهاء ، بل مُلك مع الله إلى الأبد ، وهكذا يكون نور دائم .

فإذا اتصل ذلك النور بالأرض الجديدة ، حينئذ يضرب بوق الله من السماء ، وتضطرب أساسات الأرض عند ذهابها ، ويصرخ رئيس الملائكة فى البوق الأخير بقوة عظيمة كما يقول بولس الرسول[١] ، ويأمر الرب وتموج الأرض كمثل البحر الأعظم إذا اشتدت به قوة الرياح ، حينئذ يسمع الأموات صوت ابن الله ، ويأمر أن يقوموا أحياء ، لأن الكلمة الذى خلقهم أولا من لا شىء ، هو الكلمة الذى يبعثهم من ترابهم ويقيمهم أحياء ، كما يقول السيد له المجد : «فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»[٢] .

وقد بيّن ذلك القديس باسيليوس ، فقال : انظر أيها الإنسان إلى قوة وسرعة اقتداره وكيف يقيم الأموات بصوته وكلمته ، الخالق بها الأشياء منذ الأبد . فإذا انذهلت متعجبا من ذلك ، فقد جعل عندك ههنا أمرا مستعملا دائما يظهر لك هذا النوع .

تأمل البحر المالح وكيف أن جميع الأنهار الحلوة التى فى أقصى الدنيا مع الينابيع تصب فيه ليلا ونهارا ، وهو لا يزداد ولا يتغير طعمه المالح . ولِمَ ذلك ؟ لأنه يُصعدها منه بخارا ، فتصير ماء حلوا طيبا ، ويوزع ذلك على كل الدنيا ، فيروى الجبال الشامخة من علاليها كما يقول داود النبى[٣] ، فلو لم تُجذب إليه الأنهار دائما لكانت تفرغ رطوبته ويعود علقما .

---

(١) ١ تس ٤ : ١٦
(٢) يو ٥ : ٢٨ و ٢٩
(٣) مز ١٠٤ : ٦

فتأمل كيف مزج ماء الأنهار الحلوة والينابيع الطيبة مع البحر المالح ، ثم أصعدها إلى الجو خارجا عن طباعها ، لأن المياه تطلب الأسفل ، فأصعدها أبخرة خفيفة ، وعقدها فى الجو سحبا ، وفرّقها فى الأماكن البعيدة على رؤوس الجبال الشاهقة ، وأروَى بها المواضع التى لا تقدر الأنهار أن تبلغ إليها لعلوها ، ثم حسّنها وأرقّها وحلاها أكثر من مياه الأنهار والينابيع .

وهكذا تصنع قوته وقدرته الإلهية فى قيامة الأموات ، بجمع أجسادهم من أقاصى الأرض ، ومن التراب الذى قد اختلط بها ، ويقيمها بلا فساد أفضل مما كانت أولا ، كما يقول بولس الرسول : «يُزرع فى هوان ويقام فى مجد . يُزرع فى ضعف ويقام فى قوة . يُزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا»[(١)] ، وهذا حال أولياء الله ، فأما الخطاة والغير مؤمنين فبالضد من ذلك ، لأن الله كما يتمجد فى أصفيائه ، كذلك الشيطان يُخزَى هو وأصدقاؤه والعلملون هواه . وكما يقوم هؤلاء بالمجد ، كذلك يقوم أولئك بالخزى .

فخف الآن أيها الإنسان ، واحذر من حكم الله المرهوب ، وتأمل قول الرب أن الأموات يسمعون صوته ويقومون ؛ ولم يسكت بعد ذلك ، بل قال : «الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» .

✠ ✞ ✠

١١٥- (٢) وأنا يوحنا رأيت أورشليم المدينة المقدسة الجديدة منحدرة من السماء من عند الله مهيأة كمثل عروس قد تهيأت لزوجها .

---

(١) ١ كو ١٥ : ٤٣ و ٤٤

يا لهذه الكرامة الجليلة التى للملكوت ، أرض الميعاد الأبدى ، التى سماها أورشليم ، لأن تلك سميت أرض ميعاد أرضى ، ثم نزعت من أولئك وملكوها الأمم ، فكانت الإشارة إلى أرض الميعاد التى لا تُنزع من مالكها إلى الأبد ، هذه التى وعد بها الله كافة قديسيه كمثل عروس ، أعنى خدر ملوكى لا زوال له .

☩ ✞ ☩

١١٦- (٣) وسمعت صوتا من السماء قائلا هذه مظلة الله وموضع مسكنه يكون مع الناس ويكونون له شعبا وهو يكون لهم إلها .

انظر كيف سمى أرض الميعاد الأبدى مظلة الله ، وأنه يسكن مع أصفيائه ، وهو نورهم وعزاؤهم ، لأنه قال بعد ذلك :

☩ ✞ ☩

١١٧- (٤) ويمسح الله كل دمعة من عيونهم .

أعنى فرحهم عوضا عن الرزايا التى نالتهم ، والحزن الذى نالهم زمان حياتهم اليسيرة إذا قيست مع هذه الحياة السرمدية المؤبدة . ثم قال بعد ذلك :

☩ ✞ ☩

(بقية عدد ٤) ولا يكون نوح ولا صراخ ولا تعب منذ الآن لأن ما كان قديما قد مضى .

أعنى بهذا الفرح الذى لا يناله حزن ، والنياح الذى لا يلحقه شقاء .

١١٨- (٥) وقال الجالس على الكرسى هوذا أنا أخلق كل شيء جديدا وقال لى اكتب فإن هذه الأقوال حق وصدق (٦) وقال لى أنا الـ A والـ ω الأول والآخر أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا .

وحقا إنه ينبوع الحياة الذى يشرب منه كل من كان عطشانا ، وليس ذلك فقط ، بل إنه يهبه نعمة البنوة ، لقوله :

☩ ✣ ☩

١١٩- (٧) من يغلب يرث هذه وأنا أكون له إلها وهو يكون لى ابنا .

ثم لم يسكت عن الخطاة والغير مؤمنين ، فقال :

☩ ✣ ☩

١٢٠- (٨) فأما الكفرة وضعيفو القلوب والأنجاس والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وكل الجاحدين .

بعد أن ذكر هنا أنواع الكفر وأصناف الخطايا ، قال :

☩ ✣ ☩

(بقية عدد ٨) يكون نصيبهم البحيرة المتقدة بالنار والكبريت هذا هو الموت الثانى .

أعنى أنهم يبعَدون من حُضرة الله الحى ومن كافة قديسيه ، فيموتون مع إبليس وجنوده موتا مؤبدا ، بعد الموت المحسوس الطبيعى ، وهو الموت الثانى .

✠ ✝ ✠

١٢١- (٩) وجاءنى واحد من الملائكة السبعة الذين معهم الجامات السبعة المملوءة من الضربات السبع الأخيرة وكلمنى قائلا هلم فأريك العروس امرأة الحَمَل (١٠) وذهب بى بالروح إلى جبلٍ عالٍ وأرانى المدينة المقدسة أورشليم نازلة من السماء من عند الله (١١) لها مجد الله وضوءها يشبه نور حجر الجوهر الكريم كحجر الزبرجد البلّورى .

هنا وصف لمجد مدينة الله ، وأن ضوءها كنور حجر الجوهر وكالذهب المصفى اللامع .

وبحق أن مجد الملكوت أعظم من ذلك ، لأن الرائى لم يجد شيئا على الأرض أعلا من الجوهر والذهب ، فماثله بها كما مثل متى الإنجيلى ضوء لباس الرب فى التجلى كمثل الشمس[١] ، لأنه لم يوجد شىء فى الطبيعة أفضل من الشمس حتى يماثله به .

---

(١) مت ١٧ : ١ - ٨

بل هو أفضل من ذلك أضعافا ، حتى أن مرقس الإنجيلى بيّن ذلك قائـلا : «إنه لا يقدر شيء على الأرض أن يكون كبياض ذلك البهاء»[(١)] .

وقد قال بولس الرسول يصف مجد الملكوت : «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لقديسيه ومحبيه»[(٢)] .

✠ ✝ ✠

١٢٢- (١٢) ولها سور عظيم شاهق واثنا عشر بابا وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا وأسماء مكتوبة هى أسباط بنى إسرائيل (١٣) إلى الشرق ثلاثة أبواب وإلى الشمال ثلاثة أبواب وإلى الجنوب ثلاثة أبواب وإلى الغرب ثلاثة أبواب (١٤) وسور المدينة مؤسس على اثنى عشر أساس مكتوب عليها أسماء رسل الحَمَل الاثنى عشر .

ذكر ارتفاع حصون المدينة وأن لها اثنى عشر بابا وأسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر مكتوبة عليها : أعنى أن الله اختار رسله أولا الاثنى عشر على عدد أسباط بنى إسرائيل ، وهم أبواب المدينة بالحقيقة ، لأنهم أرشدونا للطريق المفضية إليها .

وقوله : «وسور المدينة مؤسس على اثنى عشر أساس» ، أعنى أيضا الرسل الأفاضل ، أسس الحق ، كما يقول بولس الرسول : «أنا الذى وضعت الأساس وآخر بنى عليه»[(٣)] .

(١) مر ٩ : ٣ (٢) ١ كو ٢ : ٩
(٣) ١ كو ٣ : ١٠ .

ثم قال : «مكتوب عليها أسماء رسل الحَمَل الاثنى عشر» ، فحقق أنهم الأسس الثابتة المبنية على الصخرة التى لا تتزعزع ، المسيح الرب الحَمَل الذى بلا عيب ، الذى قدّم ذاته عن الكل فطهرهم بدمه الكريم .

✠ ✣ ✠

١٢٣- (١٥) وكان مع الذى يكلمنى قصبة من الذهب ليقيس بها المدينة وأبوابها وسورها (١٦) والمدينة مربعة وطولها كعرضها فقاس المدينة بالقصبة فكانت اثنى عشر ألف غلوة وطولها وعرضها وسمكها سواء .

هذه الساعة قد ذكرها بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس ، قائلا : «لكى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع الأطهار ما سُمك هذا التدبير وغوره وطوله وعرضه»[(١)] .

فإن قلت لماذا بيّن يوحنا الرا ئى المساحة عددا ؟ فهذا دليل على أن ذيوع البُشرَى هو نتيجة كرازة الاثنى عشر رسول .

بيّن ذلك بولس الرسول أيضا ، قائلا : «لستم غرباء ولا دخلاء ، بل أنتم مدينة الأطهار وأهل بيت الله ، وقد بُنيتم على أساس الرسل والأنبياء وكان رأس البنيانيسوع المسيح»[(٢)] ، فقد أوضح الرسول أن الرسل هم أسس المدينة ويسوع المسيح هو رأس الزاوية ، لأن رأس الزاوية ماسك للحائطين ، كذلك الرب ماسك للشعبين اللذين آمنا : اليهود والأمم ، وصيّرهما رعية واحدة .

---

(١) أف ٣ : ١٨

(٢) أف ٢ : ١٩ و ٢٠ .

أما مساواة مساحتها ، فهذا رمز على تساوى القديسين فى المجد السمائى .

فأما عن عِظَم المدينة وبنيانها وجلالها ، فلم يسكت بولس الرسول عنها ، إذ يقول عن إبراهيم أبينا إنه : «ترك أرض مسكنه وجنسه وسكن فى الغربة فى الخيام مع اسحق ويعقوب ، لأنه كان يرجو المدينة التى لها الأساسات التى بانيها وصانعها الله»[(١)] . فإذا كان الله هو البانى لتلك المدينة والمهندس لها ، فكم يكون جلال كرامتها وعِظَم اتساعها ؟ أقول إنها تزيد عن الوصف والحسن والبهاء لكونها سميت مدينة الله ، ومحل ميراثه ومسكنه مع أبراره .

ولم يسكت الرسول عند ذلك ، بل قال بأن أولئك الآباء ، إبراهيم واسحق ويعقوب ، رأوا من بعد وفرحوا ، أعنى على الرجاء . قال : وأقروا إنهم غرباء ، وسكان الأرض والذين يقولون هذا القول يخبرون بأنهم يريدون مدينتهم . فلو كانوا يريدون مدينتهم التى خرجوا منها ، فقد كان عليهم سهلا العودة إليها ، أعنى الموضوع الذى خرج منه إبراهيم بين النهرين . ثم قال : «ولكن الآن إنهم يتوقون إلى أفضل منها إلى تلك المدينة التى فى السماء . ولهذا الأمر لم يأنف الله أن يسمى إلههم وقد أعد لهم المدينة»[(٢)] التى تاقوا إليها .

فهذه مدينة الله بالحقيقة ، أورشليم السمائية ، ميراث كافة الأطهار التى وعد الله بها لمحبيه .

✠ ✝ ✠

١٢٤- (١٧) وقاس سورها مائة وأربعا وأربعين ذراعا بحسب القياس الإنسانى الذى كان الملاك يستعمله .

---

(١) عب ١١ : ٩ و ١٠ .

(٢) عب ١١ : ١٣ - ١٦

إن العدد ١٤٤ هو حاصل ضرب ١٢ × ١٢ ، رمزا على الاثنى عشر رسولا ، كمثل عدد أسباط بنى إسرائيل الذين وعد الله آباءهم بأرض الميعاد ، الحاضر الزمنى ؛ ووعد هؤلاء بالمستأنف الأبدى .

فإن قلتَ عن الرسول بولس إنه ليس من الاثنى عشر ، وكذلك مرقس ولوقا ومن يقوم مقامهم ، أجبتك : إن الرب يقول : «لست أسأل من أجل هؤلاء فقط [يعنى الاثنى عشر] ، بل وكل من يؤمن بى وبقولهم ، ليكون الجميع واحدا ، كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضا واحدا فينا»(١) ، وإنما اختص الاثنى عشر أولا كعدد أسباط بنى إسرائيل .

✠ ✣ ✠

١٢٥- (١٨) وبناء سورها من حجر اليشب والمدينة من الذهب الخالص كالزجاج النقى (١٩) وأسس سوق المدينة مزينة بكل حجر كريم فالأول يشب والثانى لازورد والثالث عقيق والرابع زمرد (٢٠) والخامس ماس والسادس ياقوت أحمر والسابع حجر ذهب والثامن جزع والتاسع ياقوت أصفر والعاشر عقيق أخضر والحادى عشر سمنجونى والثانى عشر جَمَشْت (٢١) ولاثنى عشر بابا اثنتى عشر لؤلؤة لكل باب لؤلؤة وسوق المدينة من ذهب نقى كالزجاج الشفاف (٢٢) ولم أرَ فيها هيكلا لأن الرب الإله القدير والحَمَل هما هيكلها (٢٣) ولا حاجةَ للمدينة إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله أنارها وسراجها الحَمَل .

(١) يو ١٧ : ٢٠ و ٢١

إن تلك المدينة لا تحتاج لشمس ولا قمر ولا نجوم ولا سراج يضيء فيها ، لأن الله نورها دائما .

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول : «فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز ، لكن حينئذ وجها لوجه»[١] .

✠ ✣ ✠

١٢٦- (٢٤) وستمشى الأمم فى نورها وملوك الأرض يأتون بمجدهم وكرامتهم إليها (٢٥) وأبوابها لا تغلق نهارا لأنه لا يكون ليل (٢٦) وسيؤتى بمجد الأمم وكرامتهم إليها .

يعنى بذلك الذين حفظوا الإيمان ، وبهاء المعمودية باق فيهم ، مولودين من الماء والروح كما يقول الرب : «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله»[٢] .

✠ ✣ ✠

١٢٧- (٢٧) ولا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس والكذب إلا من كان اسمه مكتوبا فى سفر الحياة مع الخروف .

بعد أن ذكر مجيء الملوك إليها ، قال : «ولا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس ، إلخ» حتى لا يتوهم أحد أن الكل سيدخلونها ، الأبرار والأشرار ، ولذلك استثنى قائلا : «إلا من كان اسمه مكتوبا فى سفر الحياة مع الخروف» .

(١) ١ كو ١٣ : ١٢

(٢) يو ٣ : ٥

الإصحاح الثاني والعشرون

١٢٨- (١) وأرانى نهر ماء الحياة صافيا كبلّور خارجا من عرش الله والخروف (٢) فى وسطها وعلى جانبى النهر شجرة الحياة تثمر اثنتى عشر ثمرة وتعطى كل شهر ثمار وورق الشجرة لشفاء الأمم .

يشير نهر ماء الحياة إلى المعمودية المقدسة التى تطهر قابليها وتقدسهم ، حيث لا يمكن الدخول إلى الملكوت إلا بها .

وشجرة الحياة تشير إلى الأعمال الصالحة المؤدية إلى الحياة الأبدية ، وكون أن ثمرها اثنتى عشر ثمرة ، فهو لأن الفضائل يجب أن يكون عملها متساويا ، والأثمار هى ظهور الكؤمنين بسلوكهم الحسن أمام الأمم .

☩ ✢ ☩

١٢٩- (٣) ولا تكون لعنة فيما بعد وعرش الله والحَمَل يكون فيها فيعبده عباده (٤) وهم ينظرون وجهه ويكون اسمه على جباههم (٥) ولا يكون هناك ليل ولا يحتاجون إلى سراج ولا إلى نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وسيملكون إلى أبد الآبدين .

هذا ما أُعِدّ للأبرار فى أورشليم السماوية ، حيث يقدمون مع الملائكة التسبيح والتمجيد للإلـه ، ويشـاهدون نور جلاله كما شاهده الرسل وقت التجلى .

وأما كون اسمه على جباههم ، فيقصد به مجده وبهاءه اللذيْن سيسطعان على وجوههم .

☩ ✝ ☩

١٣٠- (٦) وقال لى هذه الأقوال صدق وحق والرب إله أرواح الأنبياء أرسل ملاكه ليُرِى عبيده ما سيكون عن قريب (٧) ها أنا آتى سريعا طوبى لمن يحفظ كلام هذه النبوة .

يعنى بذلك أنه كما أعطى الله قديما الأنبياء روح النبوة فتكلموا عن الأمور المزمعة أن تكون ، هكذا أعلن ليوحنا هنا ما سيكون . ثم أعطى الطوبى ، أى الغبطة والسعادة لمن يحفظ أقوال هذه الرؤيا ويحتفظ من السقوط .

☩ ✝ ☩

١٣١- (٨) وأنا يوحنا الذى سمع ورأى هذا وحينما سمعت ورأيت خررت لأسجد أمام رجلى الملاك الذى كان يرينى هذا (٩) فقال لى انظر لا تفعل لأنى عبد مثلك ومع إخوتك الأنبياء والذين يحفظون كلام هذا الكتاب اسجد لله .

منع الملاك يوحنا من السجود له ليعلمنا أن لا نقبل المجد من الناس ، بل نقدمه لله الممجد إلى أبد الآبدين .

☩ ✣ ☩

١٣٢- (١٠) وقال لى لا تختم على أقوال نبوة هذا الكتاب لأن الوقت قريب .

يعنى لا تسكت ولا تكف عن إذاعة هذه الأقوال لتكون عظة وحثا على التوبة ، وقُرب الوق يدل على ضرورة حدوث ما فى هذا الكتاب .

☩ ✣ ☩

١٣٣- (١١) من يَظلم فليَظلم بعد ومن هو نجس فليتنجس بعد ومن هو بار فليتبرر بعد ومن هو مقدس فليتقدس بعد .

يقصد بذلك أن الله تعالى يترك الإنسان فى حريته وما هو عليه من تمادٍ فى عمل الخير أو الشر ، حتى إذا ازداد فى أى نوع منهما يجازى عليه .

☩ ✣ ☩

١٣٤- (١٢) وها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله (١٣) أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر .

قوله : «وأجرتى معى» ، يوافق قول أشعياء : «هوذا مخلصك آت وأجرته معه»[١] ، يريد بذلك إيهاب الملكوت لمستحقيه كل واحد حسب عمله .

✠ ✠ ✠

١٣٥- (١٤) طوبى للذين غسلوا ثيابهم بدم الحَمَل ليكون لهم سلطان على شجرة الحيوة ويدخلوا المدينة من الأبواب .

أعطى الطوبى للذين قد تنقوا من دنس الإثم بالتوبة النقية التى جعلها الله سببا لرجوعنا إليه ما دمنا فى هذه الحياة الحاضرة ، حيث نرث فى الحياة الآخرى الملكوت الأبدى .

✠ ✠ ✠

١٣٦- (١٥) ليبقَ خارجا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب الكذب ويعمل به .

وهذا يوافق قول الله لموسى : «لا تُدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر»[٢] .

✠ ✠ ✠

١٣٧- (١٦) أنا يسوع أرسلت ملاكى ليشهد لكم بهذا الكلام عن الكنائس أنا أصل داود ونسله كوكب الصبح المنير .

---

(١) أش ٦٢ : ١١ (٢) تث ٢٣ : ١٨

يقصد بكلامه هذا بكلامه هذا يوحنا ، كما دعى قبل ذلك يوحنا المعمدان ملاكا بقوله : «هأنذا أرسل ملاكى فيهيء الطريق»[١] .

وقوله : «ليشهد لكم بهذا الكلام» ، أعنى عن كرامة الملكوت وعذاب الجحيم .

✠ ✠ ✠

١٣٨- (١٧) والروح والعروس يقولان تعال ومن يسمع فليقل تعال ومن يعطش فليأت ومن يُرِدْ فليأخذ ماء الحياة مجانا .

يعلن بذلك الدعوة إلى الملكوت ، كما قال : «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمالوأنا أريحكم»[٢] .

قوله : «ومن يُرِدْ فليأخذ ماء الحياة مجانا» ، فهذا ما قاله الرب يسوع فى الإنجيل : «إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب»[٣] .

وقال أشعياء : «أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة ولا ثمن خمرا ولبنا»[٤] .

✠ ✠ ✠

(١) ملا ٣ : ١ ؛ مت ١١ : ١٠ ؛ مر ١ : ٢ ؛ لو ٧ : ٢٧

(٢) مت ١١ : ٢٨ (٣) يو ٧ : ٣٧

(٤) أش ٥٥ : ١

١٣٩- (١٨) لأنى أشهد لكل من يسمع أقوال هذا الكتاب من زاد على هذه يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب (١٩) ومن حذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب .

أ مر أن لا يزاد على هذه الرؤيا أو يُنقص منها ، مهددا ومتوعدا ، ولهذا فقد بقيت صحيحة عند كل الألسن كالنبوات والأناجيل والرسائل .

✠ ✣ ✠

١٤٠- (٢٠) يقول الشاهد بهذا نعم أنا آتى سريعا آمين تعال أيها الرب يسوع .

يصرخ يوحنا بالروح قائلا : تعالَ يا ربنا يسوع المسيح . وهكذا جميع الأبرار الأطهار ينتظرون ملاقاة سيدهم فرحين لكى يسرع بالمجىء إليهم وافتقاده إياهم ، ليستريحوا من الأتعاب التى تنالهم ، ويكونوا معه فى ملكوته بلا تعب ولا ألم إلى الأبد .

✠ ✣ ✠

١٤١- (٢١) نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميع القديسين إلى الأبد آمين .

رؤيا ٢٢ : ٢١

وحقا أن نعمته ورحمته على جميع قديسيه وأبراره ، كما أن غضبه ونقمته على جميع المعاندين لوصاياه .

ونحن نسأل مراحمه أن يعضدنا بمعونته ، لنجد منه رحمة ونجاة ، له المجد إلى أبد الآبدين ، آمين . ،،،

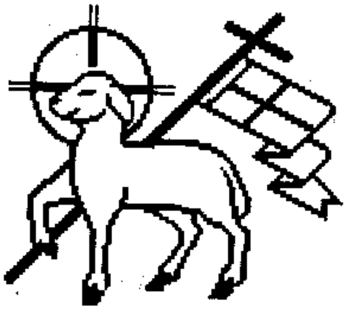

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٨ / ١٩٩٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 12 - 0266 - 9

طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة

ت ٩٣٥٧٥٦